الإسلام والمسلمون في العالم

1

المدخل إلى تاريخ الإسلام

في الشرق الأقصى

تأليف

العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد

بترتيب وتحقيق وتعليق

السيد محمد ضياء شهاب

عالم المعرفة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



جدة - المملكة العربية السعودية - ص. ب. ٥٧٦. برقياً زادفكر
تلكس ٤٠١٢٠٩ شوركو اس جي تلفون: ٦٨٧٧٢٩٠ (٠٢) - ٦٨٧٧٤٢٢ (٠٢)

الإسلام والمسلمون في العالم

١

المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى

تأليف

العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد

بترتيب وتحقيق وتعليق

السيد محمد ضياء شهاب



ترجمة حياة المؤلف(*)

هو السيد العلامة شيخ الاسلام علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد الكاتب البليغ والمؤرخ البحاثة، اذا خطب في موضوع جمع اطرافه، وعززه بالادلة العقلية والنقلية. كان غيورا على الاسلام مدافعا عنه وعن آل بيت رسول الله ﷺ متصلا برجال العلم في كل مكان من العالم الاسلامي، مترفعا عن الاختلافات المذهبية.

ولد السيد علوي بن طاهر في بلدة قيدون بحضرموت وتلقى علومه فيها وساعده ذكاؤه ومثابرته في الطلب وملازمته لاكابر العلماء المجتهدين حتى بلغ الذروة، وجمع من العلوم النقلية والعقلية ما فاز بها على الاقران، بل كانت له استنباطات واجتهادات دقيقة، تقصر اذهان البعض عنها، له تآليف كثيرة وبحوث في الصحف في مواضيع متنوعة في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعقيدة والتاريخ وفتاوى تبلغ نحو ١٣ ألف مسألة وطالما خطب وحاضر في المجتمعات العامة، وقد طبعت محاضرته التي القاها في جمعية الشبان المسلمين، وظهرت مطبوعة

(*) مأخوذة بتصرف من كتاب «شمس الظهيرة في نسب اهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب للسيد عبد الرحمن المشهور».. جـ ٢ صفحات ٥٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٥٩.

باللغتين العربية والأندونيسية وكان زعيم الحزب الاسلامي الشهير عمر سعيد چوكروامينوتو متصلا به، فلما الف كتابه في السيرة النبوية باللغة الاندونيسية عرضه على السيد علوي فراجعه وكتب مقدمة له وطبع الكتاب أول طبعة على نفقة اهل الخير، واخيرا ظهرت الطبعة الثانية.

كان السيد علوي بن طاهر من مؤسسي جمعية الرابطة العلوية باندونيسيا، واخيرا اختارته سلطنة جهور بماليزيا لتولي الأفتاء وتوفي سنة ١٣٨٢هـ وله ذرية انتقلت الى جنوب الجزيرة العربية منهم ابنه العلامة السيد طاهر والسيد حامد.

وللسيد علوي تآليف كثيرة سوف نسردها لكي تعرف سعة معلوماته وهي كما يلي:

١ - القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل. (جزءان).
٢ - فتاويه التي تبلغ اثنتي عشر الف مسألة.
٣ - أنوار القرآن في الرد على دجال قاديان (جزآن).
٤ - رسالة في استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية.
٥ - رسالة في حكم عدم جواز ترجمة القرآن، عدة كراسات.
٦ - إقامة الدليل على اغلاط الحلبي في نقده للعتب الجميل.
٧ - دروس السيرة النبوية في جزئين صغيرين.
٨ - كتاب في احكام الانكحة والقضاء بلغة الملايو طبع جزآن.
٩ - اعانة الناهض في علم الفرائض.
١٠ - رسالة في حكم المال الضائع.
١١ - ضوء القريحة.
١٢ - الرد على ابن نعمان في رفع الزكاة الى السلطان.
١٣ - الرد عليه ايضا في مسألة أخرى.
١٤ - الكلمات الجامعة في تفسير سورة الواقعة (لم يتم).

١٥ - الخلاصة النافية في الاسانيد العالية.
١٦ - مختصر عقد اللآل للسيد عيدروس بن عمر الحبشي.
١٧ - الامالي في التوحيد (لم يتم).
١٨ - الامالي في علوم الحديث.
١٩ - الامالي في علوم القرآن، نحو كراسين.
٢٠ - مجموعة من علوم الفلك في مجلد ضخم.
٢١ - الفوائد اللؤلؤية في القواعد النحوية.
٢٢ - مجموع محاضراته في مواضيع دينية وتاريخية.
٢٣ - مجموع مقالاته التي كتبها خلال تقلده وظيفة الافتاء بجهور، في عدة أجزاء.
٢٤ - مجموع مقالاته التي نشرتها جريدة حضرموت، والعرب، والنهضة في أربعة أجزاء.
٢٥ - الرد على دجال يافع أحمد بن عطاء الحرازي (لم يتم).
٢٦ - مقالاته في الرد على القاديانية.
٢٧ - مجموعة مقالاته التي نشرتها مجلة الرابطة.
٢٨ - مجموع ما كتب من خطب.
٢٩ - مجموعة مكاتبات ذات الفوائد العلمية والتاريخية.
٣٠ - الشامل في تاريخ حضرموت طبع نحو ٢٦٠ صفحة.
٣١ - جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ.
٣٢ - رسالة أخرى في جواب أسئلة في التاريخ.
٣٣ - عقود الالماس، طبع منه جزآن.
٣٤ - مختصر تاريخ حسان.
٣٥ - الطبقات العلوية.
٣٦ - ترجمة جده عبدالله بن طه الهدار الحداد، في نحو خمسين كراسة.

٣٧ - تعقيب وتنقيب عن الملقب بالنفاط من آل النقيب.
٣٨ - المدخل الى تاريخ دخول الاسلام الى جزائر الشرق الاقصى (طبع).
٣٩ - تاريخ الاسلام بجاوا وسومترا والفلبين، نحو أربعمائة صفحة.
٤٠ - أثمد البصائر في مذهب المهاجر، كتب منه أربعة كراريس (لم يتم).
٤١ - الرد على ابن خلدون في قاعدته في النسب ونقضها، (يوجد منه كراسان).
٤٢ - رحلة شيخه الثانية المسماة «الرحلة التريمية».
٤٣ - رحلة شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس الى دوعن المسماة: الرحلة الدوعنية.
٤٤ - ما كتبه من كلام شيخه في كراريس.
٤٥ - نقول علمية وتاريخية في عدة أجزاء.
٤٦ - ما بقي من شعره في ديوان صغير.
٤٧ - الأمالي في تاريخ الاسلام (لم يتم).

تمهيد

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه، وأجلّة أصفيائه، وكرام أوليائه. وبعد، قد يصمت التاريخ برهةً من الدهر عندما تتلاحق الرزايا، وتغيض منابع الحقيقة، فتمرُّ الأعوام والتاريخ في صمته، حتى يأتي يوم يتجلى فيه الصحيح، ويبدو الواقع، فيكشف عن حياة مضت وكأنها تأدّت إلينا سليمة من جديد.

كم مرت أحداث إندغمت أخبارها في لفائف الاعوام، وانطوت في أسرار الزمن. أمم عاشت ثم بادت، ودول قامت ثم فنيت، وشخصية هزَّت العالم فترة من أيامها ثم التهمها التراب، ولم يبق من كل ذلك - إن بقي - غير صفحات، إما صفحات مشرقة وذكريات عبقة، وإما أنباء تشمئز منها النفوس، وتضيق منها شعاب الجوانح.

أشخاص حملوا بأيديهم سياط الاستبداد، وارتكبوا المظالم ويحسبون أنها مكارم، فسكتت الاقلام. ولما انقطعت أنفاسهم وظهرت حقائقهم لعنتهم الأجيال.

وأشخاص وقفوا تجاه الجبابرة، وذهبوا إلى ربهم تاركين وراءهم الايام تردّد أسماءهم وتسطر تاريخهم بأريج الذكريات.

إن ذهب أولئك وهؤلاء مع أزمانهم مجهولي الاعمال فان الدهر كفيل بأن يشق حجاب الصمت ويكشف للتاريخ أعمالهم.

وللبشر أيد في طمس معالم أو إحياء مراسم، فمن أراد خيراً وفَّقه الله إليه، ومن دفعه الهوى إلى محو حق أعانه الشيطان عليه.

وقد لفت نظري ما سالت به بعض الاقلام من أقوال مغرضة، فتذكرت كتاباً مدرسياً رأيته منذ زمن بعيد باللغة الاندونيسية جاء فيه أن المسلمين يسجدون نحو الكعبة لأن فيـها قبر النبي محمد ﷺ. ورأيت في كتاب آخر رسماً يدوياً لرسول الله ﷺ في طريق هجرته الى المدينة المنورة، وهو على جمل في هيئة بدَوي حالك البشرة مكشوف الساقين المعوجتين، رافعاً يديه مشبكا سبابتيه في شبه حرف X.

ومرَّت بالذاكرة أشياء وأشياء، فتلفَّتُ إلى المراجع وتنقلت في قرى جاوا باحثاً واطلعت على ما تمكنتُ من الاطلاع عليه، من تاريخ وأساطير وحكايات، فقيَّدت بعض ما عرفته في «تاريخ اندونيسيا»، ثم لجأت إلى من له في العلم المكانة القعساء، وفي التاريخ الشأو السامق، السيد علوي بن طاهر الحداد فسألته كتابياً عندما كنت باندونيسيا أن يتحفنا بما قد بحث فيه، ولكنه وهو في سلطنة جهور بماليزيا كانت الاعمال - كما يبدو - تستنزف أوقاته وفي مهماته الرسمية قلَّما يجد فسحة تمكّنه من الكتابة فيما لديه.

ولما ألححت عليه في الطلب أرسل كتاب المدخل هذا، وقد حسبته آنذاك أمالي، وخلتُ أنه أَمرَ مَن حوله ليأخذوا من أضبارة مقيداته أو بارشاداته، فكتِبتْ بأقلام مختلفات خطوطها. وها أنذا أقدمها للقارىء، ففيها فوائد يطمئن إليها الحق.

عندما وصل الكتاب إتفقت الاراء في جاكرتا على أن أترجمه، فترجمته إلى اللغة الاندونيسية، وتبرَّع المرحوم الغيور السيد محمد بن سالم العيدروس بتكاليف الطباعة، وقد وزعت نسخه حتى نفدت تقريباً، فكان لذلك ردود فعل حسن في الأوساط الاسلامية، ثم طبع الكتاب

بأصله العربي بالقاهرة بسعي مؤسسة المحضار بجدة.

وأشار عليّ بعض الأصدقاء بأن أضيف إليه ما أتمكن من إضافته معلقاً على بعض الموضوعات ليكون تبياناً أو اكمالاً، فلبيت الاشارة مستسقياً من المظان التي تيسَّر لي العثور عليها، فأرجو أن تكون هذه التعليقات كافية.

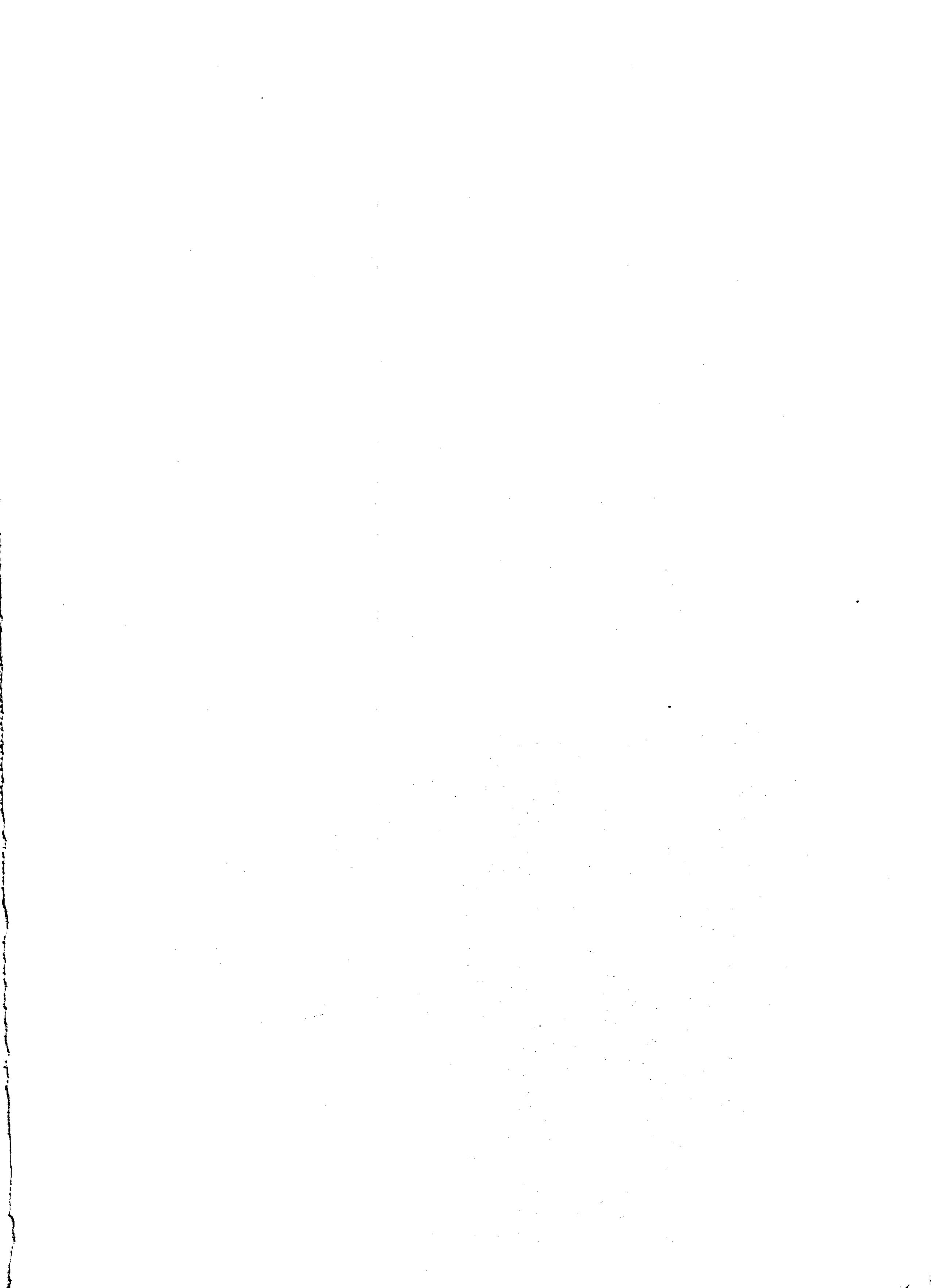
وأشار عليَّ السيدان العالمان عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، ومحسن بن أحمد باروم أن أحاول جعل بعض الفقرات المتفرقة المواضع تحت عنوان ما أمكن ذلك حتى تكون أدنى إلى الفهم وأيسر للادراك، على أن لا أمسَّ شيئاً بالحذف أو الخروج عن أصل الكتاب، وما كان بهامشه منسوباً إلى المؤلف جعلته في صلب الكتاب، مستميحاً لذلك روح المؤلف رحمه الله تعالى، باستثناء بعض تعليقاته الخفيفة أشرت إليها بحرف (ع) وحاولت ما استطعت أن أضع عناوين مناسبة لبعض الموضوعات في أصل الكتاب.

وسأترك للمراجع أن تتحدث عما احتوته هذه التعليقات، إلاّ بعض ما كان لي فيه رأي عابر. وأودّ أن أختم هذه التعليقات بنتفٍ من خطاب بعثه سيادة المؤلف في ١٢ شعبان ١٣٧٤ هـ (ابريل ١٩٥٥ م) فيها الفائدة إن شاء الله تعالى.

وعلى المولى سبحانه الاعتماد، ومنه نستمد العون، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مكة المكرمة في شهر صفر عام ١٤٠٥ هـ .

السيّد محمّد ضياء شهاب



مقدّمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء والمرسلين، آخرهم وختامهم، والذي لا نبوة بعده، ولا رسالة ولا وحي، وإن ادعى ذلك دجالون ضالون مضلون.

أللهم إننا نسألك الرحمة واللطف لأمة عبدك ورسولك محمد الصادق الأمين، الذي أظهرت به الايمان واليقين، وأيَّدت به الحق والعدل والدين، وجعلته رحمةً للعالمين، وأمناً وبركة ونجاةً للمصدقين المسلمين، وحجة بالغة على الدجَّالين والجاحدين والكافرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه السابقين والتابعين.

أما بعد، فإن للاسلام بالشرق الأقصى تاريخاً هو في تواريخ الامم غُرَّة، وأمة بل أمماً فاقت عدداً ومدداً وكثرة، أتيحت لها آفاق إمتازت سعة وخصوبة ونضرة.

جاء الاسلام يهديه إليها أمناوه الاعلام، ذوو الاخلاق الزكية والعمل الصالح والعلم الواسع والنهى والأحلام، فوجدوا من هذه الأمم بالشرق الأقصى قلوباً صافية، وأخلاقاً سامية، وهمماً عالية، وفطراً زكية، تحدوها أسباب مواتية، وأخلاق لا متجبرة ولا عاتية، عرفت أنه الحق من عند الله فقبلت، وسمعت منادي الله فأقبلت، فعادت بذلك - زيادة على ما كان عندها من الخير والذكاء - من خير أمم الارض ديناً وعملاً وأدباً، وغيرة على دينها محافظة واحتساباً، فنتجت بالعلماء العاملين، والعباد الصالحين، والملوك الحماة والمجاهدين في سبيل الله، هم

من المناقب غُرر مستنيرة في جبين الدهر، ومن الدفاع عن الدين والشرف وقائع عظيمة الاثر جليلة القدر، ومحاماة عن الحمى، ومدافعة عن الذمار، بيعت فيها الارواح بيع السماح.

بيد أن أكثرها انطوى في مطاوي النسيان، وحرص على محوه وكتمه وتحريفه أعداء الاسلام والايمان، ومصطهدو أهل الاسلام والايمان، حتى تمَّ لهم ما أرادوا فاغتنموا الفرصة، ودفعوا عن أنفسهم غصة حسد وأيّ غصَّة، فمحوا من ذلك التاريخ بالاكاذيب سطوره، وطمسوا بالظلم والاضطهاد والكتم نوره، فكفنت في أكفان النسيان أمجاد ذلك التاريخ، وهدمت من شوامخه المنيفة قلله والشماريخ، فعاد بعد ذلك - وهو التراث النفيس - تراثاً منبوذاً ونسياً منسيا، لا محترماً عهده ومجده ولا مرعيا، ذخيرة من المجد - ويا لك من ذخيرة - تعدّ كالقذر مرمياً، وحقاً ساطعا ثابتاً يحسب أمراً فريا.

ثم أحلوا محل هذا التاريخ الصادق المجيد، ملفقات من الأكاذيب والشك والتمحل والتفنيد، خدع به النشء الجديد، وشغل بها عن الغرض الاقصى والمنهج السديد، وعاد يتبرأ من مفاخر تاريخه الصحيحة المتكاثرة، في تلك الايام الماضية الزاهرة، الدالة عليها بقايا في أحواله الحاضرة.

وكنتُ ممن ألقى الله في قلبه محبةَ البحث عن ذلك التاريخ المدفون، والتنقيب عن تلك الامجاد التي إندرست بتداول القرون، وبالتحريفات التي تعب في صنعها المحرفون، وحبَّب الله إليَّ السعي في إظهار ما كتمه الكاتمون، وقد وفقتُ بحمد الله إلى الحصول على بينات مما كان تكفي في تصوره على قدر الامكان.

وقد أحببتُ أن أقدم منها مختصراً جامعاً وأنموذجاً نافعاً، مقتصراً في ذلك على الاختصار والاجمال، لئلا يؤدي التطويل إلى السآمة والملال،

على ما لديَّ من العجز وكبر السن وغير ذلك من الاعذار، وليسهل على الواقف مطالعته وفهمه، ويقرب من متناول يده ما ينفعه علمه، سائلاً من الله أن يوفقني لاخراج ما هو أوسع بياناً وجمعاً، وأعم فائدة ونفعا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موصلاً إلى رضاه وفضله العظيم، آمين.

واعلم أيها الناظر في هذا المختصر أني لو جمعت كلَّ ما لديّ من تاريخ الشرق الأقصى لبلغ على الاقل أربعة مجلدات، فعسى الله أن يحل العقال، ويحسن الاحوال، إنه على كل شيء قدير.

ثم أن هذا الذي سأذكره في هذا المختصر ليس مستجمعاً للتاريخ الاسلامي وحوادثه، ولكنه مشتمل على المقدار الكافي لتصوره، فهو كالمدخل الى تاريخ الاسلام الكامل، وقد اعتاد علماؤنا السابقون أن يؤلفوا كتباً إبتدائية تكون باباً إلى الدخول إلى بعض العلوم يسلك السالكون منه إليها، فلهذا سميته «المدخل إلى تاريخ الاسلام بالشرق الاقصى»، وعلى اختصاره سيجد فيه القارىء موضوعات مهمة، وأخباراً عجيبة، وملاحظات أصيلة ناقدة، قلَّ أن يجدها في غيره، وبالله التوفيق وعليه الاعتماد والتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المسلمون سادة البر والبحر

هذا كان في القرون الاولى للاسلام، بعد ما تمَّ نصر الله للامة الاسلامية على المملكتين العظيمتين المشهورتين في العالم القديم، وهما مملكة فارس في الشرق ومملكة الروم (الرومان) في الغرب، وكانت أمة الروم تضم بين جناحيها أمم الغرب أجمع.

بعد تمام ذلك النصر اندفع المسلمون في مناكب الارض للدعوة الى الله ونشر الاسلام، وإقامة العدل وتسهيل المتاجرات ومحو نظام الاقطاع المتأصل في سائر البلاد، والدعوة الى عبادة الله وحده، فالعباد عباد الله والبلاد بلاد الله.

ولا بدَّ من الاستدلال على صحة هذه السيادة ووقوعها فيما سبق وعمومها للبحار الشرقية والغربية، ولذلك نورد فصولا متتالية نذكر فيها كلام المؤرخين من عرب وفرس وصين وجاويين، وقد نذكر شيئاً مما أقرَّ به المستشرقون من الغربيين.

سيادة المسلمين على البحر الأبيض

كان القرن الثالث الهجري، أي التاسع الميلادي، عصر السيادة الاسلامية البحرية في البحر الابيض، كما كان عصر سيادتهم على بحور الهند والصين. وكان البحر الابيض بما تغص به شواطئه في الشرق والغرب والجنوب من الثغور الاسلامية المحصّنة القويَّة ميدان هذه السيادة.

وقد بدأ العرب معاركهم البحرية الاولى بعد تردّد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكن سبق الوعد من الصادق المصدوق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فإن في زمن عثمان رضي

الله عنه أذن للمسلمين في الغزو في البحر، مصداق ما قد سبق من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن أمته سيغزون في البحر وأنهم يركبون أثباجه، أي غببه، دلالة على قوة عزمهم وقوة مراكبهم، حتى وصفهم بأنهم ملوك على الاسرة، ولا يكون هذا الوصف إلاّ لغزاة في مراكب واسعة، لركابها سرر يجلسون عليها ويتكئون. جاء هذا في الاحاديث الصحيحة.

أول غزاة

وكانت أول غزاة سنة ٢٧ - ٢٨ هـ (٦٤٧ م) وبقي قبر أم حرام بنت ملحان التي دعا لها رسول الله ﷺ أن تكون من أهل أول غزوة بحرية للمسلمين آية شاهدة، وبقي قبرها مشهورا بقبرص الى زمن هارون الرشيد[١].

---

(١) يقع ضريح أم حرام على مسافة ميلين من مطار مدينة «لارنكا» بقرب مسجد بناه الشيخ حسن التركي عام ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م ثم بني ضريح جديد لها عام ١٢٣٢هـ /١٨١٦م ويعرف لدى المسلمين الأتراك بـ «تكية خالة سلطان» باعتبار أم حرام خالة رسول الله ﷺ بالرضاعة، ولهذه التكية مكانة محترمة، ولكن اليونانيين انتهكوا حرمتها وجعلوا أبنية التكية ثكنة عسكرية ونهبوا المسجد التاريخي، وقد استعاد الأتراك المنطقة وعمروا ما تخرب.

إستمرار البطولات الإسلامية

في إبان الانحسار الإسلامي من الأندلس وقيام الدول الغربية بغارات واحتلال بعض أفريقيا الشمالية ما زال البحر الأبيض مجالاً لبطولات إسلامية رائعة، ففي أواخر القرن الخامس عشر كان المسلمون يقومون بغارات مضادة في البحر وفي شواطىء أوروبا.

خير الدين برباروس وأخوه عروج

كان عروج بحّاراً نشيطاً، وكان أبوه من جنود الانكشارية ثم زاول التجارة، وانضم خير الدين برباروس إلى أخيه عروج، فخاضا البحار وحاربا الأعداء الذين يعتدون على سفن المسلمين ويهاجمون المواقع والمدن الساحلية في الشمال الافريقي، فانبرى هذان الشابان التركيان وجنودهما لمواجهة المعتدين، واتصلا بالحفصيين في تونس في عهد السلطان محمد بن الحسن عام ١٤٩٤م، فجعل السلطان لهم جزيرة جربة مركزاً لأعمالهم، واتحد الأتراك والمغاربة للدفاع. ثم تحوَّل مركز الجهاد إلى مكان آخر مستمرين في المغامرات، وصاروا يهاجمون الأعداء لإنقاذ جزائرهم عام ١٥١٦م، ورأى عروج ما أصاب حاكم الجزائر من خور وضعف عزيمة وتهرب من الجهاد، فاتخذ القوة للاستيلاء على الجزائر تلبية لطلب التلمسانيين، فإذا هو يجد جانباً من أهالي تلمسان يستنجد الأجانب وحاصروه فاضطر إلى ترك المدينة، ثم هاجمه الأسبانيون في عرض البحر فذهب ضحية انشقاق المسلمين فقُتِل عام ١٥١٨م.

كان عمر رضي الله عنه قد منع المسلمين من الغزو في البحر، فلما كانت خلافة عثمان أذن لمن أراد الغزو عن رغبة منه، فلم يترددوا ولكنهم مضوا قُدماً إلى امتطاء ظهره، ورفعوا راية الجهاد والسباحة فوقه عالية منظورة.

فواصل خير الدين الغارات، والآمال متجهة إلى الدولة العثمانية، وكانت النتيجة أن سيطرت الدولة العثمانية على شمال أفريقيا، ثم جاءت قوة عظيمة من أساطيل ومقاتلين بقيادات أوروبية مشتركة، ووقفت الدولة العثمانية بجانب خير الدين، واشترك جنود الانكشارية في القتال، ووقع كثير من الأعداء أسرى لدى المسلمين، ولم يتعرض الأسرى لأذىً فضلاً عن القتل بعكس ما كان يفعل الأعداء.

واصل خير الدين جهاده وغامر في حروب قاسية، وهاجم اسبانيا وأطلق الأسرى المسلمين، والنصر يكلله في معظم حروبه، مؤيَّداً من الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الاول وسليمان القانوني ومصر وتونس والجزائر والمغرب، فحرَّر بعض بلدان المسلمين، وهاجم ثغور إيطاليا والبندقية وصقلية وغيرها، واستولى على عدة جزائر وحطَّم مدافع الأعداء.

جاء في «موسوعة العلوم الاسلامية»[1] عن خير الدين برباروس ما يلي: «الملاح والقرصان التركي حوالي ٨٨٨ - ٩٥٣هـ (١٤٨٢ - ١٥٤٦م) تحالف مع بعض رجاله وأفراد من عائلته، وترقّى في خدمة الاسطول حتى أصبح من قوّاده، وقد اشترك مع أخيه كرك (المسمّى ايضاً عروج) في الهجوم الناجح على مدينة الجزائر، وأصبح حاكماً عليها وحصّنها، وخلفه فيها إبنه حسن (توفي عام ٩٧٨هـ /١٥٧٠م)، وقد مدَّ سيطرة الأتراك بتحالفه معهم على شمال افريقيا وشرقي البحر المتوسط، وهزم الأسطول الاسباني عام ٩٢٥هـ (١٥١٩م) و «اندريادوريا» مرتين (في خليج أميراس على الساحل اليوناني).

«وتحالف مع الاسطول الفرنسي ضد شارل الخامس في عام ٩٥٠هـ (١٥٤٢م) ويعني إسمه بالايطالية «اللحية الحمراء» وكان هذا الاسم والمراكب التي يقطع بها طرق السفن التجارية يثير الرعب على مياه وشواطىء البحر المتوسط، إذ كان برباروس قبل أيّ شيء آخر قرصاناً يسعى للسلب والنهب».

---

(١) ج ١ ص ٥٥ طبع القاهرة. وأما معنى «الانكشارية» فهو «الجند الجديد» محرَّفة عن ينى چري.

ولم يمض نصف قرن لظهور الاسلام حتى كان البحر الابيض محط غزواتهم وفتوحاتهم الباهرة وحملاتهم الجريئة، وصار البحر تحت مواطئهم أوثق وأشد استقراراً من البر.

وتوفي في إستانبول عام ١٥٤٦م وقبره معروف على شاطىء بوسفور، واستمر بعده أبطال المسلمين في الجهاد. وفي عهد المرابطين والموحدين استمرت السيطرة على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي.

قبرص أو قبرس

تقع هذه الجزيرة في مواجهة ساحل الشام والأناضول، تبعد عن الساحل السوري بنحو ٨٠ كيلو، ومن تركيا (الأناضول) ٢٥٠ كيلو، ومن اليونان نحو الف كيلومتر.

غزتها عبر الأحقاب الواغلة في القدم أمة بعد أمة، وعبَر الاسلام اليها عام ٢٨هـ (٦٤٨م) بقيادة عبد الله بن قيس في ١٧٠٠ سفينة. وفي هذه الغزوة كانت أم حرام بنت ملحان وزوجها عبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

كان الروم يتخذون هذه الجزيرة وغيرها منطلقاً لغاراتهم على ثغور المسلمين، ومع ذلك فان المسلمين دخلوها صلحاً على أن يلتزم سكانها الحياد، لا ينصرون المسلمين ولا ينصرون أعداءهم، فتركهم المسلمون على ما هم عليه.

لكنهم في عام ٣٢هـ/٦٥٢م نكثوا ونصروا الروم على المسلمين، فغزاهم المسلمون عام ٣٣هـ/٦٥٣م واحتلوا الجزيرة، ثم وقع الصلح مرةً ثانية، وأخذ المسلمون يهاجرون إليها فبنوا المساجد والمنازل. ثم أمر يزيد بن معاوية المسلمين بالخروج من الجزيرة وسحب الحامية منها وهدم ما بنوه، فنكث أهلها مرةً أخرى وصارت الجزيرة مركزاً للاعتداء على البلدان الاسلامية، حتى لقد اعتدى الروم وأسروا عدداً من سفن المسلمين عام ٧٤هـ/٦٩٣م.

وغزاها قائد الصليبيين ريشارد قلب الأسد عام ٥٨٧هـ/١١٩١م للاعتداء على ثغور المسلمين بالتعاون مع السكان، ثم اشتراها «أوليمري لوزنجان» الذي فقد ملكه في بيت المقدس، فكان «بطرس لوزنجان، أحد حكامها، له أعمال في الحروب الصليبية ضد المسلمين، وهاجم الاسكندرية يوم الجمعة عام ٧٦٨هـ/١٣٦٥م واستمر في مهاجمة المسلمين ونهب سفنهم، حتى قام ملوك مصر بردّ فعل قوي في عامي ٨١٣ و ٨١٤هـ/١٤١٠ و ١٤١١م بتأديبهم، ولكنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من الاعتداءات، ثم اتفق الجانبان عام

ومنذ خلافة عثمان رضي الله عنه الذي في زمنه دخل الاسلام إلى جاوا ووصلت وفوده إلى الصين، خرج العرب إلى البحر في أساطيل وحملات قوية في البحر الأبيض ليفتحوا الجزائر القريبة من الشواطىء الإسلامية ردّاً لعبث الساكنين فيها في شواطىء الشام الإسلامية.

ففي سنة ٢٧ أو ٢٨هـ (٦٤٧م) غزا المسلمون في البحر جزيرة قبرص. وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قام من مقامه يضحك، فسألته أم حرام: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر ملوكا على الأسرة. أو قال: مثل الملوك على الأسرة. فقلت: أدع الله ان يجعلني منهم. فدعا:

٨١٧هـ /١٤١٤م على عدم الاعتداء، ولكنهم خرقوا الاتفاق، فوجّه السلطان المملوكي ملك مصر عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م قوة إلى هذه الجزيرة فصارت تحت سلطة مصر، وكان بين الأسرى ملك الجزيرة «جيمس لورنيان» إلى القاهرة، ثم استولى عليها البنادقة ولكنهم كانوا يدفعون الاتاوات لمصر.

وفي عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م،وجهت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم القوات إليها، فعادت إلى الحكم الاسلامي وتكاثر فيها المسلمون حتى صاروا الأغلبية.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني أخذ الروم في ارتكاب المظالم فاضطرت الدولة العثمانية في عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م إلى قبول إتفاقية مؤداها أن لبريطانيا حق السيطرة على قبرص مقابل الدفاع عن ممتلكاتها في آسيا.

تكاثر اليونان ونصبوا لهم المطران «مكاريوس» رئيسا للجمهورية، ونائبه الدكتور كوشوك التركي، ولكن اليونانيين كانوا يوالون الاعتداءات على الأتراك عام ١٩٦٧م وحدثت المجازر الوحشية في المسلمين وحوصروا.

فركبت البحر (في زمن معاوية بالشام في خلافة عثمان) فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت ودفنت بقبرس[٢].

قاله إبن عبد البر والطبري ورواه الطبراني عن إبن الغاز بسند رجاله رواة الصحيح. قال: وهم - أي أهل قبرس - يقولون هذا قبر المرأة الصالحة.

حينئذ تحركت القوات التركية ملبيةً نداء الإنسانية واستولت على نحو ٤٠ في المئة من الجزيرة، وتكونت بها حكومة اسلامية عليها الدكتور رؤوف دنكتاش.

ولما دخلت الجيوش التركية وجدت من آثار الاعتداءات والمجازر الجماعية ما تشمئز منها النفوس، ووجدت منازل ومساجد خراباً يباباً، وقد اضطر أكثر من ثلاثين ألف شخص إلى الالتجاء إلى تركيا.

وهكذا انقذت الجيوش التركية من بقي فيها من المسلمين، بعد أن بلغ عدد الضحايا أكثر من خمسة آلاف شخص، ونحو ثلاثة آلاف مفقود، وبلغ عدد المساجد التي هدمت ١٠٣ والبيوت التي أحرقت بما فيها ٤٥١ مدرسة إبتدائية و ١٦ ثانوية.

أما موقف الدول العربية فيختلف بعضها عن بعض فمن مؤيد لحكومة قبرص اليونانية ومن مؤيد للأتراك، وما زال الحكم التركي ثابتا في المنطقة التركية.

وأخيراً قدَّم الأمين العام للأمم المتحدة «بيريز دي كويلار» الاقتراحات لوضع حد للخلافات بين تركيا واليونان، بوجود كيانين تركي ويوناني في نطاق فيدرالي، فاستقبل الفريقان ذلك بالقبول.

وفي سنة ٣٢ هـ غزوها ثانية وافتتحوها، وغزوا صقلية SICILY[١] وفي

صقلية

جزيرة لا يفصلها عن إيطاليا إلاَّ مضيق «مسينا» الذي يبلغ عرضه نحو ثلاثة كيلو مترات، وهي المعبر لحضارة الاسلام إلى أوروبا.

في عام ١٢٢ هـ وصل حبيب بن أبي عبيدة حفيد عقبة فاتح أفريقية ومعه إبنه عبد الرحمن ولم يستولِ عليها، وبدأت غزوة العرب بقيادة معاوية بن خديج الكندي، ثم توالت عليها الغزوات حتى عهد زيادة الله بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ).

توجهت قوة إسلامية من القيروان في تونس عام ٢١٢ هـ/٨٢٧م مؤلفة من أهل خراسان الفرس والبربر المغاربة وأشراف أفريقيا ورجال العلم بقيادة القاضي أسد بن الفرات بن سنان، ونزل الجيش الاسلامي في مازارا MAZARA وبعد قتال عنيف انكسر الروم، وتأخر الباقون منهم وتحصنوا في «سراقوسه».

في هذه الآونة إنتشر وباء عام ٢١٣ هـ (٨٢٨م) وتوفي كثير من المسلمين، من بينهم القائد أسد بن الفرات، فدفن تحت أسوار «سَراقوسه» فتولى بعده محمد بن أبي الحواري، غير أنهم - وقد أنهكهم الوباء - اضطروا إلى العودة إلى أفريقية فتعرَّضهم الأعداء لإعاقتهم عن الخروج فعاد المسلمون وأشعلوها حرباً.

ووصل أسطول المجاهدين من الأندلس في ثلاثمئة سفينة بقيادة أصبغ بن وكيل (ابن فرغلوش) فاحتلوا مدينة مينيو MINEO وفتحوا قِرقَنت GERGANT وفي عام ٢١٦ هـ/٨٣١م إنتشر وباء وفتك بالمسلمين، وتوفي القائد أصبغ والوالي محمد بن أبي الحواري.

فأرسل زيادة الله الأغلبي زُهَير بن عوف ليواصل الجهاد، فحاصر العاصمة «بالرِمه» وبعد قتال طلب القائد الرومي الأمان على أن يرحلوا وعائلاتهم من الجزيرة، ودخل المجاهدون المدينة عام ٢٢٠ هـ/٨٣٥م واحتلوا مسينا سنة ٢١٩ هـ/٨٣٤م خلال الحرب.

وتوفي زُهير بن عوف عام ٢٢١ هـ/٨٣٥م فتولى بعده إبراهيم بن عبد الله الأغلب، وبعد وفاته عام ٢٣٦ هـ/٨٥٠م تولى العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة، واستمرت المعارك حتى استسلم الروم في «قصريانة» عام ٢٤٦ هـ/٨٦٠م.

وتوجه العباس لفتح «سوقوسه» ولكنه توفي عندما قارب المدينة عام ٢٤٧ هـ/٨٦١م فدفن هناك، فوصل خفاجة بن سليمان والياً على صقلية، واحتلَّ مدينة قوتس POOTS وحاصر سوقوسه.

ولم تهدأ المعارك براً وبحراً من الجانبين، وجاء محمد بن سفيان بن خفاجة أمير صقلية وابن أميرها بقوةٍ، وخلال ذلك إستولى على مالطة ودمَّر أسطول الروم، وصارت مالطة تابعة لإمارة صقلية من عام ٢٥٦ إلى ٤٨٣ هـ/٨٧٠ - ١٠٩٠ م.

وتولّى أحمد بن عبد الله الأغلبي فوجَّه قوة إلى «سوقوسه» إصطلت في معركة ضارية حتى إحتلها المسلمون، وبقي للعدو الناحية الشرقية من «طبرمين» إلى «قطانية».

وفي عام ٢٨٩ هـ/٩٠١م تنازل إبراهيم بن أحمد أمير القيروان عن الحكم لابنه أبي العباس عبد الله، فاستدعاه من صقلية، وسار إبراهيم للجهاد إلى «طبرمين» واشتدت المعارك حتى هرب الروم فطاردهم المسلمون، ودخل إبراهيم المدينة، ثم إحتلَّ مدينة «رمطة»، وواصل زحفه إلى «قلورية» بجنوب إيطاليا التابعة لدولة نابولي، واستمر حتى وصل إلى حد نابولي، والمعارك البحرية مستمرة.

في عام ٣٣٦ هـ/٩٤٧م كان الوالي على صقلية من قِبَل الخليفة الفاطمي هو الحسن بن علي بن ابي الحسن الكلبي، وكانت السيطرة الإسلامية مهيمنة على صقلية وجنوب إيطاليا، وتعاقب عليها الأمراء، أمير بعد أمير، وفي عهد الامير أحمد بن الحسن وصلت قوة إبتعثها المعز لدين الله الفاطمي بقيادة الحسن بن عمار إبن أبي الحسن بن علي للقضاء على الامدادات التي تأتي للروم. وتمَّ إنتصار المسلمين.

إزدهرت في ذلك العهد المناطق بالعلوم والعلماء والأدباء وانتشرت الحضارة الإسلامية إلى إيطاليا وسردانية وغيرها.

ولما استولى النورمان عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م على الجزيرة بقي سكانها ومعظمهم من المسلمين متمتعين بحقوقهم وأعمالهم. وفي عهد «روجر الثاني» كان الشريف الادريسي أبو الحسن علي بن محمد (٥٥٦ - ٦٣٢ هـ/١١٦٠ - ١٢٣٤ م) فيها وهو من بني حمود الأدارسة الذين كان لهم نفوذ في الاندلس، وألف الادريسي كتابه «نزهة المشتاق» إذ وجد في الجزيرة مناخاً حرّاً مُتسامحاً فانتشر العلم فيها وازدهرت الأفكار. وقد زار جنوب إيطاليا، وأقام في صقلية زمناً ووضع الكرة الارضية من الفضة عليها رسم خريطة.

أقريطش

هي كريد، وتقع هذه الجزيرة في الناحية الشرقية من البحر الابيض، وقد تعددت كتابة اسمها بالحروف اللاتينية KERET و CRETA و KERETEو CIRITE و CRID. تداولتها قبل الميلاد اليونان والرومان، وفي حقبة قديمة إنطلقت أقوام عربية (كنعانية فينيقية) من الشام إلى البحر الأبيض للتجارة والاستيطان في جزره ومنها جزيرة كريد هذه.

جزائر الباليار (ميورقة ومنورقة).

وفي مطلع العهد الاسلامي غزا المسلمون جزائر البحر الأبيض، فأول غزاة - كما تقدم ذكرها - على قبرس. وقد توجهت حملة بقيادة جنادة بن أبي أمية الازدي سنة ٥٤ هـ (٦٧٤م) على رودس وأرواد ثم كريد. وكان المسلمون لا يريدون احتلالها بل كان همهم صد العدوان على بلدان المسلمين. ولكن تكرار الاعتداءات من هذه الجزائر جعل المسلمين يوالون غزوها حتى احتلوها عام ٣٥٠ هـ (٩٦١م).

كانت القيادة في العهد العباسي بيد حميد بن معيوق الهمداني أيام هارون الرشيد، ثم قوى الأندلس بقيادة عمر بن عيسى الاقريطشي عام ٢١٠ هـ (٨٢٦م) ثم فتحها عمر بن شعيب عام ٢٥٠ هـ (٨٦٥م) وأزيح الروم عنها. ودامت في حكم أعقابه مدة طويلة، وكانوا قد هاجروا من الأندلس في عهد الأمير الحكم بن هشام إلى الاسكندرية ثم ذهبوا إلى كريد واحتلوها[1].

ذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن عميد جامعة القاهرة وهو يتحدث عن المجالس والمسابرات للنعمان بن محمد: «أن أهالي كريت استنجدوا بالمعز لدين الله الفاطمي لحرب الروم، وكانت الحالة في العالم الاسلامي قد تمزقت فيها قوى المسلمين، فصار المسلمون يبحثون عن مخرج فولوا وجوههم إلى الدولة الفاطمية الفتية يستنجدونها لمواجهة أعداء الاسلام الذين يعتدون على المسلمين باستمرار».

قال الدكتور محمد جمال الدين سرور أستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة القاهرة: «اتجهت سياسة الفاطميين بعد أن امتدَّ نفوذهم إلى مصر ٣٥٨ هـ (٩٦٩م) إلى استعادة المدن التي استولى عليها البيزنطيون في شمال الشام، وكان لهذه الدولة في القرن الرابع عشر أسطول عظيم، وقد بلغ عدد الربابنة خمسة آلاف رُبَّان، وعدد سفنه ٢٠٠ سفينة، واضطر الافرنج إلى الانحياز بمراكبهم إلى الجانب الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، لا يبرحونه، لأن البحر الأبيض يسيطر عليها الأسطول الفاطمي، من مضيق جبل طارق إلى بيروت، وكان النصر دائماً حليفه، فالقاهرة إذ ذاك مطمح أنظار المسلمين عموماً والعلماء منهم والطلاب، وصارت زعيمة العالم الاسلامي».

---

(١) ابن الأثير، الكامل ٣٩٨/٦.

. . . .

كتب الأستاذ السيد حسن الأمين يقول:« وكان الفاطميون يهتمون بالدراسات العلمية والفلسفية، يُقرّبون العلماء ويشجعون الطلاب، وأوقفوا الأوقاف للمشتغلين بالعلم، ويدرس بالأزهر على حلقات، الشافعية ١٥ حلقة، والمالكية ١٥ حلقة، والحنفية ٣ وأقامت دار العلم ونقلت إليها الكتب وجعلت فيها شخصين من شيوخ السنة »[١]

في عام ٣٤٩هـ (٩٦١م) استولى عليها الروم بقوة تبلغ ٧٢ ألف مقاتل بعد حصار وقتال داما سنة حتى نهبوا وأسروا، وكان في الأسرى أميرها المسلم فأخذوه وأُسْرته وأتباعه إلى مركز المسيحية (القسطنطينية) فكانت غنائم كثيرة جداً تدل على مبلغ ثروة المسلمين، ثم خربوا الحصون ورموا بأحجارها في الميناء.

ثم استولى عليها البنادقة عام ١٢٠٤م وفي سنة ١٦٦٩م استولى عليها الأتراك، ثم محمد علي باشا بجيوش مصر.

ثم حدثت فتنة (ثورة) عام ١٨٩٦م من أهلها بتحريض دول أوروبا وخرج الأتراك منها عام ١٨٩٨م وفي حرب كريت بين الدولة العثمانية واليونان أنشأ محمود سامي البارودي القائد قصيدة مطلعها:

أخـــذ الكرى بمعـــاقـــد الأجفـــان وهفـــا السُرى بـــأعنّـــة الفرسان

وقد جرت أبحاث المتخصصين في تاريخ كريت فذكروا أنه كانت عائلة عربية حكمت هذه الجزيرة مدةً طويلة، فقد عُثر في هذه الجزيرة على عملات نقود وغيرها لهذه العائلة؛ وتعود إلى الأمير أبو حافظ عمر بن شعيب الذي حكم من عام ٨٢٧م أو ٨٢٨م إلى أن غزا الجزيرة «نيسفوروس هوكاس» عام ١٩٦١م.

ونتيجة هذه الأبحاث ذكرت في كتب فيها أسماء أفراد هذه الأسرة وأزمان حكم أفرادها وعقد مؤتمر في عام ١٩٦٦م وجرت بعد ذلك حفريات عثر فيها على نقود وآثار عربية.

---

(١) مجلة «العربي» الكويتية العدد ١٦١ في صفر ١٣٩٣هـ/ابريل ١٩٧٢م ص ٣٤ - ٣٩ «الدولة الفاطمية»

....

وأسماء أفراد هذه الأسرة الأولى: شعيب القرطبي، إبنه عيسى، أبو حافظ عمر فاتح جزيرة كريت، عمر شعيب، عبد العزيز شعيب.

وحسب المصادر الغربية أن أسماء الأمراء أبو حافظ، شعيب، أبو عبد الله، زرقون وهي تنطق هذه الأسماء كما يلي: أبو كاب، سايبوس، بأبدل، ركونيس، وتذكر أيضاً وجود عمر بن عيسى بن محمد بن يوسف بن أبو حافظ، أُسِر عام ٣٥٠هـ/٩٦١م.

فتح أبو حافظ جزيرة كريت عام ٢١٣هـ / ٨٢٨م وتوفي عام ٢٣٨هـ والدنانير التي عثر عليها من مسكوكات عام ٢٣٢هـ/٨٤٧م و ٢٤٧هـ و ٢٧١ و ٢٧٥ و ٢٨١ و ٣٤٠ و ٣٥٠هـ وعليها الشهادتان وإسم عمر بن عيسى، والمتوكل على الله، ودراهم أحمد بن عمر ٣٢٦هـ وغيرها من العملات، وهي موجودة في بعض متاحف أوروبا وإستانبول. والعاصمة التي كانت تسمّى «الخندق» CANDIE.

وكانت حملات المسلمين البحرية على القسطنطينية وما سيَّرته الخلافة لحصارها من الأساطيل الضخمة، والقوى الجرارة والعساكر الكثيفة من أعظم الحملات البحرية التي عرفت في تلك العصور، وما زالت تلك الحملات البحرية الاسلامية في قوة وازدياد، حتى إذا كانت فاتحة القرن التاسع المسيحي كان المسلمون سادة هذا البحر يقبضون على ناصية المياه الجنوبية والوسطى في ذلك البحر الشاسع الذي يتوسط العالم القديم ويشرف عليه من كل نواحيه.

وكان من أهم خواص هذا العصر إزدهار حرب المغامرة وكثرة العصابات القوية التي تستطيع أن تتحدى الحكومات القائمة، وكانت العصابات التي تجوس خلال البحر الابيض مسلمة في الغالب، تعمل لمصلحة نفسها أو في ظل إحدى الحكومات المسلمة.

ليون الافريقي (جيوفاني ليوني)

هو الحسن بن محمد الوزّان المغربي الجغرافي، حوالي عام ٨٩٨ - ٩٦٠هـ (أو ١٤٩٢ - ١٥٥٢م) ترك غرناطة قبل سقوطها إلى فاس، وطاف أفريقيا شمالها ووسطها وحجَّ وزار مصر والشام والجزيرة العربية وإيران وتركيا.

وعند عودته عام ٩٢٧هـ/١٥٢٠م ووصوله إلى جربه أسره الصقليون وباعوه في روما، وأهدي للبابا «ليون» العاشر الذي أمره باعتناق المسيحية وأطلق عليه «جيوفاني ليوني»، له مؤلفات ومعجم عربي عبري لاتيني، ثم هرب من الاسر وعاد الى الاسلام وتوفي في تونس عام ٩٤٤هـ وعمره خمسون عاماً.

وفي كتاب «وصف أفريقيا» ص٢٢ ترجمة الدكتور عبدالرحمن حميدة وإصدار جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، كلية العلوم الاسلامية، وكتب التقديم بصورة مسهبة في ست صفحات، ونشر الكتاب بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الاسلامي بمدينة الرياض من ٢/٢١ الى ١٣٩٩/٢/٢٨هـ ذكر فيه أن ولادته كانت في سنة ٨٩٤هـ في غرناطة وأنه وقع في الاسر عام ١٥١٨م/٩٣٦هـ وعمره ثلاثون سنة، وأنه ألَّف كتابه لقرائه الطليان سنة

وافتتحوا أقريطش في أواخر سنة ٢١٢ هـ وفتحوا صقلية سنة ٢١٤ هـ وهاجموا روما سنة ٢٣٢ هـ وفي أواخر القرن الهجري الثالث ظهر أعظم بحار اسلامي المسمَّى غلام زرافة الطرابلسي وتعرفه أمم الغرب باسم LEO OF TRIPLIS فقام بغزوات إرتجت لها أوروبا بأجمعها، وكان أهل أوروبا يسمونه قرصان CORSAIRE بمعنى خوارج البحر، وهكذا كانوا يسمون رجال جزائر ملوكو وفلبين حينما كانوا يصاولون الاسبان وغيرهم مدة ثلاثة قرون في بحر سالا وبحر الصين الجنوبي.

١٥٢٦ م أي بعد أعوام من الاقامة في إيطاليا، واستطاع الافلات من إيطاليا رغم عتقه بين عامي ١٥٢٨ و١٥٣٠ م بعد إقامة في الغربة لم تتجاوز عشرة أو إثني عشر عاماً. له كتاب مطول في جغرافية أفريقية، وكتاب في الاعشاب الطبية مصورة.

تقول بعض المصادر أنه عاد الى تونس سنة ١٥٥٠ م وعمره ٦٤ سنة، واقامته في إيطاليا ٣٢ عاماً خاض معارك عديدة ضد البرتغاليين والاسبان.

قسطنطين الافريقي

كان تاجراً بين تونس وأوروبا، اختطفه القرصان وذهب الى ايطاليا وتظاهر بالنصرانية، وإسمه الاسلامي مجهول وأبوه أبو عبدالله محمد القيرواني. ترجم من العربية الى اللاتينية كتباً في الطب والنباتات والرياضيات وغيرها، وأسس أول جامعة طبية في أوروبا هي جامعة سالين، وترجم كتاب إبن الجزار، كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر، ويدرس هذا الكتاب في جامعة سالين وجامعة بولونيا وفي ارتي جينازيو.

ولو ذهبنا لشرح تلك الحملات التي دامت قروناً لطال القول، وليس تقل تلك الحملات أهمية وجرأةً من غزوات البحارة الاسبان والانكليز في القرن السادس عشر في بحور أمريكا حتى استولوا عليها وسعوا في إفناء سكانها القدماء.

وليست أعمال بحارة الاسلام كأبي حفص عمر البلوطي، وليون الطرابلسي وأشباهها أقلّ روعةً ودرباً من أمراء البحر المتأخرين مثل أندريا دوريا، وجون هوفكتس، وفرانسيس دريك، وكورتير، وليزارو، وغيرهم.

أحمد الصقلّي

أسره النورمان حولي عام ١١٣٥م فتنصّر وشغل عدداً من المناصب وعرف لديهم باسم القائد بيترو GAITO BIETRO لأنه قاد الاسطول النورماندي، كما كان مسلم آخر جرى له ما جرى لهذا وسمّي فيليب المهدوي.

هذا لان المسلمين كانوا في ذلك الوقت متفوقين على غيرهم في شؤون البحار فيستعين بهم الغربيون، ولاسيا أن النورمان كانوا مسيطرين على كثير من أفريقيا الشمالية، وكانوا يهاجون الأقطار الاسلامية في حوض البحر المتوسط وجزائره، فهاجوا جزائر الباليار وفيها بنوا غالية، فكان القائد المسلم بطرس هذا (بيترو) المتظاهر بنصرانيته، مأموراً لأن ينجد حامية المهدية التي يحاصرها الموحدون، ولكنه عاد خائباً الى «بلرم» بعد أن هاجم المسلمون أسطوله.

وقد عيّنه الملك وليام الأول عام ١١٦١م حاجباً للقصر الملكي، وكان في عهد الملكة «مرغاريت» أحد الثلاثة في مجلس الوصاية على إبنها، ثم ظهرت مناوأة ضده بقيادة ابن عم الملكة واسمه GILBERT متهماً إياه بالخيانة وإخفاء عقيدته الاسلامية، وعلم أنه يحاول الفتك به، فتسلّل ليلاً مع بعض رفقائه إلى أفريقية (تونس) واستعاد اسمه الحقيقي «أحمد» وقاد أسطول الموحدين.

ذكره ابن خلدون بشبه ما ذكر أعلاه وأنه نزل على عبد الله بن عبد المؤمن وتوجّه الى مراكش فأكرمه يوسف بن عبد المؤمن، وهناك دخل في جهاد بحري ضد الاوروبيين وحروب انتصر فيها عام ١١٨٥م حتى كان صلاح الدين الأيوبي يستنجد بني عبد المؤمن لحرب أعدائه.

وقد وصف إبن خلدون المؤرخ عصر هذه السيادة البحرية فيما يأتي:

«وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر (بحر الروم) من جميع جوانبه، وعظمت صولتهم وسلطنتهم فيه، فلم يكن للامم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه، وامتطوا - أي المسلمين - ظهره للفتح سائر أيامهم، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة[1] ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة[2] وأقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج. وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون أساطيلهم من المهدية جزيرة جنوه فتنقلب بالظفر والغنيمة.

---

١ - جزائر الباليار BALEARES

ثلاث جزائر هي ميورقة ومنورقة ويابسة، يبلغ عدد سكانها أكثر من نصف مليون نسمة يعيشون بالصيد وتربية المواشي وزراعة الفواكه والسياحة (معجم البلدان).

وقد أقام عمرانها الأمير محمد بن علي ابن غانية ملك ميورقة بعد انقراض المرابطين واستولى عليها «جاك الأول» ملك اراغون وضمها الى مملكته عام ١٣٤٤ م.
(الموسوعة المغربية ص١٩٧).

٢ - مالطة

مجموعة جزائر بين صقلية وتونس، مساحتها نحو ٣٢٣ كم، وأصل سكانها غالباً من عرب شمال أفريقيا. وكان للعرب منذ قرون مضت تأثير على هذه الجزيرة في كل المرافق، في السكان والحضارة واللغة وغيرها، ففي لغتهم جذور عربية كما أنَّ بها آثاراً عربية، منها «حصن سانت أنجلو» ومقابر على شواهدها كتابات عربية خارج مدينة «مدينة» ومدن أسماؤها عربية، منها: رباط، عطارد، مدينة، شارع الجامع، وقد زال هذا الجامع.

لا يعلم بالتحقيق متى دخل إليها الاسلام، ولكن المعلوم أن محمداً بن سفيان بن خفاجة استولى عليها عام ٢٥٦ هـ وأن للفاطميين، والأغالبة وغيرهم أدوار بارزة.

في العهد الاسلامي أسلم سكانها اختياراً لما رأوا حسن معاملة المسلمين لهم، وبقيت بأيدي المسلمين نحو ٢٢٠ سنة.

وافتتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في أساطيله سنة خمس وأربعمائة هـ (١٠١٤م) وارتجعها النصارى لوقتها. والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر، وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة، والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية، فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم (انظر مقدمة ابن خلدون ٢١٣).

وكان وصول الأغالبة إليها في عام ٢٥٧ هـ/٨٧٠م بقيادة أحمد بن عبد الله بن الاغلب، وفي عام ٤٨٣ هـ/١٠٩٠م وصل كونت روجر النورمندي بقواته فسلم له الحاكم العربي كلّ شيء سلمياً، وأطلق الاسرى على أن يدفع اتاوة سنوية، ولكنه لم يجد من النصارى من يميل إليه، لذلك اعتمد على المسلمين في جيشه، واهتم بالعلوم العربيّة وقرّب علماء المسلمين وأطباءهم وغيرهم. فظلت القيادة بأيدي المسلمين في كلّ الشؤون، واستمرت التجارة كما كانت يزاولها المسلمون، والعملات العربية معمول بها، وهي ذهبية عليها الشهادتان، وما زالت مالطة آنذاك تكتب بالحروف العربية، وكان عدد المسلمين كثيراً، وفيها أقلية يهودية.

وفي عام ٥٢١ هـ/١١٢٧م فرض روجر الثاني سيطرته وتكونت به جالية نورماندية، وتحولت التجارة إلى أيدي الجنويين، غير أنه بقي بها مسلمون إلى أواخر القرن الثالث عشر.

أقام الفاتيكان أول مدرسة لتعليم اللغة العربية للمبشرين الذين يبتعثون إلى أفريقيا والبلاد العربية، وأقامت أمريكا فيها مطبعة، وتدرس الآن اللغة العربية في المدارس الثانوية، وقدمت الحكومات العربية المدرسين لها، ولكن الظروف الحاضرة جعلت مالطة تميل الى الأخذ من التيار الاوروبي ولغات أوروبا.

كان الكاتب الشهير أحمد فارس الشدياق صاحب صحيفة «الجوائب» الّتي كانت تصدر في إستانبول قد ألّف كتابا سماه «الواسطة في معرفة أحوال مالطة» وهو مطبوع، كتاب مفيد.

التجارات العربية قبل الاسلام

قال غوستاف لوبون في كتابه « حضارة الهند » ترجمة عادل زعَيتر:

« كانت أوروبا والهند تتبادلان سلعهما منذ أقدم القرون ولكن بطرق عرضية، وذانك العالمان وإن كانا يتقايضان لم يتعارفا، وتلك الصلات كانت تتم إمّا بطريق آسيا الوسطى بعد أن تجوب السلع الهندية بلاد التتار وبلاد فارس، وإمّا بطريق مصر بعد أن تقطع هذه السلع البحر الاحمر مارَّةً من الخليج الفارسي وسواحل بلاد العرب ».

« والعرب وحدهم كانوا واسطة هذه المقايضات، وظلّ سكان اليمن الذين كانوا يعرفون بأهل سبأ محتكرين لها زمناً طويلا، وكان تجار مصر بعد وفاة الاسكندر بمائة وخمسين سنة ينالون سلع الهند بواسطة هؤلاء العرب ».

قال: أضحت مصر ولاية رومانية سنة ٣٠ قبل الميلاد، فاعتقد أغسطس كما كان الناس يعتقدون أن بلاد العرب هي مصدر التوابل والابازير، مع أن العرب كانوا يأتون بها من الهند، فوجَّه إلى بلاد العرب حملة لم يكتب لها فوز ».

وقال: وقلّت الصلات بالهند في دور انحطاط الدولة الرومانية، ثم قطعت تماماً حينما فتح العرب العالم القديم بقيادة خلفاء محمد ﷺ، وظلت مقطوعة عن العالم النصراني إلى أكثر من ألف سنة، فمن أراد الاطلاع على حال الهند في القرون الوسطى فليطالع ما جاء في كتب سياح العرب من الانباء، ومن هؤلاء السياح المسعودي[١] الذي زارها في

---

(١) المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين المتوفى عام ٣٤٦ هـ/٩٥٦م ولد وعاش في بغداد ورحل الى فارس والهند وسيلان والسند وما وراء النهر ومدغسكر والشام، قضى نحو ٢٥ سنة في الترحال.

أواسط القرن العاشر، وابن بطوطة الذي طاف فيها سنة ١٣٣٠ هـ..... الخ » اي سنة ٧٣٠ هـ.

يقول المؤرخ جرجي زيدان أنه وصل الى الصين بحراً وطاف البحر الهندي، أي أن رحلاته شملت ما بين الهند والمحيط الهندي والمحيط الاطلسي وما بين البحر الاحمر وبحر قزوين.

له مؤلفات: مروج الذهب والتنبيه والاشراف، وذخائر العلوم وما كان في سائر الدهور وأخبار الزمان، والبيان في أسماء الأئمة.

وقد درس بعض المستشرقين كتبه، وتوجد هذه الكتب مخطوطة في إستانبول وباريس.

إبن بطوطة

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، قضى نحو ٢٥ سنة في الرحلات، غطت رحلاته مساحة بلغت نحو خمسة وسبعين ألف ميل، من عام ٧٢٥ الى ٧٤٨ هـ (١٣٢٥ - ١٣٤٨ م) حتى الصين. ووصل إلى أندونيسيا عام ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)، وتوفي عام ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م).

وكتاب رحلته المسمّى «تحفة النظار وغرائب الامصار» مطبوع، وقد تُرجم إلى عدة لغات منها التركية والايطالية والانكليزية والفرنسية والروسية والالمانية والمجرية. وحقّقه «د. فريمري» في باريس عام ١٩٢٢ م.

وقد حصلت مستشرقة سوفيتية على درجة دكتوراه من أكاديمية العلوم السوفيتية عن رحلة إبن بطوطة هي المستشرقة سعيدة صوفيا.

وقد ذكر ابن بطوطة في كتاب رحلته وصوله الى مملكة «سمودرا» ووصف الحالة، وصفاً مفصلاً، واكرام السلطان له، وذكر المجلس العلمي الذي يقعده... الخ.

وسبأ وقتبان (قبل الاسلام) هي التي كانت تأتي بحاصلات الشرق الى أسواقها، فتنقلها قبائل معين وغيرها الى سيريا ومصر، وطالت مدة قيام سبأ بهذه المهمة من التجارة العالمية، فكانت صلة بين الشرق والغرب.

قال المستشرق الدكتور إسرائيل ولفنستون في كتابه «تاريخ اللغات السامية» «وقد امتدّ العصر الذي قويت فيه سبأ وارتفع شأنها في اليمن زمناً طويلا إستغرق عهود بابل وأشور واليهود والفرس واليونان والرومان، وذلك نحو أربعة الاف أو خمسة آلاف سنة إلى اليوم».

وقد كان الفينيقيون (أمة من كنعان السامية) هم الذين ينقلون متاجر الصين والشرق الأقصى إلى سواحل البحر الابيض، ومنها إلى أقصى جزائر الافرنج، وكذلك قبائل معين الحميرية وغيرها من قبائل العرب.

وكان الرومان واليونان يظنون أن المتاجر التي يوردها العرب إليهم من الأطياب والأفاوية تنبت في بلاد العرب، وهكذا كتبوا في مؤلفاتهم، بل جهزوا جيوشاً الى بلاد العرب ليستولوا على مواضعها ولكنهم لم يجدوا شيئاً.

الفينيقيون

هاجر الفينيقيون إلى سواحل البلاد عقب القحط والجفاف في أواسط الجزيرة، وهم معروفون بحب المغامرة فمارسوا الملاحة وصاروا من سادة البحار.

يرى بعض المؤرخين أنهم أقاموا أولاً في جزيرتي «ثيروس» التي هي «تاروت» الآن، و «آراد» إحدى جزائر البحرين، وتسمَّى الآن «عراد»، ومن ثَمَّ انتشروا وأنشأوا مدناً، ثم إمتدَّ نفوذهم إلى البحر الابيض، وأقاموا على سواحله وجزائره مستوطنات عديدة تشبه أسماؤها أسماء المدن التي أنشأوها على ساحل الخليج، وكان شعارهم حتى بعد نزوحهم إلى الشمال عسيب النخل، فصوروه في مسكوكاتهم وأوانيهم، وقد عُثر على كثير من هذه النقود في مدنهم ومستوطناتهم.

واستحكم العداء بين الفرس والروم على اليمن، فاضطر تجار من الروم أن يختلفوا الى مكة وجدة ويرسلوا سفنهم الى البحر الاحمر لتجلب لهم أنواع المتاجر الواردة الى ثغور البلاد العربية والشرقية، ومسيروها عرب طبعاً، وكان منهم باقوم الرومي الذي التزم لقريش أن يساعدهم باستيراد أخشاب لبناء الكعبة إذا أدخلوا تجارته في تجارتهم. وكانت قريش تأخذ متاجر الشرق الاقصى والهند والصين من اليمن فتحملها الى بلاد الروم، وهناك غير باقوم سنذكره إن شاء الله، ولو جاء باقوم بنفسه الى عدن لقتله الفرس.

وذكر المستر وندل فيليبس صاحب الاكتشافات الاثرية في بلاد قتبان وسبأ في شرق اليمن، بين اليمن وحضرموت، في كتابه «قتبان وسبأ»، فأما سبأ فمعروفة، وأما قتبان فأمة مجاورة لبلاد سبأ إلى الجنوب في أودية بيحان وكانت لهم عاصمة تسمَّى «تمنا».

قال: وان أهمية جنوب البلاد العربية، أو ما يسمى «اليمن» يرجع الى صلاته التجارية بمصر وبلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وبين الهند، وقد أنشأت مصر تجارتها من طريق البحر الاحمر الى الجنوب في عام ٢٥٠٠ قبل المسيح، وكانت قتبان ثم سبأ بعدها وسيطا بين مصر والهند.

وقد أظهرت اكتشافات المستر فيلبس مدى الاتصال بين قتبان ثم سبأ وبين مصر وبابل وفارس وهلين، واجتماع التجار والمتاجر من هذه الاقطار في «تيمنا» عاصمة قتبان، وارتفعت أهميتها بعد القرن الرابع قبل الميلاد.

والفينيقيون هم ـ أول من نشر الابجدية في العالم، ويقال أنهم أول من اكتشف أمريكا، عبَروا جبال الألب على الفيلة بقيادة زعيمهم هنيبال (حَنّي بعل) وباغتوا روما، وهم الذين

والكتاب وثيقة تاريخية ذات قيمة من وثائق تاريخ التجارة التي قامت بين بلاد اليمن والشرق الاقصى منذ أكثر من أربعة آلاف سنة.

وقال دونلد مكلين كمبل مترجماً JAVA PAST & PRESENT, BY DONALD MACLANE CAMPBELL «لم يصل في الاسفار البحرية الى الشرق الاّ العرب، وهم دائماً يمرون على الجهات الشرقية ولكننا لا نعلم متى بدأ العرب في رحلاتهم البعيدة هذه قبل الميلاد بقرون عديدة.

أوجدوا دولة قرطاجة (في تونس) عام ٨١٤ق.م. وانتشرت هذه الدولة على شمال أفريقيا وسواحل أسبانيا ومالطة وكورسيكا وسردينية، وبينها وبين الروم حروب. وهنيبال هو ابن هاميلكار (حامي القرية) فحارب الروم في إيطاليا وعبر فرانسا وأسبانيا، والنصر حليفه في حروبه مع الرومان سنوات طويلة، ثم استنزفت الحروب المتواصلة قواه فدارت عليه الدائرة، وعاد إلى وطنه في آسيا الصغرى، ثم انتحر حتى لا يستسلم للعدو. فقد خسر في موقعة زاما، ودكّ العدو هذه المدينة العظيمة بعد أن دافعت عن نفسها دفاعاً ضارياً أمام وحشية الرومان، ولكن الوثائق والآثار التي يمكن أن يستدل بها إلى تاريخ الفينيقيين بصورة أوسع تفصيلاً أكثرها مفقود، وهم قبل الرومان بنحو ألف عام، وأول من نشر اللغة العربية في المغرب»[١].

---

(١) حديث الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله أمين عام المكتب الدائم للتعريب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، بجريدة العلم ١٩٨٣/١٠/١٧ بتصرف.

سيطرة المسلمين التجارية على بحور الهند والصين

كانت سيادة العرب والمسلمين على بحور الهند والصين سيادة سلمية تجارية ممزوجة بنشر الدعوة الاسلامية بالحسنى، ولكن تجارة هذه البحور صارت بأيديهم.

فلما جاء الاسلام صارت قزرات (أو كجرات) وكنباية مركزاً تجارياً من مراكز التجارة إلى الشرق الأقصى والهند، وإليها هاجر بعد الاسلام كثير من العلويين بعد وقائع الغز (الغز جبل من الترك خرجوا على العالم الاسلامي أثناء القرن السادس الهجري) والخوارج بحضرموت، ومن هؤلاء ومن لحق بعدهم كان دعاة الاسلام في چامڤا، وكوچينغ چينا، وكوچينغ في بورنيو (كاليمانتن) الى بروني وسنداكن وجزائر سولو، ومقينداناو وبوايان وسيبوه وسامبوانغا، وهناك مجاميع جزائر منها المسكون والخالي، وقد تغيَّرت أسماء مجاميع الجزائر وتحرَّفت أسماء بعضها بعد حملات أسبانيا والبرتغال.

وكان رأس الجُمْحة (بالجيم المضمومة وميم ساكنة وحاء) هو الموضع الذي تأتي إليه مراكب الصين والهند والمراكب العربية إذا أرادوا السفر إلى الشرق الأقصى، ومنه كانت تأخذ السمت وتنشر أشرعتها متوجهة إلى سواحل الهند الجنوبية.

وفيها (أي سواحل الهند) جاليات إسلامية كبيرة، كما هي في الجزائر التي تقابلها، ومنهم الموبلاه بسواحل مليبار، عرب متناسلون نحو مليون نفس عدى مسلمي البلاد. والسادة العلويون قد تناسلوا هناك من قرون. وكان في بندر، «كويلاندي» على الساحل نحو ثلاثمائة بيت يسكنها العلويون.

ويستمر احتلال الاسلام والمسلمين لهذا الساحل في المعابر ما بين مليبار فمدراس الى سيلان، وفيها بقية من جاليات المسلمين.

فهذه شواهد سيطرة الاسلام على طرق المواصلات التجارية الى الشرق الاقصى، والعنصر الأقوى فيها هم العرب.

قال غوستاف لوبون: لا نرى في التاريخ أمة ذات أثر بارز كالعرب، فجميع الامم التي اتصل العرب بهم اعتنقت حضارتهم ولو حيناً من الزمن، فلما غاب العرب عن مسرح التاريخ انتحل قاهروهم كالترك والمغول.. الخ تقاليدهم، وبدوا للعالم ناشرين لنفوذهم. أجل لقد ماتت حضارة العرب منذ قرون، ولكن العالم لا يعرف اليوم في البلاد الممتدة من سواحل المحيط الاطلانطي الى الهند، ومن البحر المتوسط الى الصحراء غير أتباع النبي ﷺ ولغتهم» أهـ.

هذه حقائق أوردها «لوبون» ولكنها لا تخلو من السموم في إثارة النعرة الجنسية بين المسلمين، وسبب اتصال رجال الثورة من الاتراك بكليات فرانسا ومدارسها جاء منهم ذلك الانفصال عن المسلمين كافة.

وذكر غوستاف لوبون مصدر الثراء الواسع الذي كان بمصر وأنه من التجارة مع الشرق الاقصى.

ثم قال: دام مصدر الثراء الواسع ذلك الى أن جاز «فاسكو دي غاما» (البرتغالي) في سنة ١٤٩٧م (٩٠٢هـ) رأس الرجاء الصالح وبلغ شواطىء مليبار الذي لم يره أوروبي قبله، والذي لم يختلف اليه أحد غير العرب حتى ذلك التاريخ.

فاذا تعديت سيلون الى شبه جزيرة الملايو من جانب وسومترا من جانب آخر ثم الجزائر المحيطة بسنغافورا وسواحل سومترا إلى ڤاليمبانغ ثم الجزائر في بحر جاوا وبورنيو (كاليمانتن) وسولاويسي، وجزائر السيلا وما في بحرها، وبحر سولو (وكان البحر الممتد ما بين جزائر السيلا وبحر سولو يسمَّى بحر سالا) فهذا ممر المراكب التجارية الى جزائر الملوك التي كان يجلب منها الافاوية والاطياب، ثم الى جزائر «واقواق» التي

سميت بجزائر فلبين، أو هي مع جزيرة إيريان التي سميت بغينيا الجديدة (وغينيا القديمة هي بافريقية الجنوبية، كانت بها مملكة عربية ثم ممالك اسلامية قبل استيلاء النصارى عليها)، ثم جزائر سولو ومقيندا ناو وزامبوانغا وجزيرة سلدونغ الكبرى (لوزون) وبها مدينة منيلا، وكانت بهذه الجزائر جاليات اسلامية ومسلمون من أهلها، حتى تداولتها جمعيات التنصير فارتدَّ منهم ملايين.

ثم طريق الصين من بحر الصين الجنوبي، فهو كما ذكره الحلبي في رحلته وغيره من جزيرة تماسيك (سنغافورا) الى بنانغه، ومنها الى صورا عند خليج كول، ثم الى شهرنو، ثم كنبوسا (كمبوجا) ثم الى شنبا (چمڤا) الى خليج كيوجه، أي توكين.

ويمكن الذهاب من شنبا الى أنام، ومن أنام إلى أبواب الصين، ومنها الى جنوب الصين الشرقي حيث يوجد هناك دارصيني. وراوند وأحسن الاصناف من الفخار. وهذه المواضع التي ذكرت كانت بها جاليات اسلامية، ومن أهلها من لا يزال الى اليوم مسلماً كما في يونان.

ومما ذكرنا ترى أن المسلمين منتشرون على طرق المواصلات التجارية، وقد احتلّ الاسلام هذه الطرق التجارية منذ العهد القديم، فالاسلام انتشر في ممر التجارة العربية والاسلامية. وكان العرب أسبق الى ارتياد هذه البحور قبل غيرهم، بعد ظهور الاسلام وقبله، وكما أنهم يؤلفون أغلبية كبرى على شواطىء البحر الاحمر، وعلى شواطىء بحر الهند من الجانب الهندي والجانب الافريقي وما بينهما من الجزائر كذلك هم وبقية إخوانهم المسلمين أغلبية في خليج ملاكا والسِلَت (مضيق ملاكا)، بل يسيطرون على منافذه الممتدة الى استراليا لكثرة عددهم في جاوا وفي الجنوب الشرقي من جزيرة كاليمانتن وفي جزائر سيلا وجزائر الملوك واق۲ (ايريان) كما أن عددهم كثير في ساحل بورنيو الشمالي،

ووجود كثير منهم في سيام والهند الصينية وجزر سولو ومقيندناناو، وصاروا كما ذكرنا منتشرين على شاطىء الممر الموصل من سنغافورا إلى هونكونغ وبحار الصين.

وبذلك يتضح لنا أن العرب لم يكونوا من كبار الفاتحين فقط، بل كانوا ملاحين رجال بر وبحر.

وأقدم قبل ذلك قصة يفهم منها إجمالا كنه ما سيأتي تفصيله وننقلها عن كتاب «العلاقات بين العرب والصين» لمؤلفه بدر الدين حي الصيني. قال في صفحة ٢٠٠ - ٢٠١:

لما توفي جنكيزخان انقسمت مملكته بين أبنائه الأربعة، وصارت بلاد الصين من نصيب «قُبلاي خان» فأرسل «أباقة خان بن هولاكو» إلى قوبلاي خان يحذره من المسلمين، وكان السبب في ذلك أن بعض المسيحيين نال نفوذاً عظيما عند أباقة وهولاكو بسبب تزوجه امرأة منهم، فوشوا اليه بالمسلمين وقالوا إن في القرآن (وهو كتاب المسلمين المقدس) آية تأمر بقتل المشركين ونصها ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ ودسوا الى ملوك التتار دسائس (ذكر بعضها مؤلف كتاب تلفيق الاخبار عن الترك والتتار، وهو في مجلدين) حتى منع المسلمون من الخدمة في قصور المغول بايران. أطاع أباقة خان أصهاره المسيحيين بتنبيه قوبلاي خان ونصحه بالحذر من المسلمين، وقبل قوبلاي خان هذه الوشاية وحلّت من قلبه محلاً مكيناً، وكان من قبل يتساهل مع الاجانب في الامور الدينية على اختلاف مبادئهم وعقائدهم، فتغيّر قوبلاي بعد هذه الوشاية فجأةً واندفع إندفاعاً قاسياً واتخذ موقف عناد مضطهداً المسلمين في الصين، فأمرهم أن يتبعوا في أحكامهم الشخصية في النكاح والمواريث أحكام (الياساق)[1] وهي الاحكام التي وضعها جنكيزخان،

(١) الياسا، يعرفها العرب والفرس باسم ياصاق.

وأمر بانزال الائمة من المنابر وأكره المسلمين على أكل اللحوم المخنوقة على طريقة المغول، ولم يفكر قوبلاي خان في عاقبة هذا الاضطهاد القاسي إلاّ بعد سبع سنوات، فان المسلمين خرجوا تباعاً من الصين الى الجزائر الهندية الصينية (اندونيسيا) وامتنعوا عن التجارة مع الصين، وتوجهت مراكبهم بصادرات هذه الجهات الى البلاد العراقية والمصرية، وازدهرت التجارة بمصر لذلك العهد زيادة على ما كانت عليه، فنقصت ايرادات دولة الصين تحت حكم قوبلاي خان إلى حد لا يحتمل، فندم على ما فعل بالمسلمين ورفع عنهم هذا الحكم القاسي الظالم بالغائه وعاد يتألفهم فبنى لهم مسجداً بخان بالق قيل فيه انه يسع مائة الف»[1].

وقال في صفحة ١٣٧ - بعد ذكر العداوة المستحكمة بين خوارزم شاه وجنكيزخان وما انتهت اليه الحروب من سقوط بغداد - «وكان في تردد التجار المسلمين الى عاصمة الصين زيادة ملموسة في إيراد خزانة الدولة. فلما اشتد قوبلاي خان على المسلمين في عهده بسبب نميمة «مركوبولو» (الرحالة البندقي من مرسى البندقية في ايطاليا) الذي أحرز بعض الثقة في تلك الايام عند هذا العاهل المغولي في خان بالق وحرم عليهم أكل المذكى والزواج على الطريقة الشرعية الاسلامية وأكرههم على العمل بقوانين يَساق، وهي مجموعة من أحكام جنكيزية امتنع التجار المسلمون عن زيارة عاصمة الصين حيناً من الدهر، فنشأ

---

(١) انظر كتاب «العلاقات» ص ٢٠١ وكتاب «أوراق مغول» ص ١٦٤.

من ذلك نقص عظيم في الايرادات، ولم يلغ هذا الحكم إلاّ بعد شعوره بقلة الايرادات وكساد التجارة الى حد بالغ »[1].

ومن هذا القبيل ما ذكره الشريف تاج الدين السمرقندي صاحب الرحلة الى الشرق الاقصى والصين، نقله عنه صاحب صبح الاعشى في الجزء الرابع صفحة ٤٤٦:

« ومن عجائب ما رأيته في مملكة القان أنه مع كفره في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة، وهم عنده مكرمون محترمون، ومتى قتل أحد من الكفار مسلماً قُتل القاتل الكافر هو وأهل بيته ونهبت أمواهم، وان قتل مسلمٌ كافراً لا يقتل به، بل يطالب بديته، ودية الكافر عندهم حمار لا غير ».

علاقة البلدان العربية ببلاد الصين قبل الاسلام

ذكر الشيخ أبو علي المرزوقي الاصفهاني في كتابه: « الأزمنة والامكنة » ج٢ ص١٦٣ عندما عدد الاسواق التي أقامها العرب، والتي بلغت في عهد الجاهلية ١٢ سوقاً فقال: « ثم يغادرونها (أي صحار الواقعة على ساحل عمان) الى دبا (وهي على ساحل عمان أيضاً) حيث يجتمع التجار من الهند والسند والصين وغيرها من البلدان الشرقية (أي من جزر الهند الشرقية وأفريقية الشرقية) ومن المغرب (أي من سوريا والعراق والروم قبل حربهم مع فارس) والعادة أنهم يبدأون بأسواقهم في آخر شهر رجب، فيشترون البضائع العربية ومحصولات البحر الموجودة بها، ويتعاطون تجاراتهم بالمساومة، ويأخذ الجلندي (رئيس البلدة) عشوراً على البضائع بمقدار عشرة بالمائة كالعادة الجارية لدى الملوك في البلدان الاخرى.

---

(1) H. HOWORTH, HISTORY OF THE MONGOL 5 P. 245

الشحر[١]

بلاد على ساحل البحر العربي بناحية الشرق تسكنها قبيلة المهرة، ثم يرحلون مع التجار الموجودين الى الشحر، وهي بلدة معروفة باسم «شحر المهرة» ويقيمون السوق بأسفل جبل مدفون بأعلاه قبر نبي الله هود عليه السلام (جبل بقرب ظفار المهرة) فيبيعون على السكان جميع البضائع المرغوبة لديهم مثل اللبان والصمغ والمر والصبر وأنواع البخور وغيرها.

ولا تفرض هناك عشور على البضائع، لأن البلاد لا تقع تحت سلطة أية حكومة، وجميع التجار العرب هناك يأخذون لهم حراساً من بني يثرب، وهي قبيلة من عرب المهرة، وهذه السوق تقام عادةً في أواسط شعبان.

عدن

ثم يتوجهون إلى عدن، وباستثناء تجار البحر الذين ليسوا منهم، إلاّ من بقي لديه بضائع لم تنفق بعد، فيتوجهون الى عدن مع التجار الذين لم يحضروا السوق السابقة التي تقام عادةً في أول رمضان إلى اليوم العاشر، فيتنقلون من سوق إلى سوق، ولا يأخذون خفراء لحمايتهم، لأن عدن تحت سلطة ملوك حمير الذين يفرضون عليهم عشوراً عشرة بالمائة، وقد استولى عليها ملوك اليمن الآخرون، وآخر من فرض العشور على الاسواق هنا هم ملوك الفرس الذين استعمروا اليمن أخيراً.

---

(١) الشحر في الاصل يطلق على جميع الساحل العربي الجنوبي، وانحصر الاطلاق أخيراً على المدينة المعروفة ويكتبها الغربيون بالحروف اللاتينية بأساليب مختلفة SHEHER أو SCHAHER و SEER و SHAHAR.

العطور وما يشبهها المعدة هناك لا يعلم أحد أسرارها غير العرب وحدهم الذين عرفوا بها، يتجرون بها إلى بحر الهند والسند (باكستان الآن) ويتجر فيها أيضا التجار إلى بلدان فارس والروم.

قال المسعودي: وقد كان الاكثر من ماء الفرات ينتهي الى بلاد الحيرة ثم يجاوزها ويصب في البحر الفارسي. وكان البحر يوم ذاك في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت، وكانت مراكب الهند والصين ترد على ملوك الحيرة فيه».

وقال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في كتابه «نهاية الأرب»: «وأما الفرات فهو أحد الرافدين، ويقال الرافدين، والآخر دجلة، سميا بذلك لأنها يجريان في جانبي بغداد، دجلةُ من شرقها والفرات من غربها، يأتي إليها من دجلة من واسط والبصرة والأبلة، والأهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وسائر بلاد الهند والسند والصين، ويأتي اليها من الفرات من الموصل وأذربيجان وأرمينية والجزيرة والثغور والشام ومصر والمغرب».

وقال: «وكانت المراكب التي ترد من الهند والصين تدخل في دجلة من بحر فارس إلى مدينة «المدائن» فاتفق أن انبثق في أسافل كسكر بثق عظيم سمي فيما بعد دجلة العوراء على عهد قباذ بن فيروز فأهمل حتى طغى ماؤه وغرق عمارات وضياعا فصارت بطائح، وصار بين دجلة الآن ودجلة العوراء مسافة بعيدة تسمَّى بطن جوفي (انظر الجزء الأول من صفحة ٢٥٥ - ٢٥٨).

الشواهد المؤيدة لما قاله المرزوقي الاصفهاني

قال بدر الدين الصيني في صفحة ١٣ من كتابه:

«إنه ورد نص في كتاب «وي لوي WEI LUI ص٧ كتاب قديم باللغة الصينية كتب في القرن الثالث من الميلاد، وأن هذه البلاد واقعة

على غرب البحر، فلذا تسمى «هاي سي» أي بلاد غرب البحر، ومنها يخرج نهر يصب في بحر عظيم.

ويقول الاستاذ هيرث: «إن هذا النص تعريف تام لمصر، لأن البحر الأول الذي تقع مصر غربيه هو البحر الاحمر، والنهر المشار اليه هو نهر النيل، وأما البحر العظيم الذي يصب فيه هذا النهر فهو البحر الابيض».

وأضاف إلى ذلك قائلاً: «إن في بلاد غرب البحر مدينة يقال لها «كسند» محرفة من إسكندرية، كما يظهر ذلك من تقارب حروفها ووضعها الجغرافي المحدود في ذلك الكتاب».

وفي صفحة ١٥ «فالمدينة التي لعبت دوراً هاماً في العلاقة التجارية بين مصر والهند والصين في القرون الاولى للميلاد هي مدينة عدن على ساحل البحر الاحمر بجنوب جزيرة العرب، حينما كانت إيران (فارس) تتوسط في هذه التجارة حتى أيام جوستنيان[١].

قال في ص١٧: «ولكن قال الاستاذ هادي حسن في كتابه «تاريخ الملاحة الايرانية» أن الطريق البحري إلى الصين لم يكن على أي حالة من اكتشافات الرومانيين لأن جنود الصين قد وردت إلى سواحل مليبار في القرن الثاني قبل الميلاد.

والصواب أن الرومانيين لم يتصلوا بالصين مباشرة ولم يعرفوا طريق البحر، وإنما كانوا يتلقون الاطياب والافاويه عن طريق بلاد العرب، ولذا هاجموها مراراً ليظفروا بمطالبهم فلم يجدوا بها شيئا.

---

(1) HIRTH, CHINA AND ROMAN ORIEN, P. 175, 180/181 CHAO JOKUA P. 3.

وكان حرير الصين يرد الى مصر منسوجاً وغير منسوج قبل الاسلام على يد تجار العرب براً وبحراً، وكتّاب أوروبا يريدون إثبات ما لم يقع تعصباً للرومانيين، منهم جيبون وهيرث فيأتون بالطم والرمّ لتأييد ذلك، وكل ما أوردوه لا يثبت على محك، ولذلك قال بدر الدين الصيني بعد إيراد تمحلات بعض المستشرقين: والآن نستطيع أن نتصور وجود العلاقة بين الصين والعرب في ذلك الوقت أيضاً، خصوصاً بعدما تكلمنا عن أن عدن كانت مدينة عظيمة وقد لعبت دوراً هاماً في التجارة البحرية مع الصين وبلاد الروم والشرق كليهما.

ثم ذكر العلة في تغافل مؤرخي الغرب عن ذلك وأنهم نسبوا المعاملة التي وقعت في موانيء اليمن وجزائر عمان ومسقط والبحرين إلى عظمة إيران التجارية، ولم يقتصروا في تغافلهم على هذا فقط، بل البضائع التي كان أصلها من شرق أفريقيا عدّوها من منتجات إيران وسموها البضائع الايرانية حتى أوائل القرن السابع من الميلاد ».

لقد صحَّ ما قاله الاستاذ هادي حسن في كتابه «تاريخ الملاحة الايرانية» عندما تكلم في هذه النقطة حيث قال: «إن تاريخ الصين الذي يتعلق بالعصور التي كان أصلها من بلاد العرب أو من شرقي أفريقيا تحت إسم «بضائع پرسی» أي فارس، لأنها هي المملكة التي كان يصدر منها أغلب بضائع البلاد المجاورة».

قال بدر الدين: «إتفقت المصادر الثلاثة الصينية والايرانية والرومانية على وجود العلاقة بين العرب والصين قبل الاسلام ببضعة قرون في شكل غير مباشر، إذا اعتبرنا السلطة الحاكمة التي كانت سائدة على شمال بلاد العرب وجنوبها قبل الاسلام، وفي شكل مباشر ان أخذنا في حسابنا الحدود الجغرافية» اهـ كلامه.

والصواب أن اتصال العرب بالصين وجد قبل الاسلام بوجه مباشر مدة طول أيام الحميريين في عدن، وبلا تحديد في بلاد المهرة وبعض عمان، وأزد عمان هم كانوا البحارة إستعانت بهم فارس قبيل الاسلام في جلب المتاجر مراغمةً للروم. وكانت قريش قبل الاسلام بنحو قرن تذهب إلى اليمن فتأخذ تلك المتاجر إلى الشام، وقد لجأ بعض تجار الرومان إلى مكة بعد استيلاء الفرس على عدن، وهو الذي التزم لقريش حين أرادوا بناء الكعبة بالخشب على أن يجعلوا تجارته مع تجارتهم.

قال بدر الدين: «فالمراكب التجارية التي كانت تقل البضائع من البصرة الى الصين تمر بطبيعة الحال ببلاد عمان ومسقط وجزيرة البحرين وأبله وهُرمز بخليج فارس. وكانت عدن من أهم المدن التجارية في البحر الاحمر بين مصر وسواحل خليج فارس».

«ولقد روى الاستاذ هيرث عن «كوزومو» الهندي أن تجارة الصين مع هذه المدن كانت موجودة في القرن السادس من الميلاد. ومن الاشياء التي ذكرها «كوزومو» حرير الصين الذي كان يأتي الى سيلان أولاً ثم يحمل إلى عدن».

قال: «وعندنا أدلّة من كلام «كوزومو» الذي عاش في القرن السادس الميلادي، لقد نقل كلامه الاستاذ ولسن مؤلف «خليج فارس»[١] وهو يقول: «من بين التجار الذين يشتغلون في مبادلة البضائع بين الصين وخليج فارس في القرن السادس للميلاد العرب والايرانيون والأحباش، وكان مركز اجتماعهم في تلك الايام جزيرة

---

(1) WILSON, THE PERSIAN GULF P. 57

سيلان » اهـ كلام بدر الدين الصيني. وقد رجع إلى الصواب وكان عليه أن لا يشتغل بكلام جيبون وتمحلاته، فان سواحل شرقي بلاد العرب يحتضن البحر الهندي وما جاء منه، والساكنون فيها إلى عدن بل واليمن من أشد الملاحين مهارةً، ورأس الجمجة بين عمان والشحر وهو الذي يعود إليه كل مركب صيني أو عربي يريد الرجوع أو السفر، فمن هذا الرأس كانوا ينشرون أشرعة مراكبهم في خط مستقيم إلى مليبار.

ودامت ظنون أهل الغرب قروناً طويلة أن بلاد العرب هي الّتي تنبت الأفاويه الطبية والعود والادوية الصينية حتى هاجموها بحثاً وتفتيشا عنها. ذلك من أعظم الأدلة على جهلهم بالشرق الأقصى والأدنى لأنها كانت تأتيهم على أيدي الفينيقيين ومَعين اليمنية، وهؤلاء يأتون بها من الشرق.

قال المسيو جيلان MR. GUILLAN في كتابه:

DOCUMENTS DE L'HISTOIRE, LE GEOGRAPHIE ET LE COMMERCE DE L'AFRIQUE ORIENTALE.

(وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية في أفريقيا الشرقية)

« استولى العرب منذ أقدم الازمنة على أعنة التجارة البحرية عامة وفي الشرق خاصة فكانت سفنهم هي وحدها التي تخوض المحيط الهندي عامة وفيما بين بلادهم والهند خاصة، وكانت لهم جاليات كثيرة العدد على سواحل الهند مما يقرب من نهر السند، وكان الهنود يسمونها عربيتو ARABITOE، ولما أرسل الاسكندر المقدوني قائد أسطوله « نيارك NEARQUE» لاستكشاف بحر الهند وجد بساحل جدورزيا آثاراً دالة على توغل العرب الواصلين في أساطيلهم العربية من مدنهم. وكان الربان الذي أخذه لمعرفة طريق البحر عربياً، وكانت أمة أخرى عربية سماها

اليونان PHOENICIAN وبالعربية فونيقا أو فونيقان أو الفينيقيون، وهم كنعان، أمة مشهورة في الكتب الاسرائيلية والمصرية وشهرتها في تاريخ اليونان والرومان أعظم، ولهم عند الفرس شأن عظيم ويحسبون لهم حساباً، فقد تكاثرت جموعهم فأسسوا لهم مستعمرات وأنشأوا أساطيل عظيمة، وكانت هذه الاساطيل كثيراً ما تهاجم الاغريق، وتوقع بهم الاضرار حتى صاروا يهابونها ويعملون على إتقاء شرها، وقد استعمروا بعض جزر اليونان، وانتشرت تجارة كنعان في ذلك العهد انتشاراً عظيماً.

مستعمرات الكنعانيين

وأما مستعمرات الكنعانيين (الفينيقيين) التجارية فقد انتشر الى البلاد البعيدة عن مواطنهم، وأقدم آثار الكنعانيين ألفاظ واصطلاحات وردت في رسائل مسمارية موجهة من بعض الامراء الكنعانيين في نواحي فلسطين الى الملك «أمون حوطب» المصري في القرن الرابع قبل الميلاد ورسائل كتابات منسوبة إلى الملك «كلمو» من حوالي القرن التاسع قبل المسيح، وهناك كتابات اكتشفت في قبرص ومصر وصقلية وبلاد اليونان ومالطة وسردينيا وجنوب فرانسا وجنوب إسبانيا وقرطاجنة (فرت حدش) التي تعتبر أغنى البلاد بالآثار الكنعانية، وحروب الرومان مع قائد الكنعانيين حني بعل «هني بال» من أعظم الحروب، وكانت أساطيلهم التجارية تصل الى بلاد الانكليز وما وراءها، وكانوا يسكنون في نجد وسواحلها عن الخليج الفارسي وجزيرة البحرين قبل ستة وعشرين قرناً.

وكانت جزيرة البحرين قلعة من قلاعهم، وكانت لهم بسواحل نجد بنادر وثغور أسماؤها صور وأرواد وجبيل، ذكرها الرحالة اليوناني إسترابون في كتابه في الجغرافية القديمة التي ألفه قبل ميلاد المسيح.

وقال: إن في هذه الثغور هياكل تشبه هياكل الفينيقيين، وبعد أن نزح الفينيقيون من مواطنهم الى سواحل الشام سموا بعض ثغورهم هناك بأسماء ثغورهم هذه.

وقد اكتشفت مقابر الفينيقيين في البحرين في سهل «المراقيب» بين المنامة والرفاع، وتشتمل على آلاف من القبور، اكتشفها الكابتن «دوران» ثم «تيودرنيت».

وقد جاء بعد هؤلاء أمة معين، وهي يمنية تجارية عظيمة الشهرة في العالم الغربي بما كانت تمده من حاصلات الهند والشرق الاقصى، الصين وجزائر الهند.

وقال الدكتور اسرائيل ولغنستون (أبو ذؤيب) كانت بلاد اليمن مصدر الحضارة العربية قديماً والينبوع الذي إرتوت منه جميع أقاليم العرب فقد اشتقت جميع الخطوط العربية القديمة من الخط المسند اليمني ونزحت بطون يمنية كثيرة إلى الشمال فأدت إلى حدوث تقلبات سياسية عظيمة، وفوق ذلك كانت اليمن مُلتقى تجار العرب الذين جابوا بلاد المعمورة يحملون إليها الذهب والفضة والخشب والمسك واللادن.

في اليمن

قال: «وكان لأهل اليمن صيت ذائع عند اليهود في الشؤون التجارية لأن قوافلهم التجارية كانت ترد إلى أسواق اليهود والكنعانيين حيث كان لمتاجرهم فيها شأن كبير».

وقال: «إن تلك البلاد التجارية كانت تقطنها أربعة شعوب:

١ - أهل معين MINAE وكان إسم عاصمتهم «قرنا» أو «قرنانا».
٢ - ثم أهل سبأ وعاصمتهم «مأرب».
٣ - ثم أهل حضرموت وعاصمتهم «سبتا».
٤ - ثم أهل قتبان، ومدينة ملوكهم تسمَّى «تمنه» ومنطقتهم تمتد إلى

الخليج الفارسي (العربي) ثم تغلبت سبأ على الشعوب الثلاثة. وقد إمتدَّ العصر الذي قويت فيه سبأ وارتفع شأنها في اليمن زمناً طويلاً استغرق عهود بابل وأشور واليهود والفرس واليونان والرومان».

قال المستر فلبي (الحاج عبدالله فلبي) في كتابه عن سبأ وشَبوة وحضرموت، فانه ذكر القبور التي بصفة غرف كثيرة العدد تبلغ الالوف في الاعلام (أي الجبال الصغار المنفردة اثناء الصحراء بين شبوة والجوف).

«فهذه القبور بدون ريب قديمة، ولي أن أقول أنَّ لها صلة بالفينيقيين PHONICIANS (لان الكنعانيين المعروفين باسم الفينيقيين هاجروا الى سوريا كما تقدم) ولا نعلم من اين جاء أهالي سيريا (تقدم ما يردّ كلامه هذا) ولعلهم كانوا من التجار القدماء رمت بهم أمواج البحار ونحن نعلم أنهم يرغبون في شراء البهارات والعطور من مصر قديماً وهذا ما سبَّب تقدم التجارات البرية مع جنوب بلاد العرب، ونحن نعلم أن سلالات الملوك في تلك الأماكن هم المعينيون في جنوب الجوف، فلا شك أن هذا الاسم يدل على وجود صلات لغوية بين مينوس MINOS ومينوان MINOAN مع مصر وملك مصر أخو ملك سيريا كما في الحكايات القديمة».

«أليس من الجائز أن يكون المعينيون قد تفردوا بتجارات البحر لمضاعفة أرباحهم التجارية، فرحلوا إلى بلدان الشرق الأقصى، وراحوا إلى البحر الابيض المتوسط وأقاموا هناك وكانوا سبباً في تقدم التجارة».

وبعد أن أطال فلبي عن الجبال النارية في مواضع «مَعين» أو كنعان غربي شبوة وحضرموت قال: «وإسم المعينيين له صلة بـ PUNI

كما يظن SCHOFF. ومن الجائز أن يكون لقباً لأولئك المعروفين لديهم في شواطىء PHONIX وهو إسم طيور من بلاد العرب، كالخيل عند العرب، والاصباغ التي هي من التجارات المهمة للسوريين».

لذلك ظهر أن PHOENICIAN كما هو معروف في أوروبا له صلة ببعض المواد وضاع إسمهم الحقيقي واستعملوا كلمة TYRIAN أو سيدونيان SIDONIANS وبهذه الوسيلة نجد ان لـPHOENICIAN صلة بالخيل والطيور الصناعية من بلاد العرب، وكذلك عن الزلازل التي أخرجتهم من ديارهم».

«جو سيفوس JOSEPHUS قلد شوف SCHOFF من أن أهالي ديدَن DEDAN (UDADAN) من SYNCELLUS إبن رامةRAAMAH إبن كوش CUSH وديدان كما في كتاب موسى CENESIS أخو شيبا (سبأ)».

«وهذا لا شك صلة تشابه، لذلك فان مهارة الفينيقيين التجارية من أول تاريخهم المعروف مشهورة لدى من يحاول أن ينكر بأن مصر أم المدنيات كما اعترف به «دبليو جي ڤيري» W.J.PERRY في كتابه GROWTH OF CIVILISATION ومن أهم تجاراتهم هو الذهب والافاويه من بلاد العرب، وحمل العطور العربية من مسافات برية بعيدة. كل ذلك بأيدي العرب وحدهم، هم الذين انعشوا التجارات مع الهند وغيرها من بلدان الشرق».

«ويعتقد SCHOFF أن العرب هم أصل انتعاش تجارة عبر البحار مع الهند، مع العلم بأن الهنود قاموا بدورهم وحملوا تجاراتهم إلى بلاد العرب، ومرَّت مئات السنين كان العرب والهنود فيها محتكرين التجارة منافسةً لمصر وحوض البحر الابيض».

وإذا كان رأي «شوف» عن أصل الفينيقيين صحيحاً فلا يجوز لنا إنكار مساواة العرب للفينيقيين في التجارة قديماً، كما يتساوى المعينيون

بالفرنسيين، الذي قيل ان ذلك في عهد الهكسوس، من عام ١٢٠٠
و ١٨٠٠ في مصر (١٨٠٠ الى ١٦٠٠ ق.م) وهو أصل قدوم العرب.
و «شوف» يقول أنهم معينيون، وكذلك يقول PLINY أن بلاد معين هو
معبر لشراء اللبان في طريق ضيق، والمعينيون هم حراس قوافل تجار
اللبان.

مع الفايكينغ

من المؤكد أن التجارات كانت على وجه العموم بأيدي العرب، فهم خبراء فيها كخبرتهم في فن الملاحة سواءً في الشرق أو في الغرب، والشرق الاوسط كان به مراكز تجارية للشمال والجنوب من أوروبا الى الشرق.

أثبتت الدراسات وجود علاقات تجارية بين العرب وقبائل أوروبية تسمى «فايكينغ». والفايكيننغ هؤلاء جاءوا من شمال أوروبا غزاة أولاً، ثم تجاراً إلى أوروبا الشرقية، فكانوا يتجرون مع العرب، يشترون منهم السلع، وقد عُثر على نقود عربية، وعلى مقابر فيها، ودنانير في عهد الرومان، كما عُثر على أواني وغيرها جلبها العرب إلى أوروبا.

كان الـ «فايكينغ» أشبه بقبائل خطرة أجلاف قذرين، وكان الملك «سيفريد ماغنسون» ملك النرويج حوالي عام ١١٠٠ م حاول بهم إخضاع العرب واحتلال حصونهم أو طردهم من أسبانيا، فلم يتمكنوا، مع أنهم كانوا ذوي أجساد بارعة طويلة قوية كالقراصنة الوثنيين، ولكنهم لم يتمكنوا بالوحشية أن يزيحوا العرب ولا البيزنطيين، بل كان نصيبهم الموت الزؤام.

كان العرب يتجرون مع أسواق روسيا، فرأوا أنواع التجارة التي تأتي من الشرق فصاروا يبادلون المشرقيين بالسلع الجميلة المتوفرة في الشرق، لذلك عُثر على مقدار كبير جداً من العملات العربية من مصر وسوريا والعراق وإيران وطشقند في أوروبا الشمالية، كما عُثر على آثار عربية وإيرانية، ذلك لأنهم قد وصلوا إلى المناطق الشمالية.

وقال إن من المحتمل وجود علاقة بين المعينيين والمينوس من كريد CRETE وبعض حكايات القدماء يمكن الاقتباس منه.

ذلك في الوقت الذي اشتهرت فيه بغداد وحلب والاسكندرية وإستانبول، فالبحر الأبيض بحر إسلامي، والمحيط الهندي مجال للتجارة، والخطوط البريدية بأيدي العرب والايرانيين والأتراك.

وقد تقدم ما ذكر عن العرب في جزر البحر الابيض والعثور على آثار عربية إكتشفت حديثاً عن وجود أمراء ملكوا نحو ١٢٥ سنة في كريد.

مع أقطار الشرق

وكانت التجارات إلى أقطار الشرق متصلة من أزمان بعيدة قبل الاسلام إلى الصين. والمصادر التاريخية تفيد أن تلك الرحلات التجارية كانت مع الأيام تزداد كثرة وقوة منذ القرن الثامن الميلادي (٧٥٨م) فازداد عدد التجار والرحالين في الأسفار الى الصين، إلى كانتون. فتجارة الشرق كلها بأيدي المسلمين العرب والايرانيين والهنود.

كانت العلاقات بين العرب والملايو متينة منذ تلك الأزمان، وقد عُثِر على أثر يوناني من عام ٥٠٠ ق.م. كما عُثر على نقود ضُربت في بغداد عام ٨٤٨م (وفي عهد المتوكل بن المعتصم) عُثر عليها في «قدح» لأن للعرب مركز في «قدح» فاستُنتج بأنهم الذين حملوا هذه النقود كما حملوا الإسلام إلى هذه البلاد بعد أن مرّوا على «كمبوجا» كما يفيد الاستقراء التاريخي.

ويوجد شك في علاقة المينوان في كريد والبونشيان الذين احتلوا أخيراً شواطىء سوريا، وهذا على الأقل يزيد في احتمال أن المعينيين قد يكونون أجداد الفينيقيين». أهـ.

وكانت «قدح» ملتقى الرحالين والتجار والدعاة، وذكرها ابنُ خُرداذبه بأنها مدينة كبيرة كما كانت «ملاكا» بعد ذلك ملتقىً أيضاً طوال السنين.

وسالت الهجرات في كل بلد في هذا الشرق زمناً بعد زمن، والمؤرخون يؤكدون بأن العرب كانوا يتجرون من قبل الميلاد إلى الشرق حتى الصين، وأن جميع الاسفار البحرية بين البلاد العربية وبين أقطار الشرق كانت بأيدي العرب، ولهم مستوطنات في عدد من أنحاء الشرق والصين. كل ذلك أوجدته الرحلات والتجارات ونشر الاسلام.

وللخليج العربي أهمية، إذ كان منه ينقل العرب والفرس متاجرهم على سفنهم. ومن متاجرهم التمور واللؤلؤ وغيرها مما يستورد من البلدان القريبة والبعيدة، فتحمل الى الشرق، الهند وبورما وجزائر الملايو والصين، والى شرقي أفريقيا وغيرها. فهذا الخليج ذو أهمية تجارية وثقافية واقتصادية وسياسية منه واليه.

وفي كتاب «مدينة إيزيس» لمؤلفه «بيار روسي» أن الحضارة الآرامية والعربية كانت أقوى العناصر التي تغذت بها هذه الحضارة الجامعة منذ ظهورها، ولاسيما الحضارة العربية قبل الاسلام وبعده، سميَّ كتابه بإسم تمثال «إيزيس» الذي يمثل الفجر في كنيسة «مديسي» في «فلورانسا». ضمَّ في هذا الكتاب آراءه وبحوثه الخاصة في أن للحضارة العربية تأثير عظيم في نشر الحضارات في الماضي والحاضر.

وإيزيس ISIS معبودة المصريين الاقدمين.

التجارات مع سيلان ومدغسكر وسومترا

من المؤكد أن الامتزاج بالعرب في سومترا كان منذ عام ٦٠٠ للميلاد، وأن التجارة مستمرة مع سيلان في الفلفل والذهب والفضة والرصاص وغيرها. كما تفيد بعض المصادر أيضاً أن التجارات كانت منذ عهد قديم بين سومترا ومدغسكر ضمن التجارات البحرية العربية. والمظنون أيضاً أن كثيراً من الأرقاء يرسلون من سومترا إلى مدغسكر.

أسفار الاندونيسيين

كانت أسفار الاندونيسيين قويّة في المحيطين الهادي والهندي للتجارة مع سيام والهند والعرب وغيرهم. وهذا طبيعي ما دامت جزائر تحيط بها البحار، فمن الضروري أن توجد وسائل بحرية للمواصلات ونقل المحصولات.

ذكر البروفسور «غوردون جيلد» في كتابه WHAT HAPPENED IN HISTORY أن الأهالي يصنعون السفن الشراعية الطويلة فيقطعون بها البحار إلى الشرق والغرب منذ ٣٠٠ قبل الميلاد.

وفي العهود الاسلامية عرفت الممالك الاسلامية بصناعة السفن وامتلاكها. الحربية أو التجارية، فقد إستطاعت أول دولة في جاوا أن تكوّن لها أسطولاً من تسعين قطعة وغزت بها البرتغاليين في ملاكا. بل اشتهرت الأميرة «راتو كالي نيامت» بامتلاكها السفن الحربية التي أدخلت الرعب لدى البرتغاليين حتى كانوا بها بون الدنو إلى شواطىء بلادها، وكانت سلطنة بانتن شهيرة بصناعة السفن الحربية، فكانت كل سفينة ذات ثلاث طبقات، وقد جمعت في عصر واحد ٣٠٠ قطعة للدفاع، غير السفن التجارية، وكانت سلطنة «مكاسر» تصنع سفنها وحاربت اعداءها بحراً أعواما طويلة. والبوقيس حلفاء أسفار بحارة مهرة. وأهالي آجية وغيرهم كانوا جُوَّاب بحار محاربين في البر والبحر، وكانت سفنهم كما اعترف الاجانب أضخم من السفن الأوروبية.

كانت سفن الشرق الأقصى تصل إلى الخليج العربي، واشتهر أهالي مدورا وجزائر الملوك وسومترا بصناعة السفن والاسفار بها، وما زالوا كذلك حتى إبان الاستعمار، حتى تناقصت عظمتها ولكنها لم تنقطع إلى اليوم.

ذكر «جون دي باروس» في كتابه «ڤرڤو لوهَنْ تاهون»، و «ڤلبكوت» في كتابه عن تاريخ مدغسكر أن كثيراً من الكلمات التي ينطق بها أهالي مدغسكر أصلها جاوية ملايوية.

سري لانكا

كانت تسمَّى «سيلان» أو «سيلون» وفي الكتب العربية القديمة «سرنديب» وهو كما يبدو معرَّباً من «سوارنْداويڤا» السنسكريتية.

تقع جنوب الهند، معظم سكانها بوذيون (نحو ٦٧٪) وفيها هندوس ومسيحيون وأقلية من المسلمين ولكن لهم مكانتهم في عالم التجارة والسياسة، وحكومتها متسامحة تجاه الاديان.

في الحقب التي عرفت بوصول السائحين والتجار والدعاة كان الاسلام يتخذ فيها خطاه، من جهد دعاة مغمورين، ذهبوا مع أزمانهم، ومما يبدو أحياناً بصيص من ذلك ما ذكره ابن بطوطة أنه لقي فيها عبد الله الحضرمي.

والى اليوم يعرف مسلمو سري لانكا أن عدداً من السادة العلويين من تريم نشروا بها التعاليم الاسلامية، وما زالت أسرة آل المشهور بها معروفة.

في عام ١٥٠٥ م إحتلَّ البرتغاليون «سيلان» واضطهدوا المسلمين وأبادوا قرى اسلامية بكاملها.

وفي عام ١٦٥٨ م احتلها الهولنديون وأسسوا فيها مدارس التبشير. وأشار الحاكم الهولندي «ميتسيكر» في تقرير له الى ذلك، يقول فيه: إننا أنشأنا عدداً من المدارس لنشر العقيدة المسيحية وإزالة البدعة المحمدية.

بعد ان كان تاريخها الماضي ملتقى للتجارات، يأتيها العرب والفرس وغيرهم من الغرب وأقوام من الشرق جاء أخيراً ما يثير، نشرت مجلة «العرب» التي تصدر في باكستان السنة الـ ٤٦ عام ١٤٠٢ هـ لمراسلها من سري لانكا أنه بعد إستقلالها عام ١٩٤٨ م تغيَّرت الحالة لدى المسلمين بعد أن كانوا يتمتعون بحرية تامة في جميع النواحي، فقد انتزعت التجارات الكبيرة من أيديهم ومنعوا من حقوقهم، وكانت الاشتباكات تنشأ من حين وآخر بين المسلمين وبين الاكثرية البوذية، تُنهب الدكاكين وتُحرق، وقد ذهب ضحية الاشتباكات في مدينة جالا فقط ١٥٠ داراً للمسلمين و ٣٥ دكاناً للنيران، غير الجرحى.

ولجأ المسلمون الى المناطق الداخلية في الجزيرة ووجدوا بعض الحماية من أصدقائهم الحكام المحليين.

وقد أيّد «ريمڤاير» في كتابه الشهير عن لغة أهالي «مدغسكر» ما ذكر أعلى، وقال إن التجارات بين جاوا وسومترا، وبين جاوا ومدغسكر قد استمرت منذ حوالي ٢٥٠٠ عام مضى.

ولما احتلت بريطانيا هذه الجزيرة عام ١٧٩٦م خفَّفت من أعمال البطش ولكنهم مارسوا سياسة التبشير وإنشاء المدارس لكل الطوائف.

ولم ينس المسلمون ما مضى من أعمال المستعمرين فكانوا يرفضون كل ما يأتي من المفاهيم الغربية فتجنبوها، وبنوا لأبنائهم مدارس خاصة بهم، وهذا وإن كان دافعهم إلى ذلك الحذر والكراهية من المستعمر فقد صاروا في معزل عن الاستفادة من علوم سبقهم اليها غيرهم، ولكنهم من ناحية حافظوا على دينهم وأخلاقهم ولم ينساقوا الى النصرانية كما انساق الآخرون.

وأخيرا بدأوا يأخذون التعليم الحديث مع الاحتفاظ بالمقوِّمات الاسلامية، ولا سيما وقد أخذوا يتصلون بإخوانهم في الاقطار الاخرى.

وكان من الصدف ان المجاهد أحمد عرابي باشا المصري نفاه الانكليز إلى سيلان فأقام بها من عام ١٨٨٣م الى ١٩٠٩م وقد سبقه رجل داعية مصلح يُدعى محمد قاسم كان يشجع المسلمين على منافسة الغير في تعلّم العلوم الحديثة، فاتفق هذان الزعيمان على تأسيس مدرسة عام ١٨٩٢م، وألفَّ محمد قاسم الكتب لتعليم اللغة العربية، وفي التصوف بلغة التاميل، فصارت لغة التاميل تكتب بالحروف العربية. ثم ظهرت كتب باللغة العربية ولغة التاميل في الفقه وما يتعلق بأمور الدين والتصوف من جانب علماء أتوا من جنوب الهند.

انتشرت المدارس الاسلامية بين المسلمين وهم قلة بالنسبة إلى غيرهم ولكنهم قاموا بأعمال عظيمة واندمجوا في الحياة الاجتماعية، وتولوا المناصب العالية، كما لهم مكانة في عالم التجارة. ولهم محاكمهم القضائية للاحوال الشخصية، كما لمسلمي ماليزيا واندونيسيا، وتخصص الاذاعة ساعة كل يوم للبرامج الاسلامية، وتعتبر الحكومة الاعياد الاسلامية عطلة قومية.

ولغة المسلمين في سيلان (سري لانكا) هي التاملية لغة الهند الجنوبية، واللغة الرسمية في هذه الجزيرة هي «السنكلية» فاضطر المسلمون إلى تعلم هذه اللغة، وأقيمت مؤسسة تعليمية فتخرج فيها خريجون يؤلفون الكتب الاسلامية بهذه اللغة التي هي لغة عموم السكان.

وكانت سومترا وجاوا أغنى بلدان آسيا وأقواها، وقد استوطن كثير من سكانها مدغسكر، والذين في مدغسكر من الملايو والجاوا والسونْدا هم أمة قوية ورجال حرب، وليسوا بعبيد مجلوبين، ولكنهم

التجارات

ترد المتاجر من الأقطار الشرقية والاسلامية إلىالموانىء العربية في الشام ومصر والبصرة والى الاندلس، ومنها الى نواحي أوروبا بفرانسا وإيطاليا وغيرها.

قال الدكتور «فن لير J.C. VAN LEUR في كتابه INDONESIAN TRADE AND SOCIETY ص ٩١ عام ١٩٦٠م ما ملخصه:

«إن التجار العرب والفرس يرحلون على الطرق التجارية إلى الصين، وقد أقام العرب في كانتون في القرن الرابع الميلادي. وذكرت الكتب الصينية المستوطنات العربية عام ٦١٨ و٦٢٦م وفي هذه المستوطنات تطبق الاحكام الاسلامية تحت إشراف إسلامي، والجالية العربية ضمن جاليات أخرى من الفرس واليهود والارمن والنصارىالنسطوريين. وفي المراكز والموانيء التي يمر عليها التجار المسلمون مستوطنات على طول الخط التجاري في جنوب شرقي آسيا، منها مستوطنة في سومترا الغربية عام ٦٧٤م.

وفي جاوا وجامقا مستوطنات عربية، يُستدل على ذلك وجود مقابر عربية عام ١٠٢٨م (٤١٩هـ) في جاوا، وعام ١٠٣٩م (٤٣١هـ) في جامقا. وتدل أيضا على وجود صلات تجارية وغيرها بين العرب وبين هذه الاقطار منذ أمدٍ بعيد، ويحتمل أن هذه المستوطنات كانت تضم عائلات عربية.

هكذا يشير الدكتور فن لير عند ذكره التجارات الشرقية، واثمان المتاجر الشرقية المستوردة في مصر والشام مرتفعة، فالقوافل تقطع المسافات الشاسعة براً وبحراً، ومن هناك تصدر تلك المواد على سفن إسلامية أو بندقية أو جنوية إلى أوربا عبر البحر الابيض.

ويقول أيضا (ص٢٩٧) عن فيراند FERRAND عن إنتشار اللغات هندية وتاميل وفارسية وعربية ويونانية في كتابه EMPIRE بأنها متداولة في «سري لانكا» في أوائل القرن العاشر (ص٥٤) ولكن «كروم» نقض هذا القول وأكد بأن الدلائل تفيد أن اللغة العربية كان يُتحدث بها حينذاك يومياً...

جالية من الشرق الأقصى نزلوا بها لأنها محطة تجارية في تلك العصور كما نزل بها العرب، وأكثر أهلها مسلمون، وفيهم كثير أصلهم من ذرية الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضاعت

ويتحدث «فن لير» عن تأثير اللغة العربية بصورة غير مباشرة واستدل على ذلك من الالتماس الذي قدمه كريستوف كولومبس الى الملك فرديناند الثاني وايزابيلا بعد الاستيلاء على غرناطة عام ١٤٩٢ م حيث لم يلتمس من الملك سوى ثلاث سفن فقط تقريباً للبحث عن بلدان الشرق عبر المحيط الاطلسي فلم يجد من يؤيده في مطلبه.

ذكر C. WALTER HODGES في كتابه ص ٣٠ - ٣١ COLUMBUS SEILS عام ١٩٤٧ م نص هذا الالتماس. ومما جاء فيه تقريباً قوله:

*إنّه مقاطعة هندية واحدة فقط تستطيع أن تجعل عموم أوروبا في درجة المتسوّل. وقد أكد هذا مركو بولو، والسير JOHN MANDEVILLE وغيرهما من سُواح الشرق».

«ألا يوجد في أوربا من يتبرع بثلاث سفن فقط للسيطرة على تلك الثروة العظيمة الّتي لا تقدّر؟ أقول إن من يتجه نحو الغرب لغرض الوصول الى الهند لا يكفيه ألف سفينة تحمل تلك الثروات التي سوف يُعثر عليها، فان هذه الأموال ستملأ كل مكان في السفن وستفيض إلى سطوحها. وهذا ما سوف أقدمه لأسبانيا...»

وقال: «وأضيف أيضاً أن هذه السجادة المبسوطة على البلاط ثمينة جداً بالنسبة لنا في أوروبا، وقد أصبح تجار السجاجيد الهندية من أعاظم الأثرياء، تزداد ثرواتهم عاماً بعد عام، فمن أين تحصلنا على هذه السجادة؟ لم نتحصل عليها من الهند مباشرةً، بل إشتريناها من التجار المسلمين في حلب والاسكندرية الذين يسيطرون على المسالك التجارية، إلى الشرق الأقصى. ومهما استطعتم أن تطردوا الكفار (أي المسلمين) من أسبانيا فانكم مضطرون إلى شراء كل حاجاتكم من أسواقهم بالاثمان التي يريدونها....»

«هكذا قال كولومبوس للملك في طلبه لثلاث سفن فقط لرحلته. فهذا الطلب يدل بأسلوب غير مباشر على مبلغ النفوذ التجاري لدى المسلمين في البحر الابيض منذ قرون...»

وباكتشاف «برتوليميو دياز BARTHOLEMEO DIAZ» رأس الرجاء الصالح، و «كولومبوس» لجزيرة يوهي (كوبا) في مفتتح القرن السادس عشر الميلادي بدأ الاستعمار الاوروبي في الشرق وفي أمريكا.

أنسابهم، ومنهم عدد لا تزال أنسابهم محفوظة، ففي بندر «ماجونقا» بمدغسكر جالية عظيمة من المسلمين أصلها من جزائر القمر وهم من أهلها ومن العرب خالطهم جيران من أهل البلاد الأصليين.

أساطيل المسلمين تسيطر على بحار المحيط الهندي حتى بحر الصين في القرن الـ ١٤ وعلى البحر المتوسط من مبدأ القرن الثامن.

وكانت الصين تعتبر في الدرجة الثالثة في السيطرة البحرية، في عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) وقد بلغت سفرات «چينغ هو» ثلاث مرات وصل فيها الى عدن ومقديشو. وفي القرن الـ ١٥ ظهرت على البحر الاسبان والبرتغال.

هذا ما كان حين ازدهار التجارات الاسلامية، وحين كانت الاقطار الاسلامية تملك الامكانيات، فلما جاءت بوادر قوى الاستعمار وتكالب الغربيون متساندين ضد المسلمين خصوصاً والشرق عموما، حتى بدأ الضعف يسري في الشرق، وأخذت الكفة تميل. فصارت السفن الاسلامية التي تركت في الموانيء بأيدي أعداء الاسلام فانتفعوا بها.

ثم إن العمال المسلمين الذين أكرهوا على النصرانية صاروا يعملون في صناعة السفن الحربية والتجارية لغيرهم. ومن السفن التي إستولى عليها الاسبان في موانيء البحر الابيض في قادس وطريف وملقا والمويه ومرسيه وقرطاجنة وبلنسيه وغيرها، صارت كلها أساطيل لاسبانيا.

ذكر فن لير (ص٩٦) أن «فاسكو دغاما» عندما وصل الى «كاليكوت» بالهند عام ١٤٩٨م انبهر من رؤية السفن التجارية لدى المسلمين الراسية هناك، وهي ضخمة لا تساويها السفن البرتغالية في شيء.

وكان الاسبان والبرتغال مكلفين من قِبل البابا لنشر المسيحية في البلدان التي يصلون إليها، وكان الاسبان يهاجون بلدان المسلمين في الشرق كما ينشرون دينهم بالاكراه، حتى قُتِل «برديناند ماكلان» في حرب الفلبين في لوزون[1].

---

(١) مجلة هرموبيس العدد ٢٧٨ السنة ١٣ تاريخ ١٩٨٣/٨/١ (١٤٠٣/١٠/٢٤هـ) بقلم يوسف شعيب ص ١٤ وما بعدها بتصرف.

والصواب أن لسكان جزائر الشرق يد باسطة في الملاحة، وكانت لهم مراكب تجارية تتردد فيها قبل الاسلام على مراكز التجارة العربية في الجزائر الممتدة من نيكوبار الى جزائر كارديف[١] والى مدغسكر والبنادر المفتوحة بشرقي الجزيرة العربية وجنوبها والى كمبوجا وچامڤا وكوجين چينا وإلى الصين.

ثم إن طرق التجارة في الصين فيها كثرة إسلامية، فان البحارة ورجال القوافل قد اتحدوا في نشر الاسلام على شواطىء البحر الهادي، ففي كانتون بجنوب الصين بضعة آلاف من المسلمين وعدد من الجوامع العتيقة. وفي مقاطعة يونـان في وسط وادي سيكيانغ وهو المنفذ المؤدي الى بورما والهند مركز اسلامي مهم، وكذلك الحال في شمال الصين مما لا يحتاج الى شرحه، بل ليس هو من موضوع كتابنا.

ثم إن تاريخ الصين التي سنورد النقل عنها تتحدث عن العرب وتجاراتهم ومراكبهم ومساجدهم وعلمائهم وجيوشهم والبضائع الواردة من بلادهم والبضائع الصادرة اليها، وتنطق بصريح العبارة عن استيلائهم على التجارة، ومنها بيانات عن ما كتب في دفاتر مراسي الصين. ولكن لم نجد مثل هذا عن جزائر اندونيسيا التي كان تردد العرب اليها قبل الاسلام وبعده، وكان ترددهم بعده أكثر حتى كانت صادرات إندونيسيا تعرض في أسواق عدن فيشتريها تجار الصين من هناك.

وقد أرسل الخلفاء نحو ٣٢ وفداً الى الصين تمر بهذه الجزائر كلها أو

---

(١) الصحيح لاكديف.

بعضها، فمن البعيد أن لا تكون هذه الوفود مرسلة إلى جميع ممالك الشرق الأقصى، فترك الخلفاء إرسال وفد إلى ملوك جزائر إندونيسيا كالمستحيل، فهل كانت جزائر إندونيسيا لذلك العهد إنما تسكنها أمم متوحشة؟ الواقع لا. ولكن التواريخ المهمة لهذه الجزائر أخذها أناس معروفون ولا يعلم الاّ الله كيف مصيرها. ثم أحدثوا بعد أخذها كتباً مكذوبة زوَّروا فيها ما أرادو، وجعلوا النقاط الاساسية والاغراض الاولية أن يمحوا اسم العرب من التاريخ العام.

قال المنصفون من بعض علماء الغرب، ومنهم غوستاف لوبون أن أول من ترك لنا معلومات هامة محفوظة في اللغة العربية عن بلاد الصين وتجارة العرب فيها هو سليمان التاجر السيرافي الذي سافر الى بلاد الصين بحراً اكثر من مرة عن طريق سواحل الهند وجاوا.

وكتاب سليمان المعروف الآن بأسم «سلسلة التواريخ» في جزء، وجاء بعده أبو زيد الحسن السيرافي فأضاف اليه جزءاً ثانياً وهو من أقدم الكتب العربية في الرحلة وجغرافية الصين وأخبار التجار والتجارة العربية، وقد بقي على الدهر ولم يتطرق اليه البلى والضياع، ولم تصل اليه التتار فيغرقوه في دجلة، ولا الصليبيون فيحرقوه كما أحرقوا خزانة ابن عمار وغيرها في حرب الصليب، ولم تنته أيدي الاسبان فيحرقوه كا أحرقوا المكاتب العربية بالاندلس. وكان من التدبير الآلهي الخفي أن كان أول من اكتشفه رجل مشهور ومؤلف أوربي فترجمه، وهو ريناندو.

والكتاب فيه البيان الواضح عن اتصال العرب بالشرق الاقصى الى الصين في القرنين الثاني والثالث للهجرة والثامن والتاسع من الميلاد، فبعث بها متعصبو أوربا فأنكروا صحته وحملوا على المترجم حملات شديدة ورموه بالاختلاق والاجرام جرماً علمياً، وقالوا إن ريناندو هو

المخترع لهذه الأقوال عن علاقة العرب بالهند والصين، وقد وقع عليهم هذا الكتاب وقع الصاعقة وفوَّت عليهم أحلامهم اللذيذة في التفرد والفخر والزهو بالاكتشاف دون أمم العالم ومنهم العرب.

قال السير إيليوت SIR ELLIOT في كتابه HISTORY OF INDIA, VOL 1. P 3 : «ولكن الزمن منصف ولا يظلم من صنع صنيعاً للعلم فكشف للناس بعد مئات من السنين أن المترجم كان بريئاً من تلك التهمة فان النسخة الاصلية التي نقل عنها ريناندو كانت محفوظة في خزانة جولبرت GOLBURT LIBRARY فوقعت مجموعات هذه الخزانة بعد وفاة صاحبها في يد «كونت دي سانيلا» CONTE DE SEIGNLEY ثم في ملكية دار الكتب الاهلية الفرنسية، وهنا عُثر على هذه النسخة الفريدة عالم فرنسي ذو صيت بعيد معروف باسم «دي جينيه» فكتب عنها عدة مقالات في مجلة الجمعية الاسيوية في الجزء الثالث والثلاثين. وقد ذكر سليمان السيرافي حالة البحر والتجارة وأسماء البضائع والمواني بخليج فارس وجنوبي الصين ونظام الحكم وعادات الصينيين، وهو في عصر إبن خرداذبة.

ومع استيلاء البرتغاليين على البحر وتردد أساطيلهم فان التجار العرب وسفنهم لم تنقطع عن الورود الى هذه الجزائر الشرقية، وقد بقيت منها بقايا الى القرن الماضي.

ويدل على ذلك ما ذكره «الشرواني» في كتابه «أعجب العجاب» من تردد مراكب العرب في أثناء القرن الثالث عشر الى الصين.

وقد أدركنا رجلين معمرين من العرب كان كلٌّ منهما ناخوذا يسيّر المراكب الشراعية، أحدهما يسافر الى استراليا، والاخر الى بحر العرب والبحر الاحمر، أحدهما السيد حامد عيديد ساكن جاكرتا، والاخر السيد عبد القادر السقاف ساكن طوبان وقد توفيا الى رحمة الله تعالى.

وجاء في الكتاب الذي نشر بمناسبة العيد لتام خمس وعشرين سنة للملكة هولندا أنه كان للعرب **بفاليمبانغ** في أواخر القرن المسيحي الماضي نحو ثمانين مركبا، وانما انقطع العرب عن السفر بمراكبهم إلى الشرق الأقصى بعد ظهور البواخر ومطاردة المراكب الشراعية بالمراكب البخارية الحربية بحجة منع تجارة الرقيق[1].

---

(١) وإلى مطلع القرن الحالي كان للعرب في ڤاليمبانغ سفن تمخر البحار، وتشحن البضائع إلى مختلف الموانىء الشرقية.

وقد اشتهرت عائلات بامتلاك السفن هناك مثل آل الكاف. وآل السقاف، وآل شهاب الدين، وآل بارقية، وآل مديحج، وآل الفاخر، وآل المساوي، وآل جمل الليل، وآل الشيخ أبي بكر وغيرها. وقد يملك الفرد الواحد عدة سفن.

ولقد تناقص عددها أخيراً لمزاحمة البواخر التي تملكها الشركات الاجنبية ومنحتها حكومة هولندا إمتيازات واحتكارات، ومنها الضغط الذي تمارسه الحكومة تجاه الملاحة غير الاجنبية إذ ذاك، إذ كانت تمنعها من شحن بضائع معينة، فلا تشحن إلاّ أشياء، مخصوصة كما يقال.

ومع ذلك فان للسادة آل السقاف شركة بواخر بدلاً من السفن الشراعية.

وأما حجة منع تجارة الرقيـق فلا حجة، إذ لا يوجد على الاطلاق في ذلك الوقت تجارة للرقيـق في هذا الأرخبيـل الشرقي، بل الواقع محاصرة السفن حتى صارت لا تحمل الاّ الملح من جزيرة مدورا حتى لا تنافس الشركات الهولندية بأجورها الزهيدة.

وكانوا يسمون سفنهم بأسماء عربية حسب الذوق السائد في ذلك العهد. فمن هذه الاسماء: قطمير. طائف. النور. يسرين. نور العاشقين. جيد الباري. ألفتح المبارك. عطية الرحمن. الفاخر. كسب الخير. اليسر. فتح الارزاق. هدهد. إعانة الرحمن. نور هاشم. ميمون. عطية المولى. الى آخر ما هنالك.

. . . .

الملاحة والتجارات العامة

الملاحة والتجارات العامة والرحلات كانت كلها حلقات مترابطة عبر التأريخ وإلى اليوم. كان قدماء المصريين والعرب وغيرهم معروفين بخبرتهم البحرية حتى لقد كان بعض الأوروبيين يستعينون بالعرب، في البحر الابيض والمحيط الاطلسي كما ذكرتها الكتب القديمة.

جاء في مجلة المقتطف: «.... فكان لشارلمان بعض مراكب بعيدة عن السفن الحربية» حتى إذا كان القرن العاشر نهضت دولة إيطاليا فعهدت إلى الروم في صناعة الأساطيل، ثم إستقدمت بعض العرب وفوضت إليهم قيادة السفن. ومن ذلك اليوم قيل لربّ السفينة أميرال. وجرى في أسبانيا ما جرى في إيطاليا إذعهد أمراؤها إلى العرب في العناية بأمر سفنهم، ثم حذا حذوهم سائر الدول الأوروبية، فمنهم من عوَّل على الروم ومنهم من عوّل على العرب، ومنهم من عوّل على الايطاليين، إلى أن بلغت سفينة القذف في تلك الايام مبلغاً عظيماً»[١].

والمغامرات التي قام بها أساطين البحار كثيرة ذكرتها الكتب القديمة والحديثة العربية وغيرها.

جاء في مقال الدكتور جمال زكريا قاسم أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعتي عين شمس والكويت: «كان التجار من جنوب الجزيرة العربية، وبخاصة الحضارم أقدم من وطيء هذه المنطقة، وكان قدومهم للتجارة حيناً وللاستيطان حيناً آخر، إذ كانت طبيعة أرضهم القاحلة تدفعم إلى خوض عباب المحيط الهندي والبحث عن أبواب جديدة للرزق، وعلى الرغم من أنهم كانوا قلَّة من الناس يأتون في فترات محدودة إلاّ أنه بمضي الزمن بدأ إختلاطهم يشتد بالسكان».

«العوامل الجغرافية ساعدت على نشاط الحركة الملاحية، وظلَّ إتصال التجار ينمو ويتَّسع قبل ظهور الاسلام بين الجزيرة العربية ومنطقة الشرق الاقصى، إذ ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة، لأن الرياح الموسمية التي تهب على المحيط الهندي كانت

---

(١) المقتطف ج ٥ الجلد ٨٠ في ١٩٥٠/١٢/٢٥ مقتبس من كتاب لضابط بحري فرنسي.

تمكّن السفن الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود، ففي الربيع تدفعها في اتجاه الشمال الشرقي، فتخرج من خليج عمان وساحل حضرموت إلى المحيط الهندي. وفي فصل الخريف تدفعها في إتجاه معاكس يمكن السفن من العودة إلى قواعدها في شبه الجزيرة العربية، وفي خلال دورتي الرياح هذه كان يتمّ التعامل التجاري.

وقد عرف العرب الأيام التي تهبُّ فيها تلك الرياح وحَدَّدوا بها الأوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي، ونظراً لطبيعة الاتصال الموسمي بين العرب ومنطقة الشرق الأقصى، فقد حرص الكثير على الاستقرار مؤقتاً في مراكز تجارية وبناء مستودعات لحفظ تجارتهم انتظاراً لدورة الرياح، كما عمد الكثير منهم في مرحلة تالية من بعد ظهور الاسلام إلى الاقامة الدائمة والتعايش والتزاوج مع السكان المحلين»[1]

وذكر أنه: لم يؤثر التمزق السياسي الذي تعرض له العالم الاسلامي بعد سقوط الدولة العباسية على أيدي المغول عام ١٢٥٨م على نشاط المسلمين، إذ استمر التجار المسلمون يتحكمون في الوساطة التجارية بين أوربا والشرق الاقصى»[2].

جاء في كتاب «مركوبولو» ما خلاصته: أن هناك شواهد قوية تحمل على الاعتقاد بأنه كان فيما مضى يتجر الصليبيون (بالتبادل مع العرب) لم تكن في الهند فقط بل حتى الخليج الفارسي، وهذا الرأي يؤكده الدكتور «روبرتسون» الذي درس الموضوع.[3]

ويقول ان السفن التي تستخدم بين سيراف وكانتون لم تكن إلاّ عربية، وإن كانت تسمىً سفناً صينية، كما نسمي نحن السفن التي تسافر الى الصين سفناً صينية.

ثم قال: ونجد ما يؤيد هذه الحقيقة من جانب الصينيين أنفسهم فيما يروي ده جني ص٣١٦[4].

---

(١) مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٨ في محرم ٣٩١هـ/ مارس ١٩٧٩م ص١٢٦.

(٢) ص١٢٨.

(٣) أنظر ص٩٥ HIST. DISQVISITIONS ETC.

(٤) عن كتاب «رحلات مركو بولو» مترجم الى الانكليزية ونشره وليم مارسدن وترجمه الى العربية عبد العزيز توفيق جاويد، ومقدمة الكتاب بقلم جون ميسفيلد في ديسمبر ١٩٠٧م تحت عنوان «التعريف بطبعات الكتاب في مارس ١٩٤٥م الذي رمز إلى اسمه أ - جـ - هـ.

. . . .

ذكر المستشرق الهولندي فن دن بيرخ (ص١٤٧) أن التجارة والملاحة من وسائل المعيشة عند العرب، وقلمّا يكون العرب ملاّحين ولكنهم ربابنة أو ما يشبه ذلك، ويندر جداً أن نجد رباناً عربياً يقود سفناً غير عربية.

وقال (ص١٤٩): الملاحة العربية تكاد تنهار، وكذلك التجارة في الأرخبيل، غير أن هناك سفنا عربية بحارية عربية من سنقافورا تسافر الى الجزائر والصين وجدة تعمل لنقل الحجاج، وتوجد مراكب عربية تزور البحر الاحمر والخليج الفارسي (أي من إندونيسيا).

وهذا المستشرق يكتب عن مشاهداته في عصره التي جمعها في كتابه عن المستوطنات العربية في الهند الشرقية.

«في عام ١٢٥٠م ألّف الصيني چَو جوكوا CHAU JO KUA كتاباً ذكر فيه التجارات بين الصين والعرب فقال: بعد وفاة الرسول ﷺ عام ٦٣٢ كان كثير من تجار العرب يسافرون الى الصين في كانتون، وفي القرن التاسع الميلادي كان العرب يتجرون في قدح، كما أن فيها ايضاً تجار مسلمون من فارس والهند، وهذا يدل على ان الاسلام كان هناك»[١]

وفي كوالا بيرانغ KUALA BERANG في ترنقانو عُثر على حجرة عليها كتابات بالحروف العربية فيها دعوة إلى الإسلام وبيان الأحكام المهمة، مؤرخة في يوم الجمعة رجب ٧٠٢ هـ ولكن الحجرة مكسورة فلم تكمل كتابة تاريخ السنة، فيحتمل انه عام ٧٢٠ هـ أو ٧٢٨ هـ أو ٧١٢ هـ أو غيرها (وعام ٧٠٢ هـ يعادل عام ١٣٠٣ م).

«وهذا يدل على ان الاسلام قد جاء الى بلاد الملايو قبل قرن من العام الذي ذكره المصدر الصيني (ص٥٨ - ٥٩).

كانت السفن العربية تمخر المحيط الى الشرق مشحونة بالمتاجر من البصرة ومسقط وسيراف والبحرين وغيرها في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وكانت السفن من الشرق تصل إلى تلك الموانيء بمتاجرها.

---

(١) سجره عالم ملايو ص٥٧ - ٥٨ SEJARAH ALAM MELAYU.

جاء في الكتاب المسمّى «بربيلوس البحر الأريتري»[1] أن العرب الجنوبيين كانوا ربابنة، وتبدأ الطرق التجارية من الخليج العربي، من سيراف الى «كولم ملي» في ملابر الجنوبية، وسيلان، والبنغال وخليجها الذي كان يسمَّى عند العرب «بحر هركند»، وكله في ملايا، وجزيرة تيومن (جنوب غربي ملايا)، وسيكون، وجزيرة هينان (أبواب الصين) وخانفو (كانتون) وقد تصل إلى كوريا واليابان.

وهناك خط يتجه الى الجنوب بعد ملايا إلى سومترا وجاوا وغيرها من مجموعة جزائر جنوب شرقي آسيا.

وكان للدعاة الناشرين للاسلام في الشرق سفن يملكونها، وهذا مما سهل لهم الرحلات والتجارة - إن كانوا تجاراً - والدعوة. منهم السيد إسحاق بن إبراهيم بن الحسين جمال الدين، فانه كان يجوب بحار الشرق بسفينته للدعوة.

وكان السيد أبو بكر وإخوته لهم سفن، طافوا بها إلى الشرق حتى وصلوا إلى جزائر الاقيانوس الّتي سميت أخيراً «فلبين» وأقاموا بها وتركوا بها آثاراً وذريَّة.

وكان السيد عبد الرحمن بن حسين القدري مؤسس سلطنة «ڤونتيانق» له سفن كثيرة مختلفة الاحجام صنعها وبها استطاع أن يؤسس سلطنته.

وقد أشار الاستاذ عبد المنعم في كتابه «تاريخ الاسلام في الهند» ص٦٦ الى أن السفن العربية التي تبحر من سواحل البحر الاحمر ومن السواحل الجنوبية فتتجه إلى مصب السند أو ساحل مليبار...».

«كما كانت السفن المبحرة من الخليج الفارسي (العربي) تتخذ نفس الطريق وبمساعدة الرياح تصل إلى جزائر الملايو وساحل الصين».

(١) PERIPLUS MARI ERYTHRAEI دليل الإبحار في المحيط الهندي. ومؤلفه مجهول. جاء فيه ذكر التجارة البحرية بين مصر وبعض الهند والموانيء والمتاجر، في نطاق محدود، فقد تحصل على معلومات من السنة الناس ولم يطلع عليها شخصياً.

ريادات العرب

وقال في كتاب «حضارة العرب» تحت عنوان «ريادات العرب الجغرافية» ص٥٦٢ - ٥٦٩ «كان العرب من السياح المقاديم على الدوام فلم يخشوا المساوف (جمع مسافة) والمراحل، واليوم كذلك نراهم يأتون مكة من أقصى البقاع ويجوبون بقوافلهم داخل أفريقية كأمر بسيط، فيصادفهم فيها الأوروبيون الذين لا يصلون اليها إلاّ بشق الأنفس».

«كان للعرب منذ السنوات الاولى من قيام دولتهم علائق تجارية بما كان الاوربيون يشكون في وجوده من البلدان كالصين وبعض البقاع الروسية ومجاهل أفريقية... الخ».

«كانت طليعة رواد العرب مؤلفة من تجار يسيحون للتجارة، وعلى ما كان يعوز هؤلاء من الاستعداد الضروري للتأمل العلمي لم تخل رحلاتهم التجارية من طرائف مفيدة في بعض الاحيان».

«حقاً لم يخرج سياحات العرب القديمة التي انتهى الينا خبرها عن ذلك المعنى، ومنها سياحة التاجر سليمان لبلاد الصين في القرن التاسع من الميلاد، فقد أبحر سليمان من مرفأ سيراف الواقع على الخليج الفارسي (العربي) حيث كانت تكثر المراكب الصينية، وجاوز المحيط الهندي وبلغ شواطىء الصين، فكتب رحلته سنة ٨٥١ م/٢٣٧ هـ ثم أكمل أحد

سليمان البصري السيرافي

له كتاب أخبار الصين والهند، والعلاقات، وسلسلة التواريخ وغيرها ذكر فيها المدن والاخبار وأقطار الشرق وما فيها وأوصافها.

وقد درس المستشرقون رحلته وكتبوا عنها منهم رينو RENAOLT وسوفاجيه SAUVAGET وفيراند FERRAND وغيرهم وسيأتي ذكره وأبو زيد الحسن مصحح خريطة بطليموس عام ٣٠٤ هـ/٩١٦ م.

أبناء وطنه أبو زيد تلك الرحلة في سنة ۸۸۰ م ۲٦۷ هـ فأضاف إليها معارف أخذها عن عرب زاروا بلاد الصين.

وكتاب سليمان الذي نقل الى اللغة الفرنسية في أوائل القرن الاخير هو أول مؤلف نشر في بلاد الغرب عن بلاد الصين.

واذا كان سليمان باحثاً عاديا فغير ذلك شأن المسعودي الشهير الذي ولد ببغداد في أواخر القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري) فقد قضى المسعودي خمساً وعشرين سنة من حياته في الطواف في مملكة الخلفاء الواسعة وفي الممالك المجاورة كبلاد الهند، فقيَّد ما شاهده في تآليفه المهمة التي تعدُّ كتاب «مروج الذهب» أشهرها.

قال المؤرخ العربي العلامة ابن خلدون الذي ذكرناه غير مرَّة والذي ظهر بعد المسعودي بأربعمائة سنة ما يأتي: «فأما ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده، وتبين به أخباره، وقد كان الناس يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتابه «مروج الذهب» شرح فيه أحوال الامم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة (٩٤١ م) غرباً وشرقاً، وذكر نحلهم وعوائدهم، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول، وفرق شعوب العرب والعجم فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه، وأصلاً يعوّلون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه».

ثم بدأ ابن حوقل[١] الذي ولد كالمسعودي في بغداد برحلاته بعد أن

---

(١) إبن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (٢٠٨ - ٢٦٧ هـ/٩٢٠ - ٩٧٧ م) بدأ رحلته عام ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) في اكثر من ربع قرن، له كتاب صورة الارض، وعمل خرائط عام ٣٧٠ هـ (٩٨١ م) زار الهند والعالم الاسلامي من الشرق الى الغرب والاندلس وايطاليا. جاء ذكره في دائرة المعارف للبستاني ٣/٤٧٩.

تمت رحلات المسعودي، فاسمع ما قاله ابن حوقل في كتابه: «قد عملت كتابي هذا بصفة أشكال الارض ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة إليها، وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الاقليم، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن والبقاع، وما في اضعافها من المدن والاصقاع، وما لها من القوانين والارتفاع، وما فيها من الانهار والبحار، وما يحتاج الى معرفته من جوامل ما يشتمل عليه ذلك الاقليم من وجوه الاموال والجبايات والاعشار والخراجات والمسافات في الطرقات، وما فيه من المجالب والتجارات، إذ ذاك علم ينفرد به الملوك والساسة وأهل المروات والسادة من جميع الطبقات».

ورافق البيروني السلطان محمود الغزنوي في حملته التي جرَّدها على بلاد الهند في سنة ١٠٠٠م (٣٩١هـ) فنشر ما شاهده في بلاد السند وشمال الهند. وحاول البيروني[١] أن يصحح خريطة تلك البلاد مستنداً الى حسابه الفلكي.

ويمكن أن نعد من السياح أبا الحسن الذي عاش في القرن الثالث عشر من الميلاد (القرن السابع الهجري) فذكرناه بين علماء الفلك، فقد اجتاب بالحقيقة شمال أفريقية الممتدة من مراكش إلى مصر، فعين فلكياً مواضع واحد وأربعين مركزا مهماً قاصداً بذلك تصحيح خريطة بطليموس عن دوائر إفريقية.

---

(١) البيروني محمد بن أحمد أبو الريحان الخوارزمي، ولد عام ٣٦٢هـ (٩٧٣م) رحل مع السلطان محمود الغزنوي إلى الهند عام ٣٩١هـ (١٠٠٠م) جمع معلومات أربعين سنة، له مؤلفات تربو على المئة، منها «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وقد ترجم عدد من كتبه إلى لغات أوربا.

والحق أن التجار العرب لذلك العهد كلهم سياحون، وإن لم يتركوا مؤلفات، وإذا كان الذين كانوا في كرومندل[١] ثمانمائة وخمسين ألفاً، والذين في سواحل مليبار[٢] أكثر منهم، والذين بلغوا الصين أعشار الألوف، حتى جعلت لهم حكومته أقساماً خاصة في مدنها، فلا حاجة للبحث عما قاله السياح الافراد، لأن هذه سياحة مئات الالوف، ولا غرابة إذا قلَّ من كتب عنهم عن بلاد الصين وإندونيسيا فانَّ الأمر عندهم لذلك كالعبث، ومن باب «السماء فوقنا والارض تحتنا».

ومن السياح الذين لم يذكرهم غوستاف لوبون ابن بحر السيرافي، ذكره القزويني. وموسى بن المبارك السيرافي. وذكر ابن الوردي عيسى بن المبارك السيرافي، ولعله المتقدم.

---

(١) كرومندل، قال الدكتور أحمد زكي باشا: واذكر لك بلاد المندل (التي يسمَّى باسمها عود الطيب العطر) فانها سميت باسم ملكها مندل، وهي المعروفة اليوم عند الافرنج باسم كرومندل تحريفاً عن لفظ مركب ترجمته امبراطورية شورا (كورا) وهي المعروفة عند جغرافيي العرب باسم المعبر (الاهرام ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣ م).

(٢) مليبار أو ملابر منطقة تقع في غربي الهند الجنوبية وتعرف الآن بـ (كيرالا).

ونقلوا عن الجواليقي ومحمد بن زكريا الرازي أخباراً عن هذه الجزائر، وسنذكر عدداً غير هؤلاء إن شاء الله[1].

السياح والرحالون

(١) وهنا نبادر إلى ذكر السياح والرحالين، إذ كانت الاسفار العربية والفارسية منذ زمن بعيد، وقد ركب الرحالون البحار وضربوا في أكناف الأرض حتى وصلوا إلى أقاصي المعمورة إمَّا للتجارة غالباً وإمَّا في سبيل اكتشافات ودراسات الأوضاع ونشر العلم والدين وما إلى ذلك، وما كتبه البعض منهم تركوا صوراً مما شاهدوه أو سمعوه فوصفوا الاقطار وصفاً يدل على اطلاع واسع لسائحين روَّاد.

في القرن الرابع الهجري إنبعثت في المسلمين روح المغامرة للاطلاع والدراسة، تحرك الكثير للرحلات الواسعة، واختص بعضهم بوصف مناطق محدودة كأفريقية أو المغرب أو أفريقيا الجنوبية كالجغرافي الشهير حواشير بن يوسف بن صلاح الاركي حوالي عام ٤٠٠ هـ.

ونذكر هنا بعض أسماء الرحالين الذين كتبوا عن الاقطار مما لم يتقدم ذكرهم.

١ - إبن الفقيه أبو بكر الهمذاني ٢٩٠ هـ (٩٠٢م) له كتاب «مختصر كتاب البلدان» ذكر فيه الجزائر الشرقية، كما ذكر «الرمني».

٢ - ابن جبير محمد بن أحمد بن حسين الكتاني الاندلسي ٥٤٠ - ٦١٤ هـ (١١٤٥ - ١٢١٧ م) ولد في بلنسية وتنقل في البلدان واستوطن القاهرة والاسكندرية، وكتاب رحلته مطبوع حققه «وليم رايت» ليدن ١٩٠٧ م.

٣ - ابن وهب، سافر عام ٢٥٧ هـ (٨٧٠ م) حتى وصل الى الصين، الى حمدان، وسيانغفو الحديثة أيام ثورة الزنج، ذكره أبو زيد حسن السيرافي، نشر كتابه المستشرق فيراند FERRAND عام ١٩٢٢ م.

٤ - أحمد بن ماجد بن أبي الركائب من بلدة جلفار ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) ورد اسم جلفار في خريطة الشريف الادريسي، وتعرف الآن بـ «رأس الخيمة» له كتب منها «الفوائد في أصول البحر والقواعد».

٥ - إبن رستة أبو علي، توفي عام ٢٩١ هـ (٩٠٣م) له كتاب أو موسوعة «الاعلاق النفيسة» يقال أنه لم يبق من هذا الكتاب سوى الجزء السابع، ذكر فيه اليمن ومصر والقسطنطينية والهند والمجر والصقالبة. نشأ في أصفهان.

٦ - أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، مولى الخليفة المقتدر العباسي ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ (٩٠٨ - ٩٣٢ م) كلفته الخلافة أن يرحل رسمياً على رأس وفد الى ملك بلغار (الصقالبة) عام ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) يحمل رسالة وهدايا وأدوية طلبها ملك «بلغار» المسلم «المش بلطوار» والصقالبة سكان الشمال في أوروبا على نهر الفولقا.

توجهت البعثة ومهمتها الدعوة وتعريف أحكام الاسلام وبناء مسجد وحصن ومنبر. وحوله ملوك أعداء له. ووصل الوفد في محرم ٣١٠ هـ ويتألف من أحمد بن فضلان رئيساً، وحاجب الخليفة المكتفي، وبارس الصقلاني، وتكين التركي، ومعهم عدد من الاتباع والحاشية، ومرّوا على الجبال وهمذان والري وبخارى. فكتب ما شاهده بدقة وملاحظة. وقد نشرت رسالته هذه أول مرة بعناية المستشرق الالماني «فرهنك» في لينين غراد عام ١٨٢٣ م ومعها مقتطفات أخرى مما كتبه المسلمون عن الروس، وغيره من المستشرقين. وقد كتب الدكتور سامي الدهان من جامعة دمشق عام ١٩٥٩ م تحقيقاً ضافياً عن ابن فضلان. وأُلحقت ببعثة ابن فضلان بعثة ثانوية تتكوّن من الفقيه والمعلم والغلمان[١].

وفي «المناهل» مقال بقلم الاستاذ عبد السلام البقالي عن مغامرات ابن فضلان في اسكندنافيا منذ ألف عام[٢] ذكر فيه أنه اطلع على كتاب تأليف «مايكل كريتشن MICHAIL CRITCHON» عنوانــــه «أكلــــه الموت EATERS OF THE DEAD» جاء فيه أن قبائل الفايكينغ الاسكندنافيين اختطفوا العالم العربي إبن فضلان وأخذوه إلى بلادهم، وأنه انضم الى مختطفيه في قتالهم ضد المخلوقات

---

(١) مجلة «الرسالة الإسلامية» التي يصدرها ديوان الاوقاف العدد ٧٨ - ٧٩ السنة السابقة، في رمضان ١٣٩٤ بقلم فاخر عبد الرزاق المناع ص ٣٢.

(٢) المناهل، العدد ٢٥ السنة ٩ فى صفر ١٤٠٣ (ديسمبر ١٩٨٢) ص ٢٣٧ وما بعدها.

المرعبة. ولما عاد إلى بغداد كتب تجاربه للخليفة، وبقيت مخطوطة. الأصل اختفى وبقيت قطع في مصادر أخرى متأخرة، منها «معجم البلدان» لياقوت الحموي. وقطعة من المخطوط في روسيا بالالمانية، ومخطوط آخر في «كوبنهاغن»، وتوجد ترجمات بالانكليزية والفرنسية والسويدية. ثم عثر على مخطوطين في إستانبول، ثم على أخرى في أماكن أخرى وترجماتها.

٧ - الشريف الادريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ٤٩٤ - ٥٦٠ هـ (١١٠٠ - ١١٦٥ م) ولد بسبته بالمغرب، جاء ذكره في كتب كثيرة. وفي «المناهل» العدد ٢٢ ص ٥٤ عدد خاص بالحركة الفكرية في سبته، ومما جاء فيه: أنه من بيت شرف ورئاسة أتيح له ما لم يُتَح لغيره من اتصال معاشرة بأوروبا بواسطة «روجار الثاني» النورماندي ملك صقلية المسلمة فأسهم أيَّ إسهام في تقدم علم الجغرافية وفن رسم الخارطات وفي علم الطب والصيدلة، متجاوزاً بذلك تأثيره فطاف العالم الاسلامي من حيث أن اسمه لمع في سماء أوروبا النصرانية، وكان من أساتذتها وروّاد العلوم بها.

ألّف لملك صقلية الكتاب الروجاردي المعروف بـ «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وكتاب «روض الانس ونزهة النفس» وكلاهما في الجغرافيا ووصف البلدان. وألّف كتاب «الجامع لاشتات النبات» الذي أفاد منه عالم النبات الشهير ابن بيطار، وتُرجم بعض أعمال الادريسي إلى اللغات الأوروبية، ولسبب ذلك عُدَّ من روّاد العلم في العالم. وهو من سلالة الحموديين الذين أعطوا لسبتة طابعها الخاص، إنه حفيد الخليفة الاخير إدريس بن يحيى بن علي (ص١٢٦) فهو أستاذ أوروبا في الجغرافيا، طاف مصر وآسيا الصغرى وإستانبول وفرانسا وإنكلترا قبل أن يستدعيه ملك صقلية، وهو أول من اكتشف أن النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء.

٨ - الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم، توفي عام ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) له كتاب «مسالك الممالك» وكتاب «الأقاليم» كتب بين عامي ٣١٨ و٣٢١ هـ.

٩ - بزرك بن شهريار الرامهرمزي، له كتاب «عجائب الهند بره وبحره وجزره» عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥م) جمع أخبار الهند والشرق الأقصى الى الصين واليابان. توجد نسخة من كتابه في دار الكتب بالقاهرة. وترجم إلى الانكليزية.

١٠- ياقوت الحموي بن عبد الله الرومي ٥٧٤ - ٦٢٦هـ (١١٧٨ - ١٢٢٨م) له «معجم البلدان» طبع في ليبزيك عام ١٨٦٦م بتحقيق المستشرق الالماني WUSTENFELD ثم طبع عدة طبعات. أخذ الحموي في تأليف كتابه عشر سنوات، ذكر فيه بلاد الصين وجاوا والهند وزار الشام وخراسان ومرو وخوارزم وغيرها، وقال إن هذه الممالك شاسعة ما رأينا من مضى فأوغل فيها، وانما يقصد الناس أطرافها، وهي بلاد تعرف بالجاوا على ساحل البحر شبيهة ببلاد الهند. ومن مؤلفاته «إرشاد الأريب إلى معرفة الاديب (معجم البلدان)» طبع بالقاهرة بعناية المستشرق مرجليوث، ثم طبع مرات. و «المشترك وضعاً والمختلف صقعا» وغيرذلك، توفي بحلب.

١١ - سليمان بن أحمد بن سليمان المهري المتوفى عام ٩٦٢هـ له مؤلفات خمسة نشرها المستشرق جبريال فيراند، منها «العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية» ألّفه عام ٩١٧ هـ (١٥١٠م) و«المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر» ذكر فيه المواصلات البحرية والجزائر من البحر الاحمر والمحيط الهندي إلى الشرق الاقصى والصين.

١٢ - الطرطوشي إبراهيم بن يعقوب، في القرن الرابع الهجري، وصل الى المانيا واجتمع بالملك «أوتو» وزار بلغاريا وبولندا وبعض المدن الساحلية في هولندا وفرانسا.

١٣ - قدامة بن جعفر البغدادي، من أسرة مسيحية تسكن البصرة، أسلم قدامة على يد الخليفة، له كتاب الخراج، توفي عام٣١٠هـ (١٩٢٢) طبع عام ١٨٨٩م.

١٤ - المقدسي البشاري، ولد في بيت المقدس عام ٣٣٥ هـ (٩٤٧م) له «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» عام ٣٧٥ هـ (٩٨٥م) له رحلات واسعة.

١٥ - ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الخراساني الفارسي الجغرافي المؤرخ الاديب حوالي ٢٣٢ - ٣٠٠هـ (٨٤٦ - ٩١٢م) له كتاب «المسالك والممالك»

ذكر فيه الزبج والرامني وسلاهط وكله. وعلق على هذا الكتاب المستشرق الهولندي M.J. DE GOEJE[1]. دي خوي. وله كتاب في الحساب والموسيقى والطعام والطبخ وعير ذلك.

١٦ - أبو دلف بن مهلهل، من أقدم رحالة العرب، زار الهند وكشمير والافغان، له «عجائب البلدان».

١٧ - الشبان المغرورون الذين توغلوا في المحيط الاطلسي. ذكرهم الشريف الادريسي في كتابه «نزهة المشتاق» وكتب عنهم عدد من البحاثين منهم محمد عبد الله عنان في مجلة الهلال العدد ٩ في أول يوليو ١٩٣٥ وغيره من المؤرخين، ويظن انهم وصلوا الى امريكا.

ومن المغرب عدد، منهم محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي عام ١٧٧٩ م وقوام السبتي لقيه ابن بطوطة في الصين. ومحمد بن يوسف الورّاق المتوفى عام ٣٦٣ هـ (٩٥٣م) له كتاب «المسالك والممالك» (مفقود). وأحمد بن محمد العذري ٣٩٣ - ٤٧٨ هـ له «نظام المرجان في المسالك والممالك». وابن سعيد أبو الحسن نور الدين الغرناطي ٤٨٩ هـ (١٠٩٥م) وغيرهم وغيرهم.

وكانت الرحلات العلمية واسعة لتتبع الكلمات العربية والاصطلاحات وأسماء المواد الطبية والنباتات والزهور والبحث عن وسائل العلاج والعقاقير وما يتصل بها.

وناهيك برجل يرحل من بغداد في ذلك العصر الى الاندلس ليدرس ما يتعلق بالزراعة، وليعلم الفرق في الاصطلاح بين النرجس والبهار حسب العرف في البلدين، فعرف أن ما يسمى في المشرق نرجسا يُسمَّى بهاراً في المغرب وبالعكس[2].

---

(١) دائرة معارف البستاني ٢/٤٨٩.

(٢) الشريشي أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي. شرح مقامات الحريري. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٩ ص ٣٤.

. . . .

معرفة العرب بالرحلات

من مقال للأستاذ محمد عبد الله عنان في مجلة الهلال العدد التاسع أول يوليو ١٩٣٥م:
« ... والواقع ان الرحَّل والبحارة المسلمين قاموا خلال العصور الوسطى بكثير من الاكتشافات الجغرافية الهامة التي ضاعت معالمها وآثارها فيما بعد، ثم نسبت إلى العصر الحديث لبعض المكتشفين الغربيين، فقد عرف المسلمون أمم الشرق الأقصى واكتشفوا شواطىء الصين وبحارها الجنوبية وجزائر الهند الشرقية منذ القرن العاشر الميلادي قبل أن يعرفها العالم الغربي بأكثر من قرنين، ولم يصل أول مكتشف أوروبي وهو «مركوبولو» البندقي إلى الصين إلاّ في أواخر القرن الثالث عشر.

واكتشف المسلمون مياه أفريقيا الشرقية وعرفوا جزيرة مدغسكر قبل أن يعرفها الغرب بقرون. واستطاع ابن بطوطة الرحالة الطنجي الأشهر أن يصل في طوافه إلى بلادالنيجر وأن يكشف منها مناطق لم يعرفها الغرب إلاّ في أواخر القرن الماضي، ومع ذلك فان كثيراً من هذه الاكتشافات الباهرة التي وفق إليها الرحَّل والبحارة المسلمون خلال العصور الوسطى تنسب في عصرنا إلى بعض الرحَّل والمكتشفين الغربيين».

ثم ذكر عن الشريف الادريسي قصة الفتيان الثمانية من الاندلس ومغامرتهم في المحيط الاطلسي، ويحتمل أنهم وصلوا إلى أمريكا الجنوبية.

وفي جريدة العلَم المغربية ص ٣ في ٧ أوقست ١٩٦٩م تحت عنوان «كيف وصل الاسلام إلى أمريكا» جاء ما يلي:

«وجدت إمارات تدلّ على أن بعض الحضارات القديمة الأمريكية السابقة على رحلة «كولومبوس» كانت على صلات قديمة مع العرب، كما كتب الجغرافيون العرب في رحلات بحرية عبر بحر الظلمات وهو المحيط الأطلسي، ووصل بعضهم إلى بعض البلاد المعروفة الآن على شواطىء امريكا».

ثم قالت: ففي القرن السادس عشر نسمع من مصري إسمه ناصر الدين كان يعيش بمدينة «نيويورك» وفي القرن السابع نسمع عن شخصية تسمَّى محمد بن غانم الذي كان ماهراً في المدفعية ويعتقد أنه من أصل مغربي. ثم نسمع عن عائلة تسمَّى «عائلة وهاب» ولهم قرية

تبعد ٣٠ ميلاً عن ساحل كارولينا الشمالية تسمَّى «قرية وهاب». قد ثبت أن أصل هذه الأسرة عربي إسلامي، وكان مؤسسها قد حضر في منتصف القرن السادس عشر لنشر الدين بأمريكا.

وقالت: وتقرأ في بعض السجلات أن بين شحنات الرقيق التي جلبت عام ١٧٣٣م عدد من العرب الذين أبوا إلاّ أن يتمسكوا بدينهم رغم القسوة ووسائل الإكراه والعنف، فجلب موقفهم العطف عليهم من جانب البعض فحرروهم وساعدوا على إعادتهم إلى أوطانهم.

وفي القرن الثامن عشر وافق مجلس النواب في كارولينا على أن يحاكم المسلمون من رعايا المغرب كسائر المواطنين الأوروبيين وذلك في عام ١٧٩٠م. وفي بداية القرن التاسع عشر يوجد رقيق عربي مسلم يسمَّى عمر بن سعيد في كارولينا عام ١٨٠٧م وكان مثقفاً.

ودلَّت الاحصاءات بين العامين ١٨١٩م - ١٨٦٠م على وجود عدد من الأتراك والمصريين والعرب والمغاربة.

وفي عام ١٨٤٠م حضرت إلى ميناء نيويورك شخصية عربية أحدثت إهتماما تسمَّى أحمد ابن نعمان على ظهر سفينته المسماة «سلطانة» تهدف إلى عقد معاهدات تجارية باسم سلطان زنجبار، فنال ومن معه من البحارة الاكرام من سكان نيويورك طوال شهور إقامتهم...»

وأخيراً توالت الهجرات وتكاثر عدد المسلمين من العرب بنحو ثلاثين ألف نسمة، ثم من الهند وتركيا وإيران وباكستان وإندونيسيا، ونجح الكثير في أعمالهم وبنوا المساجد والمدارس لأبنائهم.

وفي فنزويلا يقدر عدد المسلمين بنحو ٤٥ ألف نسمة، وفي البحر الكريبي نحو ٨٠ ألفاً (في غيانا الهولندية) و ٦٥ ألفاً في غيانا البريطانية، و ٦٠ ألفاً في ترينيداد.

وما زالت الهجرات تتوالى، وفي المهاجرين مثقفون، وجدوا في مهاجرهم ميادين واسعة للأعمال ومعاملات حسنة وحياة هنيئة، وتولى بعضهم مراكز مهمة سياسية أو علمية.

وكان قسم من مراكب التجارة في عهد قوة الاسلام يمر وسط بحر الهند من السِلَت (المضيق) بين سومترا وملايا إلى جزائر نيكوبر وأندامن ومالديف ولاكاديف، ومنها ما ينحرف في سيره إلى مدغسكر، ومراكب أخرى كانت تحمل المتاجر من جنوب أفريقيا إلى غانة وما والاها وتعود إلى مدغسكر.

وبقيت جالية إسلامية في مريس[١] التي كانت معرج بعض المراكب المحتاجة إلى حمل الماء، وفي شرقي عدن سواحل حضرموت وشحر المهرة وظفار وعمان، وإليها كانت ترسي مراكب الهند والشرق الأقصى[٢].

---

(١) لعلها موريشس أو موريتيوس.

(٢) كانت الخطوط التجارية بين الشرقين الاوسط والاقصى تمر على طريقين، الطريق البري الذي يجتاز سمرقند وتركستان إلى الصين وتعرف باسم طريق الحرير العظيمة لأن الحرير كان يجلب من الصين (فيليب حتى. العرب ١٢) والطريق البحري الذي يمتد من الخليج العربي وجنوب بلاد العرب إلى الهند وسيلان وبورما واندونيسيا إلى الصين، يتصل هذا الخط أولاً بشمال سومترا وملاكا ثم يتفرع منه طريق آخر إلى أنحاء سومترا وجاوا.

ذكر مولانا السيد سليمان الندوي في مجلة «ثقافة الهند» العدد ٢ في يونيو ١٩٥٠م أن الطريق من بلاد العرب هو طريق الخليج الفارسي، وأنه ما زال سكان السواحل من الفرس والعرب مشتغلين بتجاراتهم براً وبحراً، فكانوا يردون الثغور الهندية ويمرون بجزرها ويتوجهون مارين ببنغال واسام إلى الصين ثم يعودون من نفس الطريق.

وقال: «إن الطريق بين الهند وأوروبا ما زال ولا يزال ذا أهمية كبيرة وموجباً لانقلابات تاريخية خطيرة، فكان هذا الطريق بيد العرب...».

ثم قال: ولما ظهر الاسلام بعد ستة قرون من الميلاد وعلا نجم العرب أصبحت يدهم العليا، من مصر إلى اسبانيا وامتلكوا البحر المتوسط واستولوا على الجزر الهامة ككريت وقبرص وغيرها، فوقع هذا الطريق العالمي في أيديهم وظلّ تابعاً لهم قروناً عديدة.

وكان يمر بعضها بسيراف وصحارودبا من سواحل عمان على الخليج الفارسي (العربي) وكل شواطئه يحتلها المسلمون العرب وغيرهم، ثم تأتي سواحل السند وللاسلام هناك علم منشور، وبها نشأت زوايا صوفية لنشر

مالديف

تقع جزائر مالديف جنوبي غربي الهند وسيلان، وتبلغ أكثر من ألف جزيرة مساحتها نحو ٣٠٠ كم مربعاً، خصبة كسائر المناطق الاستوائية، عاصمتها مالي MALE وجميع سكانها مسلمون على المذهب الشافعي، فالدعاة الذين جاءوا إلى الهند الجنوبية وصلوا إلى هذه الجزائر وبورما والهند الصينية والملايو والجزائر الشرقية. وبهم انتشر الاسلام، وقد يكون أهالي مالديف تأثروا أيضاً بأخوانهم من الهند الجنوبية وسيلان.

ذكرها ابن بطوطة وسماها «محل ذيب» أو «ذيبة المحل» ويقال ان الاسلام وصل اليها عام ١١٥٣ هـ ولكن الأهالي يعتقدون انه كان في عام ٥٤٨ هـ على يد أبي البركات يوسف التبريزي. وان أول سلطان هو محمد بن عبد الله وبنى بها مسجداً. وتعاقب عليها سلاطين أسرة بعد أسرة، ثم جاء البرتغاليون فدافع المسلمون عن بلادهم باستمرار وأوقات طويلة وبطولات حازوا بها النصر ومقتل الحاكم البرتغالي.

وذكر ابن بطوطة السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن صلاح الدين صالح، كان قد تولى الملك أخوها الاصغر شهاب الدين، وتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه بعد وفاة زوجها.

نالت استقلالها بعد ان كانت محمية بريطانية منذ عام ١٨٨٧م وصارت جمهورية عام ١٩٥٣م ثم جرت حوادث حتى أعلنت سيادتها الكاملة عام ١٩٦٥م. والاسلام دين الدولة، وتمنح المواطنة للمسلمين، ولغير المسلمين الاقامة والعمل الحر.

ورئيسها الحالي خريج الأزهر الشريف، ماجستير في الفلسفة، استاذ جامعي في القانون مأمون عبد القيوم. مكث نحو تسعة عشر عاما بمصر.

الاسلام بها، ومشى السادة العلويون على تلك الخطة حينما انتهضوا لنشر الاسلام بجزائر الشرق الأقصى.

حكاية الأمير العربي

قيل أن مصدراً صينياً ذكر وجود مملكة تدعى «هولينغ» في «چوڤو» وان عليها ملكة تسمى «سومو» قال بعض المستشرقين ان «هولينغ» هي «كالينغا» مملكة أو إمارة صغيرة في جاوا، وان چوڤو هي جاوا، وان سومو هي سيما الملكة.

يقول ذلك المصدر الصيني ان الامن كان مستتباً في هذه المملكة الصغيرة، وأن أميراً عربيّاً بعث رسولا ليختبر الأمن فيها يحمل معه كيسا مملوءاً ذهباً فوضعه في شارع بهذه المدينة، فبقي الكيس مدة طويلة قيل ثلاث سنوات لم يمسه أحد حتى أزاحه عن مكانه ابنها فحكمت عليه.. الخ» الحكاية. وأن ذلك في عام يعادل عام ٦٨٤م (حوالي عام ٦٥هـ)

القول بأن چوڤو هي جاوا، وهولينغ هي كالينغا، وأن سومو هي سيما إحتمال وتقريب، والحكاية أساساً عن الأمير العربي واختبار الأمن لم تؤيدها القرائن، ولم تبلغ حدّ اليقين، وإن كان محتملاً وقوعه، وقد ظن بعض القدماء ان ذلك من الأقاصيص.

لا سيما أن الكتابة الصينية واللغة الصينية كثيراً ما لا تؤدي النطق الصحيح لأسماء الأشخاص أو البلدان، لعدم وجود حروف فيها، فالكتابة الصينية عبارة عن رموز أو مقاطع كلمات وما يشبه ذلك، ومن هنا قد يقع الخطأ في الاسم أو كتابته، وأذكر هنا أمثلة من هذا التحريف في النطق الصيني: سين لين (البحرين) يوهوالو (بخارَى) يونغ مان (عمان) ماكيا (مكة) بي سي لو (بصرة) سوليبَت (سورابايا).

ثم أن في الصين لغات متعددة تتفق في الكتابة وتختلف في النطق، فالتفاهم بينهم بالكتابة فقط. هذا علاوة على ان بعض مؤلفي الكتب الصينية القديمة قد يعتمد على السماع من دون تحقيق في أسماء المدن التي لم يزرها.

لو فرضنا صحة وجود هذا الأمير العربي واختباره للأمن في هذه المملكة الصغيرة. فمن هو هذا الأمير، ومن أين بعث رسوله، وما غرضه من وضع كيس الذهب في الشارع؟

نقل توماس أرنولد في PEREACING OF ISLAM عن خرونفيلد W. P. GROENEVELD في كتابه NOTES ON THE MALAY ARCHIPELAGO AND MALACCA ان ذلك بأمر الدولة الإسلامية. والذي حداه إلى توهّم هذا الاحتمال هو تقارب السنين حسب التقويم الصيني باعتبار أنه يعادل عام ٦٨٤م، وهذا يعادل عام ٦٥هـ فظن أن ذلك بأمر الدولة الاسلامية لاختبار الأمن في هذه المملكة النائية. فتقارب الأعوام هو أساس الاحتمال. وإذا

وكانت كنباية وساحل قزرات مثابة تجار اليمن وحضرموت وعمان وتجار الخليج الفارسي (العربي) وإليها وإلى غيرها كان يسافر تجار عمان والشحر وحضرموت وتجار سبأ قبل الاسلام.

صحَّ أنه كانت في سومترا الغربية مستوطنة عربية في سنة ٦٧٤م حسب المصدر الصيني أيضاً فالأولى إعتبار وقوع ذلك الاختبار من هذه المستوطنة القريبة بدلاً من الوثوب في الاحتمال إلى مسافات بعيدة صعبة الاحتمال.

الأقرب - إذا كانت الحكاية صحيحة - أن الرسول لم يأت موفداً من دولة بعيدة، لعدم وجود مصدر تاريخي حسب علمنا ذكر هذا، والمصادر غالباً تذكر إسم رئيس الوفد قائد الاسطول البحري اذا ابتعث رسمياً. ولكن هذا لم يَرِد.

غير أنه لا يمنع أن يكون ما سمي بالملك أو الأمير أنه كان تاجراً أو سائحاً من الذين يقصدون أقطار الشرق، أو أحد المستوطنين في ذلك الوقت، ولكن بغير قصة وضع كيس الذهب فان ذلك أشبه بأقصوصة.

هذه احتمالات بعيدة، إذ لا نعلم أن دولة إسلامية جهزت أسطولا إلى الشرق في ذلك العهد لاختبار الأمن في إمارة أو مملكة صغيرة بعيدة.

وبناء أول أسطول اسلامي كان في أيام والي الشام معاوية بن أبي سفيان لردّ اعتداءات البيزنطيين على ثغور المسلمين المطلّة على البحر الابيض، اذ كانت السفن البيزنطية تلاحق شواطىء الشام ومصر بغاراتها، فأنشئت السفن الاسلامية وانتصر الاسلام[١].

علّق الدكتور حمكا في «سجره أمة إسلام»[٢] على هذا الموضوع بقوله: «إذا لم يظهر بيان جديد يدحض ما ذكره المصدر الصيني فسوف يبقى هذا المصدر معتبراً» وله أن يقول الآن أيضاً: «انه اذا ظهر بحث يبدّد وهْمَ «خرونفيلد» ومن أخذ عنه فان وَهْمه لا محلَّ له الآن».

إن وجود سفن المسلمين التي تمخر بحار الشرق معلوم، وهي سفن تجارية لا اسطول تبعثه دولة، والسفن الاسلامية في البحر المتوسط حربية، وقد دخلت في معارك تشغلها عن اختبار الأمن في منطقة بعيدة.

---

(١) العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ١٨٤.

(٢) الدكتور حمكا ج ٤ ص ٥٥ SEJARAH UMMAT ISLAM.

من الأوطان الاسلامية

إن المسلمين اليوم يحتلون جميع شواطىء البحر الابيض المتوسط الشرقية وشواطىء البحر الأحمر يميناً وشمالاً، وهذه طريق المواصلات التجارية، فاذا خرجت من باب المندب كان عن يمينك سواحل بلاد

امتداد الاوطان الاسلامية

لقد امتدت الأوطان الاسلامية إمتداداً سلمياً قلَّ نظيره حتى أصبح العالم الاسلامي باسطاً جناحيه من المغرب الأقصى وأفريقيا الغربية إلى أقصى الشرق.

بدأت من شبه الجزيرة العربية، وامتدَّت إلى الغرب والشمال والشرق، وانتشر المسلمون في كل مكان واستوطنوا الاقطار وبقيت سلالاتهم بها حتى اندمجوا مع سكانها المسلمين في السند والهند في مناطقها المتعددة، وباكستان والبنغال التي تعرف الان بـ «بنغلاديش» وكانت تسمَّى باكستان الشرقية، وفي بورما وچمڤا وفيها أقلية إسلامية، وكانت چمڤا مركزا إسلامياً، وفطاني موطن المسلمين الذي استعمرته دولة تايلند، وبشرقها دولة ماليزيا المسلمة ثم إندونيسيا التي يبلغ عدد سكانها الآن ١٤٥ مليون نسمة ٩٠ بالمئة منهم مسلمون، ثم بشمالها جزائر مورو (فلبين) كانت مواطن اسلامية فحاربتها المطامع الاستعمارية مئات السنين حتى انكمش الاسلام في الجنوب، فهو حصن المسلمين، وفي العاصمة «مانيلا» مسلمون ليس بالقليل عددهم.

وبلدان ما وراء النهر والجمهوريات الاسلامية تحت النفوذ السوفياتي مثل أذربيجان وكازاخستان وأزبكستان وتاجيكستان والقرغيز والتركمان فيها ما يقرب من خمسين مليون نسمة.

وحسب الاصطلاح ما يقال له ما وراء النهر أي نهر جيحون والمواقع شرقي هذا النهر، والتي في غربي النهر تقع خراسان وخوارزم[١].

ودولة تركيا الحالية أو العثمانية سابقاً موطن المسلمين، وكان الاسلام قد وصل إلى أجزاء من شمال أوروبا. وفي القريم والفولقا ويوغوسلافيا وألبانيا وغيرها.

---

(١) (معجم البلدان) ٣٧٠ / ٢.

السومال وبقية الشاطىء الاسلامي المسمَّى قديماً بالطراز الاسلامي، ويمتد معك إلى جزائر بلاد الزنج وسواحلها فيمتد معك الشاطىء الافريقي

جاء في تاريخ «آچية دن نوسانتارا»[1] أنه كان موضع قديم كما تذكر الحكايات يسمَّى آوي AWE إستوطنه علماء من العرب، ويعرف هذا الموضع الآن باسم آوي قته AWE GETAH.

أما في بلغاريا فقد كانت الدولة العثمانية مسيطرة على أوروبا الشرقية عدة قرون والأتراك هم الذين حملوا الاسلام إلى تلك البقاع، ثم انحسرت سيطرتهم لتكالب الدول الغربية عليها بعد حروب البلقان. وهاجر كثير من مسلمي بلغاريا بعد الحرب العالمية الثانية إلى تركيا تخلصا من الضغط الشيوعي، وكان عدد المسلمين نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة، ولكن النظام الشيوعي يلزمهم تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية وإلاّ فيحرمون من حقوقهم، وعليهم أن يندمجوا اندماجاً كلياً في أساليب الحياة ومظاهرها، وأن لا يتميزوا بشيء يُميِّزهم عن غيرهم حتى في الشؤون الدينية. وقد تألفت هيئة في تركيا للدفاع عن حقوق المسلمين في بلغاريا.

وفي يوغوسلافيا مسلمون كثير عددهم لهم مساجدهم وعلماؤهم ومدارسهم، ولا يجدون ضغطاً من حكومتها. وفي ألبانيا أكثرية إسلامية تحت حكومة شيوعية. وتوجد أقليات إسلامية في اليونان وفنلندا وغيرها.

---

(١) آچيه دن نوسانتارا للحاج زين الدين بن الحاج ابو بكر ص ٢٤ طبع ميدان ١٩٦١ م. ACEH DAN NUSANTARA.

المسلم من مصر إلى بلاد السودان فالجبرت فالسومال فالزنج. وكان هذا الطراز الاسلامي التجاري مشتملا على طوائف من العرب من ذرية

أقليات إسلامية في بعض مناطق إندونيسيا

يؤلف المسلمون في إندونيسيا الأكثرية حيث تبلغ نسبتهم المئوية إلى ٩٠ بالمئة أو أقل قليلاً جداً. من مجموع السكان حوالي ١٤٥ مليون نسمة.

غير أنهم في بعض المناطق أو الجزائر أقلية، مثلاً جزيرة تيمور الشرقية التي كانت تستعمرها البرتغال نحو ٤٠٠ عام من سنة ١٥٨٦م وقد استعادتها إندونيسيا بالقوة.

يبلغ عدد الكاثوليك فيها ٣٢ بالمئة والبدائيين ٦٥ بالمئة والبقية بروتستانت ومسلمون وبوذا، والذين هم تحت رعاية الكنيسة من الكاثوليك حوالي ٤٠ ألف نسمة. وهؤلاء تتسامح معهم حكومة البرتغال فلا تعارض تقاليدهم التي لا تتفق والمسيحية، ولكن الحكومة كانت تتخذ الشدة تجاه المسلمين، لذلك ترك المسلمون العاصمة (دلي) إلى مكان على الساحل يسمى (ألور) فهم أشبه بمنعزلين هناك.

ولما عادت هذه المستعمرة إلى إندونيسيا اطمأن المسلمون وبدأت الدعوة الاسلامية تشق طريقها بوصول الدعاة والمدرسين من جاوا، فأقيمت بها مدرسة إسلامية، وبني لهم مسجد جميل سُمِي مسجد النور بدلاً من المسجد الخشبي المسقوف بالقش، وأخذ شعار الاسلام في البروز، ولكن العائق الوحيد هو اللغة، فلهم لغة خاصة بهم تسمى «ڤروتو PROTO» ولا يعرفون غيرها لأنهم كانوا منعزلين، فكان الداعي يضطر إلى أن يحادثهم برفيق مترجم وهذا لا يكفي، ولكن أخذ الدعاة الآن يتفهمون لغتهم.

في جزيرة سومبا

في منطقتها الشرقية يبلغ عدد سكانها حوالي ١١,٢٠٠ نسمة، وفي الغربية حوالي ٢٢١,٦٩٠ نسمة. عدد البروتستانت ٣٠ بالمئة، والكاثوليك ٧ بالمئة، والمسلمين ٦ بالمئة والبقية من السكان متمسكة بدين قديم. كان أول داعية فيها هو السيد عبد الرحمن بن أبي بكر القدري الذي نفته حكومة هولندا بدعوى أنه يدعو للثورة ضدها. وتوجد الآن في العاصمة «واينغاڤو WAINGAPO» هيئة للدعوة سميت «نور الاسلام» ولها الآن ٨ فروع و٣ مدارس إبتدائية. بهمة بعض السادة آل الجفري وآل فدعق.

عقيل بن أبي طالب ومن ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ومن ذراري العلويين الحسينيين الحضرميين في بلاد الجبرت فالسومال إلى

في فلورس

في فلورس الشرقية أغلب سكانها من المسيحيين، وعدد المسلمين قليل، ولهم بها مدرستان. وهم في حارتين فقط.

جزيرة بالي

مساحة هذه الجزيرة خمسة آلاف كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٢,٦ مليون نسمة. تعرف هذه الجزيرة الواقعة شرقي جزيرة جاوا بأنها جزيرة هندوكية يقصدها السياح من أنحاء العالم ليتمتعوا بمناظرها الطبيعية وطقسها وسكانها وتقاليدهم المتوارثة وعباداتهم.

هذا هو الشائع عن هذه الجزيرة، والواقع أن فيها مسلمين لهم أحياء أو قرى خاصة بهم. ودخول الاسلام إليها كان من عام ١٦٦٠ م إذ ورد إليها دعاة وغيرهم من مسلمي مكاسر وبوقيس بسفنهم تجاراً، وفي عام ١٦٥٣ م كان قد هاجر إليها مجاهدون من مكاسر بعد حربهم مع هولندا جاءوا إلى هذه الجزيرة بأسلحتهم فاستقبلهم الأهالي وكوّنوا لهم أحياء، ودرَّب القادمون الأهالي على استعمال الأسلحة النارية وعلى وسائل الدفاع عن النفس.

الثقافة الهندوكية ذات نفوذ فيها، والهندوكيون مرتبطون جداً بتقاليدهم المأخوذة من دينهم، وليس بالميسور أن يتخلوا عن عاداتهم التي قد خامرت قلوبهم، لذلك لا يُسلم منهم إلاّ النادر، ولكن للحضارة الحديثة تأثير على نفسيات الشباب المثقف، فصاروا يعرضون عن بعض التقاليد التي لم تعد تستساغ لديهم، بجانب وجود دعاة من المسلمين.

في «كيلي مانوك» GILIMANUK مسلمون لهم مسجدهم، وهم إما أصلاء أو طارؤن من جزائر أخرى إندمج بعضهم في بعض وحّدهم الاسلام، الرجال بقلانسهم السوداء والنساء بخمرهن.

وفي منطقة «جمبرانا» على طول المسافة الموصلة إلى القرى مساجد بين كل مسافة ومسافة بلغ عددها في هذه المنطقة ٣٧ مسجداً غير المصليات، أي المساجد الصغيرة، وفيها عدد كثير من الدعاة والخطباء.

وتفيد الاحصاء الذي أجري عام ١٩٧٩ م أن عدد المسلمين في جمبرانا ٣١,٤٧٨ نسمة، والمسلمون موجودون في معظم المناطق والقرى بين كثير وقليل. وعدد الهنادك ١٤٨,٤٧١ نسمة، معظمهم من الزراع وبعض التجار والعمال، وأما المسلمون فيزاولون التجارة والصناعة والوظائف الحكومية أو الصيد في البحر، لذلك قلّما تجد مسلماً عاطلاً فهم في القرى تجار.

هرر، والولايات التي كانت بهذا الطراز هي ممالك دوارو، وأرابيني، وهديا، وشرحا، وبالي، وداره. وكانت بها مساجد وجوامع، وفي داخلها

وسكان قرية PENGAMBENGAN مسلمون بها مسجدان كبيران، وفي الجُمع والأعياد تفيض المساجد بالمصلين، وهم يأبون أن يسموا «باليين» حتى لا يتهمون بأنهم هنادك، وهم محافظون على عاداتهم واسلاميتهم، ومع ذلك يتعايشون مع الهنادك ويتعاونون، متسامحون جداً.

للمسلمين في جمبرانا ثمانية معاهد تعليمية، أكبرها معهد «شمس الهدى» الذي أسسه وترأسه السيد الداعية علي بافقيه العلوي منذ عام ١٩٣٥م وفيه نحو ثلاثمئة طالب، ومعهد «دار التعليم» فيه نحو ٢٠٠ طالب، ومعهد منبع العلوم فيه نحو ٢٥٠ طالبا، وحياة الاسلام، ورياض الصالحين، ونور التعليم، وتربية الاطفال، وتعليم الصبيان. هذه هي المعاهد التي تضم الطلبة للتعليم والسكنى معاً.

ونجد المدارس الاسلامية في كل قرية اسلامية، وفي هذه القرى لا تسمع الأغاني المستوردة ولا المسارح، ولكن فيها حفلات الحضرة والطرب على العود.

وتفيد الاخبار عن هجرات المسلمين اليها من البوقيس وفيهم دعاة، منهم الحاج شهاب الدين، والحاج ياسين، والشيخ عرب.

ومن «ڤونتيانُقْ» وصل دعاة منهم السيد عبد الرحمن القدري من أسرة السادة العلويين سلاطين ڤونتيانق، والشريف عبد الله بن يحيى القدري، بنى مسجداً في مكان يُسمَّى «أيركونينغ» وما زال موجوداً وقد جُدّد مراراً فهو مسجد تاريخي.

وجاء من شبه جزيرة ملايا عظيم الدعاة عام ١٨٥٠م رجل من السادة العلويين يدعى «شريف تُوا» والشيخ باوزير المتوفَى في «بانيوانغي».

وفي عام ١٢٦٨هـ (١٨٤٨م) أوقف أحد المحسنين، إنچي يعقوب من أهالي ترنقانو أرضاً في «مَرتاساري» باشراف السيد عبد الله بن يحيى القدري، ومعه الخطيب عبد الحميد، وڤنغليمَ داتؤ تاهيل لبناء مسجد. ويظن أن انچي يعقوب من سلالة سلطنة ترنقانو وما زال المسجد قائماً.

وانتشرت الدعوة الاسلامية بسعي الدعاة الطارئين، حتى تكاثر الدعاة والمدارس الاسلامية.

ولما تغلبت هولندا على سلطنة «ڤونتيانق» رحل السيد عبد الرحمن القدري من أقرباء السلطان ومعه مجاهدون في عدد من السفن الشراعية إلى هذه الجزيرة وبنوا مسجداً باشارة السيد عبد الله بن يحيى القدري.

القبائل المسلمة الشديدة الشكيمة، قاله وغما وجبرت ولموانارياً وجما، وجارو، وشيمارو، ووواليا، ودناكل، وسومال.

وجاء دعاة من «سَراواك» في القرن السابع عشر منهم «توانكو لباك» مع أحد العلماء العرب فقاما بنشر الاسلام في عدة مواقع، فالذي من سَراواك من اسرة سلطان بروني، والذي من «ترنقانو» من أسرة آل العيدروس.

عندما هاجمت هولندا هذه الجزيرة لتستعمرها لقيت من أهلها دفاعاً شديداً، وكانت الحملات الهولندية تتوالى في أعوام ١٨٤٦م و ١٨٤٨م و ١٨٤٩م و ١٨٥٥م و ١٩٠٥م ثم عام ١٩٠٨م حيث تمكنت هولندا من استعمارها.

في عام ١٧١٥م أعلن أمير «جمبرانا» قوستي أكنغ أليت تاكونغ GUSTI AGENG ALIT TAKUNG منح المسلمين حريتهم الدينية، فأخذ المسلمون ينشرون الدين، وظهر الدعاة، وأقاموا المساجد في جبرانا وفي سينغاراجا.

ذلك لما حدث قتال بين أمير «قابانَن» وأمير «جمبرانا» كان المسلمون مع الأخير هذا، فتمكنت الصداقة بين أهالي بالي والمسلمين.

وفي عهد الثورة الاستقلالية لأندونيسيا إشتركت بالي، وحدثت معركة في «مارقارانا» واستولت عليها هولندا فألفت لها حكومة ضمن اتحاد ولايات[1] إندونيسيا.

---

(١) عن مجلة «وحيو» التي تصدر في جاكرتا ملخصاً، العدد ١٤ في نوفمبر ١٩٧٩م ومجلة «قبلة» السنة ٢٤ في ٥ - ٢٠ مارس ١٩٨٣م ص ٤١ - ٤٢.
ومن مقال الحاج كي أقوس عدنان بتصرف.

وفيهم «النفادي» ومعناه التاجر ورئيس قوافل التجارة، ثم بربرة

جزائر في أندونيسيا الشرقية

هي جزائر كثيرة متناثرة في القسم الشرقي من إندونيسيا، ففي هذه الجزائر على وجه العموم مسلمون أكثر من مليونين.

وعدد الكاثوليك ٦٨٨٩ نسمة، والبروتستانت ٣٤٨٠ والهنادك ٦٣٥١٠ وعدد المساجد في هذه الجزائر ٢٣٨٠ مسجداً، والمصليات ٢٩٦٢. وفيها ١٧ كنيسة و ٥٩ معبداً.

في جزيرة بورو

تقع هذه الجزيرة في جزائر الملوك. مجموع سكانها نحو ٢٧ ألفاً، وعدد المسلمين فيها نحو ثمانية آلاف، وفيها أجانب نحو ٥٠٠ شخص.

لما حدثت الثورة الشيوعية الفاشلة، وألقي القبض على كل من ينتمي إلى الشيوعية نفوا إلى عدد من الجزائر منها جزيرة بورو. فتوجهت وفود إلى الجزائر التي فيها أسرى الشيوعيين لنشر الدعوة الاسلامية والوعي الاسلامي فيهم، وهناك في بورو أقيمت مدارس باسم مدارس الهلال.

في كاليمانتن

كانت بها قبائل بدائية، فانتشرت فيها المسيحية، وللمسيحية فيها من الوسائل ما لا يوجد لدى غيرها. غير أن أفراداً من المسلمين بذلوا جهداً عظيماً في نشر الاسلام، بدأ ذلك حوالي عام ١٨٠٠ م ولما أسلم بعضهم كان منهم الحاج عبد الغني من قبيلة الداياك فقام بالدعوة الى الاسلام بين قومه، وتوفي عام ١٩٢٦ م في الحج. ثم نشر أشخاص من كاليمانتن الجنوبية إلى أواسط الجزيرة منهم الحاج أرشد كوينْ المتوفى عام ١٩٠٣ م وأعقبه الحاج محمد من قبيلة الداياك وكان قاضياً توفي عام ١٩٣٠,م.

وفي بعض الاوساط تولّى الدعوة تجار من العرب بينهم السيد إبراهيم وتوفي هناك ودفن عام ١٩٠٠ م في منطقة «كاهاين» وأعقبهم أشخاص من كاليمانتن الجنوبية. وتولّى الدعوة في منطقة «سامفيت» ألسيد حامد يعاونه الحاج عبد الغني من «كاڤواس».

وعندما كانت المواجهة العسكرية بين إندونيسيا وماليزيا في عهد الرئيس السابق سوكارنو، وجد الضباط الاندونسيون في تلك المناطق رجلاً من السادة العلويين قد أوقف نفسه للدعوة صابراً في تنقلاته بين القبائل يأكل ما يجد وينام حيث يجد. هكذا أخبرني أولئك الجنود.

وقرى صغيرة على الساحل إلى رأس حافون، فمقدشوه، ومركة، وبراوة،

وقد بعثت الجمعية المحمدية الدعاة وشيدت المدارس الابتدائية في عدة مناطق.

وفي عام ١٩٣٢ م أقيم فرع لجمعية نهضة العلماء، فأقام الفرع مدرسة ثم مدرسة أخرى عام ١٩٣٦، ثم تكاثرت المدارس.

في جزيرة «كليكور» و«نارا» كان نصف السكان مسيحيين، وعدد المسلمين نحو ٢٠ ألفاً، والاسلام ينتشر فيها وفي الجزر الاخرى. أخبرني بهذا بعض حجاج تلك الجزيرة عام ١٣٨٨ هـ.

في جزيرة «منتاواي» الواقعة بغربي سومترا وصلت اليها المسيحية في عام ١٩٠١ م حتى صار عدد المسيحيين ٤٣٣٠، ثم أسلم بعض الأهالي وأخذ الاسلام في الانتشار، وممن أسلم راهب سمّى نفسه إلياس عام ١٩٤٨ م بعد وصول الدعاة اليها. ثم حدثت إضطرابات من عام ١٩٥٥ الى ١٩٦٠ م ففترت الدعوة وترك الدعاة أعمالهم فقلّ عدد المسلمين.

وبلغني أن دعاة وصلوا إليها أخيراً لنشر الدين وبناء المدارس والمساجد.

هذه بعض مناطق في إندونيسيا بها أقليات من المسلمين، ويظهر أن بين الاسلام والمسيحية تنافس سلمي في الانتشار، المسيحيون بقواهم المادية واتساع أعمالهم والمسلمون بنشاطهم وتضامنهم.

وكيلوه، ثم كينيا وأوغندا. وفي سواحلها ممباسة ولامو، وفي الشمال

أرخبيل الملايو MALAY ARCHIPELAGO

يراد بأرخبيل الملايو كل الاقطار الواقعة في جنوب شرقي آسيا، من فطاني وليقور (وهذان تحت سلطة تايلند الآن) وشبه جزيرة ملايا وسَراواك وصباح (وتسمى الآن ماليزيا) وبروني، ومجموعة جزائر إندونيسيا، ومجموعة جزائر تسمى الآن فلبين.

أطلق قدماء الهنادك على هذه الجزائر «جاوادويڤا JAWADWIPA ومن هذا الاطلاق بقي إسم جاوا على إطلاقه لعموم هذه المناطق، ثم صار الاسم الآن خاصا بجزيرة جاوا. وكانوا يطلقون إسم «سوارنا ويڤا» على سومترا SWARNAWIPA، وعلى بورنيو وأرنونادويڤا.

وقد تغيَّرت الاسماء اليوم، فسميت الجزائر التي كانت تحت الاستعمار الهولندي إندونيسيا، وما كان تحت الاستعمار أو الحماية البريطانية ماليزيا.

قال الدكتور محمد تقي الدين مستشار الشؤون الاسلامية بماليزيا[1]: إن ماليزيا بمعناها الحالي خاص بهذه الدولة التي قامت عام ١٩٦٣م وانتشار الاسلام في ماليزيا وإندونيسيا والفلبين كان في فترة زمنية متصلة وبأسلوب وجهود مشتركة، ودخول الاسلام إلى ماليزيا يعتبر في نفس الوقت وكأنه حديث عن إندونيسيا والفلبين بالنسبة للمراحل الاولى لدخول الاسلام».

«وصل الاسلام في أرخبيل الملايو على أيدي التجار العرب بعد فترة وجيزة من ظهوره في الجزيرة العربية، مع أن تحديد تاريخ ظهور الاسم ودخوله إلى الارخبيل لا يزال غير متفق عليه بين الباحثين، إلاّ أن المصادر الموثوق بها تؤكد قيام صلات وثيقة بين العرب وهذه المنطقة من القرن الثاني الميلادي، أي قبل ظهور الاسلام حيث كانت السيطرة على البحار من الخليج حتى الصين في أيدي العرب».

---

(١) مجلة الدعوة الإسلامية التي تصدر بالرياض العدد ٧٥٤ في ٣ شعبان ١٤٠٠هـ.

جزائر زنجبار وبمبه، والجزيرة الخضراء كان بها والٍ من آل محمد بن

ماليزيا

دولة إسلامية، ألاسلام دينها الرسمي، والمصطلح الشائع عند الشعب أن الملايو هو الاسلام، فاذا أسلم أحد قيل أنه دخل الملايو، والاسلام فيها ثابت.

بدأت حركة إستقلالها في ١٩٥٧/٨/٣١ في إتحاد مكوَّن من سلطنات، لكل سلطنة صلاحيات محدودة، والسلطان هو حامي الاسلام في سلطنته، والمذهب الرسمي هو المذهب الشافعي. المعمول به لدى شعوب إندونيسيا وفلبين وبروني وفطاني

يتولّى كل سلطان الملك على إتحاد ماليزيا بالتناوب لمدة خمس سنوات. وملاكا وڤينانغ اللتان كانتا تحت الاستعمار البريطاني مباشرةً هما الآن تابعتان لدولة إتحاد ماليزيا مباشرةً، والسلطة العليا تابعة لمجلس السلاطين والأمراء في الحكومة الاتحادية بجانب إدارة إستشارية مؤلَّفة من العلماء. وكل سلطنة تتولّى شؤونها الداخلية، وأمام العدالة يتساوى الجميع في الحقوق. والتقاليد المتوارثة مرعية.

عدد سكان ماليزيا حسب إحصاءات عام ١٩٨١ م ١٤,١ مليون نسمة مؤلفة من: ٤٥ بالمئة من الملايو، و٢٩ بالمئة من الصينيين، و٨,٦ بالمئة من الهنود، والبقية من أجناس أخرى. وبلغ عدد السكان الآن ١٦ مليون نسمة.

ومعظم الملايو يعملون في النطاق السياسي، والصينيون في شؤون الاقتصاد.

في عام ١٩٨٢ م افتتحت جامعة إسلامية رسمياً في ماليزيا، وفي عام ١٩٨٣ عممت في جميع المدارس الرسمية وغير الرسمية تدريس ما يتعلق بالحضارة والتمدن الاسلامي، كما ضوعفت الأعمال والنشاطات في الصحف والتربية والدعوة لبث المعلومات عن الدين الاسلامي.

ووافق البرلمان الماليزي على إنشاء البنك الاسلامي، كما أنها منذ زمن بعيد تحيي الشعارات الاسلامية وما زالت كذلك. وهي ترى أن جميع العناصر غير المسلمة إذا عرفت الاسلام فان معرفتها سوف تخفف التنافس بين الأديان. فعدم الفهم من أسباب التنافس والتباعد.

سلطنة ملاكا

في عام ١٤٠٩ م زار القائد الصيني «چينغ هو CHENG HO» سلطنة ملاكا، وكان التجار المسلمون يأتون إليها من بلاد العرب والهند وفارس للتجارة والدعوة، فيجدون لهم بها إخواناً في الدين وحكومة ترعى الاسلام ويرعاها. فيطيب لبعض القادمين الاستيطان.

عيسى من شيراز، ووالٍ منهم باحدى جزائر القمر، وثلاث منها عليها

إستطاعت سلطنة ملاكا أن تحافظ على مكانتها وتحمي نفسها، وتتعايش سلميا مع سيام ولو مؤقتا، وفي ذلك العهد إتَّسع نطاق دولتها في شبه الجزيرة وسومترا الشرقية وسيطرت علي مضيق ملاكا.

وفي عهد السلطان عبد الله (منصور شاه) إبن السلطان قاسم (مظفر شاه) عام ١٤٥٩ م أقيمت ندوة للعلماء المسلمين للبحث في كل ما يعود بالمنفعة للبلاد في ظل الحكم الاسلامي، مما يدل على نفوذ العلماء في البلاد. في حين كان الاسلام ينتشر إذ ذاك بقوة في جنوب شرقي آسيا.

ومما يدل على إهتمام السلطان بالعلوم والدين الاسلامي، وإطلاعه عليها أنه كان له مكتبة ضخمة ضمت أنواع الكتب، غير أنها ذهبت هباءً إذ التهمتها النار في حريق شبَّ في القصر.

تسلسل الملوك على حكم هذه الدولة، والاسلام في بهائه، والقادمون من المسلمين يمتزجون مع الأهالي، إذ يجدون لهم بها إخواناً في الدين، لهم ما للاهالي من حقوق، فلا قومية إذ ذاك غير الاسلام، وسرعان ما يذوب الطارئون في المجتمع الملايوي فازدادت البلاد تقدماً في بهجة وسعادة.

وعلاقة هذه السلطنة بحكومة الصين حسنة، ولما تولّى على مُلك الصين الملكُ «چينغ تسو CHENG TSU» من أسرة مينغ الصينية عام ١٤٠٣ م بعث السلطان محمد وفداً لتقديم التهنئة باعتلائه العرش فاستقبل الوفد إستقبالا حسناً، وعاد الوفد فأرفقه ملكُ الصين بأشخاص يحملون الهدايا النفيسة.

وكان سلطان ملاكا يبعث كل عام للصين مقداراً من الذهب، وكانت الهدايا من الجانبين متبادلة.

في ملاكا مساجد قديمة بنيت على الطراز الصيني بناها مسلمون صينيون. وكانت عامرة بالروَّاد والتجارات تأتيها السفن من كل مكان، ترى قادمة أو راسية أو مغادرة.

توفي السلطان محمد عام ١٤١٤ فتولى إبنه إسكندر شاه (١٤١٤ - ١٤٢٤ م) وأول عمل قام به رحلته إلى الصين ليجدد عهد الصداقة، وكان معه سلطان ڤاسَيْ، وسلطان بروني الذي توفي بالصين. ورحل مرة ثانية الى الصين عام ١٤١٩ م، وتولَّى بعده إبنه قاسم (مظفر شاه) ١٤٢٤ - ١٤٤٤ م وعرف بعدالته وحسن توزيعه للاعمال فعمرت البلاد وازدادت حركتها التجارية.

ولاة من العلويين الخضرميين آل أحمد بن عيسى أخي محمد المذكور،

ولكن جارتها سيام تقف لها بالمرصاد يحدوها الجشع في امتلاك أراضي الغير فبعث ملك سيام PARA CHAUWASI إنذاراً لهذه الدولة للاعتراف بالخضوع لها، فكان الرد الرفض، فجهزت سيام قوة لحربها فدافعت عن نفسها وردت العدو المعتدي مهزوماً، ثم بعث بقوة أخرى فعادت خائبة.

وتولى بعده عبد الله (منصور شاه) ١٤٤٤ - ١٤٧٧م ابن السلطان مظفر شاه، وبدأ بطرد بقايا جنود سيام من «ڤاهانغ» واستعاد ڤاهانغ وأسر نائب ملك سيام وجيء به إلى ملاكا فأكرمه السلطان، وبعث السلطان إلى ملك سيام يدعوه الى السلم فعاد السلام.

وطلبت بعض مناطق سومترا حماية ملاكا لها فحمتها، واستولت على بعضها بالقوة، وبذلت ملاكا جهداً لدعوة الذين لم يسلموا بعد، وأرسلت الدعاة، وحين تأسر الأسرى ترغبهم في الاسلام. وامتد نفوذها الى معظم شبه جزيرة الملايو وأنحاء من سومترا، وهاجر إليها كثير من المسلمين لينعموا في ظلالها فتستقبلهم هذه الدولة وتكرمهم.

كان في ملاكا هنود وأفغان وعرب، وانتشرت علوم الاسلام وبحوث العلماء في الاحكام والتصوف وفيهم علماء كانوا في ڤاسَيْ الشهيرة، وكان المسلمون الطارئون يشاركون في هذه البحوث كما اشتركوا في شؤون أخرى في هذه الدولة.

وتولى السلطان علاء الدين رعاية شاه من عام ١٤٧٧ الى عام ١٥١١م وبعده السلطان محمود آخر سلاطينها.

وصول البرتغاليين الى ملاكا

في عام ١٥٠٩م وصلت سفن برتغالية بقيادة DIEGO LOPEZ DE SEQUEIRA إلى ملاكا فاستقبلها رئيس الوزراء بالترحاب، فنبهه السلطان والشعب إلى خطئه فخضع لرغبة الشعب، ولكنه إرتكب خطأً آخر إذ حاول إعتقال جميع البرتغاليين، فهاجم المسلمون البرتغاليين، وتمكن بعضهم من الهروب، ووقع آخرون في الأسر.

في عام ١٥١١م هاجم البرتغاليون ملاكا فارتدوا خائبين، وكان الحماس يلتهب ناره في نفوس المسلمين، وعاد العدو يجر أذيال الخيبة إلى (قُوا) مستعمرتهم في الهند.

وبعد حرب ضروس إستولى البرتغاليون على «ملاكا» بعد أن خطب الفونسو البوكيرك في جنده قائلا: «إذا تمكنا من طرد العرب من هذه البلاد فقد أدينا عبادةً لله بحيث تخمد تعاليم محمد إلى الأبد. إنني واثق بأننا لو سيطرنا على هذه البقعة ستكون مصر ومكة بلاداً قاحلة خالية من السكان» وابلغ مليكه بنجاح سعيه وأن الطريق الى مكة مقطوعة، وان

العرب جميعهم قد قُتلوا، وأن ملكهم هرب.

لم يهدأ بال السلطان محمود فقام بردود فعل مكررة بهجمات على العدو ولكنه لم يحالفه النصر، وأعاد الكرة مراراً وحشد الجيوش حتى اضطر الى أن يجعل عاصمة ملكه «جهور» التي هي جزء من سلطنة «ملاكا»، ولم يجد من حكومة الصين ما كان يأمله.

وظهرت في الساحة دولة آچيه واستولت على جميع مناطق سومترا الشرقية في سبيل توحيد البلاد وتوسيع نطاقها، مع أن هذه المناطق تابعة لدولة ملاكا، فاصطدمت الدولتان المسلمتان، ولكن آچيه هاجمت البرتغاليين في ملاكا ١٤ مرة، وصارت تحارب في جهتين جهور المسلمة وملاكا المحتلة، مع أن كلاً منهما يحارب عدواً مشتركاً، واستولت آچيه على جهور وأسرت سلطانها ثم أعادته الى حكم بلاده في عاصمة جديدة هي «باتوساوار».

وقامت هولندا بالتعاون مع جهور لحرب البرتغال، وسقطت ملاكا بأيدي الهولنديين، ثم أخذت هولندا تتدخل وتعمل لمصالحها في استخراج الرصاص من منجم «ڤيراق» فحدثت بين المسلمين خلافات، فانتهزت هولندا الفرصة وانحازت الى بعض الامارات وتحصلت على إمتيازات.

والبرتغاليون عندما يستولون على بلد يستعبدون أهله وينشرون المسيحية، فكان ناشر المسيحية في ملاكا ST. FRANCIS RAVIER في أعوام ١٥٤٥ و ١٥٥٠ و١٥٥٣م وجعل كنيسة ملاكا مركزا لنشر المسيحية. في جنوب شرقي آسيا.

ثم حدث انقلاب وقتل السلطان محمود، واستولى على السلطنة أحد الوزراء، ولُقب بالسلطان عبد الجليل. وانتهت سلطنة أسرة سلاطين ملاكا، فنهضت إمارات سياك وميناكابو وبنكاليس وبوقيس لمهاجمة جهور، فاستنجد عبد الجليل بهولندا فلم تنجده وصارت جهور تابعة لـ «سياك» فثار البوقيس ضد «سياك» فنجا سلطان سياك بنفسه، وتولى السلطان سليمان على جهور، واشترك البوقيس في الحكم واستولوا على سلانغور وعينوا لها حاكماً منهم هو السلطان صلاح الدين.

وخشيت هولندا من أعمال البوقيس فاتفقت مع جهور واشتعلت الحرب بين البوقيس وهولندا، واستولى البوقيس على جزائر «رياو» واستمرت الحرب سجالاً.

إعتداء سِيام

تكررت حملات سيام الفاشلة على ملاكا في المرتين، وحاولت أن تهاجمها المرة الثالثة ولكن - كما تقول سجره ملايو - جاء سيّد عربي وطلب من حكومة ملاكا أن تفوض إليه

متناسلة من العرب والسادة العلويين ومن الجاويين والسُندا والملايو. وفي

أمر الدفاع عن البلاد ضد هذا المعتدي، بأسلوبه الخاص، فقام بالأمر ونجح[١].

وكانت سيام قد هاجمت «قدح» فحارب السلطان أحمد الاستعمار السيامي في قدح وفيراق، وأعانه السلطان إبراهيم من «سلانغور» ولكن الانكليز وقفوا ضدّه مسايرةً لسيام. وتوالت الاحداث وأخذ الانكليز ينشبون أظفارهم في ولايات الملايو. وأخيراً بعد مفاوضات رأت سيام أن لا قِبَلَ لها بهذه الحروب فرضيت بمهادنة السلطان أحمد تاج الدين وعاد السلطان الى ملكه، عام ١٨٤٢ م وانفصلت «ڤرليس» عنها.

كانت سيام مهيمنة على قدح وكلانتن وترنقانو، وازداد نفوذها بعد حربها مع بورما سنة ١٧٧٠ م.

(١) سجره أمة سلام ١٠٦/٤ DR. HAMKA SEJARAH UMMAT ISLAM.

ألانكليز

أول من أقام مركزاً بريطانياً هو «إسكندر ديريمقل ALEXANDE DAIRYMPLE سمح له سلطان سولو عام ١٧٧١ م باقامة مركز في بورنيو الشمالية، وحاولوا أن يقيموا مراكز تجارية في آچيه وقدح وغيرهما ففشلوا. وفي عام ١٧٨٥ و ١٧٨٦ م وافق السلطان عبد الله سلطان قدح على أن يكون المركز في جزيرة «ڤينانغ» فكان ذلك مدخلا للاستعمار في هذه الجزيرة.

من أسباب سماح السلطان عبد الله ببناء المركز البريطاني أن بعض الأهالي إتصلوا بالبوقيس في سلانغور لحرب السلطان. وهناك خطر بورما بعد إنتصارها على سيام التي إمتدت سيطرتها إلى فطاني، وهذا التوسع البورمي نذير خطر على «قدح» التي هي تحت حماية سيام، فطلبت بورما من قدح أن تموّن جيوشها، فلو إستجابت قدح لطلب بورما فان الخطر مزدوج من سيام ومن بورما، ففي هذه الضائقة وجَّه السلطانُ نظره إلى الانكليز الذين يبحثون عن مواقع لتشييد مراكز لهم. وكان ذلك بواسطة صديقه الكابتن لايت PRANCIS LIGHT مشترطا حماية الانكليز لقدح إذا هوجمت وأن تكون التجارة حرَّة بين قدح وڤينانغ، ويدفع الانكليز مبلغ ٣٠ ألف أسباني مع عدم تدخلهم في شؤون قدح الداخلية.

وارتفع العلم البريطاني على جزيرة ڤينانغ عام ١٧٨٦م وتولَّى «لايت» على الجزيرة ولكنه أخذ يماطل ويداور، والسلطان يلح عليه بدون جدوى، فاعتبر السلطان الاستيلاء على ڤينانغ غير شرعي، ولاسيما أن الاتفاقية لم توضع بصفة رسمية فساءت العلاقات.

في عام ١٧٩٠ م أنذر السلطان بوجوب مغادرة «لايت» عن جزيرة «ڤينانغ» ولم يهدأ السلطان تجاه هذا المكر فأخذ يجيش الجيوش ويهاجم المرة بعد المرة، ولكنه لم يوفَّق، واستعان بالمجاهدين الذين يعملون في البحار والذين يسميهم المستمعرون قرصاناً.

في عام ١٧٩١ م هاجم «لايت» قدح، وإنتهى الأمر إلى مفاوضة على أن يقبل السلطان ستة آلاف دولار من دون أن يقدم له أيَّ مساعدة. وكان همّ الانكليز تأمين خطوط الملاحة لمصلحتهم وإيجاد مركز تجاري. وقد تحصلت على ذلك ولا يهمها أن يكون بأي وسيلة.

إحتلال الانكليز لملاكا وسنغافورا

تقدم أن ذكرنا كيف تطورت الظروف في عهد السلطان عبد الله سلطان قدح حتى إحتل الانكليز جزيرة ڤينانغ، وبمثل ذلك الاسلوب سار الجنرال رافلس للاستيلاء على سنقافورا في مطلع القرن التاسع عشر، ثم صارت ملاكا تابعة لبريطانيا حسب إتفاقية الطرفين الهولندي والانكليزي عام ١٨٢٤ م

العلويين، وكانت مرسى تجاري تمتد منه طرق إلى داخل أفريقية إلى

كانت سنقافورا تابعة لسلطنة جهور، وسلطانها السلطان عبد الرحمن، ولهذا السلطان أخ أكبر منه هو السلطان حسين، فاتفق الجنرال رافلس مع السلطان حسين عام ١٨١٩ م على أن يدفع له سنوياً خمسة آلاف دولار على أن لا تتدخل بريطانيا في شؤون سنغافورا الداخلية، واحتل الانكليز سنغافورا وصارت ميناءاً حرّاً، وفي عام ١٨٢٤ م فُوض أمر إدارة البلاد إلى الانكليز مقابل ٣٣ ألف دولار للسلطان و ٢٨ ألفاً لنائبه الملقب «تمنكْونغ» وللسلطان شهريا ١٣٠٠ دولار ولنائبه ٧٠٠ دولار مدة حياتها، وتوفي حسين عام ١٨٣٥ م فتولّى ابنه علي إلى عام ١٨٤٠ م وتقدمت سنغافورا تقدماً واضحاً بوجود مختلف الاجناس الطارئة، وانتعشت تجارتها، ووزعت الارضون على جميع من يأتي إلى سنغافورا مساوية بين الجميع في الحقوق والمعاملات.

أما ملاكا فقد إحتلها الانكليز كما ذكرنا، ثم جعلت ملاكا وجزيرة ڤينانغ وسنغافورا عام ١٨٢٦ م تحت إدارة واحدة سميت «بلدان المضيق» تابعة للوالي العام البريطاني، ثم صارت تابعة لوزارة المستعمرات عام ١٨٦٧ م.

بلغ عدد العرب في عام ١٨٣٠ م المستوطنين في سنغافورا ٢٨ شخصاً والصينيين ٦٠٢١ والملايو ٢٦٤٣ شخصاً.

الاسلام في سنغافورا اليوم

تحدث السيد العلامة عيسى بن محمد بن سميط مفتي سنغافورا، فذكر أن عدد المسلمين في هذه الجزيرة حوالي ٤٠٠ ألف نسمة، ولهم نحو مئة جمعية لتلبية حاجات المسلمين، وقد تمَّ تنسيق تعاونها بتأسيس هيئة الدعوة الاسلامية عام ١٩٨١ م، وفي سنقافورا مجلس إسلامي يتحمل رئيسه وأمينه العام مسؤولية شؤونه الادارية، ويرعى المفتي ما يتعلق بالدين، ويشرف المجلس على الاوقاف الاسلامية وبيت المال والمساجد واحتياجاتها، والمدارس الاسلامية وجمع الزكاة وتوزيعها والحج. وتوجد محكمة لقضايا المسلمين وأحوالهم الشخصية.

وقال: لقد ضمت الحكومة موضوع بناء المساجد كجزء من تعمير الدولة. ومنذ عام ١٩٦٠ م روعي تخصيص أراض لبناء مساجد، وتمَّ إنشاء أول مسجد جديد هو مسجد «مهاجرين» وجمع المسلمون أموالاً لبناء مساجد في أحيائهم، ورضي المسلمون أن يخصم جزء من رواتبهم الشهرية بما يعادل خمسين سنتاً تمت زيادتها إلى دولار سنغافوري.

فالمجلس يشرف على الأموال لبناء المساجد، وقد أقام فعلا ستة مساجد في المرحلة الاولى، وفي المرحلة الثانية تسعة مساجد، ولكل مسجد لجنة تابعة للمجلس الاسلامي.

وقال: ليست المساجد وحدها هي التي تقدم الجرعة الدينية، بل يدرس الدين في المدارس الاسلامية الخاصة، علاوة على عدد من المدارس الحكومية وشبه الحكومية، وسوف تضم دراسة الدين مادة في مقرر كل المدارس الثانوية العليا الحكومية وشبه الحكومية في عام ١٩٨٤ م.

واشتركت وزارة التعليم والمجلس الاسلامي في وضع برنامج تدريبي للمعلمين المسلمين، وسوف يقوم هؤلاء المدرسون بتدريس مادة الدين في هذه المدارس.

والسيد المفتي عيسى بن سميط خريج كلية أصول الدين بجامعة الازهر بالقاهرة، له فتاوى وأبحاث ودراسات إسلامية، ويؤلف كتاباً عن الاسلام في سنغافورا والدعوة وأثرها[١].

---

(١) ملخص مقال في مجلة «منار الاسلام» ابو ظبي، العدد ١٢ السنة ٨ تاريخ ذي الحجة ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م من ١٠١ وما بعدها.

كان بها سلطان هو السيد محمد العلوي، غدر به البرتغاليون واستولوا على

ألمساجد والمدارس الإسلامية في سنغافورا

من أقدم المدارس الاسلامية المنظمة مدرسة السقاف، ومدرسة الجنيد، والمعارف الاسلامية والدينية الاسلامية.

أسس السيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف عام ١٩١٢ م (١٣٣١ هـ) مدرسة السقاف في حي قلام حيث القصر السلطاني ومسجد السلطان. كان جده من أوائل القادمين من آل السقاف الى سنغافورا عام ١٨٢٤ م في عهد «تمنكونغ جهور» عبد الرحمن.

كان التعليم قبل ذلك وبعده في المساجد والمصليات ومنازل المعلمين، فهذه الاماكن كانت نقطة الدائرة في تاريخ انتشار التعاليم الاسلامية.

كانت والدة السيد محمد بن أحمد السقاف الأميرة الحاجة ستي فاطمة بنت سلطان قوافي سولاويسي، وكانت أسرة آل السقاف قد أقامت مساكن لها بمدينة السقاف (جاوا رود) وبني باسم الحاجة فاطمة مسجداً ما زال موجوداً.

كان للسيد محمد أعمال خيرية واسعة ومساعدات في رخاء الشعب وشؤون الصحة وإعانة المحتاجين من المسلمين بصورة تكاد تكون عديمة النضير، كمساعدة اليتامى، والانفاق على من يرغب في العودة إلى وطنه ممن لا تساعده حالته المادية، إلى غير ذلك من أعمال الخير، وما زالت الاوقاف محفوظة إلى الجيل الثالث.

ومن أعماله إنشاء هيئة إتحادية للأعمال الخيرية عام ١٩٠٤ م وهو أول إتحاد إسلامي في سنغافورا لخدمة حاجات المسلمين ولشؤونهم الدينية، واشترك في تأسيس الاتحاد أسر أخرى من غير آل السقاف منها عيديد وأنقوليا، محبوب بن فضل، الحاج محمد بن حكيم، م. محمد. فهذا الاتحاد يقوم بعمارة المساجد والمقابر والتعليم ودار الاحسان للبنات وأخرى للبنين وللفقراء. وبنى منزلين لسكنى أيتام المسلمين وتجهيز الموتى وتربية اللقطاء.... الخ.

ويتولّى شؤون الاوقاف أمناءها السيد محمد السقاف والسيد عمر بن احمد السقاف، ثم تولى بعدهما السيد عبد الرحمن بن طه السقاف المتوفى عام ١٩٥٥ م.

وقد تحصل السيد عمر بن أحمد السقاف على تقديرات عظيمة في بلدان الشرق الاوسط لأعماله الخيرية عام ١٩٢٧ م كما أن إبنه داتؤ السيد ابراهيم كان قنصل شرف لحكومة العراق ثم في أواسط السبعينيات قنصل أول للمملكة العربية السعودية.

ذلك البندر وبندر سفاله (وهو اسم عربي) والجانب الشرقي الجنوبي هو

ومن المساجد الاولى في سنغافورا مساجد أسسها السيد عمر بن علي الجنيد في أربعة أحياء ، في كمشونغ ملاكا ، كمقونغ سوسو ، كمقونغ بنكولو ، وهاي ستريت وقد جُدّد بناء مسجد كمقونغ جاوا بمساعدة السادة العلويين.

بنى السيد عبد الرحمن بن عبد الله الكاف مسجداً في شارع مركيت.
وبنى السيد محمد بن سالم بن احمد العطاس مسجداً ما زال معموراً.

الأكثر سكاناً من المسلمين. وذكر البعض أن العرب والفرس كونوا لهم

شبه جزيرة ملايا

لئن كان يفصل مضيق ملاكا بين شبه الجزيرة وبين سومترا أرضاً فما كان يفصلهما قومية وديناً ولغة وعاطفة، ففي فترات من التاريخ كان شبه الجزيرة وسومترا دولة واحدة. وقد يكون من ملوك آچيه من كان أصله من شبه الجزيرة أو العكس. فالعلاقات بين الأرضين أخوية إسلامية، على الرغم مما قد يحدث بين إمارات الملايو من تنافس وخلافات، ولكنها تعتمد على إخوتها من سومترا، ولا سيما في نجدتها ضد المعتدي الاجنبي.

لقد بعثت سلطنة آچيه وهي من سومترا نجدة لملاكا بقواتها لحرب البرتغاليين، كما بعثت جاوا قوة منجدة في عهد مملكة «دِماك» للدفاع عن ملاكا ضد البرتغال. والامثلة كثيرة.

هذا في الماضي وفي القرن التاسع عشر الميلادي كانت بلاد الملايو تواجه أطماع سيام وتشتبك معها في معارك. ولما ظهر الانكليز أخذوا يتدخلون تدريجياً بأنواع الوسائل، فاذا بدت فجوة عندما تحدث خلافات بين الامارات تدخَّل الانكليز للاصلاح مراعاة لمصالحها الخاصة التجارية، فتؤيد إمارة مثلا إذا كان في تأييدها مصلحة لها، ومن مصلحتها أن يكون الامن مستتباً في الملايو، لذلك بدأت تبعث مستشاراً لكل إمارة أو سلطة، وصار المستشار يتدخل تدريجياً في كل شيء ما عدا شؤون الدين والتقاليد والعادات، ثم وضعت اتفاقيات قيدت صلاحيات السلاطين وغيرهم، ثم تنبّه الحكام فحدثت ثورة ضد بريطانيا.

وحاول سلطان «ڤيراق» أن يغتال المستشار البريطاني وقُتِل فعلاً، فأرسل الانكليز قوة وأعدمت الذين اشتركوا في مقتل المستشار، ونفي السلطان عبد الله والامراء والقواد الى جزيرة سيشل SEYCHELLES.

وحدث خلاف فيمن يكون سلطاناً على ڤيراق، ومال البعض إلى تولية الشريف إسماعيل ابن راج هيتم بن شهاب من اسرة سلطنة «سياك» نظراً إلى أن أم أبيه الاميرة راج منداق بنت السلطان أحمدين، فتولّى من عام ١٨٧١م الى ١٨٧٤م ثم تدخل الانكليز وزال الخلاف[١].

ما كانت ڤيراق سلطنة ولكن حاكمها جعفر أخذ يهيمن عليها حتى صار سلطاناً عام ١٨٦٦م وأخيراً برزت فكرة إتحاد السلطنات عام ١٨٩٦م، ثم اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية واحتلت قوات اليابان ملايا عام ١٩٤٢م. وفي عام ١٩٤٨م ألّف السلاطين والاحزاب إتحاد ملايا من تسع سلطنات بعد تأسيس حزب «أمنو» عام ١٩٤٦م بزعامة رئيس وزراء سلطنة جهور داتؤ عون بن جعفر.

---

(١) من كتاب «قصة ڤلايَران محمد إبراهيم منشي».

مستعمرة في غربي سومترا بين بنكولين وڤادانغ بعد سنوات من ميلاد المسيح.

وقامت معارضة شيوعية ثم ثورة مسلحة تطالب بأن تكون ملايا جمهورية شعبية، وأما الذين درسوا في الاقطار العربية فانهم يطمحون إلى دولة موحّدة تضم جميع جزائر الارخبيل وشبه جزيرة ملايا، نظراً إلى وحدة العنصر واللغة والدين والتقاليد والأصول، ولكن الأماني لم تتم، وجرت الأيام إلى غير ذلك. وقامت ماليزيا من المناطق التي كانت تحت حماية بريطانيا ومستعمراتها. وقامت إندونيسيا التي كانت تحت إستعمار هولندا. وبقيت قطعة صغيرة تحت الحكم البرتغالي من جزيرة تيمور، وأخيراً إستولت عليها إندونيسيا بالقوة. وفي ماليزيا إتحد حزب أمنو UMNU مع الجزب الصيني M.C.A والحزب الهندي M.I.C. وقامت مملكة ماليزيا في ١٦ سبتمبر ١٩٦٣م ولم تشمل بروني، ولا سنغافورا.

أما جهور فكانت قبل ذلك تعاني مشاكل إقتصادية في عهد السلطان «أبو بكر» فاضطر إلى قبول تدخل بريطانيا في «ڤاهانغ» وكان له وزير هو السيد السقاف.

وكانت جزائر «رياو» تابعة لجهور فاستعمرتها هولندا فصارت الآن تابعة لأندونيسيا.

. . . .

قدح و ڤرليس

كانت كابانغ (ڤرليس) تابعة لسلطنة قدح في عهد السلطان جيوا معظّم شاه الثاني، وكان ينوب عنه في بعض المناطق «تنكو ضياء الدين»، ثم تولّى السلطنة عام ١١٧٤هـ (١٧٦٠م) السلطان عبدالله مكرم شاه. وله إبنان، وتوفي السلطان عبدالله في سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٩م) فتولّى ضياء الدين ريثما يبلغ أحمد تاج الدين رشده لتولّي الامر بعد أبيه عام ١٢١٩هـ (١٨٠٥م)، وتوفي ضياء الدين عام ١٢٣٠هـ (١٨١٦م) ودفن في كابانغ حيث إمارته وقبره معروف. وكانت إبنته قد تزوجت السيد هارون جمل الليل.

والسيد هارون هذا من مواليد فاليمبانغ جاء مع والده السيد أحمد جمل الليل الى قدح واقام في آرو (كابانغ) وبنى منزلاً وفتح مزرعة، ونصبه سلطان قدح أميرا على آرو عام ١٢١٢هـ (١٧٩٧م)، وأكبر أبنائه السيد حسين ومن سلالته سلاطين «ڤرليس» وابنه الثاني طه.

ولد السيد حسين عام ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) ونشأ تحت رعاية جده ضياء الدين ثم تدرج في الاعمال حتى صار كاتب السلطان أحمد تاج الدين، ثم تولّى السيد حسين على آرو بعد والده بتعيين السلطان، وتزوج تنكو صفية بنت محمد أرشد (من أسرة أرستقراطية من فطاني). وعيّن السلطان أخاه «تنكو يعقوب» أميراً على «ستول» ولكنه يطمع أن يكون له أيضا (آرو) لضمها الى «ستول» فالتجأ يعقوب إلى أمير «ليكور» (من سيام) واتفقا على حرب السلطان وهاجما قدح وآرو، فتولّى السيد حسين وعمه محمد أرشد الدفاع يناصرهما الشعب الملايوي، وقتل من الجانبين كثير وانهزم المعتدون، وطارد الهاربين تنكو محمد سعيد من أسرة سلطنة قدح، وكان عدد جيش الملايو نحو عشرة آلاف فاستعادوا البلاد، واستمر القتال وتبودلت الهجمات، وبعد ثلاثة أشهر إندحر الملايو أمام ثلاثة آلاف مقاتل من السياميين و٥٠٠ من الصينيين.

ونجا الامير عبدالله إبن سلطان قدح ورجال الدولة بانفسهم الى «كابانغ - آرو» ثم الى جزيرة «ڤينانغ» وكانوا قد بنوا كثيراً من الاستحكامات الدفاعية في «كابانغ». وانتصر الياميون، والتجأ السلطان أحمد تاج الدين إلى جزيرة ڤينانغ ثم إلى ملاكا. وسقطت قدح وكابانغ وتولاها أمير ليكور السيامي، ثم عيّنوا تنكو أنوم من أقارب السلطان وكيلاً تحت سلطتهم.

. . . .

بدء سلطنة ڤرليس

إستمرت سلطة سيام على قدح. ثم اتفق تنكو أنوم والسيد حسين على إتخاذ وسيلة لتحرير البلاد من سلطة سيام، فتوجه وفد مؤلف من تنكو أنوم والسيد حسين ورجال الدولة وأتباعهم إلى أمير «ليكور» إعلاناً لخضوعهم له، والتماساً لإعادة السلطان إلى قدح، وإطلاق الأسرى الملايو، ومن بينهم تنكو نور عائشة بنت تنكو لونغ فوتيه (من سياك) وأخوات السلطان. وبعد عدة جلسات تمكن تنكو أنوم من نيل مطالبه. وتزوج السيد حسين الاميرة نور عائشة وأقيم مهرجان الزواج في قدح، وعين أمير ليكور السيامي تنكو أنوم حاكما على قدح مستقلاً عن ليكور على أن يقدم كل ثلاث سنوات إتاوة عبارة عن شجرة مصنوعة من الذهب والفضة، وذلك في سنة ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) فعاد الجميع إلى قدح. وهكذا فصلت (كابانغ - آرو) عن قدح.

ثم ارسل تنكو أنوم والسيد حسين وفداً الى ڤينانغ لاستقدام السلطان أحمد تاج الدين، وامتنع السلطان، فتوجه تنكو أنوم والسيد حسين ورغباه في العودة فعاد وتولّى السلطنة. وجزاء لاعمال الرجلين أقطع السلطان أرضاً لتنكو أنوم يتولى إمارتها، وأما أمير «كابانغ» فقد توفي في ملاكا وكان برفقة السلطان. فولّى السلطان عليها السيد حسين وهو حفيد المتوفى جده ضياء الدين فتولاها وأطلق عليها اسم «ڤرليس».

وتولى على سلطنة قدح السلطان زين الرشيد معظم شاه إبن السلطان أحمد تاج الدين، وتوجه وفد إلى سيام فأقره ملك سيام على سلطنة قدح، كما أقرَّ إمارة تنكو أنوم، والسيد حسين على «كابانغ» على أن يقدم كل أمير الاتاوة كل ثلاثة أعوام التي هي شجرة الذهب والفضة. وعاد كل واحد إلى إمارته. وتولى السيد حسين على إمارة ڤرليس (كابانغ - آرو) في ١٢٥٩/١٢/١٤ هـ (١٨٤٣ م) وتوفي في ١٢٩٠/١٠/١ هـ (١٨٧٣/١١/٢٠ م). وبهذا صارت ڤرليس مستقلة رسمياً.

وتولى على ڤرليس بعد والده السيد أحمد جمل الليل، وصار إبنه السيد علوي ولي عهده، وأمه الشريفة شيخة بنت السيد محمد الحداد، وتوفي السيد علوي ولي العهد غريقا. في ١٨٩٧/٥/٤ م وكان حفيده السيد صافي إبن السيد علوي صغيراً، فلما بلغ رشده أصحبه جده أحمد معه إلى (بنكوك) فأعجب ملك سيام بذكائه وطلبه ليقيم بقصره، فلما توفي جده وهو في بنكوك أعلنت سلطنة السيد صافي على «ڤرليس» وهو السلطان الثالث.

. . . .

ولما حدث خلاف بين أبناء السلطان أحمد تاج الدين سعى السيد صافي لحل الخلاف، واقترح تولية عبد الحميد حليم شاه وحسم الخلاف. وكان بين قدح وڤرليس تعاون وتعاطف، وحاول وزير قدح أن يضم ڤرليس إلى سلطنة قدح، ولكن ملك سيام أصرَّ على بقاء ڤرليس مستقلاً منفصلاً عن قدح تحت سلطة السيد صافي، وضمَّ الملكُ السيامي ولاية ستول إلى سيام مباشرةً.

وفي عهد السلطان السيد صافي تقدمت ڤرليس وازدادد عمرانها، عبدت الشوارع، ومدّت الترع لسقي مزارع الشعب، وبنيت الجسور، وابتعث الشباب الى الخارج للدراسة وتعلم اللغة الانكليزية في ڤينانغ.

وكان أبناؤه: السيد علوي (الذي صار السلطان الرابع) وحمزة وحسين ممن درسوا اللغة الانكليزية، ولكنهم لم يدركوا عهد حماية بريطانيا فقد وافاهم الاجل قبل ذلك.

وكتب رئيس وفد جامعة كمبردج عندما طاف أرجاء ڤرليس، عن خصوبتها وحياتها ومبانيها وما فيها من أثاث فاخر، والسمك والسوق والبائعات ومبنى المحكمة وساحتها الواسعة وحديقتها والمدافع المنصوبة أمامها وشكل البناء الحجري ذي القراميد والمسجد واسطبل الخيل والعربة، وأحكام الغرامة والزكاة على المحصولات الزراعية.. الخ.

توفي السيد صافي في ١٩٠٥/١٢/٢٠ م فتولى السيد علوي. وما كان له إبن يخلفه فنصب إبن أخيه السيد حسن بن السيد محمد في ١٩٣٤/١٢/١٦ م ولكنه توفي في ١٩٣٥/١٠/١٨ م فنصب حفيد أخيه السيد حسن ويعرف بالسيد ڤوترا (ولد في ١٩٢٠/١١/٢٥ م) وهو الحفيد السابع بالنسبة للسيد هارون جمل الليل، فأخذ ڤوترا يتدرَّب في مختلف المجالات والمعارف استعدادا للمستقبل الذي ينتظره، حتى كانت الحرب العالمية الثانية ودخلت القوات اليابانية وأقالته. فلقي كثيراً من مشاكل الحياة ومآسيها، وتنقل من بلد إلى بلد، غير أنَّ أخاه السيد علوي كان يواسيه إلى أن توفي السيد علوي في ١٩٤٣/٢/١ م فنصبت حكومة الاحتلال الياباني أخاه السيد حمزة، وساءت حالة السيد ڤوترا، وكان أتباعه يواسونه، فساء ذلك حكومة اليابان فنجا بنفسه باشارة محبيه إلى كلانتن وصار مزارعاً، حتى انتصر الحلفاء واستسلمت اليابان فعاد إلى ڤرليس وتولّى السلطنة.

أما السيد حمزة الذي ولّته اليابان فخرج متنقلا حتى وصل الى قدح وتوفي بها.

وسر شعب ڤرليس بعودة السلطان ڤوترا واستقبل استقبالا عظيما، واعترفت به بريطانيا سلطاناً على ڤرليس، واحتفل به في ١٩٤٥/١٢/٤ م.

. . . .

واخيراً تألفت ماليزيا الاتحادية من السلطنات التسعة، وسراواق وصباح، وسنغافورا التي إنفصلت بعد ذلك وصارت جمهورية.

وأول ملك لماليزيا الاتحادية: توانكو عبد الرحمن بن تنكو محمود، ثم توانكو حسام الدين عالم شاه ثم السيد ڤوترا جمل الليل في ابريل سنة ١٩٦٠م.

وعندما تولّى الملك على ماليزيا، فوض أمر سلطنـة ڤرليس إلى مجلس من أربعة أشخاص من الاقارب ورجال السلطنة برئاسة الدكتور السيد محمود بن السيد حسن جمل الليل.

وفي ١٩٦٠/١٠/٣٠م نصب لولاية عهد ڤرليس إبنه السيد سراج الدين.

وللسلطان ڤوترا أعمال عظيمة في خدمة ماليزيا وخدمة ڤرليس. فقد أوجد صندوقا من تبرعات الموظفين والزراع وغيرهم ومنه شخصياً، وأقيمت مدرسة إبتدائية لتدريس اللغة الانكليزية وهي أول مدرسة في السلطنة من نوعها، وقدّر منحاً دراسية للطلبة ليواصلوا دراساتهم في الخارج، ثم صارت مدرسته متوسطة وتخرج فيها عدد من الطلاب، وأقيمت عدة مدارس انكليزية بجانب مدارس الملايو.

ومدّ الترع لري مزارع الشعب الواسعة الجديدة، وحث على إيجاد جمعيات تعاونية للزراع ومخازن الغلال. وغير ذلك، وهو متمسك بالدين بعيداً عن المحرمات ملازماً للصلوات.

كان يطوف القرى والاماكن يتفقد أحوال السكان ويتصل بهم من غير تفريق بين الاجناس، وكذلك كانت حرمه كثيرة الاهتمام بالنساء والتعليم والاطفال.

....

فطاني

تقع فطاني (أو ڤتاني) في شمال ماليزيا، بين بحر الصين الجنوبي شرقا والمحيط الهندي غرباً وتايلند شمالا. سكانها مسلمون يتحدثون لغة الملايو، حياتهم شبيهة بما عليه المسلمون في ماليزيا وجنوب شرقي آسيا، يعيشون في مجتمع تعاوني في أعيادهم ومآتمهم وفلاحة الأرض وبناء المساكن وغير ذلك.

فيها معاهد ومدارس اسلامية أهلية فيها أكثر من عشرين ألف طالب، وفي المساجد تعقد ندوات أسبوعية، ويقوم العلماء فيها بالتوعية.

وطالما حاولت تايلند (سيام) من زمن بعيد أن تسيطر عليها، وشنت عليها الحروب السنين الطويلة، فارتدت خاسرة، ولكنها في الآخر تمكنت منها.

كانت إمارة عليها حاكم مسلم واسمه سليمان فزحف عليها عدو وقتل حاكمها وتشتت سكانها، ثم قامت دولة فطاني في القرن الرابع عشر، وأول ملوكها سِري وانغسا، ثمَّ إبنه محمد المعاصر لمملكة ڤاسي في سومترا الشمالية، وهاجر كثير من مسلمي ڤاسابي إلى فطاني، من بينهم الشيخ صفي الدين الملقب «راج فقيه» فكان ذا فضل في نشر الاسلام ووضع الأنظمة.

كانت التجارات رائجة والبلاد عامرة والواردون من مختلف الأوطان، من سيام والصين وجاوا والهند وبلاد العرب وغيرها.

توفي السلطان محمد فتولى ابنه الملك المظفر، ثم تولى المُلْكَ سلطانات باختيار الشعب. ولكن سيام أصابها جشع فأرسلت قواتها لحرب فطاني، المرة بعد الأخرى. فخابت. في حين تتقدم فطاني قوة وتجارة وزراعة وعمراناً. بل كانت تصنع آلات القتال، واشتهرت بصناعة المدافع الضخمة وبيعها، وزارها بعض الغربيين فأعجبوا بتقدمها وعمرانها، ولكن سيام لم تخفف من جشعها وطمعها في هذه البلاد الغنية، وبعد حروب سنين تمكنت من السيطرة عليها، واتخذت القسوة والاضطهاد على المسلمين وأجبرتهم على التسمي بأسماء سيامية واتخاذ ثقافتها وعاداتها، فقامت ثورة ضدها بعد ثورة يقوم بها رجال الدين، وقدموا الشكاوي إلى الهيئات الدولية، فلم يأت بنتيجة، وما زال الضغط والفتوة والقسوة هي الحاكمة.

. . . .

المسلمون في تايلند

في عام ١٩٨٢م عُقد اجتماع في ملاكا (من ١٨ - ٢١ ديسمبر) لسبع دول هي إندونيسيا وماليزيا وسنقافورا وفلبين وبروني وسريلانكا وتايلَنْد، حضره ٨٠٠ من مسلمي الملايو من ثايلند، فيهم من خريجي الأزهر بمصر.

ألقى الدكتور «حسن مدماران» محاضرة عن الاقلية الاسلامية في تايلند، والمحاضر سبق له أن ترجم كتباً في الأدب العربي إلى لغة تاي، وإلى لغة الملايو، وهو الآن يتولى المحاضرات والدراسة في لغات الغرب في جامعة ڤرينس أف سونخالا - UNIVES PRINCE OF SONGK HALA.

يسكن المسلمون في أربع ولايات في الجنوب:

١ - ڤتاني ٢ - يالا ٣ - ناراثيوات ٤ - ستول، ولغتهم الملايوية، والذين يقيمون خارج هذه الولايات يفهمون لغة الملايو غالباً ولكنها ليست لغتهم اليومية.

عدد سكان تايلند من الملايو المسلمين ٧١٠,٩٠٦ والأكثرية من الثايلنديين بوذيون وفيهم كنفوشيوس. وأما المسلمون في فطاني فنحو أكثر من ثلاثة ملايين.

ومن علماء المسلمين المؤلفين الحاج أحمد بن محمد زين بن مصطفى بن محمد فطاني، والشيخ داود فطاني. ومن أسماء المؤلّفات: جمالات التايلند، تسهيل نيل الأماني، العبري البريزي، الصوفي في فن التصوف، متن السلام شرح هداية العوام، بدر التام والنجوم الثواقب.

ومن مؤلفات الشيخ داود فطاني المنتشرة في الولايات الأربع وتدرس في المدارس منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، القربات إلى الله، فروع المسائل وأصول المسائل، كشف الغمة، بغية الطلاب، سلّم المهتدي، منيات الصلاة.

وفي هذه الولايات حكاياتِ وقصص وأشعار عن ملوك الملايو وصلاتهم بفطاني، كلها ذات طابع ديني وتاريخي.

وتوجد مخطوطات في «كوتاراجَ يارينغ» و «أمقور مُوَانغ ڤتاني» محفوظة لديهم، وكذلك إرشادات وتعاليم دينية وعقائد وتصوف وغيرها لدى سلالات الأمراء.

. . . .

حكام بِروني BRUNEI

كان حكام بروني وحكام الجزائر حولها من أسرة واحدة، قرابات أسرية، فحكام مانيلا من أقارب سلطان بروني وحاكمها الذي حارب الإسبان واستشهد هو راجَ سليمان إبن أخ أحد سلاطين بروني، وابن عم السلطان سيف الرجال سلطان بروني الذي حارب الأسبان أيضاً دفاعاً عن بروني عام ١٥٧٧م و ١٥٨٠م.

تشير شجرات العائلة في بروني إلى أن السلطَان أحمد هو ثاني حاكم مسلم في بروني، تزوج إبنتَه أحدُ الأشراف واسمه الشريف علي، وهو الذي خلف السلطان بعد وفاته فلقب السلطان بركات. هكذا ذكرت شجرة عائلة رجوات بروني[١].

ومبدأ هذه الأسرة وصول السيد زين العابدين من جهور، وقد ذكر هذا المؤلف السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه «عقود الألماس» ص ١٢٩ وبعد أن سرد النسب في ص ١٣٢ قال: قيل أن معه (أي علي زين العابدين) أخويه علوياً وأحمد وأن أحدهما أرسى على بروني ص ١٣٨ بالهامش.

وقال عن أبي بكر وهو أحد إبني علي زين العابدين أخو الشريف كَبونْسوان. وفي هامش ص ١٤٢ ذكر إسم الشريف محمد بن علي زين العابدين.

ومما جاء في كتاب «إسلام دي ماليزيا» ص ١٨١ أنقله هنا باختصار أن سلطان بروني الثالث عربي هو الشريف علي بلقيه من الطائف كما يقول A. SWEENEY لذلك نرى عدداً من الأشراف والملايو من سلالات عربية يديرون مناطق بروني في كاليمانتن الشمالية، مثل سَراواك تحت حكم عدد من الأشراف، الشريف جعفر في لينكا، والشريف مولانا في كلاكا، والشريف شهاب الدين، والشريف صاحب في «سادونغ» كما ذكر هذا C. BROOKE: TEN YEARS IN SARAWAK فلهؤلاء الأشراف جهد عظيم في نشر الاسلام في أوساط الشعب وقبائل الداياك قبل القرن التاسع عشر.

أعمال باهرة قامت بها سلطنة بروني في إدخال قبيلة «لاناو» إلى الاسلام فان ٧٥ بالمئة من أفراد هذه القبيلة مسلمون في مناطقهم الخصبة، أسلموا عن رغبة[٢].

---

(١) هيوقو HUGU LOW مجلة الجمعية الملكية الاسيوية عدد حزيران ١٨٨٠ ص ٣.

(٢) عن H. S. MORRIS: REPORT ON A MELANAU

....

وتوجد قبائل صغيرة أسلمت إحتماءً بالدولة الاسلامية. ولأنهم كانوا يجاورون مناطق الملايو المحترمين لدى الداياك سرى فيهم الاسلام.

فالتطورات أوجدها الاسلام في ذلك العهد من السلطة الاسلامية، وقد دامت سلطنة بروني من عام ١٤٧٦م إلى ١٨٤١م.

في عام ١٥٢١م كان PEGA PETTA العضو في بعثة «ماغلان» يقول: إن ملك بروني مسلم، وكان النفوذ الأعظم على الإمارات في «بورنيو» يعود إلى «بروني»، وكان الاسلام مهيمنا في بورنيو، ولا سيما في القرن السابع عشر في عهد السلطان بلقيه الملك الخامس.

ونعلم مما سبق ان لزين العابدين الذي جاء من جهور أبناء كان لهم شأن عظيم في سنّ أنظمة للإمارات ونشر الاسلام، إنتشروا وحكموا بروني وما حولها من الجزائر، مثل أبي بكر ومحمد «كَبونْسمُون» وغيرها من أبناء زين العابدين، فأبو بكر وصل إلى «بوانسا» بطريق «بروني» ثم صار حاكماً في «باسيلان» فعلي هو السلطان الثالث في بروني، وهو الأول من الأشراف حكم بروني ثم سلالته.

والذي عرفناه من أسماء سلاطين بروني من الأشراف:

١ - السلطان محمد تاج الدين الذي أمر الحاج خطيب عبد اللطيف أن يشرح سلسلة النسب ليطلع عليها الأبناء والحفـدة المنتسبون إلى سلطنة «بروني دار السلام».

٢ - السلطان حسن المقيم في «تانجونغ چينداناو» وله مرفأ في جزيرة چرمين، وهناك يوجد قبر السلطان محمد خان.

٣ - السلطان مراد الذي قاد جيشا لإخضاع ثائر في جزيرة چرمين وسمّى نفسه السلطان عبد المعين، وانتصر عليه السلطانُ مراد.

٤ - السلطان السابع والعشرون توفي عام ١٣٩٦هـ.

٥ - السلطان حسن البلقيه إبن السلطان عمر علي سيف الدين.

في بروني مدن وقرى والعاصمة ««دار السلام» والمدن كوتاباتو، دار السلوى، دار الهناء.

الاسلام في سَراواك

مختصر من تاريخها من سنة ١٤٧٦م الى ١٩٤١م[١].

كان ذلك في عهد سلطنة «بروني» ثم في عهد حكومة بروك الانكليزي من ١٨٤١ م - ١٩٤١ م كتب الأستاذ سانيب سعيد أستاذ التاريخ بجامعة ملايا ما ملخصه:

إن البحث لمعرفة مبدأ دخول الإسلام إلى بورنيو ما زال يأخذ سمته، وعلم أن أول ملك أسلم هو المدعو «أوانغ بتاتر» عام ١٤٧٦ م. ومهما كان فان الاسلام كان له كامل السيطرة في بورنيو في عهد السلطان الخامس من سلاطين «بروني» ومن بروني إنتشر الاسلام إلى الجزر الشمالية حتى مانيلا والمناطق الغربيّة من بورنيو.

لدولة بروني أعظم تأثير في نشر الإسلام، وفي هذه الدولة يجد العرب وسلالاتهم الاعتبار والتقدير، لا لأنهم تجار فحسب، بل لمعلوماتهم الدينية وخبراتهم في الشؤون الإدارية، ولصلتهم العائلية بالأسرة المالكة، فان سلطانها من سلالة عربية.

السلطان الثالث في بروني هو الشريف علي بلقية عربي المحتد، وهناك عدد من الأشراف وسلالاتهم لهم نفوذ في المناطق التابعة لدولة بروني في الناحية الشمالية، وقد برز الأشراف في نشر الاسلام بنجاح لدى الملايو ولدى قبائل الداياك. ومن هذه القبائل قبيلة لانَوْ التي يبلغ عدد مسلميها ٧٥ بالمئة في أخصب منطقة، من محصولاتها الساقو والذهب والألماس وغيرها التي صارت من صادراتها في القرن التاسع عشر ولا سيما بعد إفتتاح سنقافورا.

وعيَّن السلطانُ عليها أمراء من بروني، وصار شيوخ هذه القبيلة قدوة لغيرهم من الشيوخ. وقد أسلمت أسر دفعة واحدة مثل أسرة بليون BLIUN في ساريكي SAREKEI و بينانانغ لمجاورتها الملايو.

هذه خلاصة ما ذكره الأستاذ سانيب عن عهد دولة الأشراف السلاطين، والواقع أن مبدأ تولي الأشراف على بروني كان بتولي الشريف علي الذي صاهر ملكها، فصار الشريف علي هو الملك الثالث لمن قبله من المسلمين، والأول من الأشراف. الذين ينتسبون إلى السيد عبد الله بن علوي بن محمد صاحب مرباط وهم مع سلاطين فلبين.

---

(١) الاسلام في ماليزيا ص ١٨١.

. . . .

مبدأ حكم بروك الانكليزي SIR JAMES BROOKE

ذكروا أن حكومة سنقافورا البريطانية بعثت «بروك» إلى «كوچينغ» وكانت «سَراواك» جزء من سلطنة «بروني»، لتقديم هدايا لحاكم سَراواك تقديراً لما قدمه من عمل إنساني حيث أنقذ بحارة بريطانيين رمت الأمواج بسفينتهم إلى الساحل.

يقال أنه حدثت ثورة في عام ١٨٣٧م ضد والي سَرَاواك، من أعمال القرصان فأرسل السلطان عمر علي سيف الدين رسولا هو الشريف هاشم لإخماد الثورة.

وجاء «بروك» بهداياه وتشكراته عام ١٨٤٠م ولم يمكث زمناً طويلاً، ثم عاد إليها مرةً أخرى فرأى الفرصة سانحة للتدخل، وأنجد الشريف هاشماً على أن يكون والياً على سَرَاواك وذلك في عام ١٨٤١م، وعيّن بصورة رسمية عام ١٨٤٢م، فكان هذا بدء، حكم بروك وحكم هذه الأسرة البريطانية الذي استمر مائة عام.

لم يعمل بروك كثيراً في تحسين الحالة ولم يغيّر شيئاً من أنظمتها، ولكنه كان يستشير بعض كبراء البلاد في أعماله.

في عهده جاء العمال للعمل في منجم الذهب، فوسَّع «بروك» منطقة سَراواك. وفي عام ١٨٤٦م إستولى على جزيرة لابوان. وفي عام ١٨٤٧م راود السلطان ليوقع على معاهدة مع بريطانيا تتعلق بالتجارة والحماية ضد القرصان، وكان بروك يدفع اتاوةسنوية لسلطان بروني، وأخيراً صارت «سَراواك» مستعمرة بريطانية تحكمها أسرة بروك من عام ١٨٦٨م.

والآن صارت «سراواك» ومثلها «صباح» ضمن دولة اتحاد ماليزيا، وانكمشت بروني في رقعتها الحاضرة. غير ان الاسلام ينتشر لدى القبائل البدائية التي تسمَّى «داياك».

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٣ بتصرف.

. . . .

تحت حكم سير جيمس بروك SIR JAMES BROOKE

قال الكاتب السابق ذكره أن الاسلام كان قد خطا خطواته السابقة في سَرَاواك قبل القرن التاسع عشر، ففي عهد بروك هذا وأسرته من عام ١٨٤١م إلى ١٩٤١م فقدَ الأشرافُ نفوذَهم السابق في سَراواك، بل بدأ التغيُّـر في قبائل الداياك تجاه المسلمين، واعتبرت «بروك» حاميها من القبائل الأخرى.

قطع بروك العلاقات بين الملايو وبين قبائل الداياك، فأسكن الملايو في جهات من مصب الأنهر، وجعل قبائل الداياك في المناطق الداخلية، ولم يحظ الملايو بشيء من التقدير. وتوقف النشاط الإسلامي لدى الداياك، وبدأ التبشير المسيحي، ففي عام ١٨٤٨م قامت منظمة انكليكان ANGLICAN SOCIETY FOR THE PROPAGATION OF THE GASPEL برئاسة فرانسيس مك ديكول FRANCIS MC. DOUGALL وكان أول أعماله موجهاً نحو الملايو، باستخدام من تنصَّر من الملايو من سنقافورا، فأثار هذا غضب الأشراف وكبراء الملايو واحتجوا على مسلك بروك هذا، فاضطر بروك إلى توجيه أعماله نحو تنصير الصينيين ثم إلى قبائل الداياك، في حين ازداد إهتمام الملايو بالإسلام تمسكاً، وامتلأت بهم المساجد، ووضع ناقوس في المسجد إعلاماً بوقت الصلاة كما يفعل النصارى في الكنائس.

وفي عام ١٨٤٨م تبرع الملايو لبناء مسجد جديد. وفي عام ١٨٥٢م صار في سَراواك مسجد عظيم. وفي ذلك العهد أقيمت عام ١٨٩٩م مدرسة THE SCHOOL FOR THE STUDY OF MOHAMEDAN THEOLOGY في سيبو، ففي هذه المدرسة يدرس القرآن والكتابة العربية والحساب وغيرها، ولم يعلم مصيرها.

ثم قال الكاتب: في عام ١٩١٤م أقام المسلمون «دار الإحسان» ثم «دار الإخوان» ثم أقيمت نوادٍ عديدة، ثم ظهر «اتحاد ملايو سَراواك عام ١٩٣٩م هكذا قال.

يظهر أن حكم أسرة بروك وحركة التنصير أثارت في نفوس المسلمين رد فعل عكسي بالتمسك الشديد بالإسلام ومنافسة الأسرة الحاكمة.

والكاتب هذا إعتمد في مقاله الذي نشر في كتاب «الاسلام في ماليزيا» على مصادر كثيرة معظمها بأقلام غربيين.

صباح

منطقة صباح، عاصمتها صباح، وعلى بعد منها بنحو ٤٨ ميلاً تقع مدينة كينابالو KINABALU وحول مدينة «كوتابلود» قبائل مختلفة، ورغم إختلاف لغاتها وأديانها فهي ذات علاقات بعضها ببعض، والتفاهم بينها بلغة «باجاو» التي هي أكثر عدداً وهم مسلمون ومثلهم الايلانون، وأما قبيلة كازاران ففيها نصارى أو لا دين لهم.

يبدو أن إنتشار الإسلام في صباح لم يكن كانتشاره في سَراواك وغيرها من المناطق التي كانت تابعة لسلطنة بروني، أو أنها كانت كذلك ولكن طرأت عليها تغيرات بعد الاستعمار.

ومن المساعي التي جهد فيها نفسه رئيس وزراء صباح السابق «تُن» داتؤ حاج مصطفى ابن هارون» حيث أنشأ في ١٩٦٩/٨/١٤م جمعية صباح الإسلامية USTA هدفها توحيد مسلمي صباح والسعي لمصالحهم وتيسير نشر العلم والتعليم الإسلامي للعموم وتكوين مجتمع إسلامي سليم.. وفي عام ١٩٧٠م بدأت حركة بث التعاليم الإسلامية في المدارس الإسلامية وعددها ٦٨ مدرسة، بها مدرسون من شبه جزيرة الملايو، بجانب مساعي الجمعية للدعوة.

ذكرت صحيفة «كينابالو» أن لدى هذه الحركة مئة وواحد داعية إسلامي إلى عام ١٩٧٤م، ولديها ٢٢ فرعاً و ٢٩٦ شعبة في جميع أنحاء صباح. وفي عام ١٩٧٧م بلغ عدد الدعاة إلى ١٦٣.

وأنشأت هذه الجمعية مجلساً إسلامياً MUIS عام ١٩٧١م لكفالة جميع المدارس الإسلامية التي كانت تتولاها الجمعية، وقد تخرج بهذه المدارس ٧٦٦ مدرساً توزعوا في شتى المدارس، وأخذ الإسلام ينتشر بين القبائل بعد ان توقف في عهد الاستعمار، وبنى مسجداً حديثاً عوضاً عن القديم، ومدرسة إشترك في بنائها المسؤولون من رجال الحكومة والوجهاء وأفراد الشعب، كما اشتركوا في بناء مساكن للمدرسين وتعاونوا في صناعة أثاث المدارس، وتحصل المتفوقون على منح دراسية[١].

---

(١) (ملخص مقال بقلم الأستاذ قادري بن نالتي عن مساعي هذه الجمعية في كتاب «الإسلام في ماليزيا» ص ١٧٣ - ١٨٠) وما زال بها بعض قبائل بدائية.

أما ما جاء في الكتب العربية القديمة إسم صبح، فرأى البعض أنه ما يسمى الآن «سيبو» ويرى البعض أنه صباح الآن.

دخول الإسلام إلى جاوا

قلنا ان الإسلام دخل إلى جاوا سنة ثلاثين للهجرة النبوية في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (٦٥٠م) وقد قال الرحالة سليمان التاجر السيرافي أن في السيلي مسلمين في عهده، أي في أواخر القرن الهجري الثاني على الأقل.

وهذا أمر ثابت لا يحتاج إلى مزيد من تحقيق لأن تجارة الأفاويه والأطياب التي تأتي من جزائر الملوك لا بد أن يتردد من أجلها التجار المسلمون إليها أو إلى ما يقاربها.

إن جزائر السيلا هي سولاوبسي وما قاربها كما ذكرها صاحب «نخبة الدهر» وذكر بحرها المسمى «سالا» وقد ذكره كذلك سير طوماس ستامفورد رافلس في كتابه تاريخ جاوا.

SIR THOMAS STAMFORD RAFFLES: HISTORY OF JAVA

والاتصال بين البلاد العربية وهذه الجزائر كان قبل الإسلام وبعده، والعرب قبل الإسلام كانوا ممن يتلقى هذه البضائع، وكانت مراكبهم تجوس خلال هذه البُحور وتأتي بالأطياب وأنواع البضائع المطلوبة لليونان والرومان.

ذكر هذا الشيخ أبو علي المرزوقي الأصفهاني في كتاب «الازمنة والأمكنة»، وذكر ذلك الحافظ إبن جرير في تاريخه في موضعين.

قال الشيخ شمس الدين أبو عبيد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي شيخ الربوة في كتابه «نخبة الدهر» بعد أن ذكر جزائر السيلا وسالا (سولو) والياقوت وصبح (سيبوه) والعلوية - وأطال في ذلك - ووصف ما بالجزائر المسماة الآن بفلبين.

«دخلها قوم من العلويين ودفنوا فيها لما فرُّوا من بني أُميّة فاستوطنوا وملكوا وماتوا بها. وهذه الجزائر لم يدخلها أحد من الغرباء فطاوعته نفسه إلى الخروج منها وان كان منها في عيش قشف، وهي في جهة الشمال من هذا البحر[1].

ولما ذكر بلاد الصنف - وهي تطلق على جميع البلاد الواقعة بعد بلاد دارنقون[2] وبورما قال: وصلت دعوة الإسلام إليها في زمن عثمان رضي الله عنه، وفيها نزل العلويون الفارون من بني أمية والحجاج ودخلوا البحر الزفتي واستوطنوا الجزيرة المعروفة بهم الآن» والسيلي حسب ما ذكره الدمشقي أنه ببحر الصين، وفي موضع آخر قال: أنه في البحر الزفتي المشرقي مما هو وراء جبال النشادر والاخوار قريب من ساحله ست جزائر كبار تسمى بالسيلي لما فيه من الياقوت والجواهر بالمعادن والمغاصات.

وفي جرالسبول دخلها قوم من العلويين وقعوا فيها لما فروا من بني أمية واستوطنوها وملكوا وماتوا بها، وهذه الجزائر لم يدخلها أحد من الغرباء فطاوعته نفسه إلى الخروج منها وان كان منها في عيش

---

(١) سوف يشير المؤلف إلى هذا الموضوع نقلاً عن شيخ الربوة في ص ٢٢٠ من هذا الكتاب.

(٢) رانقون عاصمة بورما.

قشف وهي في جهة الشمال من هذا البحر[1].

ثم ذكر أيضاً: ومن وراء هذه الجزيرة بنحو عشرين ميلاً على جبالها أرض اصطيفون وهي مسكونة بأناس من أرض الصين كفار يعبدون الشمس..

وأرضهم متصلة بجبال أصطيفون الواغلة الفاصلة الحاجزة بين هذه البرزة ومن المحيط الجنوبي المشرقي وبحر الظلمات[2].

« والمحيط الجنوبي والبرزة العظمى المسماة البحر الجامد وبحر الظلمات وبحر أصطيفون وهو أعظم بحار الدنيا الثلاثة... الخ[3].

وقال: ومن جزائر السيلي ثلاث جزائر تسمَّى جزائر سلا[4].

« ثم يلي ذلك من الشمال بلاد الصنف ومدينتهم الكبرى مدينة الصنف على ساحل البحر وأهلها مسلمون ونصارى وعباد أصنام، ووصلت دعوة المسلمين إليها في زمن عثمان رضي الله عنه، وفيها نزل العلويون الفارون من بني أمية والحجاج ودخلوا البحر الزفتي بالجزيرة المعروفة بهم إلى الآن... وجزيرة صبح..[5].

وذكر الزفتي انه هو بحر الظلمات[6].

---

(١) ص ١٣١.
(٢) ص ١٣٢.
(٣) ص ١٤٨.
(٤) ص ١٣٢.
(٥) ص ١٦٨.
(٦) ص ١٣٠ و ١٣١.

. . . .

وبناء على ما تقدم يرى البعض انه يحتمل بأن الجزيرة العلوية هي جزيرة كناوي كما يقول الدكتور نجيب صليبي أن أكبر مستوطن لهم هو جزيرة كناوي التي يسكنها الشريف العلوي في هذه الجزيرة[١].

وذكر الدكتور فيصل السامر في مقال له عن « الاصول التاريخية للإسلام في اندونيسيا » مثل ذلك[٢].

وذكر الدكتور فيليب حتي أن نفراً من الغرب مغامرين عبروا البحر إلى شبه جزيرة الملايو (شبه الجزيرة الذهبية) وكان رجل يدعى الاسكندر قد تجاوزها إلى كاتيكارا CATTIGARA[٣].

---

(١) تاريخ الاسلام في فلبين ٢ /١٢٤.
(٢) مجلة الأقلام ج ٢ شهر أذار ١٩٦٩م.
(٣) تاريخ العرب المطول ٢ /٨٨.

وقال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في كتابه «نهاية الأرب» الذي كتب في خمسة وعشرين مجلّداً في المجلد الأول صفحة ٢٢٠:

ويقال انه في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ست جزائر أخرى تسمى جزائر السيلا، يقال أن ساكنيها قوم من العلويين وقعوا إليها لما هربوا من بني أمية».

وقال العلامة المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في «الخطط المقريزية» في الجزء الأول صفحة ٢٥:

«وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضاً تعرف بجزائر السيلي نزلها بعض العلويين في أول الإسلام خوفاً من القتل».

وقال الرحالة نور الدين محمد عوفي الفارسي: أنه لما كثر إضطهاد الأشراف العلويين مدة الدولة الأموية هاجر بعض منهم إلى الحدود الصينية، وهناك على شواطىء نهر أقاموا لهم بيوتاً سكنوها وهادنوا إمبراطور الصين وخضعوا لحكومته فمدَّ لهم يد المساعدة[١].

(١) وذكر هذا أيضاً في مجلة الموسوعات السنة الثالثة في ٦ مارس ١٩٠١م.

ومراد الرحالة الفارسي بالصين ما يشمل جزائر الشرق الأقصى. وهكذا كان العرف يومئذٍ كما صرح به ياقوت الحموي في معجمه عند ذكر جاوا[1].

---

(١) ومما ينبغي ملاحظته نسبة الصين أحياناً في الكتب العربية القديمة إلى أشخاص. فقد ينسب الشخص أو البحر أو السفينة إلى الصين، وليس المراد الصين المعروفة الآن. فإن إبراهيم بن إسحاق الصيني كوفي كان يتجر إلى الصين فنسب إليها، وممن نسب إلى الصين أبو الحسن بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري الأندلسي كان يكتب لنفسه الصيني لأنه قد سافر من المغرب إلى الصين توفي عام ٤١ هـ (معجم البلدان ص ١٤٠ طبع ١٩٥٨ م).
وفي «التنبيه والأشراف» للمسعودي أن البحر الحبشي هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة (ج ٢ ص ٤٤٠) ثم أن الصين موضع بالكوفة، وموضع آخر قريب من الاسكندرية، وتحت واسط بلدة تسمّى صينية الحوانيت، وممن نسب إليها الحسن بن أحمد بن ماهان أبو علي الصيني، بل أن بحر العرب قد يسمى بحر الصين (المعجم ٣ /٣٩٣) وجزائر جنوب شرقي آسيا قد تأتي على الألسنة بأنها جزائر الصين كما يقال لها أيضاً جزائر الهند.

وجاء في كتاب «سجره تانُه جاوا» لـ «فرين ميس» في الجزء الثاني صفحة ٨[١]: أن «سونَنْ كالي جاكا» كان موجوداً في القرن

(١) مترجة عن الهولندية SEJARAH TANAH JAWA.

السادس بمملكة «أديلانغو ADILANGU قريباً من دماك، وهناك يوجد المسجد الشهير الذي أقيم عام ١٤٦٨ م (٨٧٣ هـ) وقبل ذلك كانت دِمك

الهجرات

لقد سايرت الهجرات تاريخ البشرية، وتوالت موجات المهاجرين عبر القرون، وحكى التاريخ هجرات أمم واستقرارها في المواقع التي ذهبت إليها.

أقوام هاجرت هرباً من شظف العيش، أو طلباً للنجاة من أهوال الحروب، او تخلصا من المظالم، متنسمة مرابع اللجوء حتى تجد المستقر الآمن.

قد يقاسي المهاجرون آلام الرحلة ثم لا يجدون أرضاً يطاونها مسموحة لهم في استيطانها فيواصلون ترحالهم تتقاذفهم البحار، وتترامى بهم القفار والاجام، أملاً في أن يجدوا أمة تشعر نحوهم بعاطفة إنسانية فتقبلهم وتكرم مثواهم، فيقيمون في ذلك البلد بين أقوام كرام.

يسقط الطير حيث ينتجع الحب وتغشى منازل الكرماء

وقد شاهدنا في الحرب العالمية الثانية في اندونيسيا سيول اللاجئين تطلب الأمن. وشاهدنا ما فعلته جمعية الرابطة العلوية في جاكرتا التي اعتمدت عليها هيئة إيواء اللاجئين. حيث آوت جمعية الرابطة أكثر من ٢٩ ألف لاجيء، وأخلت لهم مدارسها ودار أيتامها ومنازل أعضائها. وجنَّدت سيدات الأسر لاحضار طعامهم. واستعانت بأيتامها وشبابها لخدمتهم. ويزورهم يومياً الطبيب الدكتور مواردي (الذي قتل في معركة مع الشيوعيين) كما هيأت شباناً يتناوبون أعمال إستقبالهم وترحيلهم.

وأخيراً قامت رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة بأجل خدمة بمساهمة فعالة في خدمة اللاجئين من مسلمي بورما الى بنغلاديش. الذين هربوا من الاضطهاد الشيوعي فأوجدت لهم الملاجيء والعناية الطبية وغير ذلك.

وهذه الاسر الافغانية المتدفقة إلى باكستان ناجية بنفسها من الغزو الشيوعي على بلادها، فآوتها حكومة باكستان. وساهم ذوو الاريحية من الدول العربية في تقديم التبرعات.

ونعلم بهروب بعض الأفريقيين من المجاعة والجفاف الطويل فاتخذوا طريقهم في البراري والبحار أملاً في أن يصلوا إلى بقعة يجدون فيها من ينقذهم من البؤس.

ونرى الكمبوديين يجتازون الحدود إلى ماليزيا فتؤيهم مؤسسة «ڤركيم» التي أسسها الأمير تنكو عبد الرحمن. ومنهم من هاجر إلى أمريكا حيث استقبلتهم جمعية اسلامية... الخ.

تسمّى بينتارا «BINTARA» «وفي ذلك الوقت قد كان موجوداً مسجد أقدم كثيراً، فطبعاً أن المسلمين كانوا موجودين هناك في ذلك الوقت».

وهناك هجرة عقول وخبرات، وهجرة نشاط إذا لم تجد الخبرات مجالاً للعمل في وطنها، فخسرتهم أوطانهم وربحتهم مهاجرهم، خسرت البلدان النامية بسبب هذه الهجرات نحو ٥٠٠ ألف من البشر، وفي أمريكا وكندا وأوروبا فقط اكثر من ٧٥ بالمئة منهم، فتكسب هذه الدول من خدمات المهاجرين اليها ملايين الدولارات، وقد أصيب بعض الدول الشرقية بنزيف بشري، إذ بلغ عدد المهاجرين حوالي ١٢٠ ألفاً من ذوي الكفاءات والمهارات والعمال، إجتذبتهم الدول المتقدمة لتستفيد منهم.

وقد يكون دافع الهجرة الرغبة في طلب العلوم أو مجاورة الاماكن المقدسة، فقد هاجر الكثير منذ زمن إلى الحرمين الشريفين وليس فيهما في الماضي من متع الحياة ما يوجد اليوم.

وبالتالي هجرات كتب ومخطوطات وآثار ووثائق وغيرها إلى أقطار مختلفة أو إلى الفناء والنار، ففقد التاريخ مصادر كثيرة.

وقد كان الحجاج بن يوسف سبباً في هجرات طوائف من المسلمين هروباً من مظالمه، فقد هاجر الكثير من أهل الشام عام ٦٩٥ م للتخلص من استبداده فانضموا الى إخوانهم المسلمين في أفريقيا الشرقية، غير أن هجرات العرب إلى أفريقيا الشرقية تكونت منها إمارات اسلامية في «لامو»، وهاجر جماعة من الزيود عام ٧٢٩ م الى «شانقويا». وبسبب الحوادث الدامية التي سببتها القرامطة سابقاً هاجر الكثير من بلدان الخليج العربي الى أفريقيا الشرقية وهم الذين بنوا «مقديشو».

يقول المؤرخ السيد عيدروس في كتابه «بغية الامال في تاريخ الصومال» المطبوع عام ١٩٥٤ م والممنوع تداوله أن كلمة «مقدشو» منحوت من كلمتين «مقعد وشاه» او «شيخ» لانهم كانوا يلقبون سلطانهم بالشيخ، وأنشأ المهاجرون مدينة «كلوَه» و «براوَه» ويقول إبن بطوطة أنه وجد في «كلوَه» شرفاء من الحجاز.

وللهجرات أثر عظيم في انتشار الاسلام، فعندما ينجو العالم من بلد يرزح تحت الاضطهاد والمظالم مثلاً إلى بلد يجد فيه الاستقرار النفسي يأخذ هذا العالم في الدعوة الى الاسلام بين أقوام ليس لهم بالاسلام صلة، فيقُبل هؤلاء على الاسلام بقلوب متفتحة وأرواح عطشى، فلما أسلموا عرفوا للدعاة أقدارهم وحفظوا لهم معروفهم ونقشوا أسماءهم في كتبهم أو ضرائحهم بعد أن نقشوها في قلوبهم.

وقال الشيخ أبو علي المزروقي الأصبهاني في كتاب « الأزمنة والأمكنة » الذي فرغ من تأليفه سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) أن تجار الهند

ولقد سبب سقوط « ملاكا » عام ١٥١١ م موجة كبيرةً من هجرة علماء المسلمين إلى سومترا وجاوا[١] وأدّت هذه الهجرة بدورها إلى ازدياد الحماس الديني والدعوة إلى الاسلام... وانضم الى الدعاة المسلمين الغرباء المسلمون المحليون وعملوا جنباً إلى جنب »[٢].

لقد هاجروا إلى جزائر الباسفيك، ومنها « فيجي » حتى صاروا أكثر عدداً من سكانها، وهاجروا إلى أوربا وتكاثروا فيها، وبهم عرف بعض سكانها الاسلام فاذا المساجد تقام والمراكز تبنى والمدارس تفتح، واعترفت بهم الحكومات المسيحية الّتي آوتهم، وأخذت العقيدة الاسلامية تجري رويداً في الشعب. وفي أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ونيوزيلند وغيرها جاليات اسلامية تعيش آمنة.

في كتاب « اليمن من الباب الخلفي »[٣]: « فالجنوب العربي يؤلف المرسى الذي يقوم عليه الجسر الحضاري والروحي الذي يمتدُّ من بلاد العرب إلى الهند المسلمة وإلى جزائر الملايو. وهناك جسر بارز آخر يصل بين الجنوب العربي والساحل الافريقي عابراً منه إلى قلب القارة، ويدرك الاسلام قوة الروابط التي تسمو فوق الحدود السياسية...الخ ».

وفي مجلة « ثقافة الهند » أنه: « في أوائل القرن الثامن كان الحجاج بن يوسف والي العراق وهو السفاك الذي يبغضه حتى المسلمون أجلى أناساً من بني هاشم من ديارهم، فقدروا الهجرة من بلادهم نهائياً، فنزل بعضهم على الساحل الغربي للهند يُسمَّى « كونكان »، والبعض الآخر وصل الى الشرق من رأس « كمورين » وقد سُمِي أخلاف الأولين « نيوانتين » وسُمّي أولاد الآخرين « لبين »[٤].

---

(١) ونستيد ص١١٢ عن تاريخ الادب الكلاسيكي في الملايو
R. O. WINSTEDT THE MALAYA, A CULTURAL HISTORY.

(٢) الاسلام في الشرق الاقصى.

(٣) ترجمة خيري حماد تحت عنوان « بلاد البخور والعطور »
THE YEMEN ASECRET JOUNEY HANZ HELFRITZ.

(٤) المجلد الاول، العدد الاول ص٢٣ رايس عما كتبه وينكس عن أصل لبين
RICE MYSORE AND GORG VOL 7, P. 35.

والسند والصين وأهل المشرق والمغرب يجتمعون في صحار ساحل عمان، ثم يرتحلون إلى دبا ثم إلى الشحر، شحر مهرة ثم إلى عدن.

وفي «نزهة الخواطر» للسيد العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسيني المتوفى عام ١٣٤١ هـ أن أول من دخل الهند من آل البيت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن.

يقول فن دن بيرخ عن المستوطنات العربية: أن العرب وصلوا الى آچيه من زمن قديم واختلطوا مع الاهالي في جميع الاحياء، وكان بعضهم يحتفظ بشخصيته.

وجاء في كتاب «تاريخ العلاقات بين الهند والبلاد العربية» للدكتور محمد اسماعيل الندوي ص٤٤: «ومن أشهر القبائل العربية التي نزحت الى الهند قبيلة بني هاشم إلى ساحل غرب الهند، واستوطن بعضها ساحل بُمبي في منطقة كوكان، وسميت نوايت، والبعض الاخر نزح الى الناحية الشرقية وسميًّ لبّي LABBAI وقد انتشرت لبّي في مديرية تنّي ويلي عن طريق الزواج والتوالد، وقد اكتشفت لهم آثار تاريخية في هذه المنطقة يرجع تاريخها الى القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي».

وفي الهامش في نفس الصفحة قال: ومما يذكر ان القبائل العربية التي نزحت الى سيلان هي الاخرى تسمَّى لبي ومعظمها من اليمن والحجاز.

والمسعودي يذكر أنه وجد في ملابر ما لا يقل عن عشرة ألاف عربي أصيل هاجروا من سيراف وعمان وغيرها علاوة على من فيها من مواليدهم من أمهات وطنيات، فهؤلاء كانوا ذوي صلة بأوطانهم الأصلية، وكانوا يتجرون الى الجهات الشرقية».

جاء في «العرب والملاحة في المحيط الهندي»: «قبل زوال الخلافة الاموية (٧٤٩م) فرَّ بعض الشيعة من الاضطهاد في خراسان وأقاموا بأحد الانهار الكبيرة في الصين تجاه أحد الموانىء».

هكذا تقول الرواية التي حفظها لنا المروزي (حوالي ١١٢٠) وهو يصف الجالية بأنها كانت لا تزال قائمة في عصر متأخر، وأنها كانت تشتغل بالوساطة في التجارة بين أهل الصين والاجانب»[١] «وأن فريقاً من فرس شيراز وسيراف هاجروا في القرن التاسع والعاشر، وصارت جدة مركز التجارة بين مصر والمحيط الهندي، والتجارة مع فارس وكان الفرس بالطبع قد تعربوا»[٢].

---

(١) ١٩٤ العرب والملاحة في المحيط الهندي.

(٢) ص٢٢٨.

. . . .

وما زال المسلمون زعماء التجارة والملاحة في المحيط الهندي حتى تمكن البرتغاليون من الوصول الى هذه البحار، ووصل «فاسكو دي غاما» الى ماليندي حيث وجد أحمد بن ماجد، فكان وصولهم وغيرهم جداً لاضعاف الملاحة العربية وتدهورها وأصبح الغرب هو المسيطر».

وقد هاجر أول العلويين والسادة من بني الاهدل وبني قديم من العراق إلى اليمن وحضرموت واستوطنوا تلك البقاع، ثم صاروا ينتشرون في الأرض عاماً بعد عام، وقد ذكرت المصادر ما يتعلق بهذه الاسر الشيء الكثير.

ومما جاء في دائرة معارف البستاني أن: «الأهدل أسرة يمنية يرقى نسبها إلى علي بن أبي طالب قدم جدها محمد سليمان من العراق في حدود السنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) ونزل قرية المراوعة قبلي «بيت الفقيه» ثم انتشر نسله حتى نزل بعضهم وادي السهام والفخرية وزبيد وأبيات حسين، وانتقل بعضهم الى حضرموت...الخ[١].

ذكر السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين أنه كان في أوائل القرن العاشر زمن حرب وسلب وأمور كثيرة تقتضي نزوح الحضرمي عن بلاده متلبساً لباس المكافحة والمناضلة، وكانت الروح الحربية شائعة فيهم إذ ذاك، وكانت البلاد الحضرمية منقسمة قسمين يتنازع السلطان فيها قبيلان مشهوران، وكانت المهاجمات بينهما مستمرة، وأحد القبيلين يتلقى المدد من الامير التركي بتهامة، والثاني منهما يتلقى من أمام اليمن، وانقسمت قبائل حضرموت الى فرقتين، فرقة تشايع هذا وفرقة تشايع ذاك، ودامت الحالة كذلك نحو مئة وعشرين سنة، وانتهت بخروج جيش إمام اليمن سنة ١٠٦٩ هـ فأصلح بين ذينك القبيلتين وحدّ لهما حدوداً وأبقي كل منهما على ملكه».

«وكان البرتغاليون قد أخذوا يهاجمون السواحل الحضرمية في أوائل القرن العاشر، وكانت أساطيلهم تمخر البحر من سواحل الهند إلى سواحل أفريقية إلى سواحل حضرموت، وهذا البحر هو مضطرب الحضرمي، فكانت سفن الحضارمة والمهرة كثيراً ما تصادفها سفن البرتغال، ويقوم بينهم القتال الشديد، فتمرّن الحضارمة على قتال البحر. وإذا أنذر أهل الشحر (ساحل حضرموت) بأساطيل البرتغال أرسلوا الصريخ الى داخلية البلاد، فكان أهل

(١) دائرة المعارف ج٢ ص٣٥٢ طبع بيروت ١٩٥٨.

. . . .

الفقه والعلم يتسابقون للقيام بفريضة الجهاد وتتبعهم العامة فتجمع منهم الجموع هناك ترابط حتى تتصرف أساطيل العدو».

ثم قال: «وقد زاد في ضيق خناقهم القحط الواقع في سنة ٩٤٥هـ حتى أكلوا الجلود، والسيول العظيمة التي وقعت سنة ٩٣٩هـ فانها أتلفت النخيل وأرضهم حتى لم يبق منها الاّ القليل وأضرت بالجهات الجنوبية من حضرموت ضرراً بليغاً».

«فزادت هذه الحوادث إذ ذاك محبةً في الرحلة والضرب في البلاد، وبغضاً في البرتغال الذين يقطعون عليه طريقه، فعزم على مناوأتهم ومطاردتهم فكان لا يسمع بمناوئ لهم إلاّ وانضم اليه ولا يحلّ ببلاد إلاّ وشحنها بغضاً لهم»[1].

«واشتدت الهجرات الى مختلف الجهات في أواخر القرن العاشر وما بعده حتى لقد هاجرت أسر باكملها، ولا توجد أُسرة لم يهاجر أغلبها، وقد هاجر من بعضها من المئة تسعون».

«لقد استنزفتهم الهجرة وفرّقتهم، فبينما يوجد فريق من قبيلة بجزائر جاوا وسومترا إذا بالفريق الآخر منها في مدغسكر وجزائر القمر والسواحل (أفريقيا الشرقية) وهكذا، فآل العيدروس مثلاً مفرَّقون في أكثر من ٣٥ بلداً، وكذلك آل الشيخ علي بن أبي بكر السكران، وآل أحمد بن أبي بكر السكران. وهلمّ جرًّا».

«ولما اشتدت الهجرة الى الهند ارتاع أكابر العلويين وأخذوا يشجبون تلك المهاجرات ويلومون أهلها، وفي القرن الثاني عشر والثالث عشر اشتد العسف والظلم بحضرموت وظهر الفساد فسالَ سَيل الهجرة فهال ذلك أكابر السادة العلويين وارتفع صياحهم بالانذار والتحذير وحبروا في ذلك الخطب ونظموا القصائد».

هاجرت أُسَر وانقطعت تماماً عن حضرموت، ولكنها موجودة الآن في بلدان أخرى.

ذكر الدكتور محمد بهجت المصري في مقال له بجريدة الاهرام[2] أنه لم يجدد على وجه

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج٣ ص١٧٠.

(٢) جريدة الاهرام ١٩٥٥/١٢/٨ م تحت عنوان «ذكريات من الشرق».

. . . .

التحقيق تاريخ أول اتصال اسلامي بالهند، ويرجح أنه جرى في أواخر القرن السابع الميلادي بواسطة تجار العرب الذين نزلوا بسواحلها الغربية، وبخاصة ساحلي ملابر وكوجرات، وقد رحب بهم أمراء البلاد، لأنهم كانوا يثرون من المتاجرة معهم، وسمحوا لهم ببناء المساجد واقامة شعائرهم الدينية، ولم يحاول أولئك العرب المسالمون الوادعون أن يتغلغلوا في البلاد ويتملكوها ويفرضوا عليهم سلطانهم.

وبمثل هذا الاسلوب تقريباً دخل الاسلام الى جزائر الشرق.

ومما يدلّ على أقدمية الاسلام وجود مقابر قديمة منها قبر فاطمة بنت ميمون بن هبة الله بالقرب من «ليران» في قرسيء، على الشاهدة كتابات كوفية، وكانت وفاتها سنة ٤٧٥ أو ٤٩٥ هـ (١٠٨٣ أو ١١٠١ م) ويعتقد البروفسور ستوترهيم احتمال كونها زوجة تاجر عربي، ولكن البروفسور MAQUETTE المختص بعلم شواهد القبور يعتقد أنها عربية من اليمن، ومن الجائز أن تكون شاهدة القبر مجلوبة من بلادها، أو جاء بها الحضارم بعد ذلك، فاذا كانت الشاهدة مجلوبة فهي دليل على وجود جالية من مسلمي اليمن، وان كانت مصنوعة محليا فدليل على وجود مجتمع إسلامي كبير.

يقول باول ريفاير في INSECRIPTION CONFIQUE DE LERAN A. JAVA بأنها مصنوعة هناك، وأن صناعها عرب أو فرس طالت أسفارهم عن بلادهم، ويعتقد أن المسلمين كانوا مقيمين هناك.

قال الدكتور حمكا: «إن المراجع الصينية ذكرت أن العرب كانوا من أوائل الناشرين للاسلام وصلوا إلى مجموعة جزائر الملايو في القرن السابع الميلادي (اي في القرن الأول الهجري)[١].

(١) حمكا ص٣٥ في سجره أمة إسلام ج٤ طبع جاكرتا ١٩٧٦م مستشهدا بما ذكره توماس ارنولد في كتابه الدعوة الى الاسلام.

. . . .

في مهاجرهم

قال الاستاذ عبد المنعم النمر في «تاريخ الاسلام» في الهند ص٦٤: «ونحن الآن نرى أثر العرب في مليبار متمثلاً في الأسر العربية الأصل».

ونجد في سلالة عيسى الاكبر بن محمد بن علي العُرَيضي بن جعفر الصادق، أي سلالة السيد أحمد بن عيسى وإخوته منتشرين في الأقطار، في أصفهان وقُم وشيراز والجبال والعراق.

وقال ماكلين كمفبل DONAL MACLAIN CAMPBEL في كتابه JAVA ص٥٧ - ٥٨: «إن العرب والفرس إشتركوا في إقامة مملكة «ماجاڤاهيت» وكانت لهم مستوطنات منذ زمن في سومترا الغربية.

وكانت قرسيء ومدورا أماكن لاصلاح سفنهم إذا أصابها عطل، ولشحن بضائعهم وأزوادهم، وشاركوا في تأسيس مملكة «جنكالا» و «داها» و «سينغاساري»، فقد كان العرب والفرس يقيمون في هذه المواقع. والشاهدة التي عثر عليها لقبر فاطمة بنت ميمون في ليران عام ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) تدل على وجود مسلمين قبل قيام مملكة دماك الاسلامية بنحو أربعمائة سنة.

ونرى اليوم سلالات عربية في أنحاء أفريقية الشرقية والغربية والجنوبية وجزر المحيط الهندي والسند وبورما وإيران وبخارى وتركستان وتايلند والجزائر الشرقية وتركيا وغيرها.

وكان لعلمائهم وفضلائهم في مهاجرهم مكانة اشتهروا فيها بالاعمال الصالحة للمجتمع ولرجال الدول الاسلامية، فأكرمهم السلاطين والأمراء والشعب، ففي الهند كان السلطان خرم متصلاً بالسيد أبي بكر بن أحمد بن حسين العيدروس المتوفى بدولة أباد سنة ١٠٤٨ هـ وكان الملك عنبر متصلاً بالسيد أبي بكر حسين بن عبد الرحمن من آل أحمد بن الفقيه المقدم، واتصل بهذا السيد أيضاً سلطان بيجافور السلطان محمود شاه بن السلطان عادل شاه وجعله من خواص جلسائه، وكان هذا السيد كريماً ملجأً للوافدين. وكان السيد علي بن علوي بن محمد الحداد مرشداً ومستشاراً للملك عنبر، كما كان الملك عنبر متصلا بالسيد جعفر الصادق بن زين العابدين العيدروس (٩٩٧ - ١٠٦٤ م) في دولة أباد، وقد تصدر هذا السيد للتدريس في «دكن» ودرس اللغة الفارسية وترجم إليها كُتاب «العقد النبوي» كما كان متصلا به أيضاً السلطان برهان نظام شاه ولكثير منهم مكانة لدى سلاطين حيدر اباد وغيرها، ولا يسع المقام الآن حصرهم. وفي كل بقاع الهند وجزائر الشرق والصين وتايلند وغيرها سلالات أسر آل القدري وآل المطهر وآل الحداد وآل باشيبان وآل مدهر وآل خنيمان وآل العيدروس

. . . .

وآل العطاس وآل شهاب الدين وآل الشيخ أبي بكر بن سالم وآل السقاف وآل بافقيه وآل جمل الليل وآل الحبشي وآل الشاطري وآل البيض، وآل الاهدل وآل المهدلي وآل بارقبة وآل عيديد وآل الجفري وغيرهم ومن كرام الأسر العربية نجد آل العمودي وآل بافضل وآل الخطيب وآل باوزير وآل بن سمير وآل بارجاء وآل عرفان وآل الزبيدي وآل باحنان وآل مخرمة وآل الشبلي وآل نبهان وآل شراحيل وآل زغيفان وآل الصبان وآل باجابر وآل باسودان وغيرهم كثير.

ومن سافر إلى الهند السيد العالم عبد الله بن حسين بن محمد بافقيه الى مدينة كنور وتزوج بنت الوزير عبد الوهاب وصار مساعداً له إلى وفاته. والسيد محمد بن عبد الله العيدروس صاحب أحمد أباد وسورت رحل بطلب جده شيخ بن عبد الله العيدروس، ولما توفي جده عام ٩٩٠ م قام مقامه وتوفي في سورت عام ١٠٠٣ م، وللسيد العلامة محمد الباقر بن عمر بن عقيل باحسن جمل الليل تردد إلى نواحي الهند وتوفي بتريم ١٠٧٩ م.

وقد حفلت كتب التراجم بالذين هاجروا الى الاقطار فكانت لهم مستقراً، وهكذا نجد أسراً عربية ذاب بعضها في المجتمع. وبقيت أخرى معروفة. وما ذكرناه نموذج لا للحصر والاستيعاب.

وللاستاذ محمد بن عبد القادر بامطرف كتاب عن «الهجرة اليمنية» ذكر فيه المنازل التي نزح منها اليمنيون من الجنوب الى أفريقيا وأسباب الهجرات قبل الاسلام وفي العهد الاسلامي عندما ذهبوا للجهاد وانتشروا في الآفاق.

ثم ذكر المستشرقَ الهولنديَّ سنوك هرخرونيه (في بحث أعدَّه حوالي عام ١٨٨٥ م ونشر في ليدن عام ١٩٣١ م) عن الحضارم في الحجاز تجاراً وعلماء.

وفي تقرير نشرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ م أن عدد الحضارم في الحجاز خمسة آلاف شخص، وأن سوء الحالة الاقتصادية حينئذ إضطرت الكثير منهم إلى الهجرة إلى جاوا ومصوَّع ومقديشو، وأن بعض الحضارم تقلدوا الوظائف الرسمية منذ عهد الاشراف. وفي الحكم السعودي الأول كان الحضارم يدعون إلى مجلس الملك مستشارين. وقد بلغ عدد الحضارم في مكة وجدة عشرة آلاف شخص.

ومن الاسباب التي ذكرها التجارة أو المجاعات والفتن. وذكر أنه كانت لهم سفن شراعية وصلوا بها إلى أقصى الشرق. وقد بلغ الحضارم ذروة المجد في الملاحة بين سنة ١٨٤٥ م وسنة

....

١٨٥٥م وأن نشاط المهاجرين الجنوبيين تعدّى التجارة والصناعة إلى الدعوة الاسلامية حينما استقروا في جنوب شرقي آسيا وفي شرق وجنوب أفريقيا.

«وأنه لمن الثابت تاريخياً أن البرتغاليين انتزعوا إقليم موزانبيق من اليمنيين الجنوبيين وكان ميناء سفالة قاعدة ملكهم».

«إن هؤلاء الجنوبيين هم الذين حكموا جزر القمر، وهم الذين أنشأوا العمران بها، وهم الذين أطلقوا إسم «القمر» عليها، ومعناه الجزر البيضاء كالقمر، وإسم النغر (تغر) على المكان الذي يعرف باسم «ناتال» بأفريقيا الجنوبية، وأطلقوا إسم البحيرة على ميناء موزانبيق، وحرَّفة البرتغاليون الى بييرا BEIRA».

«وإن هجرتهم أثرت على أحوالهم الاجتماعية لوطنهم من حيث رخاء مستعار مُزَيَّف به ومعتمد على مصادر غير موثوق بها».

«الحضرمي في بلده يرى عيشة المهاجر التي تعوَّد عليها، وهو لا يستطيع أن يجد مثل ذلك له، ويكتفي بما تدرّ عليه من المهاجَر، فلم يعد يفكر في وطنه ومستقبله، فالوطن معلق بالخارج، ولما انقطع المورود من الشرق في الحرب العظمى أخذت المجاعة تحصد الأرواح».

وذكر أعداد المهاجرين في عام ١٩٣٥م كالآتي:
في اندونيسيا ٧١٣٣٥، وملايا وسنقافورا ٣٠٠٠ والهند ١٠٠٠٠ وشرق أفريقيا ١٢٠٠٠ والصومال والحبشة ٢٠٠٠ والسودان ٧٥٠ ومصر ١٨ المجموع ١٠٣ ٩٩.

ويقدر التجار المحليون بصورة تحفظية تحاويلَهم السنوية من النقود إلى حضرموت بحوالي ثمانمئة ألف جنيه، منها سبعمائة ألف جنيه من إندونيسيا وملايا وسنقافورا.

الواقع أنهم وجدوا في مهاجَرهم ما أنقذهم من ضنك المعيشة ومن اضطرابات الامن، ووجدوا فيها من حياة يسودها الاطمئنان والحياة الرخية والمكانة الحسنة والكسب المنظم تحت ظل قوانين ثابتة، وظهر بهم التعاون التجاري والتسامح والتكافل إلاّ في فترات، وما زالت هذه الاسباب موجودة إلى اليوم، والحالة ما زالت كذلك، والاعتماد على الخارج كما كان.

ولهذه الاسباب انقطعت أسر كانت في حضرموت عن وطنها فلم تعد توجد فيها الآن مثلاً آل عبد الملك، آل القدري، آل بافرج، آل ختيمان. وانقطعت الهجرات بعد الحرب

. . . .

العالمية الثانية فتوجهت الهجرة الى الجزيرة العربية، أي أن الامر يتكرر في الاتكال على الخارج.

لقد إستنفدت الهجرات من جنوب اليمن ومن حضرموت خصوصاً أعداداً عظيمة من أهلها، فلم يعد الوطن يستطيع أن يعول من به من السكان وقد ازداد عددهم جيلا فجيلاً، فذهبوا أشتاتاً وساحوا في الاقطار واستوطنوا في المهاجَر ما وجدوا من أمن وحياة هادئة. ومعظم المهاجرين من الجنوب العربي من الشباب، وبقي الشيخ والطفل والمرأة والضعيف غالباً يمنـون أنفسهم بما يجود عليهم المهاجِرون من أبنائهم أو إخوانهم في ديار الغربة، فكانت الاموال ترد إليهم من الخارج باستمرار ولكن ذلك لا يعود بتحسين في تنمية البلاد فالايدي النشطة مهاجرة، فلم تنتج الأموال الّتي ترد إليهم شيئاً مفيداً في الوطن، فالاموال تأتي لتخرج مرةً أخرى في استيراد حاجاتها من الخارج، لأن الأموال لم تصاحِبها أعمال استثمارية كافية.

ولم يختص الجنوب العربي بهذه الظاهرة، بل إن عدداً من البلدان العربية واقعة في هذا النسق أيضاً مع إختلاف قليل، فاذا كان عدد المهاجِرين بالمئات فان الذين تركوا أوطانهم من حضرموت يبلغون الألوف، ولهم في المهاجَر مئات الألوف من السلالات، وإذا كانت الاموال ترد إلى بعض البلدان ويصرف بعضها في الزراعة مثلاً فالزراعة في الجنوب العربي تسير إلى الوراء، وكذلك العمران، وارتفاع الأجور مع تدنّي الدخل وتبع ذلك ارتفاع النفقات، والقطاع الزراعي آخذ في الانكماش.

وإذا كان البدو الرحَّل في العصور القديمة يترحلون إلى مساقط الغيث ويرتادون مرابع الكلأ ففي العصر الحاضر شبه ذلك حيث يترَّحل الناس إلى مساقط الرزق ويرتادون مرابع المعيشة.

والهجرات الاخيرة إلى بلدان النفط أفادت الأقطار العربية التي استقبلتها كما أفادت المهاجرين أنفسهم، ولكن خسرهم وطنهم الذي تركوه يزداد جدباً، ولم يستفد من الأموال التي ترسل للعائلات في سبيل ترفيهها.

إن دام هـــذا الحـــالُ يـــا مسعودُ فـــــلا جملٌ يبقـــــى ولا قعود

ونجـد الآن من سلالات الحسنين السبطين في كـل بقعـة من بقـاع الارض ولاسيا في الاقطار الاسلامية من أقصى المغرب الى أقصى المشرق، وفي الشمال وفي آسيا الوسطى. وفي تركيا من استانبول الى أنقرة إلى الجنوب بشمال سوريا. وفي أنحاء أوروبا وأمريكا.

الامتزاج والاندماج

سبَّبت هجرات العرب والمسلمين في رحلاتهم انتشارُهم في بقاع الأرض، لقد ساحوا الى الاقاصي، واستوطنوا مناطق نائية زمناً طويلاً، ومرَّت الاحقاب وتراكضت الازمان فاندمجوا في البيئات التي أقاموا فيها وذابوا في مجتمعاتها.

للوسط أثره في الأفراد، وللزمن طاقته في التأثير على النفوس، وتكيُّف الفرد حسب المحيط تكيُّفٌ لاإرادي، وللتقاليد والعادات قوَّتها، فالناس طبعياً متمسكون بما اعتادوا عليه، فكل ما يحيط بالمرء له فاعليته، ولتقلبات الزمن قوّة اكبر من طاقات الأفراد.

أما العقائد والتقاليد المتوارثة فقلّما تذوب سريعاً، قد يستطيع الفرد أن يهدم قصراً باذخاً بالمفرقعات، أو يطمس معملاً بالصواريخ كما فعل الصهيونيون، ولكن ليس في استطاعته أن ينزع بالقوة أصولاً ومغارس أفكار نشأ الناس عليها، وعقائد تمكنت من نفوسهم، وللوراثة أثرها في السلالة، فهذا الاثر سنة طبيعية في جميع المخلوقات الحيَّة.

وقد حدثنا التاريخ عن أقوام ذابت بعد أعوام طويلة في مجتمعات، مدفوعة بتيارات العصور، ولم يُستثنَ من ذلك سوى ثلَّة من الناس حافظت على كيانها وتمسكت بأصولها وإن فقدت بعض مميزاتها، فليست في مسار حياتها بالقادرة أن تمسح عن نفسها أثر الزمن والمحيط.

«في عروق مسلمي الفلبين اليوم أثر كبير من الدماء العربية، خصوصا في عروق أبناء الحكام والرؤساء الذين يذكرون دائما أجدادهم العرب. ومن نافلة القول أن أغلبهم يدعون الانتماء الى سلالة «الاسياد[1]».

ذكر الدكتور ستوك هرخرونيه المستشرق الهولندي أن العالم «تنكو كوثاكارانغ» العدو الاكبر لهولندا يعتقد ويدافع عن عقيدته بأنه يجري في عروق أهالي آجيه دماء عربية وفارسية وتركية، وهو يعلن هذا في خطبه ونشراته الشديدة اللهجة ضد الهولنديين».

---

(١) الاسلام في الشرق الاقصى ص٤٢ قيصر مخول.

قال المؤرخ محمد سعيد: «إن هذا العالم الآشي معروف بثقافته وسعة اطلاعه وتديُّنه. له مؤلفات كثيرة استولى عليها جنود الهولنديين، مما يدل على سعة علمه بتاريخ المسلمين وغيره من العلوم. فاذا صحَّ ما ذكره ستوك هرخرونيه فليس ذلك بالحديث الجزاف. بل نتيجة بحث ودراسة، والدكتور سنوك يعرف مستوى علمه بما لا مجال للشك فيه، وقد استولى على مؤلفاته واطلع عليها، فليس من المبالغة إذَنْ أن يقال أن ما ذكره سنوك عن تأثير الهندوكية في الاهالي إنما كان يقصد به الرد على رأي هذا العالم[1].

وإسم هذا العالم «تنكو عباس» كان قاضياً في سلطنة آچيه عندما كانت تجاهد ضد الاستعمار الهولندي، ومستشاراً للمجاهد الشيخ سمان قائد جيوش الجهاد.

الاندماج يجري تدريجيا، والهجرات القديمة لو لم تصهر المهاجرين في بوتقة الاوساط المحلية لبقيت السلالات واضحة الاصول، ولكن الحال غالباً لم يكن كذلك.

في تاريخ سلطنات جزائر الملوك وهي ترناتيه، تيدوريه، جيلولو، باچَنْ أن سلاطينها ينتسبون إلى أصل واحد هو السيد جعفر الصادق الذي جاء اليها في ١٠ محرم ٤٧٠ هـ (١٠٨٠ م).

تقول المراجع الملايوية أن رابع سلاطين ملاكا (تُنْ علي سري نارا) هو ابن إحدى أميرات ڤاسَيْ، وأن اباه أحد أثرياء التجار المسلمين، وغالباً ان الذي يتزوج من الاسر المرموقة إنما يكون من الدعاة أو من رجال العلم.

قال فن دن بيرخ: «إن مؤسسي الممالك الاسلامية العرب أصبحوا من جيل خاص. لهم اسماء وألقاب جاوية، لا يمتزجون مع العرب الذين جاءوا بعدهم، غير أنهم يعرفون أصولهم العربية وأنهم من «السادة» ولذلك يسمحون للسادة الاشراف فقط بزيارة ضريح «سونَنْ كونونغ جاتي» (وهو جدهم الشريف هداية الله) في چيريون (شربون) ولا يسمحون لغيرهم إلاّ الى مكان محدود».

«وفي خطب الجمعة تذكر أسماء السلاطين بألقابهم الجاوية بدلاً من العربية وهي مثبتة على شواهد القبور، فصاروا جاويين»[2].

---

(١) آچيه سڤانْجانغ أبد ٢٢/١ ACEH SEPANJANG ABAD

(٢) ص٢١٨ - ٢١٩. VAN DEN BERG.

. . . .

وقال أيضاً: « إن لدى سلطنة جوكجا عائلة أصلها من حضرموت تحتل مكانة عالية لدى السلطان إندمجت في الجاويين ».

« وقد تزوج أحد السادة آل السقاف في سياك في منتصف القرن السابع عشر من عائلة السلطان المذكور، وفي سنة ١٧٨٢ م عين سفيراً من قِبَل السلطان لدى السلطة الهولندية في ملاكا ».

« وكان السيد محمد بن علوي الجفري زعيماً عربياً في سياك برتبة «بِنداهارا ڤاتاڤاهَنْ» والده من حضرموت »[١].

وكان بين جامبي وسياك صلة قرابة، ومن زعماء جامبي الملقب «ويراكسوما» هو السيد محمد بن عيدروس الجفري.

وبمناسبة ذكر الشريف هداية الله المدفون في موضع يُسمَّى «كونونغ جاتي» فعرف بذلك بنسبته الى الموضع الذي دفن فيه. فهذا السيد كان بطلاً قاد جيوش سلطنة دماك وحارب البرتغاليين وحرَّر جاكرتا، وأنقذ جاوا الغربية من الاحتلال البرتغالي الذي كان وشيكاً أن يكون. ذكرته الكتب المحلية مثل «ڤورْوا كاچاروبَنْ نكازي» وكتاب «نكارا كرْتابومي» وحكايات الأهالي.

والمصدر البرتغالي بقلم JOAO DE BARROS قال: « إن قائداً من دماك قاد جيوشاً، ومرَّ على چيربون في طريقه الى بانتن، واحتلَّ ميناء سوندا كلاڤا (جاكرتا) في أوائل عام ١٥٢٧ م وأسس مسجداً في «چي لينچينغ»[٢].

وكان البرتغاليون يسمون الشريف هداية الله هذا باسم «ڤليتيهن» فأراد البروفسور حسين چايادينينغرات أن يعيد هذه الكلمة إلى أصلها، فرأى أنها تحرفت من «فتح الله» وأن الشريف اقتبس لنفسه هذا الاسم أو اللقب من سورة الفتح، وذلك بعد إنتصاره على البرتغاليين وطردهم من «سونْداكلاڤا» واطلاقه إسماً جديداً على هذه البلدة فسماها «جاياكرتا».

(١) ص١٩٧.

(٢) من مقال بقلم سوكرجو ڤراسور في صحيفة ڤليتا ١٩٧٧/٦/٤ م SUKARJO PRASORO.

ويقول البروفسور حسين إن من حصافة هذا الشريف أنه اقتبس من القرآن الكريم لقباً له «فتح الله» والبلدة التي حررها ترجمة الفتح المبين، أي جاكرتا.

هكذا رأى البروفسور حسين في احتمال أصل التسمية، ولكن الكتّاب بعد ذلك صاروا يطلقون لقب «فتح الله» أو «ڤاليتيهان» على الشريف هداية الله. مع أن هذا الاسم إن صح أصله فهو من تحريف البرتغاليين.

وكان أحد الدعاة السابقين الذين نسب إليهم شرف نشر الاسلام في جزيرة «تاوي تاوي» وما جاورها هو السيد علي الفقيه، وقد توافرت الدلائل على أنه أحد الاخوة السبعة، ومن المحتمل أن قدومه الى تاوي تاوي كان في آخر القرن السابع عشر»[١]

فسلالات هؤلاء الدعاة قد اندمجت وانصهرت في الشعب المسلم، وأمامنا سلالة آل عبد الملك الذين نشروا الاسلام وتولوا الاحكام في چيربون (شربون) وبانتن، وتربعوا المناصب فقد صاروا بحكم الزمن فاقدي معظم صفات أجدادهم السابقين ما عدا حفظهم لانسابهم وعقيدتهم.

قال فن دن بيرخ: «إن العائلات القديمة في بانتن كالعائلات في شربون من ناحية جاويتهم، وقد تولّى شخص من أسرة سلطنة بانتن منصب «رخينت» في چيانجور عام ١٨١٣م وقد نسي أنه من سلالة سلطان بانتن»[٢].

وآل القدري الذين ينتسبون إلى السيد حسين القدري كثير عددهم في «ڤونتيانق» وانتشر منهم في عدة مناطق، غير أنهم يعرفون بأنهم من سلالة السلاطين السادة، ويلقب كل فرد منهم بالشريف كغيرهم من المعروفة انسابهم من آل العيدروس أمراء «كوبو» وآل شهاب أمراء سياك وڤلالاوان، وقد تفرق أفراد من هذه الاسر في أنحاء ماليزيا واندونيسيا، وتولى بعضهم المناصب المرموقة في دولة ماليزيا.

---

(١) الاسلام في الشرق الاقصى ص١٧٤.
(٢) ص٢٢٠.

. . . .

وامارة ڤلالاوان كانت تابعة لسلطنة سياك، لكن الاستعمار الهولندي فصلها عن أصلها، وما زالت هذه السلالة تحكم هذه الامارة حتى نهاية الاستعمار الهولندي، وكان التقويم السنوي الذي يصدر من مؤسسة «بالي فوستاكا» يذكر هؤلاء الامراء في كل عدد من التقويم.

قال فن دن ببرخ أيضا: «إن سيداً من حضرموت تزوج بنت سلطان باچن من جزائر الملوك، ورزق ثلاث بنات وتوفي الأب، فرباهن جَدّهنَّ وصرن جزءاً من عائلة السلطان ولم يعبأن بأصولهن، ويظهر أنَّ في باچن كثير من هذا النوع ضاع نسلهم»[1].

أعرف طبيبا اسمه عبد الرحمن نور من السادة آل العيدروس ولد في مكاسر وتوفي أبوه فكفله خاله المدعو نور وانضم الى المدرسة على أن وليه خاله نور، فكان يدعى عبد الرحمن نور، ولم يعد يظهر حقيقته واسرتنا في مكاسر متصلة باسرته وبينهما تعارف وجوار.

ذكر الدكتور حمكا أن في «ڤريامن» توجد سلالة ملوك متصلة دماً بمملكة «ڤاكر رويونغ» يلقبون سوتَنْ، والمتصلون دماً بآچيه يلقبون باكيندو، وسلالة السادة يلقبون «سِيدي»[2].

ويقول إن في بعض قرى بوقيس ومكاسر سلالات من السادة مضت عليها أحقاب اندمجوا في شعب البوقيس، ذابوا فيهم سريعاً، وأنهم بذلوا كثيراً من الجهد في نشر الاسلام، وأن في جامبي توجد سلالة آل بارقبة وهي فرع من آل الجفري يعيشون كالأهالي ممتزجين معهم، ويحملون ألقاباً جاوية (اندونيسية) وان في آچيه سلالات آل بافضل وآل جمل الليل»[3].

وقال: «إن اكثر مواليد العرب في ڤونتيانق من اسرة آل القدري، وفي كوبو آل العيدروس وعائلات آل باعبود، ومطهر، والهندوان، والحبشي، وآل الحداد، وآل السقاف وغيرهم وهذه عائلات مترابطة بصهارة عائلة آل القدري، وسادات ڤونتيانق وكوبو متمسكون بالكفاءة، غير أن معظمهم يتخذون عادات الملايو ممتزجين بسبب أعمالهم التجارية النشيطة»[4].

---

(١) ص ٢٢٨.
(٢) حمكا في صحيفة أبدي ١٩٥٩/١٠/٢٥. ABADI.
(٣) ص ٢٢٤ (ولكن آل بارقبة لم يكونوا فرعاً من آل الجفري).
(٤) ص ٢٢٥.

. . . .

وفي حي أنكيه ANGKE في جاكرتا ضريح لأحد أفراد أسرة تنتسب الى السلطان حسن الدين، واسم «انكيه» نسبة الى «راتو باكوس أنكيه» الذي كان أميراً على جاكرتا.

وفي «فاليمبانغ أُسَر علويّة معظمها محافظة على التقاليد العربية وعلى أنسابها، وفيها علماء ودعاة، وكان لأفرادها مكانات وثروات كما كانوا أرباب سفن، ومن الاسر الشهيرة ذات الرئاسة وامتلاك السفن آل الشيخ ابي بكر، آل الحبشي، آل شهاب الدين، آل السقاف، آل بارقبة، آل الكاف، آل المنور، آل الجفري، آل خنبان وغيرها.

ولاتصال العلويين بسلاطينها وذوي السلطة ومصاهرتهم إزدادت مكانتهم المزدوجة، النسب والصهارة والعلم والثروة. ذكر لي السيد محمد بن علوي العطاس من سولاوبسي عن مراكز كثير من العلويين حتى اليوم هناك، وهذه المراكز الاجتماعية قلّما تُسند إلاّ لذوي الانتساب الى الناحيتين، ناحية السلطنات والامارات وناحية السلالة، وهو الذي دلّني الى أن مدفن الداعية السيد حسين جمال الدين الاكبر في واجؤ في قرية توسورا TOSORA.

ومن الاندماج ما رأيته في مخطوط قديم مكتوب بالحروف العربية كما يلي:

«بسم الرحمن الرحيم، صاحب هذا الكتاب الفقير الحقير احمد بن كياهي مس سعيد بن كياهي مس عبد الوهاب بن كياهي مس سليمان بن سيد شريف محيي الدين بن سيد شريف عبد الرحيم بن سيد شريف عبد الوهاب بن سيد شريف محيي الدين بن سيد شريف أبو بكر بن سيد شريف محمد بن سيد شريف حسن بن سيد شريف علي بن سيد شريف علوي بن سيد شريف محمد بن سيد شريف علوي بن سيد شريف عبد الله بن سيد شريف (احمد) مهاجر بن سيد شريف عيسى بن سيد شريف محمد بن سيد شريف علي بن سيد شريف روحاني جعفر بن سيد شريف روحاني محمد باقر بن سيد شريف الاشراف زين العابدين بن سيد شريف الاشراف عظيم الاعظام حسين الشهيد بن أسد الله الغالب وروحاني علي بن أبي طالب رضي الله عنه» اهـ.

ويلاحظ في هذه السلسلة أن المتأخرين كانوا يلقبون «كياهي مس» وأن كلاً منهم من العلماء لوجود لقب «كياهي» وأن الاجداد يلقبون سيد شريف، وابتداءاً من الامام جعفر الصادق يضاف اليه لقب «روحاني» وزيد بن الامام علي زين العابدين سيد شريف الاشراف عظيم الاعظام (الاعاظم)... الخ.

وفي آخر صفحة من الكتاب المذكور كتب فيه ما يلي:

....

« هذا الكتاب صاحبه العبد الفقير الحقير محمد بن أحمد بن عبد الوهاب بن شريف سليمان ابن سيد الشريف عبد الرحيم بن سيد الشريف محيي الدين العلوي الحسيني نسباً تمت ».

ويبدو من هذه السلسلة انه ينتسب الى السيد ابي بكر باشيبان بن محمد أسد الله بن حسن الترابي بن علي بن محمد الفقيه المقدم.

وفي وثيقة إجازة مخطوطة أن يحيى بن الشيخ الحاج عبد الصمد البنتاني اجاز مسن أحمد بن كياي مس سعد في « ڤننسلان » بقرية « انكوڤيك » ووصفه بقوله « الصالح النسب الى رسول الله ».

فسلاطين بروني وسامْبَس وأمراء ڤالالاوان، وسلاطين ڤاليمبانغ وأمراء كوبو، وسلاطين بانتن وچيربون (شربون) وسياك وڤونتيانق وڤرليس هم بالتأكيد سلالات علوية، مثل حكام جزائر فلبين.

قال فن دن بيرخ[1]: « ان عبد الرحمن بن محمد باشيبان قدم في مستهل القرن الثامن عشر الى چيربون وتزوج بنت سلطانها ورزق منها ابنين سليمان وعبد الرحيم وتلقبا بألقاب جاوية وأقاما في سورابايا وڤكالونغن، وسلالتها موجودة إلى الآن. منهم في منطقة « كراڤياك » وفرع من هذه الاسرة في سورابايا كالجاويين ».

« وقد تزوج من أولاد عبد الرحيم بنت « رادين أديڤاتي دانورجو » القائم بأعمال إدارة ولاية « جوكجاكرتا »، وعندما طعن في السن عاد الى « كراڤياك » وتوفي بها ».

« وأكبر أبنائه الثلاثة هاشم (لُقّب رادبن وانسارجو » والثاني عبد الله (لقب رادين فقط) وأعقابها موجودون في « جوكجاكرتا » ويحتلون وظائف مهمة لدى السلطان، منهم « وداناجكسا » امير الشؤون العامة، والثالث علوي دخل في خدمة الحكومة البريطانية، ثم تولّى منصب « رخينت » عام ١٨١٣ م في « ماكلانغ MAGELANG » يلقب « رادين تمنكونغ دانونينغرات الاول » ويلقب ايضا « رادين أديڤاتي » وفي سنة ١٨٢٦ م خلفه ابنه أحمد (رادين تمنكونغ دانو نينغرات الثاني) واستقال عام ١٨٦٢ م فتولّى ابنه سعيد (باللقب السابق - الثالث) حتى وفاة أبيه فلقّب « رادين تمنكونغ دانو كوسومو » ثم خلفه بعد استقالته ابنه أحمد ».

(١) ص ٢٢١.

. . . .

«وفي فبراير ١٨٨١م التقيت بالسيد سعيد المذكور عند عودته من مكة على باخرة قادمة من سنغافورا، ولم يكن في حسباني أني كنت أواجه عربياً مولداً بل أميراً من أمراء جاوا القدماء».

السيد أحمد بن محسن باعبود جاء من حضرموت إلى فكالونغن، ولسلالته مكانة محترمة وهم منتشرون.

وقال فن دن بيرخ[١]: «المعروف أن العرب وصلوا إلى هذا الأرخبيل وكونوا لهم ممالك صغيرة، وقضوا على مملكة ماجاڤاهيت (الهندوكية) وصاروا حكاما بتزوجهم على بنات الملوك والطبقات الارستقراطية، وكان لهم نفوذ على الامراء والأهالي ما عدا نفوذهم على مؤسسي الممالك الذين قبلهم» «وأظن أن هذا الشرح مخالف للواقع فان نفوذهم مستمر في نجاح على جميع العناصر حتى على الذين كانوا في «ماجافاهيت» وهذا ظاهر طول مدة التاريخ الجاوي، والنفوذ المطلق يظهر في حوادث كثيرة. إن نفوذ العرب لم يكن من ناحية الدين فحسب، بل من ناحية رقتهم وطيب حديثهم وقدرتهم على الاقناع اللطيف، وقد نجحوا نجاحاً عظيما في جميع أعمالهم السياسية»[٢].

«وبالقرب من «ڤاليمبانغ» قريتان، موارا تيلانغ وكارانغ أنيار، فيهما من أسرة آل بافضل» وآل جمل الليل» اهـ.

هذا ما ذكره الكاتب، ويلاحظ قوله: ان العرب قضوا على مملكة ماجافاهيت. فقد يفهم من هذا أنهم كانوا السبب في زوال هذه المملكة أو انهم حاربوها، والواقع أن ماجاڤاهيت كانت قد تقلصت مساحاتها، وتكالب عليها الغير، وتداولتها أيدي الطامعين، فملكها غير ملوكها الاصلاء، وأخيراً انهارت.

وهنا ذكر الكاتب ما عرفه من السلالات والشخصيات، ولكن الواقع أنه يوجد جاويون معروفون بأنسابهم نذكر منهم على سبيل المثال:

---

(١) ص ١٩٢.
(٢) ص ١٩٣.

....

- الشيخ نواوي بن الشيخ العالم الحاج عمر باني مسجد تنارا في بانتن، ولد عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٣ م) تلقى العلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة عشرات السنين ورحل الى الشام ومصر للدراسة والاتصال بالعلماء، له تآليف بلغت العشرات، قضى ٦٩ عاماً بعيداً عن وطنه، توفي بمكة المكرمة عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) وأعقابه موجودون، فهو ينتسب الى سلاطين بانتن[١].

والعالم الحاج رادبن محمد ألفو من الجيل الثامن من سلالة السلطان حسن الدين بن الشريف هداية الله العلوي، المتوفى عام ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م) كان من الدعاة، وهو باني معهد «سوكامسكين» على بعد ثمانية كيلومترات من «باندونغ» وبعد وفاته تولى إبنه الحاج رادين دمياطي، وفي عام ١٩٤١ م تحطمت الابنية المخصصة للطلاب والتدريس والعلاج والطباعة تحت القنابل عندما نهض الطلاب يكافحون الاستعمار واستشهد عدد منهم، ثم أعيد البناء والمسجد، وتولى بعد ذلك رادين أنانغ صنهاجي[٢].

والحاقاً بموضوع الاندماج اقتبس هنا بعض ما جاء في كتاب «تحفة النفيس» تأليف راجَ حاج علي رياو بلغة الملايو[٣] قال: «لراجَ عالم (حاكم سياك) بنت أسمها بدرية تزوجها السيد عثمان بن شهاب فرزق منها السيد علي الذي تولّى الحكم على سياك لانقراض سلالة الراجَ».

«والاميرة «چندرا ميدي» بنت الأمير «أوڤو داهينغ ڤنمبون» البوقيسي من أمها الاميرة «كسمبا» بنت السلطان محمد زين الدين سلطان «ماتَنْ»، تزوجت الشريف عبد الرحمن بن حسين القدري، الذي أيَّده راجَ حاجي لتولّي السلطنة في «ڤونتيانق» فولدت له الشريف قاسم (الذي تولّى بعد ابيه) والشريفة عائشة (تزوجها السيد شيخ بن حامد باعبود).

«والاميرة تنكو هيتم التي أمها الأميرة «تنكو منداق» بنت السلطان عبد الجليل، تزوجت السيد حسن بن شيخ بن يحيى، فولدت له الشريفة حليمة. وتزوجت حليمة هذه السيد محمد بن زين كريشة فرزقت منه ستة: زبيدة ومريم وعبد الله (الذي تزوج صالحة بنت راجَ جعفر فولدت له عثمان ورقية وشيخ وحسين (تزوج ميمونة بنت جعفر) فولدت له محمود وعلوي وحليمة، ومن ذريته هاشم وأحمد».

ذكرت هذا نموذجا لأسباب الاندماج من بين مئات الاسباب الاخرى.

---

(١) مجلة «منبر علماء» العدد الخامس، السنة الاولى عام ١٣٩٦ هـ.

(٢) صحيفة ڤليتا ١٩٧٧/٦/٢ م.

(٣) ألّفه في ٣ شعبان ١٢٨٢ هـ وطبع بالحروف العربية عام ١٩٢٣ م ثم بالحروف اللاتينية عام ١٩٦٧ م.

وصف العرب في القرن الماضي

يصف فن دن بيرخ العرب بقوله: «إن المستوطنات التي يكثر فيها «السادة» هي اكثر مدنية، فالمدنية ملازمة لاصول النسب مثل ڤاليمبانغ. وفي منازل أثرياء «السادة» لدى كل واحد منهم مكتبة مطبوعة في مصر وسوريا والقسطنطينية (استانبول)، ويشترك أثرياء، سنغافورا في الجرائد العربية والمجلات المحلية في إندونيسيا بخلاف المستوطنات الاخرى»[١].

«التعليم الابتدائي العربي والعالي يدرس مجاناً، ويوجد وعاظ ومرشدون، لا يتناولون راتباً،على الطريقة المتخذة في حضرموت، والتدريس في نفس الكتب، وقلّما يدرسون في كتب التصوف، غير أن ميول الاهالي كانت الى التصوف».

«عائلات «السادة» تفضل الزواج فيما بينها، فالسيد يتزوج شريفة، أو بنت سلطان زوجة ثانية، والذي يتزوج من غيرهم كثيراً ما يضيع نسله».

وذكر أن «السادة محافظون على أنسابهم، فأنسابهم معروفة بخلاف غيرهم».

---

(١) ص ١٧٠.

أسباب وعوامل مواجهة اللغة العربية وحروفها

طرأت الحروف اللاتينية من الغرب مع الاستعمار على أقطار الشرق، ومنها جزائر الشرق الأقصى، ولم يتمكن الاستعمار من جعل الحروف المستوردة من الغرب بدلاً من الحروف العربية إلاّ في الربع الأول تقريباً من القرن العشرين الميلادي.

كانت الحروف العربية هي الشائعة، وتُسمَّى في سومترا حروف ملايو، وفي ملايا حروف جاوي، وفي جاوا حروف ڤيكون وحروف عرب، كما أن للغة العربية مكانتها وقداستها، بها تؤلف الكتب غالباً وبالحروف العربية دائماً، وقد تلحق بترجماتها بلغة الملايو التي تكتب بالحروف العربية، بل كان العلماء يتراسلون بها، وبها تكتب الاعلانات والنشرات، وكل مسلم لا بد أن يتعلم قراءة القرآن ومعرفة حروفه من صغره.

يحدثنا التاريخ أن السلطان الملك الظاهر ملك ڤاسَي يجيد اللغة العربية، ويعقد مجالس العلم يحضرها العلماء. وكان لملوك آچيه كتبة يتولون ديوان الرسائل بالعربية، ويطلق على رئيس الديوان «كاتب الملوك» وكانت المفاوضات بينها وبين الدول الاجنبية تجري باللغة العربية، وتكتب الاتفاقيات والمعاهدات بالحروف العربية.

واستمر الامر كذلك حتى في عهد الاستعمار، ولم تقدم حكومة هولندا على محو الحروف العربية بالقوة، بل كانت العملة المتداولة في مستعمرتها «الهند الهولندية» عليها حروف عربية بخط جميل، وكانت تصدر بلاغاتها بلغتها أولا ثم ترجمتها بالملايو مكتوبة بحروف عربية، وكانت مطبعتها الرسمية تطبع الكتب الملايوية بالحروف العربية بجانب ما تنشره بالحروف اللاتينية. وكانت المدارس الاولية في القرى تدرس فيها الحروف العربية. وقد رأيت ملفات بعض شيوخ القرى مكتوبة بالحروف العربية في الدفاتر الرسمية. كل هذا كان يجري منذ العهود الاسلامية إلى أواخر العهد الاستعماري الهولندي، ولما تكاثرت المدارس الهولندية والكليات التي أسستها حكومة هولندا أو التي أسستها الإرساليات التبشيرية في القرن العشرين، وتوجهت البعثات التعليمية إلى هولندا وتخرج فيها المتخرجون وعادوا الى وطنهم وقد تشبعوا بثقافة هولندا وخاضوا في مجالات الثقافة والتعليم فكان جلّ إتصالهم العملي بالدوائر الهولندية أكثر من اتصالهم ثقافياً بعلماء المسلمين، فقد باعدت بينهم الثقافات وجهل كل منهم بثقافة الآخر، حتى لقد انفصلت أُسَر كبيرة عن بعضها، فهذا يميل الى ثقافة الاسلام والعربية، وهذا يميل الى الغرب ويعيش بين كتب الغرب، وتحتضنهم الحكومة المستعمرة فتقدم لهم الوظائف والمراتب والرواتب، فطبيعي أن تنحصر ثقافة الفرد منهم

....

وميوله في أمور معيَّنة، ولا يستطيع غالباً من لم يثقف بثقافة المستعمِر أن يتولّى وظيفة ادارية في حكومة الاستعمار. والذين تلقوا علومهم في الغرب، هولندا أو بريطانيا يحملون بعد عودتهم إلى أوطانهم آثاراً من الثقافة التي تلقوها في أوروبا، والحنين اللاشعوري إليها، وبقيت هذه الآثار في النفوس حتى بعد أن تحررت بلادهم، فمن كان يدرس في لندن يبقى في نفسه الحنين اليها، ومن كان يدرس في هولندا يحن اليها، وكذلك يشعر من تلقى دروسه في مصر فانه يحن اليها، ومن تلقى في الحرمين يجد ملءنفسه العطف والحب لهما. وهذا أمر طبيعي في النفوس.

كانت هولندا ترعى الحروف الجاوية الباقية من مخلفات العهد الهندوكي في جاوا الوسطى، فألفت فيها الكتب وطبعت بها الرسائل والبلاغات ودرّست في مدارس الحكومة للاهالي في جاوا، بدعوى أنها جزء من الثقافة الجاوية الاصيلة بجانب تعلم الحروف اللاتينية. كما رعت الحروف المحلية في المناطق الاخرى. ولكن النتيجة أنها نجحت نجاحاً واضحاً في بث الحروف اللاتينية في مدة وجيزة، ولولا الاسلام والتعاليم الاسلامية والمدارس الاسلامية والمعاهد ووجود العلماء المدرسين في المعاهد، لولا ذلك لمحيت الحروف العربية تماماً.

ولما احتلت اليابان الشرق كله في الحرب العالمية الثانية فرضت على الناس تعلم اللغة والكتابة اليابانية، وأهملت غيرها ما عدا الحروف اللاتينية ولغة الملايو، فانها بقيت معمولاً بها فهي الحروف التي يفهمها اليابانيون والاندونسيون وغيرهم، فضعف استعمال الحروف العربية بل جهلها الكثير.

ثم أعقب الاحتلال الثورات والاضطرابات سنوات كان فيها اللاتينية هي السائدة، لأن معظم الذين تولوا زمام الامور من خريجي مدارس الاستعمار الهولندي، فلا سبيل للتفاهم كتابياً إلاّ بالحروف اللاتينيّة.

وكان رجال من الجاويين وعلى رأسهم الرئيس سوكارنو لهم ميول خاصة الى الفنون الجاوية القديمة المتوارثة، فدخلت كلمات منها واصطلاحات الى اللغة الاندونيسية، فحلّت محل كلمات عربية، كما دخلت كلمات غربية اليها واعتبرت ذلك تجديداً في اللغة الاندونيسية، ولم يكن المجمع اللغوي الذي أقيم في ميدان منذ أول عهد الاستقلال قادراً على مقاومة التيار السنسكريتي والغربي.

وسوكارنو في الاصل ينتمي الى طائفة جاوية بالوراثة تسمى «المسلم الاحمر» وكذلك والده، وكانت امه هندوكية من جزيرة بالي، فليس بغريب أن تكون ميوله الى تلك الثقافة

....

المتوارثة، وانضم اليه عدد من أرباب هذه الميول والى أساطيرها، فصارت هذه الثقافة ولغتها وأساطيرها تدرس في المدارس.

هذه موجات خلقت ظروفاً واجهت اللغة العربية وحروفها، علاوة من السيول الدفاقة من الكتب العلمية والادبية والحكايات والاقاصيص التي ترسل مجاناً الى الجامعات والمكاتب والاساتيذ والكتّاب والطلاّب تُرسل من شتى أنحاء العالم. هذا في إندونيسيا وأما في ماليزيا فقد بقيت الحروف العربية معمولاً بها حتى اليوم، ولكن يخشى أن يصيبها ما أصاب إندونيسيا فقد ظهرت البوادر، وانتشرت الحروف اللاتينية فيها وفي فطاني وفلبين.

العلاقات الوثيقة بين العرب واندونيسيا

نشرت صحيفة «ڤليتا» مقالاً تحت هذا العنوان ملخصه ما يلي:

«الطلاب على وجه العموم يعلمون ألقاب الدعاة الماضين، ولكنهم قلما يعلمون أصولهم وأعمالهم، مثلاً من الدعاة المعروفة ألقابهم: سونَنْ أمفيل في سورابايا، وسوتن قيري في قرسيء. والسلطان كونونغ جاتي في چيربون، وسوتَنْ بونانغ في توبان، وملك ابراهيم في غفورا - قرسيء. والسلطان باب الله في ترناتيه، وجعفر الصادق الملقب سونن قُدس في قدس، وهاشم الملقب سونن درجات في لامونغن، والسلطان حسن الدين ابن الشريف هداية الله في بانتن وغيرهم، تربطهم أسرة تنتسب الى السيد جمال الدين الحسين المتوفى في واجؤ وهو الحفيد التاسع عشر لرسول الله ﷺ من السيدة فاطمة الزهراء[1].

وقد ذكرنا علوي بن سعيد بن عبد الرحيم باشيبان الامير في «ماكلانغ» عام ١٨١٣م وهو معروف النسب، وقد صارت حفدتُه تُلقَّب بألقاب جاويّة، وكان أحد حفدته سابقاً مقيماً في جاكرتا في شارع سمي باسمه «ڤاسيبان» المحرف من «باشيبان».

وأن كثيراً من الناس يعرفون الرسام الشهير «رادين صالح» ولا يعرفون أنه إبن حسين ابن عوض من آل يحيى، من أصل عربي وأمه بنت أمير لاسِم «كياي بسطام».

هذه خلاصة ما نشرته الصحيفة المذكورة[2]. وأحب أن أضيف هنا لتبيان الواقع ما يتعلق بن ذكرتهم الصحيفة أعلن عن الدعاة المعروفين بألقابهم لدى الجميع، وقلما يعرف

---

(١) نشرة مقام مولانا ملك ابراهيم ١٩٥٦/١٠/٢٥م.

(٢) وانظر صحيفة «فيكران رعية» ١٩٧٥/١٢/٢٦ «وڤليتا» ١٩٧٩/٩/٢٤ ص٤، «ومرديكا» ١٩٧٥/١٢/٣١ «وڤاجي مشاركت» العدد ١٩٢ عام ١٩٧٦م.

....

الكثير أسماءهم، فالواقع كما يلي:

١ - سونن أمفيل، هو علي أو أحمد بن ابراهيم بن الحسين جمال الدين.
٢ - سونن قيري، هو محمد عين اليقين بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسين جمال الدين. وله ألقاب أخرى[١]
٣ - سونن كونونغ جاتي. الشريف هداية الله بن عبدالله بن علي نور الدين بن الحسين جمال الدين.
٤ - سونن بونانغ، في طوبن، ابراهيم بن علي.
٥ - ملك ابراهيم في قرسيء.
٦ - جعفر الصادق بن علي. لقب سونن قدس، لانه باني هذه المدينة وسماها قدس، وسمى مسجدها المسجد الاقصى.
٧ - سونن درجات، هاشم بن علي.
٨ - الشريف حسن الدين بن هداية الله بن عبدالله بن علي نور الدين بن الحسين.

أما الالقاب التي لقبوا بها فهي تبعاً للتقاليد المرعية، والتقاليد الالقابية ما زالت موجودة الى عصرنا هذا في عموم اندونيسيا، وقد يطغى عرف الالقاب فيحجب الاسماء عن الذاكرة العارضة.

قال الدكتور حمكا[٢] في خطابه الذي ألقاه في «ندوة تاريخ رياو» التي عقدت في «ڤاكن بارو» في مايو ١٩٧٥م: أن سلالات العرب قد إندمجت تمام الاندماج في الشعب واختلطت الدماء منذ ألف عام، وأن أسرة آل جمل الليل هاجرت إلى سومترا الغربية في جهادهم لنشر الاسلام، ويلقب الاهالي أفراد هذه السلالة الآن بلقب «سِيدي»[٣] وأن «إمام بونجول» قائد معارك «البدريين» في سومترا الغربية البطل الاندونيسي إسمه الحقيقي وراء ذلك اللقب هو محمد شهاب، ولكن سياسة الاستعمار تعمل لفصل الواحد عن الآخر ليقال أنهم أجانب شرقيون، وأن ما جاءوا به دين أجنبي، غير أن التاريخ يكشف لنا أن حبّ الشعب هو الذي اختار السيد علي بن عثمان بن شهاب ليتولّى سلطنة سياك، وأن أخاه عبد الرحمن ابن علي بن شهاب أميراً في «ڤالا لاوان» ومن حفدة سلطان سياك الشريف قاسم سيف الدين ابن شهاب، كان له أياد حسنة لجمهورية اندونيسيا، فهو أول من اعلن ضم سلطنته الى الجمهورية وتبرع لها بمبلغ ١٣ مليون خولدن عام ١٩٤٥م...» إلى آخر المقال.

---

(١) عن ACEH SEPANJANG ABAD 55 عن مصادر غربية.
(٢) عن ڤانجي مشاركت العدد ١٧٧ PANJI MASYARAKAT.
(٣) المصدر السابق العدد ١٦٩ في ١٥/٢/١٩٧٥م.

. . . .

إمام بونجول

بونجول إسم البلدة التي ينسب إليها ودفن فيها هذا العالم المجاهد الذي حارب الاستعمار الهولندي. كتب الكاتب المعروف «يوسف عبد الله ڤوار» وهو من حفدة «ڤهلوان بأسا» الأول عم إمام بونجول أو خاله مقالاً ذكر فيه أن المدعوة ستي رحمة والدة زين الأنوار هي الحفيدة السادسة للجدة حماتون والدة إمام بونجول، وعليه فابنها زين الأنوار السبط السابع (من سلسلة الأم).

ولد محمد شهاب (إسم إمام بونجول) عام ١٧٧٢م ويُدعى في شبابه «ڤيتو شريف» ثم اشتهر بـ «توانكومودا» لقب العلماء، والدته حماتون، وخاله السيد عثمان من أصل عربي من اليمن الجنوبي، وكان والدها قد أقام زمناً في المغرب. وصل السيد عثمان وأخته إلى سومترا الغربية داعيان للإسلام، ثم إستقدمها أهالي «بونجول» لنشر علوم الدين، ووهب لهما «داتؤ تمنكونغ» مزرعة في قرية «كوتو» بناحية «بونجول» ولُقب السيد عثمان «داتؤ باكيندو سومان» وتوارث هذا اللقب أبناؤه وحفدته إلى عام ١٩٥٠م، كما توارثوا منصب القضاء في كانكو هيلير GANGGU HILIR في بونجول.

ألّف «توانكولاراس» مدير المنطقة في عهد القيداري (البدريين) ويعرف بـ «نالي سوتن كانياكو» NAALI SUTAN GANIAGO كتاباً بلغة مينانكاباو بالحروف العربية ذكر فيه وفاة إمام بونجول في قرية كوتو، وهذا الكتاب محفوظ لدى الحاج قهار الدين من أسرة «كانياكو» ويعتبر هذا المخطوط ملكاً للأسرة أو القبيلة، وتوجد صورة منه لدى زين الأنوار في جاكرتا، وسبق أن قدّم هذه الصورة إلى الدكتور ڤريونو PERYONO وزير التربية والثقافة (١٩٧٥ - ١٩٦٦م) بوصفه خبيراً في التاريخ والثقافة والإسلاميات للإطلاع عليه، وكان زين الأنوار مساعداً له، وقد استقى زين الأنوار من فهلاوان باسامودا في عام ١٩٢٩م ومن وجدته لأمه «بورنيه» عن تاريخ وفاة إمام بونجول.

المصادر الهولندية تقول أنه أسر ونفي إلى ڤالوڤوه في منادو عام ١٨٣٧م وتوفي بها عام ١٨٦٤م ولكن مصادر أخرى تنفي ما قالته المصادر الهولندية[1].

---

(١) مجلة قبلة ص ٣٦ - ٣٧ العدد ٩ السنة ٣٠ في ٢٠/٥ اكتوبر ١٩٨٢م.

. . . .

ويقول حمكا انه كانت لديه مكتبة تشتمل على كتب التفسير والحديث والتصوف والفقه والنحو والصرف والمنطق والمعاني، وكلها مخطوطة، واحتفظ ورثته ببعضها، من بينهم أحمد مرزوقي في ڤماتانغ سيانتر[١].

البدريون

حادثة كان لها في زمن أثر، رغم ما اعتورتها من آراء، وما أُلبِست من عواطف، حادثة كفاح وجهاد في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وإليكها:

أول من كتب عن هذه الحادثة وتَوهَّم أسبابَها، واستلهم ما تصوره هو الكاتب الهولندي نيمان[٢] واقتدى به بعض الكتاب، منهم توماس أرنولد، وجالوا حولها وأخذوها قضية مسلمة. فلندع التَوهُّم الآن ولنقدمها مجلوةً خالية من التخمينات.

في عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) عاد ثلاثة من حجاج إندونيسيا إلى أوطانهم بعد أن أقاموا بالحرمين الشريفين من قبل عام ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) أي أكثر من ١٢ عاماً يدرسون العلم وينهلون من الثقافة الإسلامية في الحرمين اللذين هما مهوى أفئدة المؤمنين وبغية طلاب العلم من مسلمي الأقطار. هؤلاء الثلاثة الذين عرفوا بألقابهم هم.

١ - الحاج مسكين ٢ - الحاج ڤيوبانغ ٣ - الحاج سومانيك.

درسوا على أيدي المشاهير من العلماء في ذلك العهد فقد كان فيها من العلماء ما تزخر بهم البلاد كثرة، نذكر من علماء ذلك العصر لا للحصر ما يأتي:

العلامة إبراهيم بن محمد الأمير الصنعاني المكي المتوفَى عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٩ م).
العلامة الشيخ محمد الدسوقي الشافعي المتوفى عام ١٢٤٧ هـ بالمدينة المنورة.
العلامة الشيخ محمد سعيد بن محمد سنبل المتوفى عام ١٢١٥ هـ.

---

(١) توانكو راو انتارافكتا دن خيال. ص ١٩٩
TUANKU RAO ANTARA FAKTA DAN KHAYAL

(٢) NIEMANN (G. K.) INLEIDING TOT DE RENNIS VAN DEN ISLAM, P. 356-9 1861.

....

العلامة الشيخ طاهر بن محمد سعيد سنبل المتوفى عام ١٢١٨ هـ.
العلامة الشيخ أحمد بن علوي جمل الليل المتوفى عام ١٢١٦ هـ مفتي الشافعية.
العلامة الشيخ حسين بن علي مفتي المالكية المتوفى عام ١٢١٨ هـ بمكة المكرمة.
العلامة الشيخ صالح الفلاني العمري المتوفى عام ١٢١٨ هـ بالمدينة المنورة.
العلامة الشيخ زين الدين عبد الغني بن محمد هلال المتوفى عام ١٢١٨ هـ مفتي الشافعية بمكة المكرمة.
العلامة الشيخ عبد الله بن القاضي عبد المنعم مفتي الحنفية بمكة المكرمة.
العلامة السيد يوسف بن محمد البطاح الأهدل بمكة المكرمة.

الشيخ علي الصديقي، الشيخ عارف جمال، الشيخ يحيى بن محمد حباب، الشيخ محمد سعيد سفر الدين ملا عبد الله الاسلامبولي قاضي المدينة، الشيخ أحمد الجوهري، الشيخ محمد الجوهري، الشيخ عبد الحفيظ عجمي مفتكه موبى. السيد عمر بن أحمد بن عقيل السقاف. الشيخ محمد عمر بن عبد الرسول وغيرهم، فمن هؤلاء إستقى المجاورون برحاب البيت الحرام والحرم النبوي رحيق العلم وروحانية العبادة، واقتبسوا من أخلاقهم وسماتهم، وقلدوهم في آرائهم وأزيائهم وأسلوبهم الصوفي المعتدل.

عاد هؤلاء الثلاثة فيمن عادوا من المجاورين في العام الذي دخلت فيه الجيوش النجدية إلى الحجاز فاتحين في ١٨ صفر ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) عادوا إلى أوطانهم وملء قلوبهم الاخلاص للدين والكراهية للمعتدين عليه من أعدائه. فأخذوا في بث تعاليم الإسلام، والجهاد في سبيل الله، والمحافظة على التقاليد المرعية، ولكنهم وجدوا في سومترا الغربية طائفة تسمَّى «أهل العادات» الذين يتمسكون في شؤون المواريث بما لا يتفق وأحكام الإسلام، فدعوهم بالحسنى إلى ترك ما هم عليه.

ثم قوي بهم آخرون أمثال «توانكونَنْ رينچبية» ناشر الإسلام بين قبائل الباتاك عام ١٨٠٤ م وشيخه «توانكو نَنْ تُوا» الذي يدعو بالحسنى، و «ڤيتو شريف» الملقب «إمام بونجول» وغيرهم.

ولكن بعض العلماء المتحمسين للدين إندفعوا بشدّةٍ، فتطور الأمر إلى إستعمال القوة، فحدثت معارك بينهم وبين أرباب «العادات»، ولما طال القتال أحس أهل العادات بالحاجة

. . . .

إلى من يعضدهم، ووجد الهولنديون الفرصة سانحة فأيَّدوا ارباب العادات[١].

وأخيراً أدرك الطرفان أن ما هم فيه لا يفيد إلاّ المستعمر، وأن الخلاف لا يجوز أن يؤدي إلى إسالة الدماء، ولا يمكن أن تجر الدعوة إلى كراهية أحد أو قتاله، فثاب الفريقان إلى الرشد، واتفقا وواجها المستعمر، وحدثت حروب قاسية زمناً طويلاً قُتل فيها من قتل وهم كثير بينهم علماء. وسميت هذه الحروب بحروب «بيداري».

تعددت الآراء في تسمية «بيداري» ولعلها لا تعدو التخمين، فظن البعض أنها نسبة إلى بلدة «ڤيدي» وهذا بعيد، ورأى البعض أنها نسبة إلى «ڤادري» أي رهبان لأن المجاهدين كانوا بملابس بيض، وعلى أعناقهم المسابح، وعلى رؤوسهم العمائم، ولكن الرهبان لا عمائم لهم.

ويقول حمكا في كتابه «توانكوراو أنتارا فاكتا دَنْ خيال» ص ٣٠٧: إن هذه الملابس من سمات الإسلام، فملابس هؤلاء كملابس الأمير «ديڤانگارا» وأصحابه حينما حاربوا هولندا خمس سنوات، من إرتداء الجبة البيضاء والعمامة والسبحة.

ويرى البعض أن الاسم نسبة إلى «بدر». وهذا أقرب إذ شبهوا أنفسهم في حربهم ضد الكفار بأهل «بدر» الذين جاهدوا مع سيدنا رسول الله ﷺ.

وهناك من يرى رأياً آخر قد يكون وجيهاً وهو أن معظم الذين درسوا في الحرمين الشريفين على علماء لهم في العبادة إلتزام، وممن اتصلوا به وأخذوا عنه الشيخ أحمد بن محمد ابن يونس البدري المدني، فانتسبوا اليه وتلقبوا بالبدريين، وقد ظهرت آثار هؤلاء العلماء في الطلبة، في الملابس والسمات والتمسك بالعبادات وما إلى ذلك.

أول من كتب من الهولنديين عن حروب «البدريين» (ڤيداري) هم الكولونيل ريدر دستيرس RIDDER DE STUERS والكولونيل ELOUT ولانغن LANGEN ومن جاء بعدهم إنما ينقل عنهم فمن الحزم التثبت فيما يُنْقَل.

والصواب أنه نسبة الى الرهبان، لان المسلمين حاربوهم. فيقال حروب الرهبان. كما يقال الحروب الصليبية.

(١) دائرت معارف الهند الهولندية. وسجره أمة إسلام للدكتور حمكا، وتاريخ إمام بونجول.

. . . .

الألقاب والسلالات

كانت الألقاب تأخذ حيزاً من الأفكار في عادات وتقاليد هذه المجموعة من الجزائر، فكل ملك يتمتع بلقب خاص، وكلّ أمير، وكل كبير بين الموظفين، وكل ذي مكانة.. إلى آخر ما هنالك. كانت هذه الألقاب من الأمور ذات الأهمية في العرف، حتى أن الجماهير لا تعرف الشخص غالباً إلاّ بلقبه، ثم إن هناك ألقاب متوارثة، لسلالة السلاطين ألقاب، ولسلالات الأمراء ألقاب وهي كثيرة متنوعة. ومن خلال ذكر الأشخاص في هذا الكتاب قد يعثر القاريء على مختلف الألقاب المضفاة.

وفي العصر الهولندي كانت السلطة تضفي على شخص خدمها أو أرادت أن يخدمها بلقب ما كان إلاّ لسلالة مخضوصة، لذلك نرى مثلاً لقب «رادين» وهو في الأصل لأناس مخصوصين ولكن قد يلقب به فرد، ولكن لا يرث اللقب أبناؤه.

أما الفرد من السادة العلويين فيلقب بـ «سيّد» و «شريف» و «حبيب» ولكن لقب حبيب يطلق على العالم أو المسن أو الزعيم منهم، وإذا تولّى السلطنة علويٌّ لقب بالشريف، ويتوارث اللقب أبناؤه وحفدته غالباً.

ذكر الدكتور حمكا: «أن لقب شريف خاص بسلالة سيدنا الحسن، ولسلالة الحسين لمن ملك منهم، وأن سلاطين إندونيسيا المنحدرين من رسول الله ﷺ كسلاطين سياك وڤونتينانق وڤرليس وغيرها يلقبون بالشريف، فسلطان سياك يلقب رسمياً السلطان السيد الشريف قاسم بن السيد الشريف هاشم عبد الخليل سيف الدين، وكذلك مؤسس مدينة جاكرنا المعروف بسونن كونونغ جاتي يلقب بالشريف هداية الله، ومازال العرب منذ عهد سلطنة آچيه وإلى اليوم يضعون لقب سيّد قبل ذكر الاسم. وأخونا غزالبا المعروف بثقافته يلقّب «سِيدي»[1]. وقال: إنه بناءً على حديث رسول الله ﷺ ان إبني هذا سيد شباب أهل الجنة، فصارت عادة متوارثة أن يلقب كل فرد من سلالته في العالم الإسلامي بالسيّد. ومن قلّة الاحترام أن يقال مثلاً أنه ليس لرسول الله ﷺ ذريّة، أو القول إن من إدّعى النسب إليه فهو كاذب، لا يقول هذا القول إلاّ من تبلّدت إحساساته، حتى أن أبا لهب لما قال أن محمداً أبتر نزلت سورة الكوثر، فكان «الأبتر حقاً هو أبو لهب فقد مات ابناه ولم يعقبا[2] ».

---

(١) حمكا: «تنكوراو انتارا فاكتا دَنْ خيال» ص ٢٧٣.

(٢) ص ١٧١.

وقال: «إن العلويين في جميع أنحاء العالم يحافظون على أنسابهم، ففي العراق لهم نقيب، وفي مصر سيد السادات، وفي المغرب يحافظ الملك على النسب لأنه مسلم»

«وليس بالميسور أن يدعي أحد أنه من سلالة الحسن أو الحسين، فإنه إذا سئل عن صحة دعواه فعليه أن يذكر أسماء آبائه وأجداده والأسرة التي ينتسب إليها، فيراجع النقيب دعواه في شجرة «الانساب»[1].

ثم ذكر المشهورين في العصر الحاضر من رجال الإسلام المعروفين بهذا اللقب، وسلاطين الأردن والمغرب وڤرليس، وقال: إنني ذكرت هذا بشيء من التوسع حتى لا يجرأ أحد على التدخل في تحريف أنساب الغير بمجرد الهوى، وأنا شخصياً لا أحفظ من أجدادي إلاّ إلى الجد السادس فقط، ومع ذلك فأنا فخور بهذا، ويغيظني من يحاول النقد فيه، فكيف بمن يعود نسبه إلى ٣٠ أو ٤٠ جداً، ولا سيما إذا كان النقد موجَّهاً إلى ذرّية سيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ»[2].

وقال عن المذهب: «من عدم اللياقة أن لا يُعلم بأن حضرموت متمسكة بالمذهب الشافعي، بل أن الذي دعم هذا المذهب في إندونيسيا وخصوصاً في جاوا هم علماء حضرموت[3]».

ليس بالسهل حصر كل فرد من هذه السلالات هنا، والشجرات قد تكفلت بذلك، وهي موجودة في النقابات ولدى المتخصصين في علم الأنساب، ولكنا نذكر هنا بعضاً منهم بصورة عابرة. من ذلك السيد محمد بن عبد الملك العيدروس المدفون في أحد ضواحي «ترنقانو» كان متولياً على «ڤولَوْ مانيس» في بحر ترنقانو، كان عالماً صالحاً، ويعرف لدى الأهالي بلقب «تكوڤولَوْ مانيس» في عهد السلطان زين العابدين الأول.

(١) ص ١٧٢.
(٢) ص ١٧٤.
(٣) ص ٢٠٣.

وجاء في تاريخ كلانتن أن الذي جاء بالإسلام إليها هو أحد السادة العلويين من ذرية زين العابدين ولعله زين العابدين العيدروس. كما علم بوجود أسرة من آل العيدروس تنتسب إلى السيد زين العابدين بن شيخ بن مصطفى بن علي زين العابدين بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس.

وكتب محمد بن أبي بكر خريج جامعة ملايا بحثاً عن هذه الأسرة وما لها من نفوذ ومكانة، وذكر أنه يوجد ضريح لأحد أعضاء هذه الأسرة في «چابانغ تيكا» القريبة من ترنقانو هو ضريح السيد محمد مصطفى العيدروس المتوفى عام ١٢٠٧ أو ١٢٠٩هـ هو الملقب «تكومقام لامَ».

وقال: يقال ان ثلاثة إخوة من آل العيدروس سافروا من حضرموت إلى الشرق، فأقام أحدهم في جاوا، والآخر في ترنقانو، والثالث في فطاني للتجارة ونشر الإسلام. وقد زوّج السيد مصطفى إبنته للسيد زين العابدين الذي جاء من جاوا تاجراً، فرزق منها السيد محمد ولُقب «تكوتوان بسار» وتوفي عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)، ولمحمد هذا إبن هو السيد عبد الرحمن الملقَّب «**تكوڤالوه**» الذي خلَّف ذرية كانت لهم أدوار في تاريخ ترنقانو، أكبرهم محمد الذي تولى منصب الوزير الأعظم في عهد السلطان عمر عام ١٨٦٤م، ومنهم من تولى الفتيا، ومنهم من كان يسعى للإصلاح بين الناس، ومنهم مستشار في المحكمة.

وفي هذه الأسرة في عهد سلاطين ترنقانو عدد من العلماء وذوو الرتب المرموقة، ومستشار السلطان هو السيد العالم مصطفى عضو مجلس الشورى، ولهؤلاء صلات بالشعب كصلاتهم بالسلاطين لما يتمتع معظمهم بالأخلاق الفاضلة والنسك والدعوة إلى الله والعلوم. وكان الطلبة يتلقون عنهم حتى السلطان نفسه كان من الطلبة، وكان للدين حينذاك مقام والشعب متمسك بتعاليمه.

ذكر محمد إبراهيم منشي في كتاب رحلته المطبوع في كوالالو مقور عام ١٩٨٠م مسجلاً رحلته في عام ١٨٧٠م بعض شخصيات من العلويين في شبه جزيرة الملايو فذكر منهم السيد أحمد بن علي الجنيد (الواقع هو السيد احمد بن هارون بن علي كما اخبرني بذلك السيد عبد القادر الجنيد)، ومنهم السيد عبد الله بن حسن المشهور الذي تبرع لإيصال هبة من «إنكو

عبد الرحمن » لأبناء الحبيب شيخ أحدهما في أولو، والثاني في بندر هيلير[1] وأنهما قد يقومان بجولة مع « إنكو عبد المجيد »، والسيد حبيب محمد الحبشي ذو المكانة الموقرة الكريم المضياف ويلقب « توان چيليك » حوالي عام ١٢٨٩ هـ. والسيد المشهور الذي كان أميراً في سلانغور توفي عام ١٨٧٣ م ولعله الذي اتخذ إسمه علماً لمدرسة مشهور في جزيرة ڤينانغ، والسيد زين الحبشي الذي وضع مشاريع اصلاحية كثيرة لتنظيم البلاد، كان ذا مقام بارز ونفوذ، ذاهيبة ويسميه صاحب الرحلة السيد زين بن السيد ڤوتيه الحبشي في جزيرة ڤينانغ، وهو اليد اليمنى للأمير « تنكوكودين » المهاب لدى الإفرنج[2].

وفي ڤيراق تولى السلطنة السيد إسماعيل (١٨٧١ م - ١٨٧٤ م) ابن السيد راج هيتم من سياك بسومترا آلت إليه السلطنة من والدته الأميرة راج منداق بنت السلطان أحمدين، فحدث خلاف في الأسرة لوجود غيره ممن يستحق من أبناء الظهور، فتدخل الإنكليز وأنهوا الخلاف[3].

(١) ص ٥٠.
(٢) ص ٨٢ و ٩٥.
(٣) ص XL

. . . .

وفي «سجره عالم ملايو» أنه في سنة ١٧٦٥ م كان السلطان إسكندر ملك «ڤيراق» مهتماً بإحياء الشريعة الإسلامية وبثها، وكان كثير التعظيم للعلماء، فنصب أحد السادة العلويين هو السيد أبو بكر لتولّي منصب بنداهارا. وكان أخوه السيد هاشم الأصغر هو الذي سنَّ النظام (القانون) الـ ٩٩ لسلطنة ڤيراق[١].

وذكر أن العرب السابقين لا ينسجمون مع الملايو، إلاّ بعد أن جاء السادة العلويون من حضرموت فكان لهم مقام ومكانة وامتزجوا بالأهالي وسعى آخرون منهم في ابتعاث الشبان إلى مكة المكرمة[٢].

وفي مجلة «كرنتيني» حديث للسيدة «رادين آجنغ سوجي نينغسيه» بنت رادين سوقيري كوندو أتموجو» ابن أمير بربس. وأمها رادين أجنغ ريكسو نكورو» بنت أمير ڤمالانغ «رادين أريو أديڤاتي ريكسونكورو» قالت: إن مولدها كان في عام ١٩٠٨ م وتدرجت في المدارس الهولندية ونشأت تحت رعاية جدها في «فمالانغ» ودرست الدين الإسلامي، وأنه يجري في عروق جدها دم عربي من شخص بارز من العلماء، وأنه خطبها في عنفوان شبابها شاب لا تعرفه غير أن من عادة هذه الأسرة أن أهم سبب قبول الخاطب أن يكون من سلالة عريقة قبل النظر إلى مكانته الاقتصادية»[٣].

الكثير من السلالات العربية في مناطق غير عربية اللسان لا يتحدثون العربية، في الهند وجزائر الشرق الأقصى وفطاني والصين وأقطار أفريقيا ومناطق البربر في المغرب، في حين يجيد كثير من غير السلالة العربية لغة القرآن خبراء في العلوم ولهم تآليف باللغة العربية.

جاء في الموسوعة المغربية ما يلي تحت عنوان «العجمة»[٤]: «يعتمد عليها مع الموطن إبن

---

(١) سجرة عالم ملايو ٧٦/٢. SEJARAH ALAM MELAYU.
(٢) ص ١١٤/٢.
(٣) مجلة كرتيني العدد ١٧٥ في ٢٠ يوليو ١٩٨١م ص وما بعدها.
(٤) ص ١٤٩.

....

خلدون في تحقيق الأرومة (التاريخ ٩٦/٦) غير أن العجمة بالمغرب لا تكفي حتى ولو اقتربت مع الموطن بدليل وجود آل البيت وهم لباب العرب العدنانيين في مناطق بربرية لا تعرف العربية، وخاصة في الأطلس وبعض مناطق الصحراء».

ولا بأس أن نذكر هنا بعض من عرفنا من شخصيات بارزة من سلالة عربية في محيط غير عربي اللسان، ففي ماليزيا عدد من ذوي الكفاءات منهم:

السيد علوي بن محمد بن زين، السيد محمد بن علوي، السيد إبراهيم بن عبد الرحمن، السيد شيخ بارقبة والي جزيرة ڤينانغ، السيد محضار بن حسين، السيد زين العابدين بن عبد المطلب جمل الليل، السيد عبد الله بن يحيى، السيد أبو بكر بن أحمد بارقبة، السيد داتؤسري أحمد شهاب الدين رئيس وزراء سلطنة قدح، وجاء في مجلة صوت الإسلام العدد ٥ السنة ١١ أنه مندوب سامي لماليزيا في سنقافورا.

داتؤسري السيد ناصر بن إسماعيل بن شهاب رئيس مؤسسة الدعوة الإسلامية الشريفة زهراء علي أمينة عام الحركة النسائية في حرب أمنو في «باتوڤاهت» عام ١٩٧٥م. وتُنْ شريفه رضية بن شهاب مستشارة الجمعية الخيرية النسائية في جزيرة ڤينانغ. السيد زين بن شهاب أحد مندوبي جهور في أبحاث إجتماع حزب أُمتو. السيد عيدروس تنكوبسار تمڤين، السيد مختار بن السيد ياسين رئيس بوليس منطقة كوالا ترنقانو.

العطاس في ڤاهانغ

كان السيد عمر العطاس رئيساً لوزراء سلطنة ڤاهانغ، ذكره سير وينستد[1] في كتابه تاريخ ڤاهانغ وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي كان السيدان زين بن عبد الله، وأحمد بن حسن يزاولان التجارة.

السيد حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الله بن طالب العطاس ولد عام ١٨٣٢م وأمه من أهالي ڤاهانغ، وكانت العلاقات حسنة مع أسرة السلطان. وانغمس السيد في التجارة ونجح، كما كان يعمل في مجال الدعوة، وعندما حدثت خلافات بين أخوة السلطان توفّق الحبيب

(1) R.O. WINSTEDT EARLY RULERS OF PERAK, PAHANG AND ACHEH

حسن في حسم الخلافات بينهم، واجتهد السيد في فتح عدد من المدارس، من بينها المدرسة العطاسية في ڤاهانغ سنة ١٨٦٠م.

أهدى له السلطان أحمد قطعة أرض في كتاڤانغ، وجزيرة عرفت باسم جزيرة الحبيب حسن، زرعها أشجار المطاط وأتاح للأهالي فرصة الأعمال، وجعل قطعة من الأراضي للمصالح الإسلامية، وترك الباقي لورثته، ولكن الورثاء قدموها لسلطنة ڤاهانغ عندما نالت بلاد الملايو استقلالها.

ثم أقام الحبيب حسن في موار عام ١٨٨٠م وفيها رزقه الله إبناً هو السيد محمد بن حسن الذي هو والد السيد علي بن محمد مدير أوقاف الحبيب حسن ورئيس الرابطة العربية في جهور.

وانتقل الحبيب حسن إلى جهور، وفيها رزق إبناً هو السيد العالم سالم بن حسن الذي تولى القضاء في جهور قبل الحرب العالمية الثانية إلى أن توفي عام ١٩٥٥م.

كان الحبيب حسن يعمل في الحقل الاقتصادي بجانب أعماله الخيرية الإسلامية، فبنى الأبنية الكثيرة باستمرار حوالي العشرينيات. وبنى منزلين عام ١٩١٠م، ثم سلم المنزل وما يتصل به للسلطنة مبنىً وأرضاً ليكون مركزا لجيش سلطنة جهور. كما قدّم لها قبل ذلك مبنى لتكون فيه أول محكمة في جهور، وأعار منزله الثاني لسلطان جهور لمدة ١٥ عاماً بدون مقابل، وقد صار المبنى وأرضه الآن ملكاً للوقفية، وتعمل الوقفية الآن لبناء عمارة في ١٢ طبقة لمصلحة الوقفية.

وفتح الحبيب حسن مزرعة واسعة في أطراف جهور، ويدخل في ذلك ممتلكات جهور ومدرسة ومنزل الوزير الأعظم وغير ذلك الآن. وبجانب أعماله التجارية عمل في منجم الرصاص في سلانغور ومعمل الخشب ومطبعة ودار نشر.

كان الحبيب يبذل أيامه للدعوة وتأسيس المدارس، ومركز الدراسات العالية الإسلامية واللغة العربية في عام ١٩١٣م وتدريب الشباب وإرشاد الكُتَّاب والمدرسين ومصدري المجلات من بينها مجلة «جاسا».

في عام ١٩٢٣م ترأس الحبيب حسن وفداً من العلماء والمثقفين من بلاد الملايو إلى مصر لحضور مؤتمر إنتخاب خليفة للمسلمين.

ومشاريعه التي وضعها كثيرة منها بناء مسجد ومصليات ومدارس وأعمال الخير للمبرات

....

وإيجاد أحياء إسلامية. وما زالت الأوقاف موجودة تديرها أيد أمينة يقوم بها حفدته.

والأموال التي أوقفها للمبرات منها منزل الأسرة الذي أعير للمحكمة إبتداءً من عام ١٩٠٠م وأراضي عليها أبنية حكومية ودوائر في قلب مدينة جهور، سلمت كلها للسلطان إبراهيم وقطعة أرض لمد سكة الحديد في سفح جبل المدرسة العربية. أهديت مجاناً. ومثل ذلك قطعة أرض لتجعل مقابر. وقطعة أرض بها عدة شوارع وهبها مديرو الوقفية في عام ١٩٣٢م لحكومة جهور في عهد السلطان إبراهيم وعليها مسكن الوزير الأعظم ومدارس ومحطة توليد الكهرباء وغيرها. وأرض أخرى أخذتها الحكومة عام ١٩٥٧م لبناء مدرسة وأرض قدمت للمصلحة العامة في ڤاهانغ هدية. إلى غير ذلك.

أما أملاك الأوقاف فمنها أرض المدرسة العربية، وأرض لبناء مصلى وغيره ومنازل الإمام والمؤذن والموظفين، وعليها حوانيت ومساكن، يصرف دخلها للمدرسة العربية والمسجد، وأرض أخرى عليها حوانيت ومساكن يصرف دخلها للمدرسة. وأرض لبناء مصلى وغيره، وأرض أخرى عليها مساكن دخلها للمدرسة، وأرض أخرى عليها مساكن دخلها لصندوق المبرات. وأرض أخرى دخلها للمصالح الإسلامية العامة وأرض عليها مدرسة العطاس في ڤاهانغ. ومنزلان (حوانيت) ومبنى لاستراحات الدعاة والطلبة في سنقافورا، وبيت الطلبة في مصر القاهرة بقرب الأزهر.

وقد قدرت حكومة جهور أعمال الحبيب حسن فمنحته السلطان إبراهيم بن السلطان أبي بكر «وسام القرابة» دليلاً للحب والعطف، وهو أعلى وسام يعتبر، وذلك في عام ١٩٢٦ وتوجد الآن نحو ١٦ موضعاً تحمل إسم الحبيب حسن في ڤاهانغ وجهور وغيرها.

والمدرسة العطاسية في جهور تعتبر في مناهجها الأخيرة العصرية رسمية، متعاونة مع الدوائر الرسمية وديوان الشؤون الدينية. أسست هذه المدرسة في عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) والتعليم فيها مجاني، غير أن القادر قد يدفع ٦٥ دولاراً ماليزيا شهرياً، وتقدم المدرسة لضعفاء المادة الطعام، ويستطيع خريج هذه المدرسة أن يلحق بالمدارس العليا والجامعات والكليات في مصر أو غيرها.

ودخل الوقفية للمدرسة محدود، لذلك فالاعتماد على أسرة المرحوم الحبيب حسن ويبلغ مقدار ذلك نحو مليون ريال (دولار) لتصرف على مصالح المدرسة ومساكن الطلاب وغيرها ومجلس المدرسة يتألف من رجال معروفين في المجتمع، وناظر المدرسة ووكيل الوقفية هو السيد علي بن محمد العطاس.

. . . .

ومن كتاب «الإسلام في ماليزيا» ص ٩٨

أول من أقام مدرسة في ڤاهانغ صحفي من جهور هو الحبيب حسن، ولهذه المدرسة علاقة بالمدرسة التي أقامها الحاج عمر بن الحاج عبد الله، وكان الحاج عمر قد اتخذ شخصاً من خريجي مدرسة العطاس في جهور هو الحاج حسن بن سنيك للتدريس في مدرسته. ثم تأخرت هذه المدرسة لقلة عدد الطلاب، ثم أغلقت عام ١٩١٤م. وفي عام ١٩٢٠ إجتمع الحاج عمر بالحبيب حسن فاتفقا على بناء مدرسة جديدة، فاجتهد الحاج عمر بماله والحبيب حسن بدعمه. وتولّى المدرسة الحاج حسن بن سنيك يعاونه رجلان من خريجي مدرسة العطاس بجهور، وكان الحبيب حسن يدفع من جيبه رواتب المدرسين. وهذه المدرسة تعتبر أرقى مدرسة في ڤاهانغ.

السيد هادي بن أحمد بن هادي

ذكرت صحيفة «مموراندم» التي تصدر في سورابايا في ٢٥ يونيو ١٩٨٣م ما ملخصه: «توفي المجاهد هادي بن أحمد المنتمي إلى السلالة العربية. كان من رجال حزب عرب إندونيسيا، ومن أعضاء الحزب الوطني، معروفاً بتبرعاته السخية للمساجد والملاجىء، وأحد مؤسسي مسجد المجاهدين، ومؤسسة الدعوة الإسلامية YAPI.

وبوصفه من قدماء المجاهدين فقد مُنح شارة حزب الاستقلال مرتين تقديراً له، كما تلقى شارة تقدير في حرب العصابات الاستقلالية، وكان جهاده من عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٥٧م، وبوصفه عضوا في الجيش الأندونيسي من عام ١٩٥٧م برتبة ليوتنانت ثاني.

توفي في منزله بالسرطان، وصلت عليه الجماهير في مسجد المجاهدين ومسجد أمقيل، وشيَّعه ألوف من الناس بأسلوب عسكري من كتيبة يقودها الكابتن سوكاردي.

كان هذا السيد معروفاً بتدينه، محافظاً على الواجبات، كثير الصدقات والإنفاق، وقد شرح الدكتور صالح الجفري ما يعرفه من أعماله، وما له من حسنات وأياد بيضاء للمؤسسات الإسلامية ومساكن الطلاب. ترك من الأولاد أربعة أبناء وبنتين.

التعليم

كتب رضوان سعيدي في مجلة «ڤانجي مشاركت» وما ملخصه:

«في ١٧٩٩/١٢/٣١م إنتهت مهمة الشركة التجارية الهولندية .V.O.C وتولت حكومة هولندا شؤون المستعمرة جارية على نهج الشركة في شؤونها الإدارية وغيرها، ثم إضطرت إلى

أن تفتح المجال لتدريب موظفين، فاختارت لذلك من الطبقة العالية (ڤرياي).

وفي عام ١٨٥١م أقامت مدرسة الطب الأهلي SCHOOL TOT OPLEIDING VAN INLANDSCHE ARSTEN وقد جاء في التقرير السنوي (١٩٠٤م - ١٩٠٥م) لهذه المدرسة أسماء طلبتها ما بين أعوام ١٨٧٥م إلى عام ١٩٠٤م معظمهم من أفراد عائلات السلاطين والأمراء وكبار موظفي الحكومة وأمثالهم، وعددهم ٧٤٣ والناجحون منهم ١٦٠ شخصاً.

وكذلك الحال في مدرسة تخريج الموظفين الإداريين، والمدرسة الهولندية للأهالي، ومدارس للهولنديين.

في حين كان التعليم والتربية لدى المسلمين يأخذ مسيره في ذلك العهد لتخريج طلاب لينغمسوا في مبادئهم الإسلامية في المجتمع، أو زرّاعاً أو تجاراً أو مدرسين، والتعليم الديني في المعاهد مستمر على ما كان عليه، ويصمه البعض بأنه نظام عتيق تقليدي، ولكن هذا الأسلوب العتيق أخذ في التطور، ففي سنة ١٩٠١م تأسست جمعية خير في بتافيا (جاكرتا) لأغراض خيرية للمجتمع الإسلامي، ثم أقامت مدارس عام ١٩٠٥م ووسعت مواد الدراسة على أساس ثابت.

أما نفس الجمعية فقد إنضم إليها كثير من المسلمين من غير إعتبار أجناسهم، من كل الطبقات من العلماء والموظفين لدى حكومة الاستعمار ومن العمال وغيرهم. وكان من أعضائها الحاج أحمد دحلان مؤسس الجمعية المحمدية.

المؤسس الأول لهذه الجمعية الخيرية محمد الفاخر المشهور، عيدروس بن أحمد بن شهاب الدين محمد بن عبد الله بن شهاب الدين، ثم قدَّم هؤلاء السادة إلى حكومة هولندا إلتماساً للإعتراف بهذه الجمعية وقدم الإلتماس باسم باصنديد عام ١٩٠٣م، وكان اعتراف الحكومة بها عام ١٩٠٥م بشروط منها عدم إقامة فروع لها خارج مديرية بتافيا (جاكرتا).

رأت هولندا أن الإسلام ثابت وليس في الإمكان القضاء عليه، فقد انتشرت المدارس والمعاهد في كل مدينة وقرية وحي، وحكومة الاستعمار تنظر إليها بحذر وارتياب.

ولكن المستشار الهولندي سنوك هرخروتية خفَّف عن حكومته هذا الإرتياب، وأشار عليها أن تدرك بأن «الهند الهولندية» بعيدة جغرافياً عن مركز الإسلام (وهو يعني بمركز الإسلام دولة الخلافة العثمانية في إستانبول)، فليس من المتيسر أن يتصل المسلمون في إندونيسيا بذلك المركز، غير أن على الحكومة أن تكون حذرة وأن تتخذ الاحتياطات،

. . . .

وتمسح فكرة الجامعة الإسلامية من عقول رعاياها في هذه المستعمرة.

ثم سنَّت الحكومة نظاماً ينص على أن من يرغب في التدريس في المدارس والمعاهد الدينية أن يتحصل أولاً على إذن من الحكومة، من إدارة خاصة أقيمت، ومعنى هذا محاولة الإنقاص من أطراف الإسلام والتضييق على مزاولة التعليم، فظهرت حركة معاكسة لهذا النظام، وقدَّمت الجمعيات الإسلامية إحتجاجاتها، فاضطرت الحكومة إلى تلطيف المرقف فقررت أنه يكفي لمن يرغب في التدريس أن يبلغ ذلك فقط لهذه الإدارة المختصة.

ولظهور الأحزاب والجمعيات ولبعضها مدارس أصدرت الحكومة نظاماً جديداً عام ١٩٣٢م سمته «قانون المدارس غير النظامية» يقضي على كل مدرسة من هذا النوع يقيمها فرد أو جمعية أو حزب سياسي أن تطبق فيها برامج الحكومة وأن للسلطة حق الإشراف عليها فقامت حركات مضادة لهذا القانون أو النظام، حتى إضطر الوالي العام «دي يونغ DE JONGE» في عام ١٩٣٣م أن يأمر بتأجيل تطبيق هذا النظام إلى فرصة أخرى».

وما زالت المدارس والمعاهد الإسلامية تتكاثر وتتطوَّر، قامت بجهد الجمعيات الإسلامية، أو بمساعي أفراد من خريجي المدارس السابقة، أو بجهد العلماء في المعاهد والطلبة. وليس لدينا إحصاءات مفصلة عن عدد المدارس والمعاهد الإسلامية والجامعات لهذا العام.

وكنا قد نشرنا في كتاب «الإسلام في إندونيسيا» بالتعاون مع الأستاذ عبد الله بن نوح إحصاءات تحصلنا عليها من وزارة الشؤون الدينية بجاكرتا قبل ١٥ عاما. فكم يا ترى إزداد العدد اليوم؟

وخلاصة ما نشرناه في ذلك الكتاب في عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) كما يلي:

عدد المدارس الدينية المسجلة لدى وزارة الشؤون الدينية ٧٥ ألف مدرسة، والمعاهد الأهلية الإسلامية العالية والأربطة (ڤسانترين) أكثر من خمسة عشر ألفاً. هذا غير مدارس المعلمين الدينية التابعة للحكومة أو الشبيهة بالحكومية والحرة التي تدرس بها اللغة العربية وغيرها من المدارس التي تتحصل على معونات من الوزارة، وعدد الجامعات ٤٥. على أنه توجد مدارس إسلامية كثيرة جداً تابعة لجمعيات أو لهيئات أو لأفراد لا تنالها معونات الحكومة، بل تعتمد على نفسها.

هذا ما كان منها لها علاقة بالتعليم الإسلامي، وأما المدارس العامة والمعاهد والجامعات التي لا تدرس فيها الدين الإسلامي، أو المدارس المسيحية التي أقامتها جمعيات مسيحية أو الإرساليات، فليس من موضوع ذلك الكتاب.

....

المساجد

وذكرنا في الكتاب السابق ذكره أن عدد المساجد والمصليات المسجلة في وزارة الشؤون الدينية ذلك العام يبلغ ٣٦٠ ألف مسجد ومصلى. وازدياد عدد المساجد يظهر جليا في أعمال الجمعيات أو الأفراد أو سكان القرى أو غيرها باستمرار.

. . . .

من المساجد القديمة في جاكرتا

من المساجد القديمة التي بناها الشريف هداية الله في جاكرتا كما يقول الاهالي مسجد «ماروندا». ويقال ان الكابتن «تيتي يونكر TETE JONKER» في الجيش الهولندي، وهو مسلم من أهالي منيفا من جزيرة أمبون، إتخذ هذا المسجد مركزاً لقيادته ضد القوات الهولندية عام ١٦٨٣ م الى عام ١٦٨٩ م وكانت هذه المنطقة مركزا للمجاهدين من أهالي بانتن وجاكرتا، ويقع المسجد في مكان على الساحل يحيط به الآن مياه لانخفاض أرض الساحل.

مسجد أنكي ANGKE يقع على شارع «راتو باكوس انكي» أقيم في ٢ ابريل ١٧١٦ م.

مسجد تمبورا، بالقرب من حارة «جمباتن ليم» بجاكرتا، بني عام ١١٨١ هـ (١٧٦٢ م) بناه أهالي جزيرة سمباوا سكان ذلك الحي، حين نفتهم السلطة الهولندية من جزيرتهم، وأمام المسجد ضريح علماء، هم كياي مستجيب، وكياي داتينغ عام ١٢٤٧ هـ (١٨٢٨ م).

مسجد المنصور، في ساواه ليو بجاكرتا، بناه عبد المحيط بن الامير «چاكرا جايا» ابن عم تمكونغ عام ١٧١٧ م. وفي الحرب العالمية الثانية هاجمته القوات الهولندية، لأن الحاج العالم محمد منصور جعله مركزا للجهاد ضد الاستعمار، حيث رفع العلم الاندونيسي على رأس المئذنة، وأسِر الحاج منصور فاطلق الاهالي على المسجد اسم منصور.

مسجد «ڤكوجن» بناه الحاج عبد المعطي عام ١٧٣٥ م وأهدى الشريف القدري سلطان فونتيانق لهذا المسجد منبره.

مسجد الانوار، في حارة راوابيبيك في حي «أنكي» ذكر سودار سونو SUDAR SONO من قسم الآثار أن الدكتور دهان DR. F. DE HAAN في كتابه «بتانيا القديمة OUDE BATAVIA» ذكر أن هذه الحارة كانت خالية من السكان. فجعلها المجاهدون من أهالي بانتن مركزاً لهم في جهادهم ضد حكومة الشركة الهولندية. في عام ١٦٨٧ م وزعت حكومة الشركة الهولندية الاراضي، وكان عدد من أهالي بالي يسكنون في الثكنات الهولندية، اذ كانت حكومة الشركة مرتابة، لظهور بوادر منهم باتصالهم بأهالي بانتن الجاهدين فمنحتهم هذه الاراضي ليكونوا فيها حاجزاً تجاه هجمات أهالي بانتن. والواقع إن أسكانهم في تلك البقعة عزّز أهالي بانتن حيث امتزجوا بأهالي بالي.

قال سودار سونو: أنه من المحتمل أن المسجد كان موجوداً إذ ذاك، ولكن بغير شكله الحالي نظراً إلى وجود مقابر كثيرة في ساحة المسجد الامامية والخلفية.

. . . .

ولما قامت حكومة الشركة الهولندية في عهد الوالي العام «أدريان فالكنير ADRIAN VALCKENIER عام ١٧٤٠ م بمذابح الصينيين نجا بعضهم الى هذه البقعة، فحماهم الاهالي وأسلم بعضهم، ولا يعلم بالتحقيق باني هذا المسجد، ولكن الواضح وجود صينيين مسلمين. وهذا يقوي الاحتمال أن بُناة المسجد صينيون مسلمون. والمسجد جيّد البناء وبأعمدته المربعة نقوش خشبية جميلة مُوهت بماء الذهب، ولكن هذه النقوش أزيلت في عهد الوالي الهولندي فن ليميورخ سيتروم VAN LIMBURG SITRUM (١٩١٦ - ١٩٢١ م). وأما السلطان الشريف حامد القدري المدفون هناك فقد سبق له أن حارب هولندا ووقع في أسرها ونفى إلى جاكرتا، وفي ذلك المكان توفي ودفن، وبجوار مدفنه مدفن آخر عليه شاهدة خشبية سوداء»[1].

مسجد «كبون جروك» عام ١٧٨٦ م بناه صيني مسلم، واخيراً جدَّده السيد حسين بن طاهر بن شهاب الدين ومسجد السلفية في «ڤولوكادونغ» عام ١٦٢٠ م.

المسجد العتيق في «كبون بارو» بمنطقة «چاوانغ» عام ١٦٣٠ م.

مسجد في حي «لوار باتانغ» حيث كان السيد الداعية حسين بن أبي بكر العيدروس مدفوناً بالقرب منه توفي في عام ١٧٦٨ م.

أفريقيا الشرقية

عبر الاسلام البحر الاحمر والمحيط الهندي من شبه الجزيرة العربية إلى أفريقيا الشرقية، إمتداداً للعلاقات القديمة بين الجانبين.

توالت الهجرات وتكاثر الوافدون العرب منذ زمن سحيق حتى كانت أفريقيا معروفة لديهم، كما كانت بلاد العرب معروفة للافريقيين، تكاثرت أفواج المهاجرين من اليمن وحضرموت والخليج العربي وشيراز تجاراً ودعاةً وعمالاً، أو هروباً من البطش والمظالم فامتزجوا مع الاهالي وتركوا بها سلالاتهم، كما هاجر أفريقيون إلى البلاد العربية واستوطنوها وتركوا سلالات اندمجت في البيئات العربية، ولا غرابة في ذلك فالجوار وتقارب المسافات ومصالح الحياة كفيلة بتسهيل الهجرات.

(١) صحيفة فليتا ٢٦ شعبان ١٣٩٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ١٩٧٤ م ص٨ بقلم آدي باجوري

. . . .

ذكروا أن جماعة من الزيود هاجروا الى الساحل الافريقي في أواسط القرن الثامن هرباً من بطش الامويين، وفي القرن العاشر قدمت جماعة من الاحساء بمنطقة البحرين إلى بلاد الصومال، وإلى هؤلاء القادمين ينسب تأسيس «مقديشو» وإنشاء عدد من المراكز التجارية التي صارت ذات صلة وثيقة بجزيرة العرب.

وبعد سنوات وصلت مجموعة من العرب من شيراز واستقر زعيمها في مدينة كاسو، وتفرق أبناؤه على الساحل وازدهرت مدن كلوَة ومُصوَّع وجزيرة دهلك وومومباسا وغيرها. وانتشرت من موزامبيق الى الشمال، فكانت زاهية بالنشاط الاسلامي والثقافة العربية إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، حينما بدأ البرتغاليون يعبثون بالامن ويكدرون جو الطمأنينة ويسلبون إزدهارها نحو قرنين من الزمن.

ومع ذلك فان رجال الدعوة لم تثنهم الحوادث الشرسة من البرتغاليين فانغمسوا مع الأهالي ضدهم في الكفاح، واستمروا في الدعوة. وما زالت الهجرات الحضرمية تتجدَّد على الاكثر، وأدّى التمازج الى ظهور الثقافة السواحلية والمذهب الشافعي، كما وفد من عمان جماعة الاباضية وتمكنوا من السيطرة الفعلية في الحكم وطرد البرتغاليين فبدأت صفحة جديدة من السيطرة العربية.

إنتشر الاسلام وحضارته ولغته وآدابه تدريجياً حتّى عمَّ البلاد تقريباً حوالي القرن الخامس عشر.

ومن تتبع الاخبار ظهر له أن الدعوة الصامتة كانت ناجحة، أي أنه لم يمض على هجرة الامام احمد المهاجر وآل الاهدل وبني قديم في الربع الاول من القرن الرابع الهجري سوى جيلين حتى أخذت الهجرات تتدفق من حضرموت واليمن إلى أفريقيا الشرقية، ولم يكن دافع الهجرة حالة الاقتصاد أو البحث عن تجارة كانوا في حاجة إليها، فان لهم من الاموال بأيديهم وما يدر لهم من العراق ما يسد حاجاتهم، فالاسباب إذن أخرى. وقد عثر على ضريح في أواخر عام ٥٠٠ للهجرة في زنجبار.

وبنشوء المدن الاسلامية وازدهار الموانيء وقيام المراكز التجارية تمكنت حلقات الاتصال بينها وبين الجنوب العربي تجارياً ودينياً، وكتب الله النصرَ للاسلام على أيديهم، فقد كانوا في حركة دائبة، وكلما إنتشر الاسلام بنيت المساجد والمدارس في الاماكن التي يترددون إليها، بل صارت الزوايا مفتوحة الأبواب للعموم، للمسلمين وغيرهم.

ولما تمكن إنتشار الاسلام في أوساط الاهالي، ظهر فيهم علماء ودعاة إلى الله، ولما كان

للدعاة حصائل من الخبرة الواسعة بعادات الوثنيين وحياتهم ولغاتهم كان تأثيرهم كبيراً، علاوة على ما جبلوا عليه من لطف وتسامح ولباقة وجلد في الحياة، فزاد ذلك في رغبة الوثنيين في الاسلام، فقد كانت الدعوة تتخذ طريقها بالحسنى وعدم المساس بالعادات المألوفة في مجتمعاتهم القبلية، كل ذلك مما حبَّب إليهم الاسلام.

لم نجد بعد مصادر تشرح أعمال الدعاة السابقين بصورة مفصلة، وليس لدينا تواريخ حياتهم، في سبيل الدعوة في البيئات البدائية أو الوثنية، ولا شك أنهم جندوا أنفسهم لهداية تلك الكتل البشرية وإنقاذها إلى حظيرة الاسلام.

يقول السيد محمد بن أحمد مشهور الحداد – وهو الخبير بشؤون أفريقيا – في كتابه «أفريقيا بين التوحيد والتثليث»[1]: إن عدد المسلمين في عموم أفريقيا بلغ ١٤٠ مليون نسمة». وقال: «إن ما يجب أن يعمله المسلمون اليوم أن أولئك الذين تشهد لهم الملايين المسلمة في تلك الربوع بالدعوة وكفاحها وبالعلم وجهاده لم يجدوا أمامهم دروباً معبَّدة ولا مساكن مضاءة ولا طائرات للنقل أو سيارات للركاب، ولا طنافس مفروشة أو مآكل منوَّعة، وإنما كان أحدهم يمضي الليالي والايام ماشياً على أقدامه بين مزارع القرى وأنهر الأقاليم، حتى إذا جاءه الليل أحياه عبادةً وتلاوةً، ثم هو يفترش الارض إذا عزّ الحصير ويأكل من الزاد ما تيسَّر»[1].

لقد ذهب أولئك الجنود المغمورون مع الزمن، ولم يبق منهم إلاّ آثارهم من البشر، إندرست أسماؤهم وخفيت عنا شخصياتهم، بعد أن وضعوا البذور في هذه الملايين من المؤمنين.

في القرن التاسع عشر توغلوا (أي العرب) الى دواخل تنجانيقا ونياسا والكونغو حيث أخذوا في التجارة وبناء مركز لهم، فانتشر الإسلام إلى قبائل متعددة، والذين لم يسلموا بعدما كان لهم مناص من التأثر بالثقافة الجديدة التي حملها الدعاة، وباحتكاك المسلمين الطارئين وغيرهم دخل جماعة من الاهالي في الإسلام، ففي «زامبيا» قبائل مسلمة، وهاجر

(١) إفريقيا بين التوحيد والتثليث» ص٣٩ طبع عام ١٣٩٣ هـ.

(٢) ص٥٤ – ٥٥.

إليها مسلمون، واستقر كثير من المسلمين أخيراً في «روديسيا».

وخطا الاسلام خطوات واسعة عام ١٨٨٠ م في بداية الحكم الاوروبي، اذ بدت فرص للنفوذ الاسلامي، ووصل تجار المسلمين الى «يوغندا» عام ١٨٤٤ م وحققوا بعض النجاح، ولكن البعثات المسيحية وأعمالها تجاه المسلمين أدى ذلك الى صراع سافر بين دعاة الدينين، وازداد المسلمون قوة بوصول المصريين وجنود السودان، ولكن لم يهدأ التنافس، وهذا يكاد يكون طبيعياً، وأخيراً رجحت كفة المسيحيين، وظل الاسلام حبيس الساحل ردحاً من الزمن.

وكانت دهلك ومصوّع وزيلع وغيرها متأثرة بالثقافة العربية الاسلامية، وللعرب القادمين إليها دور في نشر الاسلام حتى إلى بدو العفار (الدناكل) فأدى ذلك الى قيام عدد من الامارات التي أسسها العرب عرفت بالطراز الاسلامي، من أشهرها أوفات، عدل، فنجار، جديه، هويت، دوارو. هدية، بالي موره، هرر. واسس أوفات أسرة من بني مخزوم صاهروا الاسرة الحاكمة في أواخر القرن التاسع الهجري، واتسعت رقعتها في ظل بني واضع الذين هم من أصل حبشي، وتحالفت هذه الامارات بقيادة «أوفات» حتى شمل جزءاً من جنوب شرقي الحبشة وشمال الصومال، فصارت مساحتها أوسع من مساحة مملكة الحبشة علاوة على سيطرتها التجارية» ولكن الحبشة قاومتها ونشرت المسيحية بين الوثنيين، لانها كانت تحيط بها الامارات الاسلامية التي أصبحت تواجه حروباً طاحنة مع الحبشة، فتقلص نفوذ الحلف الاسلامي، وصارت تدفع الجزية للحبشة.

ثم ظهر الامام أحمد الفران (١٥٢٧ - ١٥٤٢م) فأعلن الجهاد على الحبشة فانتصر انتصارات باهرة، ثم استشهد في إحدى المعارك ولم يبق للاسلام إلاّ مدينة هرر والمناطق الساحلية وبين الغفار والصومال.

في سنة ١٥١٧ م إستولى البرتغاليون على زيلع التي هي أقرب النقاط إلى جزيرة العرب، وهي ميناء بالصومال قديم، وكانت لمصر مراكز فيها وفي غيرها، ووصلت سيطرتها الى كسمايو الى عام ١٨٨٨ م.

واشتبك البرتغاليون مع المجاهدين عام ١٥٤٢ م، في حين يواصل الدعاة أعمالهم فانتشر

. . . .

الإسلام لدى قبائل تقري والحباب في إيريتريا سلميا بأيدي العرب القادمين من وعاظ ورجال الطرق الصوفية، ولكن مقاومة الحبشة ضدهم لم تمكن الدعاة من توسيع المجال أكثر.

وانتشرت كلمات عربية كثيرة في اللغة السواحلية، وهي لغة منتشرة في تنزانيا وكينيا وزنجبار ويوغنـدا وجزائر القمر وجنوب الصومال وزائير وموزانبيق، وكانت تكتب بالحروف العربية كسائر الاقطار الاسلامية حتى جاء المستعمرون فنشروا الحروف اللاتينية، ورغم ذلك فان الثقافة العربية الاسلامية بقيت ثابتة حتى في الادب والشعر الموزون المقفّى.

تنزانيا

كانت تابعة لسلطنـة عمان في عهد سلطان بن سيف عام ١٦٦١ م ثم حدث خلاف بين الثويني وماجد إبني سعيد، فانفصلت زنجبار عن عمان بضغط من الانكليز عام ١٨٦١ م ثم تقاسمت ألمانيا وبريطانيا النفوذ في الساحل الافريقي. وفي عام ١٩٦٤ م حدثت ثورة خلعت السلطان جمشيد بن عبد الله.

وفي عهد عبيد أماني كرومي رئيس جمهورية زنجبار شهد المسلمون والعرب خصوصاً إضطهادات ومظالم انتهت باغتياله عام ١٩٧٢ م.

والرئيس هوجوليوس نيريري مسيحي يكره الاسلام ويتبنّى الاشتراكية الافريقية فكانت الاشتراكية وبالاً إذ تدهور الاقتصاد والزراعة وساءت الحالة، وكان نائب الرئيس عبود جومبي مسلماً من زنجبار يتعاون مع رجال الاسلام، وأكثر المسلمين في زنجبار، كما لا توجد مقاطعة ليس فيها مسلمون، ولا قبيلة الاّ فيها مسلمون.

كان الاستعمار يبث التفرقة، ويعمل ضد العرب والمسلمين، وأثر في أفكار الشعب حتى الاطفال، وأقيمت كنيسة أمام قصر السلطان برغش ويطلق عليه قصر العجائب فيها لوحات تصف الوحشية التي كان يتعرض لها الرقيق، ودخلت «الصين الشيوعية» بدعوى تقديم المساعدات، فورد نحو عشرة آلاف صيني، وجاء خبراء من روسيا وأوربا الشرقية، وتكاثرت المدارس المسيحية فبلغت اكثر من خمسة آلاف مدرسة. وبعد زوال الاستعمار بقيت مناهج التدريس كما هي، وللمسلمين «مجلس أعلى للشؤون الاسلامية» ومدارس إسلامية، وحركة للشباب المسلم. وفي دار السلام توجد مدرسة عربية هي الوحيدة فيها هي مدرسة الجنيد.

كينيا

لم يضبط بالتدقيق عدد المسلمين فيها، ويخمن أن عددهم يقرب من خمسة ملايين من مجموع سكانها الأحد عشر مليون نسمة، وللمسلمين جمعيات ومدارس، ولكنها لا توازي المدارس المسيحية والحكومية كما هو الحال في معظم أقطار العالم، ويشترك المسلمون في البرلمان ونيابة الوزارة.

تأسس أخيراً مجلس اسلامي يضم مختلف الهيئات الاسلامية لتوحيد الصف ونشر الاسلام، وقامت جمعية الشبان المسلمين في الاقليم الشمالي الشرقي، تبني المدارس ومساكن للايتام ومسجداً تعتمد في نفقاتها على المسلمين المحليين، وللجمعية أراضي ومزارع وتساعدهم الحكومة ببعض الآلات الذراعية.

في مدينة «أسيولو» في شمال العاصمة «نيروبي» بنحو ١٧٠ ميلاً توجد مدرسة ومسجد، وفيها عدد من الكنائس تتبعها مدارس، وهناك أفراد لهم مساع حسنة لاقامة مدارس وبث الدعوة.

كان سكان قرية «ماريتا» الواقعة على حدود الصومال وكينيا يعانون المجاعة والجفاف زمناً طويلاً فبادرت الجمعيات المسيحية بابتعاث الارساليات لنشر المسيحية، وشُيدت كنيسة ومدرسة مستكملة اللوازم وعملت لتوسعة الزراعة حتى اخضرت هذه القرية التي تقع فيها أغلبية ساحقة من المسلمين، وصار أبناؤهم يدرسون في مدارس التبشير، وانتشرت المسيحية فيهم وعددهم نحو الالفين.

وفي كينيا يهود أخذوا تبعيات كينية لهم نشاط في الاعمال التجارية، ولهم معامل ومصانع نسيج وورق وغيرها وشركات ومراكز، ويقومون بالحفلات الماسونية.

وقد سمحت الحكومة لكل طائفة أن تبعث مدرسين إلى مدارس الحكومة لتدريس دينها، غير أن المسلمين لم يستطيعوا أن يقوموا بهذه المهمة، لانه مشروط على المدرس أن يكون ملماً باللغة الانكليزية.

. . . .

الدعاة في أفريقيا الشرقية

نقلاً عن كتاب «حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في أفريقيا الشرقية» للسيد محمد بن احمد مشهور الحداد.

الطبقة الاولى:

السيد صالح بن علوي جمل الليل وأولاده أحمد وعيدروس، والسيد أحمد بن أبي بكر بن سميط وولده عمر بن أحمد بن سميط، والشيخ عمير تاج الدين الشيرازي، الشيخ الأمين بن علي المزروعي، الشيخ محمد بن عبد الله باكثير، السيد عمر بن سالم العطاس، الشاعر الاديب محمد بن علي الأموي، وشيخ الاسلام السيد عبد الرحمن السقاف إمام الدعوة، السيد عبد الله شاه، الشيخ علي بن محمد الخطيب، الشيخ سعيد بن أحمد.

الطبقة الثانية:

السيد أحمد بن الحسين آل الشيخ، الشيخ محمد بشير، السيد محمد حسين العلوي، الشيخ عثمان بن علي العمودي، الشيخ علي بن عمير، السيد محضار المهدي، السيد حسن الشاطري، الشيخ محمد بن أحمد البريك، السيد محمد عدنان، السيد أبو الحسن بن أحمد جمل الليل، الشيخ عبد الله الخطيب، السيد محمد بن عبد الرحمن السقاف، الشيخ لال حسين أخطر، الشيخ نعمان باشيخ، السيد عبد الله البيض، الشيخ عبد الله بن محمد بار عبده (من كبار الدعاة الذين افتقدتهم أقطار أفريقية الشرقية).

الطبقة الثالثة:

السيد عمر بن عبد الرحمن بن عقيل، الشيخ عامر بن نهيد النهدي، الشيخ محمد سليم العماني، السيد أحمد مشهور الحداد، السيد عمر بن عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم، الشريف طاهر بن اسماعيل الحسيني، الشيخ عبد الله بن محمد بافضل، الشيخ عمر تاج الشيرازي، السيد ابو بكر الشلي عمر قلتين، السيد صالح بن عبد الله الحبيد، السيد

سعيد بن عبد الله البيض، الشيخ علي بن أحمد تانقا، السيد علي بن أحمد بدوي جمل الليل، الشيخ سليمان العلوي، الشيخ عبد الله الفارسي، السيد عبد القادر بن أحمد الجفري، السيد محمد بن علوي بافقيه، الحاج سعيد بن سليم المشجري، السيد منصب بن عبد الرحمن، السيد أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ ابي بكر بن سالم، الحاج لقمان حكيم البهري، الشيخ بانا مكوهيو، الشيخ محمد قاسم المعلم، جمعة بن أحمد المعلم حسين وديقو، الشيخ الوالي زكريا موشي، السيد سالم بن عمر العطاس، السيد محمد بن عبد الله الشاطري، المعلم سعيد بن أحمد القمري، الحاج رجب النوبي، الشيخ عمر باصفار، الشيخ عبد اللطيف باشراحيل، شيخ الاسلام في يوغندا الحاج كعب، الشيخ شعيب، السيد عبد الله بن علوي الجفري، الشيخ صالح بن أحمد العبادي، الشيخ علي كلومبا، السيد محمد بن حسن السقاف، السيد حسن بن سالم السقاف، الشيخ علي بن محمد زاكتي باحنان، الشيخ عبد الواحد سلوم، الشيخ محمد لبوا، الشيخ عيدي سنجابي كده، المعلم رمضان عبد الله النوبي، الحاج جمعة كينيا النوبي، الحاج رمضان أبيض، الحاج خميس سليمان البلوشي، السيد علي بن أبي بكر بن علي بلفقيه، الشيخ خلفان، الشيخ سليمان، الشيخ عبد الصمد، السيد محمد بن عبد الرحمن الجفري، الشيخ منصور الجعلي العباسي، الشيخ أحمد خير الجعلي العباسي، ياسين حسن الجعلي[1].

وجاء في الكتاب عن مدينة «لامو» أنها كانت عامرة بأهلها من آل جمل الليل، وآل الشيخ أبي بكر بن سالم، طائفتان من السادة العلويين نزحتا منذ عهد قديم من حضرموت، كانتا كعبة الوافدين من طلاب العلم من شتى اقطار أفريقيا الشرقية وصوماليا وبراوا »[2].

جزائر القمر

تتكوّن من أربع جزائر، الكبرى «انجيزجة» كما يسميها العرب وفيها العاصمة «موروان»، وانجوان (هنزوان)، وموهيلي، ومايوتا.

والعرب الذين قدموا اليها من زمن بعيد من الجنوب العربي، جاءوا للدعوة غالباً، كما هو شأن الحضرميين الذين رحلوا الى الهند وجزائر الشرق، وقد وفقوا في الدعوة بجهد أفراد لا تساندهم جمعية ولا حكومة.

---

(١) ص١٦٣ - ١٦٥ طبع مصر.

(٢) ص١٥٨.

عثر في «مايوتا» على مخطوط عربي قديم جاء فيه ذكر أول العرب المهاجرين إليها، وفي هذه الجزيرة مسجد أثري كتب على محرابه «بنى هذا المسجد السلطان عيسى بن السلطان محمد يوم ١٤ ذي القعدة ٩٤٤. وعلى مسجد «أنجوان» كتابة تاريخ بنائه عام ٩٩٥.

كان يتولّى رئاسة الحكومة السيد محمد بن شيخ من آل الشيخ أبي بكر العلويين، ورأسها أيضاً أخيراً السيد أحمد بن عبد الرحمن العلوي، قدم أجداده من حضرموت، فكان نائباً في البرلمان الفرنسي ثم في مجلس الشيوخ الفرنسي نائباً عن جزائر القمر. تولى الرئاسة عام ١٩٧٥م وأعلن استقلال بلاده من جانب واحد بعد أن طالت مفاوضته مع فرانسا، ثم أبعد عن الحكم ونفي، ثم عاد إلى الرئاسة عام ١٩٧٨م ولما أجري الاستفتاء العام سنة ١٩٧٤م كانت أصوات الاغلبية تـؤيّد الاستقلال، ولكن فرانسا فصلت جزيرة «مايوتا» لتبقى تابعة لها.

ورئيس البرلمان الامير السيد إبراهيم بن علي العلوي من آل المسيلة، كان والده سلطاناً في إحدى هذه الجزائر. وتجري الاحكام فيها طبق القوانين الاسلامية، وفيها قضاة، وقاضي قضاها السيد محمد بن عبد الرحمن من آل الشيخ أبي بكر بن سالم العلويين.

ورئيس الحكومة معروف بحسن أخلاقه وعدم ترفعة ولطف معشره منزله مفتوح لكل قادم.

بها مدارس أهلية إسلامية، وأخرى حكومية تدرس بها اللغة الفرنسية كما يُدرس القرآن ومبادىء الدين. وفي المساجد تقام حلقات دروس من قِبل العلماء، ومن مشاهير علمائها الذين شاركوا في نشر الاسلام في أفريقية الشرقية:

١ - العلامة المرحوم السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط، تولى القضاء بزنجبار منذ أربعين عاماً وتخرج عليه علماء أفاضل منهم الشيخ العلامة عبد الله باكثير صاحب المدرسة المعروفة هناك.

٢ - السيد عمر بن أحمد بن سميط، تولّى رئاسة القضاء في زنجبار والتدريس، وممن تخرج عليه السيد عمر بن عبد الله من آل الشيخ ابي بكر الذي كان مديراً للمعهد العلمي بزنجبار. كان ناشراً للاسلام يجيد العربية والسواحلية والانكليزية، خرج من زنجبار بعد الانقلاب المفاجيء في ١٩٦٤/١/١٢م إلى حضرموت واستوطن بالشحر ثم عاد الى مسقط رأسه «موروني».

. . . .

---

٣ – العلامة السيد صالح بن علي جمل الليل، خرج الى «لامو» ساحل كينيا وبنى بها معهداً سماه الرياض» وما زال معموراً يدرس فيه حفدته يأتيه الطلاب من أنحاء أفريقية الشرقية.

في موروني العاصمة جمعية اسلامية رئيسها السيد محمد بن عبد الرحمن قاضي القضاة، من أهم أهدافها نشر الثقافة الاسلامية وبث روح الاتحاد بين أفراد الشعب بالتعاون، وللجمعية نفوذ واسع ومكانة في قلوب الاهالي، وتكاد تكون المرجع الوحيد لهم.

والعرب ونسلهم بها كثير وصلتهم بالشعب حسنة، يتكلمون بلغة سواحلية تشتمل على كثير جداً من الكلمات العربية وتكتب بالحروف العربية، وتنافسها الحروف اللاتينية.

إستعمرتها فرانسا تدريجياً من ١٨٤١ م حتى عمها الاستعمار، يحج كل عام كثير من أهلها بالنسبة إلى عدد السكان، ونساؤهم يحافظن على الحجاب ولا أثر فيها للفساد.

لقيت مساعدات من تونس أساتذة وفنيين وساعدتهم حكومة الكويت كثيراً.

من تاريخها

نشرت مجلة الهلال في المجلد الثاني عشر ج ٥ رسم السيد السلطان محمد بن السلطان عمر بن حسن العلوي سلطان جزيرة هنزوان (انجوان).

وذكرت جريدة وادي في بعض أعدادها علي بن عمر سلطان جزائر القمر، وأن فرانسا نفته الى رينون، قالت: وقد خلب هذا السلطان بلطفه وأدبه السكان المحليين، فكان لا يتظاهر بالعنف والكبرياء كبعض الملوك المزيفين، بل كانت جميع حركاته وسكناته تدل على رفعة في النفس، وكان جيلاً صبيح الوجه ذا جبهة عالية ونظرات لطيفة، وهو يمشي الهوينا، قابضاً باحدى يديه على خنجره المحلّي بالاحجار الكريمة فوق خاصرته، وعلى طبقة قميصه الاخضر الطويل، وبالرغم من تمسكه بالتقاليد الاسلامية فانه لم يظهر أدنى تعصب، فكان يدخل الكنائس ويحضر الضيافات التي يقيمها الوجهاء على شرفه، وكان يظهر الرضا والصبر الجميل على ما حلّ به من النكبات، وكان يتكلم بألفاظ عذبة إلى من يحيط به، وبعد مدة من إعتقاله سعت جمعية حقوق الانسان سعياً حثيثاً في قضيته واستطاعت أن تأتي به إلى فرانسا.

وذكرت أن فرانسا نفت إلى هذه الجزيرة ملكة مداغسكر واسمها «رانا فاجاكا» ولعلها

زوجة عبد الله بن محمد باحشوين الذي كان والياً على «لامو» فلما غلب ذهب إلى مدغسكر وتزوج ملكتها.

وقالت: في سنة ١٨٤٢م خرج الأمير سالم بن علوي القدري على إبن أخيه السيد علوي وتغلب عليه، فظل حاكما على الجزيرة إلى أن توفي سنة ١٨٥٥م».

تقول مجلة الرابطة: والذي ظهر لنا بالسبر من سلسلة نسبهم هو ما يأتي:

سالم ملك إلى سنة ١٧٩٧م ثم تولّى ابنه برهة من الزمن فخلفه عمه علوي، ثم تولى بعد علوي عبد الله الأول، ثم ابنه علوي بن عبد الله فثار ضده عمه سالم أخو عبد الله بن علوي واستولى على الامارة إلى سنة ١٨٥٥م ثم تولى إبنه عبد الله الكبير (أخو علوي ومحمد وعثمان).

ونشرت مجلة الهلال[1] بتوقيع الامير علي بن سالم بيانه واحتجاجه على ما نشر بأنه ثار على أخيه عبد الله، والواقع أن الثورة وقعت من أخويه محمد وعثمان، وأيّد علي عبد الله بوصية الجد ليكون الملك للاكبر، ولما عاد الى بلاده جرَّده الحاكم الفرنسي «بابينسو» من أملاكه ونفي الى مدغسكر بدون ذنب، ثم تمكن من الذهاب الى «مورسيّس» التابعة لبريطانيا، وما زال يتنقل حتى وصل الى مصر وأقام بها.

(أنظر مجلة الرابطة ففيها تفصيل ج٦ المجلد الاول شهر محرم ١٣٤٧ هـ).

والامير علي هذا هو ابن السلطان سالم بن السلطان علي القدري المنزواني، ويظهر أنه عاش في القرن الحادي عشر، وله بجزائر القمر ابنان هما علي وحسين.

(١) ج١١ من السنة الـ ١٢ ص٣٣٩ - ٣٤٠.

....

الخلفية التاريخية والحضارية لتدريس العربية في افريقيا الشرقية

كتبت الدكتورة محاسن عبد القادر حاج الصافي بمعهد الدراسات الافريقية والاسيوية جامعة الخرطوم مقالاً مسهباً في الموضوع نشرت هذا المقال جريدة المدينة في ملخصها الاسبوعي السنة ٤١ العدد ٤٣١٧ في ٩ رجب١٣٩٨هـص٤ نقتبس منه ما يتصل بالموضوع الذي نحن بصدده ملخصاً:

«ان المجموعة الاولى من العرب المسلمين التي نزحت الى جنوب الساحل الشرقي لافريقيا لاسباب سياسية ودينية في أعقاب الحروب الأهلية والمنافسات على الخلافة».

وذكرت «أن المجموعة الثالثة التي نزحت الى الساحل الشرقي الافريقي هي مجموعة العرب الحضارم والذي اطلق عليهم السواحليون اسم «واشيري» نسبة الى الشحر في جنوب حضرموت، وقد أتت مؤخراً الى الساحل وكان أثرهم الثقافي الديني أكثر من الأثر العماني سياسياً واقتصادياً.

ثم قالت:« ولكنهم لعبوا دوراً كبيراً في نشر الثقافة الاسلامية وقاموا بتدريس الدين فأنشأوا المدارس الدينية وتمكنوا من تحويل معظم الساحل من المذهب الاباضي الى المذهب السني. وكانت هجرة الاشراف الحضارم في مجموعات كبيرة الى الساحل الشرقي في العصور الاسلامية الوسطى قد أعطت الاسلام في هذه المنطقة الصبغة الشافعية، بينما كان العمانيون إباضيين، وقد تحول العديد منهم إلى الشافعية».

ثم قالت:« أما في شمال كينيا وفي منطقة لامو بالتحديد حيث يغلب التعليم الديني التقليدي ويسيطر على المجتمع مجموعة الاشراف (السادة) فقد فشلت المحاولات في فتح مدرسة حديثة في الفترة ١٩٢٨ - ١٩٣١م».

. . . .

عبرة وحسرة

جاء في مجلة الرابطة ما يلي:

« ذكرنا فيما سبق انجفال المتطوعين من العرب للجهاد في سبيل الله في بر سعد الدين ولاسيما في زمن الامام أحمد بن ابراهيم من اليمن وحضرموت والمهرة ».

« وقد استدار الزمن وتقلبت الامور وظهر من بعض الشافعية الجبلية أهل اليمن وبعض بوادي حضرموت متطوعون في سبيل الشيطان، وذلك أنه بعدما استولت ايطاليا على سواحل بلاد الصومال من هبيا الى كيلوَهْ واغتصبتها من أيدي العرب آل سعيد بن سلطان العمانيين رامت أن تتوغل في داخلية البلاد، فشنَّ الصومال عليها الغارات وألفوا العصابات واخذوا يهاجون المسالح التي تقيمها في البر وينهبون قوافلها ويفعلون بها الافاعيل، وعجز أبناء إيطاليا عن متابعتهم في قفارهم وبواديهم حيث يشتد الحر والعطش، وما كان الصومال يستعملون غير النشاب والرماح، ومع ذلك فقد أقلقوا راحة إيطاليا وضاقت بهم ذرعاً، حتى فتقت لها الحيلة سنة ١٣٢٤ هـ أن تحاربهم بالعرب لتعودهم القفر والوعر واحتمالهم التعب والعطش والحر، ووجدت لها سماسرة باعوا دينهم بحطام من الدنيا، فأخذوا يستأجرون لها جنوداً من الجبالية من جبال اليمن التي تلي عدن ومن بوادي حضرموت الجبلية فجاهدوا لها إخوانهم المسلمين حتى أخضعوهم لها، ولقد بلغنا أن الصومالي منهم كان يقول للعربي وهو يطارده ببندقيته: أبَّان، أنا مسلم أخوك. فلا يجيبه الاّ بالرصاصة تخترق جسمه. ومعنى « أبَّان » سيدي. وما زال أولئك الأوغاد يتكاثرون لدى إيطاليا حتى بلغوا ألوفاً يقاتلون في سبيل الطاغوت حتى بردت جمرة أمة الصومال الاسلامية فأخضعوهم لايطاليا الكاثوليكية، فقابلْ بين حال سلف العرب وهذا الخلف الخالف..... » علوي[1].

---

(١) مجلة الرابطة ص٣١ - ٣٢ ج١ المجلد ٤ تاريخ محرم ١٣٥٠ هـ.

. . . .

مدغسكر

تبعد هذه الجزيرة عن ساحل أفريقيا الشرقية بنحو ٢٥٠ ميلا ينحدر سكانها من الافارقة والعرب ومن الشرق الاقصى، وفيهم نصارى ومسلمون ووثنيون.

جاء الاسلام إليها مع القادمين من الجزيرة العربية فانتشر وهذَّب الشعب. وتقول بعض المراجع أن أغلبية سكانها مسلمة الى عام ١٨٤٥م.

كان ملكها حينئذ شديد الارتباط بعرب زنجبار وأفريقية الشرقية وسلاطين جزائر القمر من آل جمل الليل وآل الشيخ وآل القدري وغيرهم.

إستعمرت فرانسا هذه الجزيرة عام ١٨٩٥م في عهد كان تملكها إمرأة غير مسلمة، ولكنها تدعي أنها من سلالة عربية يمنية، فجانبت المسيحية وكذلك الشعب، ثم نشطت بعدها الارساليات المسيحية بالتبشير وتأسيس المدارس والمصحات والملاجىء وغير ذلك، وانتشر الدين الكاثوليكي واللغة الفرنسية.

وتقع الآن في عدد من المناطق أغلبية إسلامية لها نشاط اسلامي ضمن نطاق إستطاعتها، وتوجد قبائل جميع أفرادها مسلمون في المنطقة الغربية من العاصمة، هي قبيلة القلاوس. وتوجد قبيلة «الصقالبة» يناهز عدد أفرادها النصف مليون، المسلمون منهم نحو الربع، والذين لا يدينون بالاسلام أقرب اليه، فمن عاداتهم الختان وتوجيه الميت في مدفنه إلى القبلة، وأمثال ذلك مما يدل على أن لهم أصولا في الاسلام، وهم يرفضون أن تبنى في منطقتهم كنيسة، ولا يمانعون أن يقام فيها مسجد.

في العاصمة «تاناناريف» لا توجد فيها الآن اكثر من خمسة مساجد بنيت حديثاً، ونالت الجزيرة استقلالها عام ١٩٥٨م فكانت نظرة الحكام إلى المسلمين بصورة عامة تتسم بالرضا، فقرب الرئيس الأول المسلمين واختار منهم مستشارين وفي طليعتهم الشيخ العربي سالم بن عيسى من جزائر القمر. فقام بأعمال الدعوة الاسلامية وبناء المدارس والمساجد، ودام على نشاطه حتى بعد أن ترك منصبه، والمسلمون على وفاق فيما بينهم، وليست بينهم الرواسب القديمة بين السنة والشيعة ولا استفزازات، كما أن رجال الحكومة لا يجدون في صدورهم نحو العرب والاسلام الاّ الظن الحسن.

وفي «ماجونقا» يكوِّن المسلمون أغلبية من عرب وهنود وقمريين والاهالي، وفيها مساجد كثيرة وكبيرة، ومجلس إسلامي لشؤون المسلمين برئاسة الشيخ صالح موني، ومن نواب الرئيس السيد عباس المحضار.

. . . .

موزانبيق

تقع في افريقيا الشرقية يفصلها عن مدغسكر مضيق موزانبيق. عاصمتها مابوتو. وما زالت تحمل إسم القائد المسلم موسى بن بيق الذي تحرف الى موزانبيق. يبلغ عدد سكانها أكثر من سبعة ملايين ونصف مليون نسمة، ويبلغ عدد المسلمين اكثر من اربعة ملايين نسمة.

إستقلت من الاستعمار البرتغالي عام ١٩٧٥ م. واستولى على السلطة «ساموراً ماتشل» الشيوعي، وحمل على كل ما يمت بالدين فالغى الحفلات الدينية.

يتواجد المسلمون بكثافة في شمال البلاد، وفي معظم المدن، ولكنهم يعيشون تحت الضغط الشيوعي الالحادي من كل نواحي الحياة الدينية والتعليم والعبادة والكتب والدعاة.

هكذا علمنا مما نشر في الصحف منذ زمن قريب.

البرتغاليون

إندفع البرتغاليون في مغامراتهم للوصول إلى الشرق، ووصلوا إلى رأس الرجاء الصالح ثم إلى أفريقية الشرقية، وحاولوا الوصول إلى الهند فلم يتكنوا حتى دلّهم عليها الرحالة العربي إبن ماجد فوصلوا إلى الهند عام ١٥٠٥ م، واحتل «البوكيرك» نائب الملك في الهند عام ١٥٠٨ م «هرمز» وجعل مقر نفوذه في «قُوَا» على ساحل مليبار فصاروا يزاولون «القرصنة» في بحار الشرق ويعرقلون الملاحة الاسلامية.

كانت لهم أطماع في البحر الاحمر، وترات قديمة ضد الاسلام، يحاولون غزو الحرمين الشريفين أو يحاصرون الحجاز، فكان بينهم وبين المصريين صراع، ثم تولت الدولة العثمانية حماية البحر الاحمر كجبهة أمامية للدفاع عن الحرمين، ولم يتمكن البرتغاليون من أن ينالوا بغيتهم في البحر الاحمر فحوَّلوا إهتمامهم الى الخليج العربي، فتصدَّى لهم عرب الخليج والجنوب العربي.

أصبح البرتغاليون يواجهون القُوى العثمانية بعد استيلاء العثمانيين على بغداد، وهبَّ شعب الخليج لمحاربة المعتدين رغم سيطرة العدو على بعض بلدان الخليج، فنشبت المعارك في البحرين وهرمز وغيرها.

وكان البرتغاليون يقومون باعمال وحشية أشبه بانتقامية، لذلك إنضم العرب مع القوات العثمانية وحاربوا المستعمر وسلموا ما استولوا عليه للعثمانيين، وحاز العثمانيون إنتصارات في مسقط وغيرها، واستمر القتال مدة طويلة، واستطاع العثمانيون أن يحموا البحر الاحمر من التوغل البرتغالي.

. . . .

موقعة ديو DIU

هو ميناء في خليج كمباي بالساحل الغربي من الهند، فلما برز البرتغاليون صاروا يهاجمون ثغور المسلمين في أوائل القرن السادس عشر الميلادي بل حاولوا غزو البلاد المقدسة فوقفت لهم مصر والجنوب العربي وأفريقيا الشرقية.

عند ذلك استنجد السلطان عامر بن عبد الوهاب الظاهر سلطان اليمن بالسلطان الاشرف قانصوه الغوري بمصر لتأمين الملاحة حول الجزيرة العربية، كما إستنجد بمصر أيضا السامري صاحب كاليكوت، ومظفر شاه محمود صاحب قوجرات.

واستنجدت مصر بدورها بالدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني، فأرسلت ما يلزم. ومرت السفن المصرية عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧ م) بقيادة حسين الكردي، فشيَّد تحصينات في ميناء جدة لحماية الحرمين، واستولى على «سواكن» وزار اليمن وأكرمه أهالي عدن وقدموا له ما يحتاج من قِبل الامير مرجان، وكانت الحملة مؤلفة من عشرين سفينة وستة الاف جندي.

وحدثت معركة مع البرتغاليين في چاول CHAUL فانهزم العدو عام ١٥٠٨ م وكان القائد البرتغالي «لورينـزو الميدا» بين القتلى.

كان عامر سلطان اليمن حذراً فلم يُلَبِّ طلبات حسين الكردي فيما يحتاج اليه، وأوقف التسهيلات للاسطول المصري، بل منع رسو السفن المصرية بموانئ اليمن، فساءت العلاقات فاستعمل الكردي القوة لأخذ ما يحتاجه واستولى على بعض مدن تهامة، وزادت الخطورة باستيلاء والي الحديدة على ثلاث سفن مصرية كانت قد وصلت من زيلع تحمل المؤن، فاشتعلت نار الحرب بين الجانبين بدلاً من توجيه القتال ضد العدو الاجنبي.

ثم وصلت الامدادات للبرتغاليين فحدثت معركة ديو في ١٥٠٩/٢/٣ م ولم يكن النصر حليف المسلمين، وتمكن البرتغاليون من السيطرة على هرمز وسُقطرا، وكمران، وحاولوا الاستيلاء على عدن فاندحروا.

في عام ١٥٣٧ م أوعزت الدولة العثمانية لوالي مصر باعداد قوة لحرب البرتغاليين واخضاع اليمن، فتوجهت قوة بقيادة سليمان باشا عام ١٥٣٨ م وحاصرت قلعة ديو بالتعاون مع جيش قوجرات، وقامت إيران بدورها تحارب البرتغاليين فكان الحرب سجالاً.

....

ألبرتغاليون يعتدون على السفن التجارية وينهبونها، ويبنون الحصون في المواقع المهمة في سقطرا وموزانبيق وعمان وغيرها. ودخل البرتغاليون الى الشحر وجاهد العلماء والصلحاء والاهالي حتى قضوا على العدو وأسروا كثيراً منهم.

أما جنود حسين الكردي فقد ارتكبوا ما لا يحمد منهم، من نهب وتدمير وقتل وانتهاك محارم وحرائق، واستولوا على منازل وطردوا سكانها وسبوا النساء والاطفال وعذبوا الناس وربطوهم بالاغلال، وفي خلال هذه الفوضى إستغل بعض الانتهازيين الفرصة للايقاع بالناس.

وللبرتغاليين والاسبان براعة في التعذيب في كل مكان يستولون عليه بآلات خاصة لكسر العظام واحراق الاحياء، وآلات سحق الاجساد وتوابيت ذات سكاكين يرمَى فيها الشخص.

وقد ذكر عبدالله عبد القادر منشى في كتابه حكاية عبدالله ما وجده الانكليز في ملاكا بعد خروج البرتغاليين منها من آلات التعذيب شاهدها عبدالله بعينيه.

سقطرا

تقع جزيرة سقطرا في المحيط الهندي قرب مدخل البحر الاحمر وخليج عدن تبعد عن «رأس عسير» بنحو ١٥٠ ميلاً، وينطق بها أهلها «سوكوترا».

سكانها نحو ١٣ ألفاً مسلمون. يصدر منها الصبر والمر وعود البخور.

ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» وقال انه يجلب منها الصبر ودم الاخوين وهو صمغ شجر ويسمونه القاطر. لغتهم كلهجات جنوب الجزيرة العربية مع وجود تأثير من المهرية وغيرها.

في عام ١٨٦٩ م وضعت بريطانيا يدها على هذه الجزيرة، وهي الآن تابعة لليمن الجنوبي.

في الهند الصينية

جاء في كتاب « الفرنسيون في الهند الصينية «DE FRANSCHEN IN INDOCHINA تــأليــف « وسيليوس «J. A. B. WISELIUS وكـان في مكتبة دار الآثار بجاكرتا تحت رقم XXI 862 طبع سنة ١٨٧٨ م: « ان العرب مدة ترددهم (أسفارهم) الى تلك البلاد نظموا دعاية في أقرب وقت وإن لم يقبل الأهالي شيئاً من إصلاحاتهم فقد قدروا على ترغيب الهيئة الرسمية في الأخذ بالاسلام » ص٥.

وفي ص١٥٣: « أن مسلمي « كوچينغ چينا » وجاوا من بلد واحدة هي « كرومندل » من بلاد غيلون، ولكن بعضهم يرى أن دينهم (البوذية) أخذوه من « سروك قمر » ولعل بعض السكان من بلاد قمر.

قمار هي مصدر العود الذي يتبخر به والذي يمدحه العرب، وقمار غربي « كوچينغ چينا »، أما كرومندل ففيها قامت أول حكومة للسادة العلويين الحضرميين، ثم غلبوا على أمرهم، فهاجر بعضهم الى « كوچينغ چينا »[١] و « چمڤا »[٢] CHAMPA، وكوچينغ بورنيو وبلامتى وجزائر فلبين. ومنهم ملك ابراهيم المقبور في « قرسيء » و « سونَن آمڤيل » وغيرهم، وهم المعروفون في تواريخ الاهالي بأشراف أولياء[٣]، ذكروا في

---

(١) تنطق كوجينغ چينا « كونسن چين » واما كوچينغ بورنيو » الشمالية فتنطق كما تكتب، فالاول هو البلد الذي هاجر اليها واستوطنها وقتياً السيد حسين جمال الدين الاكبر وكوّن له بها أُسرة، ثمّ تفرّق أفرادها.

(٢) كانت « چمڤا » مستوطنة أو مملكة إسلامية إنتشر بها الاسلام على أيدي دعاة طارئين وتجار إستوطنوا بها. وما زال بها مسلمون إلى أن إنتشرت الشيوعية في الهند الصينية فقاسى الأهالي المسلمون وغيرهم أنواع القسوة والوحشية. والبوذية دين الاكثرية. ومن چمڤا هاجر كثير من المسلمين الى نواحٍ أخرى من البلدان المجاورة.

(٣) هؤلاء هم الذين ينتسبون الى السيد عبد الملك (إبن عم الفقيه) ومن سلالاتهم الدعاة ناشروا الاسلام في جاوا، ويعرفون بالاولياء التسعة، ومنهم سلاطين بانتن وچيربون وڤاليمبانغ وغيرهم. واول من وصل منهم هو السيد حسين جمال الدين.

التواريخ الجاوية، وكذلك ذكروا في تواريخ جزائر سولو ومقيندناناو وما حواليها من الجزائر.

وجاء بعد هؤلاء قادمون آخرون فنشروا دين الاسلام هناك، وهؤلاء هم الذين ينتسب إليهم سلاطين بروني ومن تفرع عنهم، وسلاطين ماقيندناناو. وأما سلاطين بوايان فهم معهم من أصل واحد، ولعلهم قدموا قبلهم[(١)].

وقال في ص ١٥٤: «إن البوذية في هذين القطرين (كمبوجا وجاوا) قد بلغت قوَّتها في آنٍ واحد (القرن الـ ١١ والقرن الـ ١٢ م) ثم تناقصت واضمحلَّت الدعاية لدين بوذا فيهما على جهل في وقت واحد أيضاً في القرن الـ ١٥، في حين أن أهالي البلدين إنضموا تحت إسم الاسلام، ثم عادوا بعد إصلاح وتبديل كثير في البوذية الى فيليتس ظاهراً (كذا)[(٢)].

---

(١) هؤلاء ينتسبون الى السيد عبدالله بن علوي (عم الفقيه) وسلالته سلاطين جزائر فلبين (أو جزائر مورو) وبروني، وامراء سَراواكْ وسامْبُس وغيرها.

وربما يتساءل أحد في أن السيد عبدالله المذكور أشير إلى اسمه في الشجرة بحرف (ض) أي منقرض. الواقع أن مثل هذا يقع أحيانا، وقد جرى مثله في ما ذكره مفتي تريم السيد عبدالرحمن المشهور في كتابه شمس الظهيرة، وجرى مثله أيضا في المدة الاخيرة في نسب بعض أفراد من آل العيدروس في لامقونغ. وذلك اذا توافرت الادلة، ووجدت إثباتات على صحة النسب وعرضت على المختصين أثبت النسب. ومن المعلوم أنه لا يوجد عاقل يرضى أن ينتسب إلى آباء وأجداد ليسوا له بآباء ولا أجداد.

(٢) أما جاوا فقد صار معظم سكانها مسلمين، وليس كذلك الاسلام في كمبوجا، ويبدو أن البوذية شائعة لدى شعب كمبوجا تتمسك بها السلطة والشعب معاً، بعكس جاوا بل إندونيسيا قبل الاسلام فان الهندوكية هي مستمسك السلطة الحاكمة، وأما الشعب فلم تتسرب إلى قلوبهم الهندوكية عقيدة، وغاية ما هنالك انها مسحة ظاهرية فقط. فالدولة تزول ويزول دينها إذا لم يؤيده الشعب. وبعكس ذلك في العهد الاسلامي في جاوا وغيرها في جنوب شرقي آسيا، فالشعب وأرباب السلطة يربط بينهما الدين الاسلامي عقيدة راسخة.

اسم كمبوجا وأصول سكانها

وفي ص١٦٨ - ١٦٩ قال: «إن اسم كمبوجا وضعه البرتغاليون لما دخلوها، وأما إسمها فهو كمقوشيــا وكمقوكسا».

ولعل أصل سكان كمبوجا هم من أجداد الذين يسكنون في سفالة الهند (الهند الخلفية) من الذين هم من أصول وضيعة، ثم سموا أنفسهم شعب (كم) كقوسيا. وهذه الكلمة اسم بلد «كمقت»، وفي «كم لانغ» تطلق هذه الكلمة على العمال والزراع إلى الآن. وهو يعني بالاصول الوضيعة ما في ديانة الهند من تقسيم الناس طبقات بعضها فوق بعض، وقد ظهر أن تلك الاصول الوضيعة هي التي سبقت الى الاسلام، كما في «مليبار» فان الطبقة الوضيعة في أعين الناس سارعت الى الدخول في دين المساواة، وكذلك الحال في الشرق الاقصى. وكانت الطبقات العالية هي آخر من دخل في الاسلام، وانتشر الاسلام في العامة بسومترا وملايا وجاوا قبل أن يصل إلى كبراء القوم بمدة ليست بالقصيرة»[١].

---

(١) هذا هو الواقع غالباً فان المبادىء وانتشارها تبدأ بالعامة، والسبب أن العامة التي لا تجد لها حياة ترضيها وعيشاً يكفيها تترقب الفرص أو تتمناها للخروج مما هي فيها. وأما أرباب السلطة فانهم لا يشعرون بما تشعر به العامة من بؤس وحياة نكد ولا يرون الا ما هم فيه من نعيم، فهم لا يختارون لحياتهم بديلاً، مع العلم أن هذه ليست قاعدة ثابتة، فقد يحدث العكس.

العرب يدخلون كمبوجا

وفي ص١٧٠ - ١٧١ قال: «إن كمبوجا عرفت العرب في أواخر القرن الحادي عشر حيث دخلوا نهر كمبوجا بمراكبهم العديدة غازين ملك «أنكور» (كما جاء في قصص مسوندي).

«وفي أواسط القرن الحادي عشر (والثاني عشر) نشبت حرب بين كمبوجا وڤرامكايا ملك غيلون، ثم بعد هذه الحرب بقرن نشطت التجارة وعمرت طرق المواصلات بينها وبين الصين. وفي ابتداء القرن الرابع عشر إنضمت سيام إلى مملكة كمبوجا»[١].

وقال في ص١٧٥: «إن أخبار الحرب التي وقعت بين كمبوجا وسيام كتبت مذكراتها في مديرية «لوڤيك» بهولندا، وأن العدو الاكبر لكمبوجا وهم أشد خطراً من سيام قوم «ڤيوشي» عائلة جاءت من «تونكين» مطرودة من بلاد الصين، ثم انتشرت في الهند الخليفة، ثم أنهم بعد أن سقطت في يدهم «چمڤا» دخلوا كمبوجا ومنها الى الجهة

---

(١) ألواقع أن بورما وما والاها من سواحل الملايو والهند الصينية تقع على طرق الاسفار البحرية فمن الضروري أن تمر السفن الشراعية التي تقصد المشرق على هذه الشواطىء، وقد تبقى مدة من الزمن للتبادل التجاري وانتظار الرياح الموسمية. وحالة هذه الاقطار في الماضي في حروب بين سيام وبورما ومع بعض بلدان الملايو، والعرب بوصفهم تجاراً متجولين قد عرفوا كمبوجا كما عرفوا بلدان الشرق الاقصى.

الشمالية هي «كوچينغ چينا» فقد استولوا على تلك الجهات بلداً بلداً».

قول الكاتب «الهند الخلفيـــة» هي التي يسميها العرب «سفالة الهند» ويقصدون به ما يعم بورما وجبل الكامرون أو القامرون وما يلي ذلك من ممالك سيام وملايا وكمبوجا وفيتنام.

وهناك سفالة أخرى هي سفـالـة بلاد الزنـج بعد موزانبيق، وهي كانت من مراكز العرب التجارية كزنجبار وثغور مدغسكر.

وقال في ص١٧٩: «إسم كمبوجا عند الملايو CHEVEA وأصله محرف عن اسم يافا القديم (كذا) في حين أن اسم الملايويين الذين في سومترا هو «شفياكربتي» وهو عند الملايو «كربَوْ» بمعنى الجاموس، فلعلهم بعد استرجاع ملاكا من يدهم في القرن الـ١٣ وصلوا الى هذه البلاد، ولهم هناك رئيس يقولون انه من سلالة ملوك مينانكابَوْ».

الهند الصينية (كمبوديا - فيتنام)

معظم سكان الهند الصينية بوذيـون، وفيهم مسلمون معظمهم كانوا في «چمقا» أصلاً، وكان تجار ودعاة الاسلام في عهود سابقة يأتونها، واشتهرت چمقا في كمبوديا التي إنتشر بها الاسلام، وكان لها تاريخ، وإليها هاجر السيد الحسين جمال الدين واستوطنها وكوّن له بها أسرة، ومنها هاجر هو وأبناؤه الى الشرق في جزائر الملايو ونشروا بها الاسلام وتركوا بها سلالات وهي معروفة.

وبما أن صلة جاوا وچمقا كانت منذ زمن بعيد، كان ملك ماجافاهيت «كرتا ويجايا» متزوجاً امرأة من چمقا تسمى في جاوا «دواراواتي DWARAWATI المتوفاة عام ١٤٤٨م وتزوجت أختها السيد ابراهيم بن الحسين جمال الدين وولدت له رادين رحمت (الملقب سوتن أمقيل اخيراً نسبة الى أمقيل حيث مدفنه) عام ١٤٦٧م.

الاسلام يدخل كمبوجا

وجاء في المذكرات الهولندية بمديرية «لوفيك» أنه في ابتداء القرن السابع عشر اسلم احد ملوك كمبوجا ليتزوج على بنت أحد رؤساء الملايويين بكمبوجا. ومن المعلوم أنه صار للملايوبين نفوذ عظيم في زمن سلطنة هذا الملك، غير أن هذا النفوذ لم يدم وانقطع بموت ذلك الملك وبعدول مَن خلفه في الملك عما كان عليه سلفه».

وقد تناقص الآن عدد المسلمين في الهند الصينية إلى نحو المليون معظمهم في «فنومفين» وحالتهم المعيشية أدنى من غيرهم، يعانون ضغطا مذ كانوا فيها، رغم أنهم مستوطنوها من زمن قديم، وقد أقاموا المساجد والمدارس حتى كان لهم أكثر من مائة مدرسة، المدرسون فيها من ماليزيا غالباً، غير أنهم كانوا تحت إستعمار فرانسا، وأمام بوذيين. ثم انتشرت الشيوعية فلاقى المسلمون أنواع المصائب، وصار كل فرد يبحث عن وسيلة للسلامة، فهاجروا براً وبحراً، أفراداً وجماعات، يخترقون الغابات الاستوائية، وقد تتعرض لجماعة مهاجرة لكمين شيوعي، فلا يصل إلى مهاجَرهم الاّ من كتب الله له السلامة ممن قطعوا المسافات في خلال ٤٥ يوماً.

وقد أعدم كثير من العلماء والعامة، وتخربت المساجد وأحرقت الكتب، وحرم الاطفال من معرفة دينهم، لأنهم يعتبرون المسلمين غير أصلاء وأنهم من جنس الملايو.

في خلال الحرب من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥م هرب الكثير إلى ماليزيا مسلمين وغير مسلمين فآوتهم مؤسسة «فركيم» ونشرت فيهم الاسلام.

وقد وصل منذ سنوات وفد اسلامي من علماء كمبوجا الى مكة المكرمة، ومعهم عضو في مجلس النواب، فذكروا ما كانوا يقاسونه من الشيوعيين حيث إضطروا أن يتنقلوا من منطقة إلى أخرى كلما تقدم الشيوعيون، تاركين منازلهم وكل ما يملكون، وقد أكرمتهم رابطة العالم الاسلامي مدة وجودهم في المملكة.

وجاء في ESSAYS RELATING TO INDOCHINA 2D.SERIES.
VOL L11 P. 44-45, 54-56

« إن الاسلام جاء به نسل العرب والترك ودخل الى التبت إلى المواضع التي هي أسفل من « تيانغ تانغ - هوثانغ ها » وما يليها، جاء من عجمستان جاء به أهل الطريقة، وجاء الاسلام أيضاً من شاطىء البحر الى جمقا وامتدّ إلى الجبال. وذلك نظير دخول البوذية الى تلك البلاد فانها جاءت من سفالة الهند ومن الجنوب من شاطىء البحر ».

بورما

يقول تاريخ بورما أن أول إتصال اسلامي خارجي بأهالي بورما كان في القرن الحادي عشر وأن ممن وصل تجار من العرب في عهد « أناواراهتا » مؤسس مملكة ڤاقن PAGAN (٧٧ - ١٠٤٤ هـ) وفي عهد الملك « ناراثي هاڤات » ٨٧ - ١٢٥٤ هـ NARATHI HAPATE ظهر مسلمون في بورما.

في عام ١٢٧٧ م حدثت حروب بين المغول وبورما، كان جيش المغول بقيادة القائد نصر الدين ابن حاكم ولاية يونان، وكان النصر للمغول. فابلغوا قوبلاي خان خبر النصر، واهدى البورماويون فيلاً أبيض للامبراطور بواسطة رجل يدعى حسين HU HSIN هو أخو نصر الدين ابن السيد الاجل.

ثم وصل عرب وفرس خبراء في شؤون البحار، كانوا يأتون للتزود من الماء وغيره أو لاصلاح السفن، وقد يضطرون الى البقاء طويلاً الى نهاية الموسم، ومن سافر ترك زوجته وأولاده، وفضّل آخرون البقاء فيها.

وتقول الحكايات الصينية انه كانت توجد مستوطنات فارسية في سواحل بورما ومن اليمن حوالي عام ٨٦٠ م وان ابن خرداذبه الفارسي وسليمان العربي ذكرا صورة ناصعة عنها، وان للملك ١٥ ألف فيل.

وقال حاكيا عن بعض تواريخهم: «إن ديانتهم البوذية لم تأتهم من الصين، ولكنهم في الآخر صاروا مسلمين، بدعوة الامام علي ختن النبي محمد (ﷺ) وأب الحسن والحسين....».

ومما يلفت النظر ان كتابة سِرِيام SYRIAM تفيد إزدهار ميناء ساحلي بقرب «رانكون» سماها البحارة المسلمون من العرب والفرس سير اي ام (ايام) SIR-1-AM أو مصب النهر، ولكن المؤرخ البورمي الكولونيل ياسين المسلم يخالجه الشك حول اتصال الاسلام ببوذية بورما عن طريق البحر، ويؤكد أن العرب والفرس قد عُرِفوا في القرن العاشر بشمال سومترا وجزر أندامن، وأن مصادر إسلامية ثم أوروبية تفيد وجود مستوطنة إسلامية في بورما، وأن اتصال الاسلام بطريق «أراكَنْ». ولكن من الممكن أن يكون وصول الاسلام براً وبحراً، بل إن في الصلة البحرية ما يؤيده، فوجود «بودر مكانس BODDER MAKANS» في ساحل بورما، وهذه كلمة عربية «بدرمكان» كما يرى هذا السير ريشارد تيمِبْل RICHARD TEMPLE ومن المعروف وجود «بدر الدين أولياء» الذي له مكانة واحترام من أسام الى ملايا.

وقد ترك المسلمون السابقون العرب والفرس بعض الاثر في لغة بورما منها مثلاً:

قطران KATTARA قطيفة KATTIPA، قلم KALON، عرق ARAK، علَم ALAM موسم MUSTSUN. وفي عهد أسرة توقو TOUGOO كان للاقلية الاسلامية مظهر عظيم فقد شارك المسلمون في الوظائف الحكومية والخدمات العسكرية، وذابوا في الاكثرية، وما زال في بورما مسلمون كما تدل وثيقة في المكتبة العامة في «أموارا ڤورا AMORAPURA» عام ١٨٠١ م على وجود ١٢ مستوطنة للمسلمين، وأن عدداً كبيراً من مسلمي «أراكن» هاجروا إلى بورما.

في أواخر القرن الثامن عشر والى التاسع عشر كان للمسلمين نشاط ثقافي وأدبي ظهر ذلك في نتائج صور مقياس لدراسة الاسلام في لغة بورما في كتب.

وفي عام ١٨٨٥ م صارت بورما مستعمرة بريطانية، وكثر المهاجرون إليها - وفيهم كثير من المسلمين - من المناطق المجاورة، واندمج المسلمون بعضهم مع بعض وبلغ عددهم حسب احصاء عام ١٩٠١ م (٤٤٦ ٣٣٩ نسمة).

وهذه إشارة إلى أن الدعاة ألذين جاءوا إليهم من ذرية الإمام علي ،
وهذا هو المذكور في تواريخ الجاويين بأبسط من ذلك.

ألمسلمون في بورما

ملخص مقال في جاواقوست[1]

تواجد المسلمون في بورما منذ القرن السابع الميلادي عندما وصل العرب ينشرون الاسلام بين الاهالي البوذيين.

«أراكن» تقع على الساحل الغربي من البلاد، كانت إمارة إسلامية عام ١٤٣٠ هـ الى ١٧٨٤م وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية الى عام ١٨٤٥م.

وزالت هذه الامارة عندما استولى عليها ملك بورما **BIRMA BOD WAPYA** ثم بريطانيا، وواجه المسلمون منذئذٍ ظروفاً سيئة، وقد قتل نصف عددهم في المقاومة.

وحكومة بورما منذ عام ١٩٦٢م تعمل دائماً لابعاد المسلمين من التدخل في السياسة الوطنية، كما تمنع الاحتفال بالأعياد الدينية أو التعليم الديني. وفي عام ١٩٦٣م سهلت للمسلمين تأدية الحج وقتياً، ولكنها منعتهم من ترميم رباطهم في مكة، وهو رباط شيد منذ ١٢٠ عاماً، ثم هي تراقب حركات المسلمين وجمعيتهم الاسلامية المركزية، وهي جمعية اتحادية لعموم بورما (جمعية العلماء) والمنظمات الاسلامية.

والطائفة الكبرى من المسلمين هي ما تُسمَّى «روهينغ يا» لها جمعية، ولها شبان جامعيون، فألغيت هذه الجمعية وما يتعلق بها من منظمات من قِبل الاستخبارات.

في عام ١٩٦٢م قامت حكومة بورما بحركات عسكرية وبوليسية على هذه الجمعيات بما لا يقل عن أحد عشر مرَّة. وفيما بين أبريل ويونيو ١٩٧٨م أمرت باخراج عدد كبير من مسلمي «أراكن» بينهم مائتا الف شخص رحلوا الى بنغلادش التي تعتبرهم بورماويين لاجئين.

---

(١) صحيفة جاواقوست ص٦ تاريخ ١٤/٣/١٩٨٣م.

كان العرب يطلقون في بعض العصور على بلاد الملايو وسيام والهند الصينية انها بلاد ملك الصنف، ويطلقون بلاد المهراج على جزائر اندونيسيا. والصنف هي چمفا على قاعدتهم في النطق بالشين المعجمة صادا، كما قالوا صين بدلاً من چين.

ثم بناءً على تفاهم بين الطرفين وافقت بورما على عودة المسلمين إلى بورما ممن لديهم بطاقات قومية أو أجنبية، وحكومة بورما تتهم المسلمين بأنهم يعملون للانفصال عن بورما واقامة حكومة حرة.

في عام ١٩٥٤م كانت قد تألفت حركة المجاهدين المسلمين هدفها منح أراكن الحكم الذاتي. وفي عام ١٩٧٤م تألف جيش تحرير أراكن، وفي عام ١٩٧٥م حدثت مقاومة مسلحة بقيادة «خاينغ مولين» (وقد استشهد هذا القائد بعد سنتين في معركة مواجهة لجنود بورما) قرر أن ينضم مع الطوائف الاقلية الموجودة في بورما في جبهة موحَّدة ديمقراطية لتقرير مصيرها، فوجهت الحكومة قواتها على مسلمي أراكن وفي اكتوبر هاجمت قوات أمن الحدود بلدة «كوندال» وبعض القرى الاسلامية، وقتل في هذه المعارك عدد من العائلات الاسلامية، وأُسر منهم في شهر نوفمبر وسيقوا الى أماكن مجهولة ولم يعودوا.

وفي نوفمبر وضع بعض رجال الشرطة والجنود والموظفين في مدينة «أراكن» للرقابة وفرض على سكانها منع التجول، وعلى سواق عربات «بيجاً» تسليم بطاقاتهم.

وفي مدينة «بوثيد أونغ» هدمت الحكومة مدرسة دار العلوم، وأقيم مكانها دير للبوذية. ويتوجس المسلمون خيفةً من مسلك الحكومة تجاههم فيما يتعلق ببطاقات الشخصية لاخراجهم عن أرضها. ويقولون أيضا أنه تشتيت للشمل لبعض الافراد من الاسرة عن البعض الآخر منها. بين المتجنس وغير المتجنس، وأنه ليس لأبنائهم أيّ حق لانهم ليسوا بورماويين، فهم يأملون من الحكومات الاسلامية أن تقدم موضوعهم الى هيئة عدم الانحياز وغيرها من الهيئات لاعفاء المسلمين عن تقديم الالتماسات للحصول على التبعية.

والحزب الديمقراطي الاشتراكي الحاكم هو الرقيب على القطعات المعارضة من بينها الطوائف الاسلامية الاقلية بمقتضى نظام جديد للجنسية البورمية، وهو نظام قد تغيَّر ثلاث مرات من عام ١٩٤٨م، وبناء على هذا النظام فللحكومة أن تسحب بطاقات بعض الطوائف العلمانية والدينية، ويدخل في هذا أكثر من مليون مسلم، وعليه فلا حقوق لهم قط ولا جنسية وهذا النظام يجعل السكان على ثلاث طبقات، كامل، ممتاز، عادي. وكل مقيم بعد عام ١٨٢٣م لم يستكمل الشروط للتجنس تقدر الحكومة ما ترى بشأنه. ومن كان سنه أقل من ١٨ فليس له حق التجنس.

وكانت جمقا في ذلك العهد عاصمة كبيرة ومحل اجتماع المتاجر والواردات والصادرات ومخزناً للبضائع بمنزلة سنغافورا لهذا العهد، ثم

أسماء بلدان في الكتب العربية القديمة

كثرة الاسماء في الكتب العربية تدل على مبلغ علم مؤلفيها بتلك البلدان واتصالهم بأهلها. ولولا التحريف والتصحيف في كتابة الاسماء لانكشف لنا ما نجهله اليوم، فرأيت أن أتتبع ما ذكرته تلك الكتب وراجعت ما استطعت وقارنت. وها هي هذه بعضها:

١ - أنجامن. أنجانيا. تانجاما. هي جزائر أندامن.

٢ - أصفهان. اصبهان. أصلها «سپاهَنْ» أي الجيش لانها كانت مقراً لجيوش اباطرة إيران.

٣ - برطايل. بوطابل. ذوطايل. برطابيل. يقول إبن خرداذبه انها تابعة لملك الزابج (انظر زابج).

٤ - جابه. جاوه. هي جاوا. وكان أسم جاوا قديما يطلق على جميع جزائر الشرق. وابن بطوطة يذكر وصوله الى جاوا في حين أنه وصل الى سومترا. وكذلك مركوبولو يقول انه وصل الى جاوا الصغرى ويقصد بها سومترا.

٥ - الخنساء كما يسميها ابن بطوطة، وذكرها الرحالة العرب بصور متعددة، منها خنزاي، ختراي. خنساي. قال ابن بطوطة انه بين خانفو وميناثها البحري ١٤ يوماً هي هانغ چو HANG TACHOU.

٦ - خانفو. جانفوا. كانت من اكبر موانىء الصين التجارية، هي بكينغ الحالية او كانتون.

٧ - خانجو. جانجو. جانكو. هي جوان فو بالصين.

٨ - خان بالق. خان باليك. خل خالوق. هي كان بالوق KAMBALUC. CAN BALUC الواقعة بقرب نهر «بيهو» في ولاية «كاتاي»، ويحتمل أن ابن بطوطة عنى بها «عاصمة القان» او مدينة الخان.

ويقول بعض الباحثين أن بلخ هي بالخ أو بالق التي كانت تعرف لمقر الخان.

عمرت عواصم تجارية أخرى على توالي القرون، مثل مدينة كله أو كلاه في خليج ڤيرَق، وملاكا أو ملعقه كما يسميها داود الانطاكي، أو ملقا او

---

٩ - الديبجات. يسميها المسعودي «الدابيهات» هي لاكديف ومالديف (العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٣١٥).

١٠ - جزائر الذيب. مهل ذيب. ديبة المهل. هي مالديف.

١١ - زيامبا. كيامبا. كيانبان. شامبا. سيامبا. هي چمڤا في كمبوديا (أو الصنف).

١٢ - سَرَبزه. سَربازه. سريره. هي «سري ويجابا» مملكة قديمة في سومترا. يسميها الصينيون «شي لي ڤوچيه SHEH LIFOSHEH وقد يسمونها «سَنْ بوتساي SAN» BUTSAI.

١٣ - سمندور. يظن أنها شبه جزيرة الملايو. وتوجد سمندور أيضا في البنغال. وهذا قريب من الاحتمال، وكان العرب المسلمون يصلون اليها للتجارة. وقد عثر على نقود عباسية في البنغال.
ويقول المتخصصون أنه كان بسواحلها عرب مسلمون.

١٤ - سمطار عند العرب. وسومونتالا عند الصينيين. وسماها الراهب «أودريكو» قبل إبن بطوطة «سومولترا». هي «سَمودرا» التي كانت بها دولة اسلامية شهيرة زارها إبن بطوطة.

١٥ - سلاهت. سلاحط. سلاهط. سلامط. شلاحط. ظن المؤرخ الهولندي «فن در ليت» أنها محرفة من «سلات» بلغة الملايو، أي المضيق. وفي بنغلاديش منطقة اسمها شيلهات SYELHAT يقرب من كلمة سلاهت.

١٦ - سرنديب. الاقرب أن أصل الاسم سنسكريتي هو «سواراندْا ويڤا» ويسميها العرب جزيرة الياقوت، ويسميها بزرك سهيلان. هي سيلان (سري لانكا الان) وكان أهلها في القرن الرابع يسمونها سيهالا. وقد يسميها العرب قديماً بلاد السهال.

١٧ - صندل فولات. صنف فولو. جزيرة العندل. سندر فولات. يظن انها هينان، التي تكتب قديما كانيان، شينان. تقع بعد چمڤا.

١٨ - صبخي. صنخي. صَنْخَىْ. صيخو. صيخى. هي «چين خاي» ببلاد الصين.

ملتقى ما ارتآه المرحوم أحمد زكي بك، وقاسي، وقالم انبانغ في سومترا، ثم بانتن وقرسيء فيما بعد ذلك.

---

١٩ - سيمور. سامور. صيمور. هي الآن چاول بجنوب بمبى بالهند. سيميلا.

٢٠ - كله. كلاه. كلا. كلابر. هي قدح. أو كلاتغ في ماليزيا. وهذا الموقع مما يفيده معجم البلدان ومروج الذهب، وابن خرداذبه حسب أوصافها.

٢١ - كدرنج. كردنج. كوريج. كردع. هي كوندرانغ في الهند الصينية (خليج سيام).

٢٢ - لاموري. لامبري. الرامني. الرامي. الزمني. الرمي. في آچيه شمال سومترا. ذكرها المسعودي وابن خرداذبه. ومركوبولو، وسجره ملايو وغيرها.

٢٣ - لبخالوس. لنكبالوس. النكبالوس. لجبالوس. البخالوس. لبجالوس. لجبانوس. لنكاوس. انكالوس. يحتمل انها نيكوبار، ويقول ابن خرداذبه انها تبعد عن كله ستة أيام.

٢٤ - الزبج. الزيج. الزنج. الرانج. الزابج. الزبق. ذكرها مروج الذهب. ونخبة الدهر، وعجائب المخلوقات. ومعجم البلدان. وابن خرداذبه. هي مجموعة جزائر تبدأ من سومترا الى المشرق، ممتداً الى المحيط. ومعنى الرانج النارجيل (جوز الهند).

هذه أمثلة ذكرتها هنا من غير ذكر التفاصيل فيما ذكرته الكتب، ولم أذكر أسماء أخرى فهي كثيرة، فالبحث يطول، وقد لا يهم البعض، وقد يبعث تفصيلها السأم لمن لم يكن من فنه.

التأثير السياسي

جاء في كتاب:

LE HADRAMAUT ET LES COLONIES ARABES PAN INDIEN

PAR. L.W.C VAB DEN BERG (BATAVIA 1886)

الفصل السابع في التأثير السياسي

«قد سبق لي أن أشرت في صفحة ١٧٣ أن الحضارة العربية قد أثرت على العموم في كل الممالك الأوروبية، ولكن هذا التأثير يظهر بأجلى معانيه في الجزائر الهندية، وقدر أن يؤثر في السكان الهنود. وقد علمنا أن جزيرة جاوا في القرن الخامس عشر قد احتلها العرب أو نسلهم بعد أن حكمتها الامبراطورية الهندوكية ماجاقاهيت القوية».

«وقد اختلط العرب بالسكان وأصبحوا حكاماً في المقاطعات، وتزوجوا ببنات الاشراف والطبقة الراقية، ويظهر أن سبب تأثر آراء الهنود بالعرب في الجزائر الهندية راجع الى مؤهلات العرب حيث كان اكثرهم من نسل منشىء الاسلام، وأظن أن هذا الامر جلي واضح أمام الاعين، فلو دققنا النظر وتأملنا في الاسباب التي أدت الى نجاح العرب نرى أن ذلك راجع الى كثرة ذريتهم».

وقال: «وكان للسياسة العربية بالجزائر الهندية تأثير عظيم في التاريخ، وكان هذا التأثير يمتدُّ بواسطة علاقتهم بالاسرة المالكة الهندية، كما ظهر تأثير العرب في الحكومات الاوروبية (كما ذكر في الباب الخامس) ويظهر أن عرب حضرموت يدخلون في أفكار الهنود أفكار المعارضة والامور المادية. على ان العرب المولدين كانوا يتبعون خطط أهل حضرموت ويقتفون العصبية وآراء قدمائهم».

« والعرب قد استوطنوا الجزائر الهندية وطبيعتهم غير ميالة إلى طاعة الاوامر، وبعبارة أوضح لهم طبيعة وسجية بدوية لا يريدون الخضوع للسلطة لأنفتهم وعزة أنفسهم التي كان لها الاثر العظيم في سياستهم ».

« وقد كان عرب الحجاز (مكة) يقتفون آثار قدمائهم، وقد كان هذا الامر كثيرا ما يؤدي الى مصاعب ومشاكل الهيئة المحلية الحاكمة ».

« وقد كان هذا الامر مشابهاً تمام المشابهة للفكرة التي ظهرت وانتشرت بالقوة والثورة في « ثورت عثمان » من أنصار المهدي ».

« وقد كانت الدعاية الى الجامعة الاسلامية بين أفراد الهنود الذين كانوا في جهل تام بالسياسة والحكومات الاخرى تنتشر وتزداد من يوم لآخر ».

« ومن سوء الحظ أن كثيراً من أمراء ورؤساء الهنود يظنون أن العرب مورد منافع لهم ومنبعها، لانهم يرون - على ما أظن - أن العرب يبثون روح الشجاعة والاقدام في غربتهم ما استطاعوا لمعارضة الهيئة الحاكمة الهولندية من يوم أن وصل العرب الى هذه الجزائر، وقد كانت زيارة مكة عندهم من الامر المهم حيث يجتمعون بهيئة تواضع (تعبّد) وكانوا (اي في مكة) يحملون الماء (يريد ماء زمزم) للتبرك حتى إذا وصلوا الى الجزائر أصبحوا أشرافاً وأصبح لهم نفوذ كبير، وكانت معاملتهم هذه لها إعتبار عظيم ».

« وعرب مكة يميلون بالتدريج الى الثورة السريعة، وكانوا يوصونهم بها عند رجوعهم الى بلادهم، كثير من هؤلاء العرب يظلون مراسلين لأمراء الهنود ورؤسائهم يحضونهم على الاحتفاظ بالاستقلال ».

وقال: « واذا نظرنا الى النجاح السياسي والدور الذي قام به العرب في حكم الجاويين نرى أنَّ هناك فرقاً شاسعاً لا يتصوره العقل

بين سياستهم وسياسة رؤساء الهندوك، وعلى كل حال يظهر أن التأثير السياسي للعرب كان منبعه ومورده من الدين، ولكن من جهة أن العامل على انتشار نفوذهم هو جهل الهنود وبلاغة العرب الكلامية. وأقول ان رؤساء الهنود هم الذين كانوا العنصر الاساسي في نجاح العرب من يوم لآخر مثل أيامنا هذه».

وقال: «وكان تأثير العرب في القرن الخامس عشر أشد من قوى الهنادك، وهذا التأثير الشديد - وان كان يبدو أقرب الى الخيال منه الى الحقيقة - ولكنه واقع، لأن جل العرب الذي كان لهم النفوذ الكبير من «السادة»، بينما كان هناك طبقة أخرى من عرب حضرموت لم يستطيعوا السيطرة على عقائد الهندوك. وكان أحد هؤلاء الافراد ينتمي الى الاسرة العباسية، ولكن لا يستطيع الانسان أن يوضح أسماء الاماكن التي ينتمي اليها أولئك العرب، إلاّ أن نقول أن منهم من يأتي من سواحل البحر الاحمر ومن الخليج الفارسي».

وأخيراً ذكر بعض الاشخاص البارزين من العرب الخلص الذين قاموا بدور كان تأثيره أشد من قوة الهندوك، وهؤلاء الافراد يعرفون عند الجاويين بلقب ولي أو مولانا أو كياهى أكنغ أو سونن.

قال: «وكفى أن نذكر أن معظمهم ينتمي الى امبراطورية ماتارام التي أنشئت في النصف الثاني من القرن السادس عشر في أواسط جزيرة جاوا. على ان شربون وبانتن هما اللتان ظلتا مستقلتين عن تلك الامبراطورية الى ان وقعت تحت يد الهولنديين، ولكن كانت الطبقة الاولى من نسل العرب التي نشأت بهذه المدن (ماترام) كانوا لا يمتازون عن بقية الامراء الهنود، وليس هناك حاجة الى سرد جميع هؤلاء الرؤساء لان المجال لا يتسع لشرح ذلك.

«وفي القرن الخامس عشر لم يكن للعرب تأثير سياسي كبير على

الهنود إذا قارناه بالنسبة لتأثير الامبراطورية الماجاڤاهيتية، ولكن ذلك لم يمنع أمراء بانتن من مراسلة بلاد مكة.

«وفي سنة ١٦٣٨م (١٠٤٨هـ) لقب جميع من يتولّى الرئاسة لتلك المدينة (بانتن) بلقب سلطان كما كان يلقب به أمراء ماترام سنة ١٦٣٢م (١٠٤٢هـ) ولكن كان عرب حضرموت لا يقدرون على تثبيت أقدامهم إداريا لدى سلطنة بانتن وماترام، وهذا ما سبَّب الاختلاف الشاسع في جزيرة جاوا التي كانت في أيدي الهنود، ثم بعدها اصبحت تحت الحكومة الهولندية». (هذا يشير الى الخلاف الذي وقع بينهم وبين مقام قيري العربي، والصواب أن سبب الخلاف هو اغراء هولندا نفسها).

قال: «وفي الواقع يوجد الآن في «جوكجاكرتا» أسرة أصلية من حضرموت تشغل مركزاً سياسياً لدى السلطان (ماترام) ولكن تلك الاسرة قد فقدت الطباع الاصلية واندمجت في الاهالي حتى أصبحوا جاويين وفي الدولة الملايوية ما عدى آچيه كان تأثير العرب السياسي لها يختلف عن تأثيرهم بجزيرة جاوا في القرن الخامس عشر، فتلك البلاد اعتاد الاهالي الاختلاط والاندماج بعرب حضرموت من الازمان السابقة الى يومنا هذا».

وفي آچيه

وقال: «وقد كان للعرب تأثير سياسي عظيم في آچيه في الازمان السابقة، ولكن لم نستطع الاّ إستمداد شيء قليل من تاريخ تلك البلاد، ويظهر أن هذا التأثير معظمه من مكة وليس من أهل حضرموت. وكثير جداً من نسل عرب حضرموت يقيمون في آچيه ثم يصبحون رؤساء صغارا، ولا نجد في تاريخ هذه البلاد شخصاً أشهر وأعظم شهرة

وشخصية من السيد عبدالرحمن بن محمد الزاهر قبل الثورة التي قامت في آچيه ضد الهولنديين..... الخ ».

« وفي مدينة « إيدي » يوجد أربعة عرب ولدوا بحضرموت كلهم من « السادة » قد أصبحوا رؤساء للهنود، ولا أدري كيف توصلوا الى هذه المراكز، ولكن على كل حال ليسوا مثل السيد عبد الرحمن ».

ثم ذكر الامراء السادات من آل شهاب الدين العلوي وآل باشيبان وآل العيدروس وآل القدري العلويين من ذرية علوي بن عبدالله بن المهاجر أحمد بن عيسى نقيب المدينة بن محمد نقيبها أيضاً بن علي العُرَيضي... الى آخر النسب المعروف الشهير، ولكنه أغفل سلاطين بورنيو وأشرافها وأمراءها وسلاطين سولو ومقينداناو وباسيلان وبوايان وجزائر الملوك، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ناشروا الاسلام بالشرق الاقصى

جاء في كلام عدد من الأوروبيين أن التجار العرب هم الذين نشروا الاسلام في جزائر الهند (اندونيسيا) وزاد بعضهم الامر بياناً فذكروا أفراداً من ناشري الاسلام لا يعدون من التجار، ولكنهم أفراد تجردوا للدعوة إلى الاسلام ونشره بين الاهالي، منهم من صاهره بعض ملوك الجزائر، وانتقل الملك إلى اسباط الملك الذين هم اولاد الداعي الديني. وعبر عن هذا بعضهم بقوله: ان انتشار الاسلام كان من جهة المصاهرة، ولكن إن صحَّ هذا في طبقة الملوك فلا يمكن أن يقال به في طبقات العامة.

وذكر L. VAN RIJCK VORSEL في كتابه المترجم الى الملايوية باسم « رواية كفولوان هندياتيمور » ما يدل على أن العرب جاءوا إلى سومترا قبل الهولنديين لأول مرة بنحو سبعمائة وخمسين عاما.

قال: «وقد جاء الى هذه البلاد كذلك أناس من العرب وكانوا يسمونها عام ٨٤٦ و ٩٥٠ هـ (٣٢٢ - ٢٣٩ م) رامي أو لاميري وقد قام بنشر الاسلام هناك عام ١٢٩٢ هـ التجار المسلمون والمظنون أنه في ذلك الوقت جاء الدين الاسلامي الى ممالك سمودرا ڤاسي».

وأما المؤلف ل.و.س. فن دن بيرخ فقد قال في كتابه (الذي تقدم ذكره) في كتابه الذي سماه LE HADRAMAUT ET LES ARABS DAN INDIE ان التأثير في الاسلام انما كان من السادة الاشراف، وبهم انتشر الاسلام بين سلاطين الهنود في جاوا وغيرها، وان كان يوجد غيرهم من عرب حضرموت ولكن لم يكن لهم ذلك التأثير «وعلّل هذا الامر الواقعي بأن السبب هو كون هؤلاء من ذرية صاحب الرسالة الذي جاء بالاسلام.

وجاء في تاريخ سَراواك:

A HISTORY OF SARAWAK UNDER ITS TOW WIHITE RAJAS BARING GOULD C.H. BAMPFYLDY .

في المكتبة العامة «رافلس» بسنغافورا أن السلطان بركات كان من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب.

وقال في الكتاب المتقدم أنه جاء من الطائف، وذكروا أنه كان له مركب حربي مشهور، وآذن فهو على ما يظهر بركات بن طاهر بن اسماعيل المعروف بلقبه (بصري) بن عبد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى النقيب بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، لأن اشراف مكة حسنيون وهذا حسيني، وأشراف مكة لم يشتغلوا بالتجارة البحرية، وانما اشتغل بها السادة الحسينيون أهل حضرموت، ولا سيما بعد غارات غزو الخوارج على حضرموت، وقد

كانت مدينتهم « بيت جبير » من مراكز التجارة. والمتاجر يجلبها التجار من بندر مرباط، ثم تسيرها القوافل الى اليمن. وكان صاحب مرباط الامام محمد بن علي تسافر القوافل في خفارته من بيت جبير الى مرباط (ذكر هذا الشيخ العالم الصوفي عبدالله بن عمر الكثيري ويرجع نسبه إلى علي بن عمر الكثيري أول من ملك ظفار من آل كثير).

وفي تاريخ المسلمين بفلبين، وتاريخ سولو نص على أن نسبهم يرجع الى عبدالله بن علوي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم... الى آخر النسب.

وقد كتب على هذا التاريخ بالانكليزية:

DEPARTMENT OF THE INTERIOR ETHNOLOGICAL SURVEY PUBLICATION STUDIES IN MORO HISTORY LAW RELAGION. BY NAGEEB M. SALEEBY. MANILA BUREAU OF REPUBLIC PRINTING 1905.

وسنحيل على هذا الكتاب كثيراً ونسميه بتاريخ « جزائر الفلبين » فليجعله القاريء على ذكر منه، وها أنا انقل اليك بعض سلاسل انساب اولئك السادة الاشراف العظماء الذين خاضوا البحور الخضارم من السادة العلويين الحضارم مترجماً من الانكليزية

قال وهو يذكر تاريخ ميند اناو: «لا توجد قبل وصول الاسلام ما يمكن أن يثبت تاريخه، ولم يوجد من الحكايات ما حفظته الذاكرة. فلما جاء الاسلام انتشر العلم والحضارة والنشاط، وضع دستور جديد للدولة، وضبطت الاحكام في كتاب، وكتبت سلسلة الانساب وما تفرع من ذرية تنتسب الى العظماء، حفظها في عناية جميع السلاطين أو الامراء على حدة ».

هذه السلسلة أو الشجرة التي تسمّى ترسيلا او سلسيلة كتبت

باقتضاب في أماكنها واختصار في سرد حكايتها، فهي مبادىء كتبت عن أوائل سلالات المورو (المسلمين).

وكان المورو في السابق يضنون على هذه الترسيلا ويحفظونها عن غير المسلمين، ولكن تبدلت أحوالهم، ووقعت بعض هذه الشجرات من رئيس داتوباكي (ريو كرندبيلي) وادي مينداناو.

الصحف الخطية القديمة يمكن الحصول عليها بالشراء، ولكن النسخة المطابقة للاصل الصحيح قد عثر عليها وترجمت، وانتشرت هذه الترجمة هنا لأول مرة.

ثم أورد السلسلة الاولى وأعقبها بسلاسل عديدة ونذكر هنا بعضها بما يناسب هذا الباب.

السلسلة الاولى

هذه السلسلة ترجمت من اللغة الاصلية لسكان تلك الجزائر، ثم ترجمت الى الانكليزية بقلم فصيح أدبي وها أنا أتلوها عليك باللغة الملايوية.

قال: ڤوجي إيتُ كقدا توهَنْ، سايَ يقين يا إِيتُ توهن إيتُ سقسي سايَ، كتاب اين ممبري سلسلة كتورونن درفدا ڤسوروه توهن بقتله داتغ كماقيندناو. دي كتهوي يا إيتُ ڤسوروه توهن برانقكن فاطمة الزهراء يغ برانقكن شريف حسن دن شريف حسين، بغكدوا برانق شريف زين العابدين - شريف محمد الباقر - شريف جعفر الصادق - شريف علي - شريف محمد - شريف عيسى - شريف احمد - شريف عبدالله - شريف علوي - شريف علي - شريف علوي - شريف عبدالله - شريف علي - شريف محمد - شريف عبدالله - شريف أحمد - شريف زين العابدين.... الى آخر تاريخه وتاريخ ابنه محمد وإخواته[1].

---

(١) وتعريب مقدمة هذه السلسلة المذكورة أعلى من لغة الملايو كما يلي:

الحمد لله. إنني على يقين بأن الله شهيد عليّ، هذا كتاب يشتمل على سلالة رسول الله ﷺ الذين وصلوا الى ماقيندناو. من المعلوم ان رسول الله ﷺ أولد فاطمة الزهراء. التي أولدت الشريفين الحسن والحسين، وأولد الثاني منهما الشريف زين العابدين.... الخ

فهذا النسب من محمد بن زين العابدين كما يلي:

محمد بن زين العابدين (الذي جاء من جهور) بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن علوي (عم الفقيه) بن محمد (صاحب مرباط) بن علي (خالع قسم) بن علوي بن محمد بن علوي (أول من سمي علوياً واليه ينتسب جميع السادة العلويين الحضرميين) بن عبدالله بن المهاجر أحمد بن عيسى.... الخ.

وانظر ما سيأتي في الاصل ص ٢٥٣ وص ٢٥٤ و ٢٥٥.

وقد ذكر فيه أربع سلاسل، والقول بدخول السادة العلويين الى جزائر الهند الشرقية قديم العهد. على أن بعض المستشرقين المتكلمين

الندوة التاريخية حول دخول الاسلام الى اندونيسيا

عقدت ندوة خاصة ببحث دخول الاسلام بمدينة «ميدان» بسومترا الشمالية، إستمرت جلساتها من ١٧ إلى ٢٠ مارس ١٩٦٣م (٢١ - ٢٤ شوال ١٣٨٢هـ) وانتهت بما يلي:

١ - فهمنا من المصادر التي اطلعنا عليها أن الاسلام دخل إندونيسيا أول مرة في القرن الأول الهجري (فيما بين القرنين السابع والثامن الميلادي) ومن بلاد العرب مباشرة.

٢ - أن أول منطقة دخلها الاسلام هي سواحل سومترا، وأنه بعد تكوين المجتمع الاسلامي كان الملك المسلم الأول في آچيه.

٣ - ان الاندونيسيين ساهموا فعلاً بعد ذلك في الدعوة الى الاسلام.

٤ - وأن دعاة الاسلام الاولين كان بعضهم من التجار.

٥ - وأن الدعوة الاسلامية كانت سليمة.

٦ - وأن الاسلام أتى إندونيسيا بثقافة وحضارة راقية هي من عناصر تكوين الشخصية الاندونيسية.

٧ - وأن من الضروري وجود هيئة تقوم بأعمال تحقيق وتصنيف تاريخ الاسلام باندونيسيا بصورة أوسع وبصفة دائمة، ورأينا أن تكون هذه الهيئة في «ميدان» مع إنشاء فروع لها في الاماكن المهمة لا سيما في جاكرتا.

وقد ناشدت الندوة الحكومة الاندونيسية أن تعيد النظر في كتب تاريخ الاسلام باندونيسيا التي لم تزل مقررة للمدارس، وناشدت المجتمع المسلم الاندونيسي أن يضاعف النشاط في دراسة تاريخ الاسلام في الوطن.

قرار مجلس المشاورة

في اجتماع مجلس المشاورة في ٨ ذي الحجة ١٣٨٢هـ (٣٠ ابريل ١٩٦٢م) في سيدو قيري وحضره نحو ١٦٥ من علماء المسلمين أقرّ الاجتماع وأبلغ القرار إلى بعض الجهات الرسمية بأن السادة العلويين الحضرميين الشافعيين هم الذين نشروا الاسلام في اندونيسيا.

ووقع على هذا القرار الرئيس الحاج أحمد خليل نواوي ونائب الكاتب عبد الغني علي.

على تاريخ دخول الاسلام في الشرق الاقصى يؤخرون تاريخ دخوله ما

الذين نشروا الاسلام في الشرق

ذكرت الكتب الجاوية وبعض المستشرقين أن العرب حملوا بذور الاسلام إلى الشرق، غير أنَّ عدداً من المستشرقين المتأخرين، تبعاً لرأي الدكتور سنوك هرخرونيه SNOUCK HURGRONJE يرون أن الاسلام جاء من الهند، ولكنهم اختلفوا في تعيين الموضع الذي جاء منه.

مثلاً وينستد R. O. WINSTEDT فانه يقول أن الدعاة من كوجرات، ومع ذلك فهو يشير إلى أن العرب كانوا يقصدون «قدح» في شبه جزيرة الملايو للتجارة وان الاسلام انتشر فيها عام ٩١٥م[١] وفُنْ رونكل VON RONKEL وماريسون G. E. MARRISON يريان انهم من جنوب الهند بغير تعيين الموضع. ولكن ماريسون يقول أن دور كوجرات كان بعد انتشار الاسلام في سمودرا (آچيه)[٢].

ثم إن هؤلاء لا يلاحظون أن أهالي كوجرات أحناف في المذهب، وليس كذلك مسلمو الشرق الأقصى.

يقول الاستاذ قيصر مخول: «ان الكوجراتيين والجنوبيين لهم دور معاً، إلاَّ أن المبالغة في إبراز هذا الدور قد ينفي الدور المحتمل الذي لعبه أشراف العرب وعلماؤهم وتجارهم كما ينفي دور المسلمين الماليزيين الجدد أنفسهم في نشر الاسلام»[٣].

وقال أيضا: «كان من الضروري لتجار العرب، وللتجار المسلمين بعد ذلك - هنود وفرس - أن يستقروا وقتياً في مواني معينة مع السكان المحليين»[٤].

وقال: «ولا نناقض أنفسنا إذا قلنا أن أكثر الدعاة في ماليزيا جاؤا عن طريق الهند كانوا عرباً في الاصل، أو هنوداً مولدين من العرب»[٥].

وقال: «ومن المحتمل أن بعض السكان المحليين إعتنقوا الاسلام نتيجة نشاط فردي قام به الاشراف العرب من سلالة سيدنا علي وبعض اتقياء التجار»[٦].

---

(١) الندوة التاريخية ص٥٦ و ٢١٢.

(٢) ACEH SEPAN JANG ABAD 1/48.

(٣) الاسلام في الشرق الأقصى ٢٧.

(٤) المصدر السابق ٤٠.

(٥) المصدر السابق ٦٧.

(٦) المصدر السابق ١٥١.

استطاعوا. وهذا صادر عن عاطفة تتعلق بفخر اكتشاف الشرق الذي أدركوه، أو راجع الى عدم الاطلاع على الحقيقة، لأن كتب الاسلام

وقال: والجدير بالذكر أنهم (أي العلويين) كانوا في أوائل الذين هاجروا الى البلاد الاجنبية واتخذوا التجارة مهنة لهم لحفظ ممتلكاتهم الزراعية في حضرموت[1].

وقد تقدم ما ذكره ويسيلبيوس (في الاصل) أن العرب مدة ترددهم الى الهند الصينية نظموا دعاية في أقرب وقت، وإن لم يقبل الاهالي شيئا من إصلاحاتهم فقد قدروا على ترغيب الهيئة الرسمية في الاخذ بالاسلام »[2].

ويرى جونس في « الصوفية باب من أبواب الادب والتاريخ في إندونيسيا » ان العرب وغيرهم بدأوا بزيارات منتظمة لاندونيسيا منذ القرن الثامن الميلادي ».

ومن DIAGO DE COUTO البرتغالي أن آچية كانت تتصل ببلاد العرب مباشرة[3].

ويقول ولبرس: إن ناشري الاسلام جاؤا من بلاد العرب (ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٨) كما أن ولبرس هذا وروبريتسون يقولان أن الوعاظ يأتون مباشرة من مكة وشواطىء البحر الاحمر[4].

---

(١) الاسلام في الشرق الاقصى ٤٢ قيصر مخول.

(٢) انظر ص ١٨٣ من هذا الكتاب بالاصل.

(٣) ACEH SEPANJANG ABAD 99.

(٤) في جزر الفلبين ج ٩ ص ٢٨٤.

النفيسة والتواريخ الثمينة كلها وقعت بأيديهم، وهم يجعلون أول دخول الاسلام كان الى سومترا سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٢م) وهي السنة التي جاء

والرحالة «مركو بولو» ذكر ان السراسين (أي العرب) مجدون في نشر الاسلام في «قرلاق» كما أن «هندريك كيرن» يقول: ان التجار العرب هم ناشرو الاسلام، وان هناك تجاراً مسلمين - اغلبهم من العرب - في أهم موانيء سومترا وما جاورها من الجزائر وهم الذين بذروا بذور الاسلام»[١].

وذكر مثل ذلك «توماس أرنولد» وقبله «فرانسيكوغيتر» بأن العرب استوطنوا في الجنوب وعلموا السكان الاسلام.

قال الدكتور حمكا: «إن الذين وصلوا هم عرب أو من سلالة عربية، وفيهم من قوجرات وفارس وملايو»[٢].

وقال: إن الاسلام جاء من بلاد العرب مباشرة، وان الأندونيسيين يعتقدون إعتقاداً جازماً متوارثا أنهم تلقوا الدين الاسلامي من العرب، من شيخ داعية أوسيد شريف من سلالة الرسول ﷺ»[٣].

---

(١) الاسلام في الشرق الاقصى ٢٦.

(٢) الندوة التاريخية ٨٧.

(٣) SEJARAH UMMAT ISLAM 4/21

فيها «مركوبولو» ويلغون ما سوى ذلك من الدلائل على دخول الاسلام اليها من قبل، ويهملونها إهمالاً كلياً. ومع اكتساحهم تواريخ الشرق

ويقول إن كثيرا من سلالات «السادة والصحابة» جاءوا من ملابر، وكانوا يتصلون مباشرة بالبلاد العربية وعلم أن الشيخ الصوفي أبا مسعود عبد الله بن مسعود الجاوي كان مدرساً في البلاد العربية، ومن تلاميذه العالم الصوفي عبد الله اليافعي (١٣٠٠ - ١٣٧٦م) مؤلف كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين[١].

وذكر أن الشريف عليا الداعية تزوج بنت أخ السلطان محمد سلطان بروني، فلما توفي تولّى السلطنة أخوه أحمد، ثم الشريف علي هو السلطان الثالث في بروني، وتوفي في مطلع القرن الخامس عشر فتولى ابنه سليمان[٢].

وقال: إن سلالات العرب وخصوصاً «السادة» كان لهم مقام ومكانة محترمة، وقد تولّى سلطنة آچيه من هذه السلالة أولهم السلطان بدر العالم الشريف هاشم جمل الليل (١٦٩٩ - ١٧٠٢م) ثم السلطان ڤركاسَ عالم الشريف لمتوي الشريف ابراهيم أبري، وأن عدداً من القواد في آچيه حتى عام ١٩٤٦م كانوا من سلالة عربية، وسلاطين سياك من السلالة العلوية، وسلاطين ڤونتيانق من السادة آل القدري، وسلاطين ڤرليس من آل جمل الليل، والسلطان الحالي هو توانكو سيد ڤوترا بن المرحوم حسن جمل الليل[٣].

واستشهد بعروبة الدعاة وأصولهم بأن منهم الشيخ اسماعيل والسيد عبد العزيز الذي أسلم على يديه «ڤراميسوارا» والشيخ عبد الله عارف وملك ابراهيم الذي ينتسب الى زين العابدين بن الحسين بن علي في قرسيء، وهداية الله المنتسب الى الرسول ﷺ»[٤].

وأن وصول السادة العلويين من حضرموت كان في عهد السلطان اسكندر مودا سلطان آچيه[٥].

---

(١) SEJARAH UMMAT ISLAM 4/42

(٢) ج ٤ ص ٤٦.

(٣) SEJARAH UMMAT ISLAM 4/47

(٤) ج ٤ ص ٢١.

(٥) TUANKU RAU ANTARA FAKTA DAN KHAYAL 332 جاكرتا ١٩٧٤.

الاقصى واجتهادهم في محو هذا التاريخ الاسلامي وتحريفه بقيت بأيدي المسلمين بقية من التواريخ الوطنية والكتب العربية، فيها أخبار

ذكر الاستاذ عبد المنعم النمر أن العرب كانوا يذهبون الى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر اندونيسيا حتى كونوا لهم جاليات في بعض ثغور هذه البلاد وأنه كان منهم هؤلاء التجار والبحارة الحضارمة وغيرهم فحملوا معهم دينهم الجديد الى البلاد التي يتعاملون معها »[١].

---

(١) تاريخ الاسلام في الهند ص٦٠.

صريحة بدخول الاسلام قبل الزمن الذي عينوه تبعا لـ « مركوبولو » على

ذكر الاخ دادا موراكسا في كتاب له الى رئيس لجنة الندوة التاريخية محمد سعيد في ميدان «أن لموضوع التجارة أهمية للعلم بأن الاسلام جاء أول مرة على أيدي تجار العرب ».

وتقول المصادر الاهلية إن الاسلام وصل الى فلبين على أيدي سبعة إخوة من العرب الذين قدموا أصلاً من شبه جزيرة العرب، وأن اشهرهم أبو بكر اذي قدم عام ١٤٥٠م تقريباً، ويلقب «ڤدوكا مها ساري مولانا سلطان شريف الهاشمي» كما هو مكتوب على ضريحه، وتعاقبت سلالته بعده على السلطنة، وأحد السبعة السيد علي الفقيه ناشر الاسلام في جزيرة تاوي تاوي وغيرها. وفي « بود داتؤ في جزيرة جولو ضريح لأحدهم يحمل تاريخ ٧١٠هـ ويحتمل أنه كان أول الدعاة الذين وصلوا الى سولو[١].

والبروفسور حسين نينار عندما كان باندونيسيا وقد مكث بها زمناً ألّف كتاباً في علاقة الهند باندونيسيا وانتشار الاسلام بها، يرى أن الدعاة هم من السادة العلويين الذين جاؤا من الهند، وقد عاد إلى الهند ليطبع كتابه باللغة الانكليزية.

ذكر سالم هاراهاب عن دوزي أن الإسلام دخل إلى كاليمانتن (بورنيو) على أيدي جماعة من عرب ڤاليمبانغ[٢].

ومن المعلوم أن « ڤاليمبانغ » كانت مهاجَر العلويين ومستوطنتهم، فمعظم العلويين الذين يقصدون إندونيسيا يصلون أول بقعة فيها هي ڤاليمبانغ غالباً، يقيمون فيها أو يتفرقون بعد ذلك في الجزائر الاخرى، ولذلك نجد في ڤاليمبانغ من الأسر العلوية ما لا نجدها في غيرها.

جاء في صحيفة « العلم » الثقافي التي تصدر في الرباط بالمغرب ما يلي: لقد دخل الاسلام إلى جزر الفلبين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي على أيدي جماعة من الاشراف العلويين الذين وصلوا الى تلك البلاد ».

ثم قالت: وقد حملوا راية الدعوة الاسلامية هناك وساعدوا على تنمية البلاد وتطوير مؤسساتها الاجتماعية والثقافية والسياسية »[٣].

---

(١) الاسلام في الشرق الاقصى. نقلاً عن تاريخ سولو للدكتور نجيب صليبي ٤٩ - ٥٠ و ١٥٣ و ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) S. HARAHAP, SEJARAH PENYIARAN ISLAM KE ASIA TENGGARA

(٣) العدد ١٠٢٩٩ تاريخ ١٩ شوال ١٣٩٨هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٧٨م) ص٣ من حديث الدكتور علي القاسمي الخبير في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، وهو خبير في مكتب تنسيق العربية في الرباط.

أنه لم يقل أن وقت مجيئه إلى سومترا هو إبتداء دخول الاسلام إليها،

بعد أن استشهد الدكتور حمكا بما جاء في التاريخ قال:« ينبغي الاعتراف بأن السادة الاشراف كانوا من أول الامر قد ساهموا في نشر الاسلام في إندونيسيا »[١].

قال الدكتور سنوك هرخرونيه: « إن معظم الدعاة جاؤا من بلاد بعيدة، على الاغلب من بلاد العرب، ولقب « سيّد » بطلق على سلالة الحسين بن علي سبط النبي محمد ﷺ »[٢].

وخلاصة ما نقلناه هنا أن الدعاة غالباً من العرب، وأنهم كانوا يمرون على الهند وغيرها، أو كانوا من سلالة عربية في الهند انتشروا في أقطار الشرق، وبهم انتشر الاسلام، ويفهم أيضاً منها ان الدعاة كانوا من السادة العلويين.

والى هذا أشار الدكتور شريكة، إذ ذكر أن أهم وسيلة جاء معها الافكار والحياة الروحية من مراكز الاسلام في الهند وبلاد العرب[٣].

ومن المعلوم أن « السادة » غالباً يوصفون بحملة الافكار والحياة الروحية، سواء في البلاد العربية أو الهند أو الشرق الاقصى.

وشبه هذا ذكر المؤرخون الأجانب منهم رولند سون ROWLAND SON وستوروك STURROCK وفرانسيس داي FRANCIS DAY أن العرب قد أقاموا منذ القرن السابع، وقبله في الهند الغربية وانتشروا في اماكن متعددة، ومستوطنتهم المفضلة في ملابر.

والدكتور سنوك هرخرونيه ذكر تأثير العرب في انتشار الاسلام اكثر من غيرهم، جاء هذا في دائرة معارف الهند الهولندية[٤].

واشار الى هذا البروفسور المؤرخ حسين جايا دينبنغرات في مجلة « بهاسَ دَنْ بودايا » وغيرها عند الكلام على الشريف هداية الله.

قال الاستاذ عبد المنعم العدوي في مجلته « العرب » التي تصدر في كراجي[٥]: « ...

---

(١) الندوة التاريخية ص٧٥.

(٢) ٢٩٢/١٢.

(٣) ج١/٤٤.

(٤) ENC. VAN NED. INDIE VOL II P.P. 576 - 9

(٥) « العرب » السنة ٣٦ العددين الخامس والسادس - رمضان وشوال ١٣٩٢ هـ ص٤٢.

ولكنه أخبر عن وجود الاسلام والمسلمين بها.

ولاننا نحمل ذكريات طيبة عن إخواننا الحضارم واليمنيين الذين أدخلوا الاسلام الى اندونيسيا وماليزيا وتايلند وغيرها من أقطار الشرق الأقصى وما خلفوه وراءهم من آثار طيبة في المملكة الآصفية، أي إمارة نظام حيدر اباد، وفي المليبار في جنوب الهند وكتياوارا».

ثم قال: «والعرب هم أول من دخل الى «چينا كونغ» على خليج البنغال، واطلقوا هذا الاسم على نهر القانع، فحرف بالانكليزية إلى چينيا كونغ، وبالبنغالية إلى شانجم» وما زال أهل جزيرة اكياب على حدود بورما يتكلمون العربية فيما بينهم ويحتفظون بأنسابهم وأصولهم وتقاليدهم الى اليوم، وهم من العرب الحضارمة واليمنيين، وكذلك جزر مالديف ما زالت تحتفظ بتراثها العربي الاصيل...».

وفي جريدة «أبدي»[1] كتب الدكتور حمكا تحت عنوان «السادة الأشراف» بعد أن إستشهد بما جاء في التاريخ قال: ينبغي الاعتراف بما جاء في التاريخ بأن السادة الاشراف كانوا من أول الأمر قد إشتركوا في نشر الاسلام في هذه البلاد، حتى لقد جاء في حكايات جزيرة «سومباوا» أن انفجار بركان «تمبورا» كان لدعوة سيد جاء لنشر الاسلام.

وفي حكايات «كوتاي» (تنكارونغ) أن أول ناشر للاسلام في ذلك البلد سيد جاء من جاوا...».

ثم قال: «إننا لا نستطيع أن نجحد نفوذ السادة الاشراف في إنتشار الاسلام في إندونيسيا إن الملوك الاربعة في جزائر الملوك (ترناتيه، باچن، جيلولو، تيدوريه) يعتمدون في نسبهم على رواية بأن أصولهم من السادة جاؤا الى هذه البلاد في القرن السادس الهجري، أي عام ٥٠٢ هـ، غير أن الدراسة العلمية لم تؤكد بعد هذا الاعتقاد».

«في بعض قرى بوقيس ومكاسر توجد سلالات «السادة» مضت عليها أزمان إندمجت في شعب البوقيس وذابوا فيه سريعاً، لأنهم بذلوا كثيراً من الجهد في نشر الاسلام».

«في ڤريامَنْ (سومترا الغربية) سلالات ملوك متصلين دماً بمملكة «ڤاكر رويونغ» يلقبون «سوتن» والمتصلون منهم بآچيه يلقبون «باكيندو» وسلالة السادة يلقبون «سيدي» وها هو الاخ شاف رئيس تحرير صحيفة أبدي من هذه السلالة وما زالت سحنة وجهه عربية».

وذكر أن سيداً جاء الى مملكة «رياو» فنال بها مكانة هو السيد زين الحسيني القدسي (انكو كونينغ) وسلالته موجودة في دائيك DAIK في لينقا LINGGA» اهـ.

---

(١) الصحيفة الاسبوعية ٢٥ اكتوبر ١٩٥٩م منها.

وفي بعض الروايات أن الاسلام انتشر بجاوا حوالي عام ١١٩٠ م جاء به رجل عربي.

والحكايات الاهلية تذكر اسم الملك «موندينغ ساري» وأخيه الاكبر «الحاج ڤوروا» في قصص «ڤاجا جاران» ان «ڤوروا» سافر إلى الهند ولقي هناك عربياً واسلم على يديه وحج عام ١١٩٥ م وعاد الى وطنه ودعا أخاه الى الاسلام فلم تنجح دعوته وترك البلاد الى حيث لا يُعلَم. هذه الحكاية ذكرها بعض كتاب الغرب.

قال الدكتور أبو بكر آچيه عن ناشري الاسلام: إنه لا يستطيع أحد أن يقرَّ جميع آراء الغربيين بأن الدعاة كانوا تجاراً، ففيهم من جاء للدعوة، وفيهم عرب بل هؤلاء هم الذين قاموا بدور مهم في نشر الاسلام قديماً، ووجود ملوك مسلمين وممالك إسلامية في أندونيسيا دليل على وجود عرب دعاة في الفوج الاول، للسلطان اسم عربي، وله سلسلة نسب الى النبي محمد ﷺ[١].

ألّف تنكو محمد جميل رسالة «الاسبوع الثقافي في آچيه» عام ١٩٥٨ م جاء فيها انه في عام ٤٢٠ هـ (١٠٢٨ م) وصلت سفينة من قوجرات الى ڤرلاق بها تجار من العرب والفرس والهنود، وأن عربياً داعية من سلالة قرشية، من «السادة» تزوج أميرة من «ڤرلاق». وبعد خمسين سنة قامت بها سلطنة عام ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) تولاها عبد العزيز.

وذكر مثل هذا المؤرخ زين الدين الآشي فقال أنه قارن سني سلاطينها بما في شواهد القبور[٢].

وقال شِريكه: قدوم «السادة» الى ماليزيا يثبت أن بعض تجار العرب كانوا ينتمون الى عائلات «السادة» في بلادهم[٣].

في سنة ١٨٧٠ م كان في جزيرة «سومبا» الداعية السيد عبد الرحمن بن أبي بكر القدري في مدينة «واينغاڤو» WAINGAPO ثم نفته حكومة هولندا الى «كوڤانغ KUPANG» متهماً بانه يدعو للثورة ضدها.

ويقول وارنر: «إن للسادة نفوذاً كبيراً في المحيطين السياسي المحلي والديني يعملون غالباً وسطاء لفض منازعات العشائر والخصومات القبلية»[٤].

---

(١) النـدوة التاريخية ص ١١١.

(٢) تاريخ آچيه دَنْ نوسانتارا طبع ميدان عام ١٩٦١ م TARIKH HCEH DAN NUSATRA.

(٣) التحـول في القوى السياسية والاقتصادية ج ١ ص ٢٨.

(٤) ص ٢١٨.

الى الواقع أن الاسلام انتشر في سومترا شيئا فشيئاً كانتشاره كذلك في

وفي كتاب « سجره عالم ملايو » أن في حضرموت طائفة من السادة الاشراف هم الذين يسمون بالعلويين، فمن هذه الطائفة ظهر كثير من العظماء ودخلوا جاوا فوجدوا لهم مكانة ونالوا المناصب العالية في « ڤيراق » وتولّى بعضهم السلطنة في ڤرليس (ماليزيا) وسياك في سومترا. وبعدهم تكاثر العرب وتوالدوا وكثر حجاج الملايو ».

وفي بروني أضرحة قديمة، منها ضريح عليه كتابات عربية هي « العلوي البلقية الدهرية سلطان عمر علي سيف الدين » وآخر عليه هذه الكتابة « هجرة ٨٣٦ جمادى الاولى دهري علي سلطان شريف علي سلطان بروني » وآخر عليه « محمد علوي راجَ جونجونغن ».

يقول المؤرخ حسين أحمد: «لقد تقدمت « ڤرلاق » و « ڤاسَيْ » كثيراً في أواخر القرن الثالث عشر لانها صارت مقصداً للسفن العربية التجارية ».

« إن جميع التجار في هذه البلاد هم من العرب، فلا عجب إذا كان ملوكها قد أسلموا من أول القرن الخامس عشر الميلادي، ثم عبر الاسلام الى ملاكا حوالي عام ١٤١٤م ثم اخذ التجار العرب بعد ذلك (أي بعد عام ١٤١٤) يأتون الى ملاكا وڤاسَيْ وڤيدي وڤرلاق وبهم تقدمت ملاكا »[١].

ذكر الاستاذ عبد الله القاري بن الحاج صالح بعد أن استشهد بالكتب على أقدمية صلات العرب بالشرق: « أن وصول العرب من حضرموت من العلويين بعد دخول الاسلام الى بلادنا، ومن هذه الطائفة من تربع مكانة عالية في المجتمع... »[٢].

أما الدكتور سنوك هرخرونيه الذي سبق ذكره فهو إبن قسيس، درس في جامعة ليدن في اللاتينية واليونانية والأدب العربي والاسلام. وعندما كانت هولندا توالي الزحوف لحرب آچيه أخذ هو يدرس الاسلام بتعمق والشعوب واللغات والعادات باندونيسيا.

ذكر الكاتب المعروف حبيب جاماتي في كتابه « الجزر الخضراء هندونيسيا » ص ٣٩ تحت عنوان « العرب في هندونيسيا »: « دخل الاسلام هندونيسيا مع التجار العرب الذين وفدوا عليها من الجزيرة العربية، ومعظم أولئك التجار من أصل عربي، جاءوا أو جاء آباؤهم من حضرموت. هاجر العرب من جنوب الجزيرة أول ما هاجروا الى جزيرتي سومترا وجاوا وأسسوا

---

(١) حسين أحمد، سجره ثانه ملايو. ص ٢٥ - ٢٧ طبع ڤوستاك أمان ڤريس.

(٢) PENGAJIAN SEJARAH ISLAM, 315

فيها جاليات تكاثرت وازدهرت وسيطرت على التجارة بين جزر الهند الشرقية وسواحل الهند وبلاد العرب وإيران وأفريقيا الشرقية، وامتدّ نشاطهم وتشعَّب الى مختلف الميادين ومرافق الحياة، ونجحوا نجاحاً كبيراً وأحرزوا ثروات ضخمة وجعلت منهم في وقت من الاوقات أغنى أغنياء البلاد على الاطلاق، وانتقلوا مع الوقت من سومترا وجاوا الى الجزر الاخرى، وأنشأوا فيها المتاجر ومراكز المقايضة والمبادلة على منتجات البلاد، وكانت سفنهم تجوب البحار في كل الجهات...»[١].

ثم قال:«وفي وقت من الأوقات تولت الحكم والزعامة في بعض الجزر والممالك والامارات أُسرٌ عربية عريقة جاء أفرادها من جزيرة العرب، وسلالات تلك الأسر لا تزال إلى الآن تلعب دورها في تطور الحالة في هندوسيا...»[٢].

«ولا يعرف عدد العنصر العربي في جزر الهند الشرقية بسبب إندماج كثير من العرب بالأُسَر الاندونيسية الأصيلة»[٣].

قال الدكتور حمكا: «كثيراً مَّا يأتي في الحكايات الشعبية المكتوبة ذكر السلالات، كسلالة ملوك جزائر الملوك بأنهم ينتسبون إلى جعفر الصادق، وأن سيداً علوياً جاء ناشراً للاسلام في أحد بلدان الشرق، وأن سيداً آخر داعية في مملكة «كوتاي» جاء من دماك. وأمثال هذه الحكايات وان كانت لم تـؤيّد بوثائق أو حجج فانه لا بد أن تكون لها أصول حقيقية وليست مجرد أقاصيص تدل على أن دور العرب عظيم ليس في مقدورنا إغفاله في نشرهم للاسلام في بلدان الملايو»[٤].

(١) ص٤٠.

(٢) ص٤١.

(٣) دار المعارف، مصر عام ١٩٥٧م.

(٤) سجره امة إسلام ٤ ص٤٨ SEJARAH UMMAT ISLAM.

والحديث كثيرا من السادة العلويين.

ثم قال: «إن البروفسور سنوك هرخرونيه يقول إن لفارس والهند (ملابر، كرومندل) أثر عظيم في نشر الاسلام في هذه البلاد. ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يجحد ما للعرب أو مكة من تأثير كبير في حياة الاسلام في هذه الجزائر أعظم من تأثير تركيا أو الهند أو بخارى»[١].

ثم قال: «إن هذا التأثير كان محسوساً جداً في القرنين الـ ١٨ والـ ١٩ عندما كان الحماس متوهجاً في الوقت الذي يوطد الاستعمار الهولندي في سلطته باندونيسيا، والاستعمار البريطاني في ملايا، فقد وقف تجاه الاستعمار الشعورُ الديني القوي في العلاقات مع العرب»[٢].

بعد أن انتشر الاسلام قام الأهالي بدورهم في الدعوة، ولا سيما علماؤهم، فانتشروا في الأرض يحملون مشاعل هذا الدين، وقد علمنا من الدعاة - وهم كثير - في منطقة «كاڤواس بارات» في كاليمانتن الحاج محمد أرشد كوئين الذي تولّى القضاء في «مندا ڤاي» والمتوفى عام ١٩٣٠ م وقبره هناك. ومن الدعاة اشخاص من كاليمانتن الجنوبية نشروا الإسلام في قبائل الداياك، ومنهم تجار بينهم السيد ابراهيم المتوفى في «كوالا كورون» وقبره في «ڤيرينغ بنكيل» في كاياهَن الوسطى عام ١٩٠٠ م وبعد وفاته قام بالدعوة عدد من الاهالي.

وفي «سامڤيت (كوتا وارينغين) قام بالدعوة السيد حامد متعاونا مع الحاج عبد الغني (وينطق الاهالي باسمه) «دوقاني».

وما زالت الدعوة في عهد الاستعمار الهولندي تأخذ سمتها بالخطب والمراسلات وبالردود والتفاهم والترغيب. ومن الذين تصدوا لاحد المبشرين الكاثوليك في كتابه السيد أحمد بن زين العابدين الجفري العلوي، ويقال أن هذا المخطوط محفوظ في «كمبردج». وللسيد أحمد هذا حكاية ومغامرة مع جماعة من الالمان الذين ركبوا زورقاً أعدوا فيه كل ما يلزم من زاد ووسائل تعمية إبان الحرب العالمية الاولى حتى وصلوا الى الشاطيء الجنوبي لبلاد العرب باعتبار انهم اتراك وأن السيد احمد مترجم لهم. فاستقبلهم الاهالي بالتكريم، وواصل المغامرون رحلتهم براً وبعد قطع مسافات طويلة هجمت عليهم بعض القبائل فتفرقوا أو قتلوا، ولجأ السيد احمد الى مكة حيث أسرته وأقاربه بها الى نهاية الحرب، ثم عاد الى جاوا. هذه خلاصة الحكاية.

---

(١) ENC. VAN NED. INDIE VOL IIXV P.P. 576 - 9

(٢) ص ٤٨.

....

ومن الدعاة الذين قصدوا سولاوبسي الشمالية وهم من سومترا في الماضي:

١ - سليمان خطيب سولونغ، ٢ - عبد المعمور خطيب تونكال، ٣ - عبد الجواد خطيب بونغسو، ٤ - السيد عبد الرحمن وهو عربي، قام بالدعوة مع زملائه متنقلين في المناطق.

وممن ذكرتهم الكتب الاهلية الشريف علوي الذي جاء الى «بولانغ مانغودو» للدعوة ثم تزوج الاميرة أخت الملك سنة ١٨٨٢ م.

ومنهم شخص يُدعى عبد الواحد، والسيد عبد الله السقاف الذي قدم من ڤاليمبانغ.

ونجد الآن كثيراً من الدعاة العاملين والعلماء، وفي عهد الثورة الاندونيسية قدم العلماء والزعماء طاقاتهم، بالدعوة، او بفتوى وجوب الجهاد، او بحمل السلاح او غير ذلك. وقد علمت ان بعض الاخوة قد جمع تراجم للعلماء السابقين والحاضرين في كتاب وقدم للطبع.

. . . .

من مقال للطالبة «نياكورنيا صالحات NIA KURNIA SOLIHAT

كتبت هذه الطالبة مقالاً عن وصول الاسلام وانتشاره في جاوا أقتطف منه ماله صلة بالموضوع.

قالت: إن العلاقات بين جاوا والبلاد العربية كانت منذ القرن السابع الميلادي (الاول الهجري) ذكر هذا المصدر الصيني HSIN - TANG SHU، واكّده الرحالون العرب أنفسهم، ولم يعد هناك ريب في أن موانيء جنوب شرقي آسيا حينذاك كانت مقصداً للتجار العرب، بل كان كل مدينة تجارية فيها منطقة يسكنها تجار مسلمون.

وجاء هذا في تأليف البروفسور جبريل ڤيراند، وذكره البروفسور ڤاول ويتلي PAUL WHEATLEY في كتابه THE GOLDEN KHERSONESE. بل ذكر فيراند في كتابه أصل النص العربي، وفي المتحف البريطاني من هذا الكتاب نسختان.

فالعرب الذين يترددون إلى هذا الارخبيل كانوا ينشرون الاسلام، واعتنق بعض الجاويين - وخصوصاً سكان الشواطيء - الاسلام في ذلك القرن.

ثم ذكرت الكاتبة وجود قبر فاطمة بنت ميمون المتوفاة في ٧ رجب ٤٧٥ (١٠٨٣/١٢/٢م) بأنه دليل على وجود مجتمع إسلامي في عهد مملكة «ڤنجالو» (كديري)، وعليه فلا غرابة من وجود كلمات عربية في كتب الحكايات الشعبية، من تأليف «ڤانولوه».

قال چو ڤن چو CHO - FAN CHO ان كثيراً من التجار الاجانب يقصدون «ڤنجالو» وأن النقود الذهبية والفضية معمول بها في أسواقها.

وعندما ترجم ف. هيرث F. HIRTH وروكهيل W.W. ROCKHILL نتيجة أبحاث كراوفورد J. CRAWFURD بأن النقود القديمة التي عثر عليها في الشواطيء الشمالية من جاوا الشرقية كانت عليها كتابات عربية. وهذا يدل على نفوذ التجار المسلمين في المناطق الشرقية بجاوا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

ثم ذكرت أن صحيفة «بريتايودا» في ٣ اكتوبر ١٩٨٠م نشرت مقالاً بقلم سوارنو، بعنوان «الملك جايابايا» بأن هذا الملك أسلم، وقد استند في ذلك على كتب الحكايات

. . . .

التي ذكرت إسلامه على يد شخص عربي إسمه مولانا علي شمس زين.

وقالت إنها على الرغم من عدم وثوقها بما تذكره كتب الحكايات فإنَّ كثيراً منها ذات أصل تاريخي، مما يدل على أن الاسلام كان موجوداً في عصر مملكة «ڤنجالو»، وليس بالعسير الوصول إلى نتيجة بأن الاسلام قد رسخ في القرنين الـ ١٣ والـ ١٤ (في عصر مملكة سينغا ساري ومملكة ماجا ڤاهيت).

وتـؤيد هذا دلائل تاريخية أخرى، ومقابر إسلامية قديمة في منطقة تارالايا TARALAYA بالقرب من تراوُولن TRA WULAN عليها كتابات عربية وآيات قرآنية. وقد درس البروفسور L. C. DAMAIS تواريخ هذه المقابر، وكانت عليها تواريخ سنوات شاكا تبعاً للعادة الجارية حينذاك، ما عدا شاهدة واحدة كتبت بالتاريخ الهجري هو عام ٨٧٤ هـ[١] واسم المدفون زين الدين.

فقبور المسلمين في تـارالايـا هـذه المكتوبـة تواريخهـا بسنوات شاكـا ١٢٠٣ هـ (١٢٨١ م)[١]. هي في عصر الملك «كرتا نقارا» من ملوك سينغا ساري»أ هـ.

---

(١) عام ٨٧٤ هـ يعادل ١٤٦٩ م.

(٢) عام ١٢٨١ هـ يعادل ٦٨٠ هـ.

ففي نهاية الإرب في فنون الأدب، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في السفر الأول الذي فرغ منه يوم السبت وعشرين من ذي القعدة عام ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) قال في صفحة ٢٢٠: «ويقال ان في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ست جزائر أخرى تسمى السيلي، يقال إن ساكنيها قوم من العلويين وقعوا إنيها لما هربوا من بني أمية. ويقال ان جزائر السيلي لم يدخلها أحد من الغرباء وطاوعته نفسه على الخروج منها لصحة هوائها ورقة مائها، وان كان منها في عيش قشف».

وقال في «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر[1]» للشيخ العلامة المتقن شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي شيخ الربوة، وقد أجاد في وصف جزائر الهند الشرقية، وذكر ما بينها وبين الهند والزنج من الجزائر في صفحة ١٤ - ١٧ من كتابه، فذكر أن خط الإستواء يمر جنوب جزيرة «سرنديب» وما بين جزيرة «سَربازة» بسومترا وجزيرة كله (بقيراق ببلاد الملايو) ويمر على جزيرة الزانج أو الرانج (اختلفوا في ضبطه[2]) يعني بورنيو (كاليانتن)».

قال: وينتهي إلى أقصى المشرق حيث سلا وأرض اصطيفون. وذكر في موضع آخر جزائر سيلا والسيلي والياقوت وصبح (سيبو) وذكر جزيرة لنجالوس بجانب سومترا. ومقاطعة فنصوري بسومترا.

ثم قال في صفحة ١٣١: قال أهل العلم بذلك أن في البحر الزفتي الشرقي مما وراء جبال النشادر (جبال النار) والاخوار (خليج البحر بين الجزائر) قريب من سواحله ست جزائر كبار تسمّى بالسيلي لما فيها من الياقوت والجوهر والمعادن والمغاصات».

---

(١) طبع كتابه في بطرسبورغ سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٠ م) وكانت وفاته في سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م).

(٢) انظر بالهامش ص ١٩٢ في موضوع اسماء بلدان في الكتب العربية.

«وفي جرّ السيول» دخلها قوم من العلويين ودفنوا فيها لما فروا من بني أمية فاستوطنوا وملكوا وماتوا بها. وهذه الجزائر لم يدخلها أحد فطاوعته نفسه الى الخروج منها وإن كان فيها في عيش قشف، وهي في جهة الشمال من هذا البحر».

الصحيح أنهم دخلوها بعد حروب الغز وحملات الخوارج مع الزنجيلي الناصبي، وفرارهم إلى مرباط، ثم سافروا حتى أدتهم الأسفار إلى هذه النواحي، وقد ذكر دخولهم القلقشندي في صبح الأعشى[١]، والنويري[٢] في نهاية الإرب، والمقريزي[٣] وغيرهم. ثم ذكر جبال تيري وقال إنها على خط الاستواء، ومن وراء هذه الجزيرة بنحو مائة ميل جزيرة صبح المعروفة بالعلوية».

ومن المفهوم أن مراده بجبال تيري جبال كاليمانتن الغربية، وفيها ما يسمَّى «كاكلي» ولعله «قاقله» وتسمية العود الذي يؤتى به منها بالقاقلي راجع لما ذكر.

وذكر في صفحة ١٦٨ بلاد الصين مرتبة، ثم ذكر بلاد الصنف (سيامقا أو چمقا) ولعلها الذي ذكرها النويري باسم «جمكوت»، وجمكوت هذه مؤلفة من كلمتين، جم بمعنى قبيلة (وشعب جم بمعنى فلاحين) وكوت معناه المدينة، فصار المعنى مدينة قبيلة جم، ويمكن أن يكون المراد بها «إيريان» أو ڤاڤوا، والأخرى استراليا، لقولهم أنه ليس بعدها شيء من المعمور في البحر الزفتي لاسوداده».

---

(١) القلقشندي أحمد بن علي (٧٥٦ - ٨٢١هـ) ١٤١٨م.
(٢) النويري أحمد بن عبد الوهاب (١٢٧٨ - ١٣٣٢م).
(٣) المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر.

وقوله: في جرّ السيول، في الكلام نقص، ولعل الأصل «وتوجد - أي المعادن واليواقيت - في جرّ السيول. وهذه الصفة موجودة في بعض جزائر الفلبين. ومنها جزيرة «مندورو». ذكرها صاحب كتاب «أمة الملايو»، وقال فيها: تهب عليها رياح الجنوب فترسل إليها الأمطار سيولا تجرّ في تيارها التبر».

وقال المؤرخ العلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزي في كتابه «الخطط المصرية» في الجزء الأول صفحة ٢٥: «وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضاً تعرف بجزائر السيلي نزلها بعض العلويين في أول الإسلام خوفاً على أنفسهم من القتل».

وفي تواريخ الفلبين الوطنية يذكرون دخول «شريف أولياء» قديماً ثم دخول «مخدوم» الذي كان له مركب خاص يدور به على الجزائر يدعو إلى الله ويهدي الناس إلى الإسلام.

وأهل بروني يذكرون دخول أحد أجدادهم المسمى شريف بركات الحسيني جاء من الطائف وكان له مركب مشهور يهابه القرصان حتى أنهم يلقبونه «رقم» وهذا على الأرجح هو الشريف بركات بن طاهر بن إسماعيل المعروف بلقب بصري بن عبد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى.

هكذا ذكر نسبةَ السيدِ الرحالة النسّابةُ ضامن بن شدقم بن زين الدين علي بن حسن النقيب المدني الحسيني من بني المهنا الأكبر، ويعود نسبهم إلى أبي الحسين يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين... إلى آخر النسب الطاهر(١).

---

(١) في كتابه «تحفة الازهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الاطهار. وهو كتاب حافل في النسب النبوي مخطوط في مجلدين، طبعت منها في العراق ست كراريس (ع).

وجاء في JOURNAL STRATS BARNCH ROYAL ASIATIC NO. 1. 75. 1878-1880 LIST MOHAMEDAN SOVEREIGNS OF BRUNI OR BORNEO PROPER NO. 3. SULTAN BERKAT WHO HAD CAME FROM THE COUNTRY OF TAIF HIS GRAND SON HOSIN FORREST OF CIT.

واسمه الحقيقي علي. وهذا يخالف ما في سلاسل بروني، فقالوا ان علياً اسم الذي جاء أولاً، وبركات إنما جاء فيما بعد وتزوج بنت أحد الأخوين محمد وعلي.

وفي تاريخ سَراواق المتقدم ذكره قال: الذي حصل هذه المعلومات من الوثائق الميندناوية التي تقول في سنة ١٤٧٥م (٨٨٠هـ) أن الشريف علي واثنين من إخوته جاءوا من مكة، فعلي صار الأمير الأول في ميندناو، وأحد أخويه صار سلطاناً لبورنيو (بروني) والثالث صار سلطاناً على «ملكوس» جزائر الملوك. والتاريخ الذي أُرّخ به (١٤٧٥م) خطأ محض. والوثائق الميندناوية ليس فيها تاريخ كما هو محقق في تاريخ فلبين.

ذكر نجيب صليبي في كتابه الآنف الذكر الذي ألّفه بأمر الحكومة الأمريكية في فلبين وتحت إشراف رجالها واستقراء موارده من الأوراق الرسمية للحكومة الإسلامية والإسبانية والأمريكية وغير ذلك مما كتبه الرحالون من الغربيين وهو في جزئين، طبع في مانيلا سنة ١٣٢٣هـ الموافق لسنة ١٩٠٥م.

كلمة الشريف يلقب بها أولاد النبي ﷺ، واللقب الكامل «السيد الشريف» والعرب تستعمل كلمة «السيد» فقط، ومورو (لفظة أطلقها الإسبان على العرب ثم على المسلمين أينما كانوا، فلما هاجموا جزائر فلبين وجدوا بها ذراري العرب ومسلمي البلاد فسموهم مورو) وأصل

معنى مورو عندهم «الأسود».

«يستعملون «السيد الشريف لاحترامهم العظيم لذرية النبي ﷺ، فان زين العابدين الذي جاء من حضرموت، والآتية سلسلة نسبه زوّجه سلطان جهور إبنته المسماة «جاسول آسيقين» مأخوذة من كلمة عربية أي جوز العاشقين.

قال الأستاذ عبد الله القاري بن الحاج صالح[1]: «إن وصول العرب من حضرموت من أسرة السادة العلويين وسار الإسلام في إنتشاره».

وحسب تاريخ آچيه أن أول ملك مسلم «جوهن شاه» العالم الصوفي، جاء من ملابر عام ١٢٠٤م له إبن لقب بعده «السلطان الكامل» وقبره في بلمي BLMI وكذلك قبر القائد يعقوب عام ٦٣٠هـ (١٢٣٣م) وإبنه الملك الصالح وقبره معروف. وهذا يدحض القول بأن الملك الصالح أول من أسلم وأنه أول ملك.

ويقول سير توماس أرنولد[2]: ان المظنون أنَّ تجار العرب هم الذين جاءوا بالإسلام في القرن الأول الهجري، ولكنا لم نعثر على نصوص في كيف كان تأثير الإسلام في تلك البلدان، ولكن الذي نعلمه أن العرب كانوا يتجرون بصورة واسعة منذ القرن الأول، وفي القرن الثاني الهجري كانت تجارتهم بأيديهم في «سيلون»، ووصلت تجارتهم إلى الصين. وفي القرن السابع كان لهم مركز تجاري في «كانتون»، وإلى القرن الخامس عشر الميلادي حتى وصول البرتغال كانت كلها بأيدي العرب، وانتشر الإسلام في «سوكادانا» بسعي سلالات عربية جاءت من «ڤاليمبانغ» وملاكا وجاوا.

وجاء الإسلام إلى جزائر الملوك من جاوا الشرقية إلى «ترناتيه» حوالي عام١٤٤٠م تقريباً بواسطة الشيخ جمال الدين الحسيني (مولانا حسين[3]).

وإلى بورما جاء الإسلام من «أراكن» إلى خليج البنغال بأيدي الدعاة من العرب والهنود. ولما وصل البرتغاليون إلى سيلان (سري لانكا) وجدوا بها تجاراً من العرب، وآثار العرب فيها موجودةً كالمقابر مثلاً، كما توجد بها مساجد باقية منذ القرن السابع.

---

(١) محمد بن إسماعيل رئيس وزراء كلانتن في كتابه «جغرافية وتاريخ كلانتن» ص ٣٦٨ ط عام ١٩٢٦م.
(٢) توماس أرنولدفي «الدعوة إلى الإسلام» ترجمة كتابه THE PREACHING OF ISLAM.
(٣) ص ٣٧١.

قيل إنها ولدت ثلاثة أبناء، والأصغر يسمَّى «كابونْغسوان» ومعنى الكلمة «الابن الأصغر» وأسماء الآخرين لم تذكر في ترسيلا (يقولون ترسيلا وسلسلة، وهي كتب أنسابهم وتواريخهم» ووجد في التقاليد (يعني

مورو

أصل كلمة «مورو» أن الذي لم يهجر الأندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة يسمَّى «موريسكو أطلقت أوّلاً على المسلمين الإسبانيين، وهكذا جاء الإسم بالإسبانية «مورو» وهي بالانكليزية «مور أطلقت إصطلاحاً على مسلمي اسبانيا والمغرب، وأطلق الاسبانيون على مسلمي الفلبين هذا الاسم عندما دخل ماجلان إلى هذه الجزائر سنة ١٥٢١م[١].

وذلك لأنهم رأوا بها عرباً ومسلمين في جزيرة سلدونغ (لوزون الآن) في عهد السلطان سليمان حاكم مانيلا، إبن أخت حاكم «توندو» وأطلق عليهم اسم الموريسكو MORISCO أي العرب الأصاغر، ويسمون في الاصطلاح التاريخي «العرب المتنصرين».

وقد لبث أولئك الموريسكيون يعيشون تحت نير الإسبان المرهق زهاء مئة سنة أخرى، وهم يعانون أروع ما يعانيه الشهداء من ضروب الأضطهاد والذلة، تطاردهم السلطات المدنية والدينية، ولا سيما محاكم التحقيق الشهيرة (هي المحاكم التي تعرف خطأً بمحاكم التفتيش) بأقصى أنواع المطاردة، وترغمهم على ترك عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية، ولغتهم وأسمائهم وملابسهم العربية، حتى تقضي بذلك على تراثهم الديني والحضاري، وعلى أخص مقوماتهم المادية والمعنوية، وبالرغم من أنهم كانوا في الظاهر نصارى يشهدون القداس ويتكلمون القشتالية كانوا في سرائرهم مسلمين...»[٢].

وقد أصدر الأستاذ محمد قشتيليو كتاباً عن «محنة» الموريسكيين في أسبانيا» يقع في ١٢٠ صفحة يعالج فيها الموضوعات التاريخية المتصلة بالموريسكيين.

في بعض مدن جاوا طائفة يعرف كل فرد منها بلقب «مور» يقدم قبل ذكر إسمه كتابياً، كانوا قد هاجروا من المغرب إلى الهند، ثم إلى جاوا حيث استقروا بها.

---

(١) فيليب حتّي «العرب» ص ١٩٧.

(٢) مجلة «العربي» عدد رمضان ١٣٩١.

سجلات تقليد الإمارة) مرةً يسمونها أحمد وعلوي، ومرة يسمونها محمد وأحمد.

كيف كان إنتشار الإسلام

ألقى البروفسور السيد محمد نقيب العطاس محاضرة في جامعة ماليزيا الوطنية في ١٤ يناير ١٩٧٢م اقتطف ملخص فحواها، وهو يريد أن يدحض مزاعم بعض المستشرقين الذين يشبهون إنتشار الإسلام بالهندوكية التي كانت منتشرة في الشرق بزعمهم أن الديانتين تحويان عناصر متشابهة، فقال إن الكتاب الغربيين يقارنون الإسلام بالهندوكية، ولكني أرى أن الأوفق أن يقارن تاريخ انتشار الحضارة الإسلامية في الشرق بأوروبا في القرون الوسطى وما كان من تأثير الإسلام في بعض مناطق أوروبا، وما جدَّ من تطور فكري وحضاري، بدأ في تيارات جديدة أثرت على الحياة في أوروبا بل إلى معظم العالم.

ففي ذلك العصر الذي تحرر فيه المجتمع من الأساليب التي تتفق والمنطق، المجتمع الذي كان يعيش في فنون بحتة تؤدي إلى الخيالات، وتستند غالباً على المظاهر الفنية.

ولا نعدو الحقيقة إذا ما قارنا تأثير الإسلام في الملايو بتأثيره في أوروبا في القرنين السادس والسابع الميلادي، فالحالة في أوروبا قبل ذلك كالحالة في الشرق راسبة في الفنون والخيالات.

والبلاد العربية لم تخرج عن حالتها القديمة وعزلتها في الصحراء القاحلة والجبال الجرداء إلّا بعد أن جاء الإسلام فجعل من تلك الرمال مواد لوجود عنصر جديد، يطلق عليه «عصر القرون الوسطى».

كان الدين في جنوب شرقي آسيا قبل الإسلام هو الهندوكية البوذية الممزوجة بالتقاليد المتوارثة، على أني أؤيد رأي فن لير VAN LEUR بأن المجتمع الملايو الأندونيسي لم يكن هندوكيا في الواقع، فالهندوكية دين الطبقات الحاكمة وذوي السلطات، ومع ذلك فهذه الطبقات ما كانت تفهم دينها حق الفهم، وإنما كانت ديانتها طقوساً وتعظيم الآلهة لمصالحها الخاصة، ولم تؤثر الفلسفة الهندوكية على المجتمع الملايوي، وكانت ميول الشعب إلى فنونها الظاهرة لا إلى فلسفتها، بل حوّلوا الفلسفة إلى فنون وخيالات تسربت إلى الفن الملايوي الاندونيسي.

إن وصول الهندوكية إلى هذه الجزائر لم يغير شيئاً من حياة المجتمع الغارق في الفنون الجميلة البحتة، ثم أن الهندوكية لم تأت كاملة من منبعها، ولكنها أتت بما يتناسب مع الفن فحسب، وما جاء في الأدب الهندوكي هي أقاصيص يقصد منها إخضاع الشعب للفئة المسيطرة، وليس لذلك أية قيمة علمية أو حقائق، وإنما هي أساطير ذات اسجاع يتغنى بها، لا شروح ولا تعليقات.

نقول: لعل أبناءه أكثر من ثلاثة، إما من بنت سلطان ملاكا وجهور

والبوذية في سومترا التي كانت مركزاً لها لم تترك بها أثراً عقلياً أو فلسفياً في الشعب، ولم تتسرب البوذية إلى عقول الأهالي، على الرغم من وجود رهبان البوذا، لذلك لا نجد لهم أثراً مكتوباً في الفن البوذي بلغة الملايو.

كتب الكتاب الغربيون عن دخول الإسلام وانتشاره في جنوب شرقي آسيا مثل فن لير، و SCHRIEKE ولكن فكرة تشبيه إنتشار الإسلام بالهندوكية لا تستقر في الميدان العلمي، والهولنديون يبالغون في ذكر دور المسيحية والاستعمار، كما يبالغون في تشبيه انتشار الإسلام بالهندوكية.

يقول فن لير: إن الإسلام لم يأت بتغيير أساسي، ولا بحضارة أسمى مما كانت موجودة، فالهولنديون يقللون من دور الإسلام في الشرق، ومعظم المستشرقين متأثرون بآراء البروفسور سنوك هرخرونيه من بعده، ولم يبيّن فن لير ما يريد من قوله «الحضارة» في حقيقتها، بل كان يرى الحضارة هي الفنون المسموعة والرسوم والنحت في الأحجار. هذه هي الحضارة في نظره أو هذه هي المدنية، مع العلم بأنها جزء فقط من الحضارة، وليست صورة متكاملة للمدنية والحضارة.

ولمعرفة دور الإسلام لا يجوز أن نحصر بحثنا في الأبنية والمعابد والآثار القديمة المرئية للعيون المجردة، بل هي في الأخلاق والمثل العليا والعلم والعقل، ولكن الغربيين سحبوا على تاريخ الإسلام في هذه الجزائر ضباباً كثيفاً، بل أضافوا إليه أكثر.

في هذه الجزائر تواريخ ذات مواضيع فلسفية صوفية وعملية، التصوف الرفيع الخالص، تشتمل على المنطق والفكر والروح الديني، فكيف يمكن مقارنة ذلك بآداب الهندوكية البوذية الخالية من سمو العلم والفكر.

كان الدعاة المسلمون يدعون إلى وحدانية المولى تعالى القادر الحكيم المريد، وإلى العقيدة التي تدعو إلى كرامة الإنسان، الأمر الذي لم يخطر ببال أحد قبل الإسلام. إنه يدعو إلى العدالة والحرية الشخصية وصفاء الباطن وما يتعلق به من علوم واحترام الآراء.

وها نحن أولاء: نرى اليوم أبحاثاً حرة في الأديان، وظهور رسائل كثيرة في الفلسفات الإسلامية والتاريخ والتصوف وغيرها، فانتشار المؤلفات من مثقفين أفاد المجتمع في نطاق البحث العقلي وتعظيم المولى تعالى وتوحيده، ها هي الكتب المشتملة في مختلف الأبحاث، الالهيات وعلم النفس وغير ذلك، وعلى هذا يظهر جلياً أن موضوع الثقافة في هذه الجزائر لم تكن مصادرها الأساطير والأقاصيص.

ومن فضائل الإسلام أن الدعاة كانوا يستخدمون لغة الملايو للتفاهم والنشر والخطابة،

أو من غيرها، فيكون له من الأبناء أحمد وعلوي ومحمد الأكبر ومحمد الأصغر».

حتى إنتشر الوعي الإسلامي وعلوم الإسلام وفلسفتها بهذه اللغة، ولم يكن تأثير الإسلام في الشعب تأثيراً ظاهرياً، بل متغلغلاً في النفوس ومحتلاً للبواطن.

دراسة التاريخ لا تقتصر على المظاهر، بل على الأهم من ذلك دراسة الثقافة وتاريخ تطور العقول ودراسة الأدب الملايوي في القرنين السادس عشر والسابع عشر وما يشتملان من إنتشار الاصطلاحات الإسلامية باللغة العربية والفارسية لندرك مدى التطور الذي أحدثه الإسلام.

الواقع أن وصول الاستعمار الغربي وثقافته كان من الأسباب التي قامت في وجه إنتشار الإسلام غير أننا إذا نظرنا إلى الثقافة الغربية وحدها التي جاءت في القرنين الـ ١٩ والـ ٢٠ أدركنا أن أصل تلك الثقافة لها جذور ومنابع إسلامية.

تعود نظريات الغربيين في أسباب إنتشار الإسلام في جنوب شرقي آسيا إلى:

١ - التجارة ٢ - العلاقات بين التجار والموظفين والزواج المختلط ٣ - التنافس بين الإسلام والمسيحية مما سهل سرعة إنتشار الإسلام، ولا سيما في القرنين الـ ١٥ والـ ١٧ كجزء من الحروب الصليبية. ٤ - المنافع السياسية ٥ - الاعتراف والتقدير للأيدلوجية الإسلامية ٦ - قابلية طائفة للإسلام لتشابه المبدئين القديم والجديد.

ولكن هذه إفتراضات عمومية لا يمكن أن توضع على محك النقد. ومعظم هؤلاء الكتاب من المعجبين بالفنون الجاوية القديمة التي يسمونها حضارة ومدنية، فعمموها لجميع أجزاء هذه الجزائر. وجعلوها مقياساً لتقييم ثقافة الملايو وحضارتهم. وما زال المؤرخون الهولنديون حتى الآن يجعلون جاوا وبالي قمة في تاريخ إندونيسيا. ومن ذلك كلمة «نوسانتارا» إنها إصطلاح النسخ الجاوية لجاوا وبالي إستعملها وليكي VLEKKE لعموم تاريخ إندونيسيا عام ١٩٦٥م واستعملها براندس BRANDES الهولندي الفيولوجي في دراسته العلمية عام ١٨٨٩م بناءً على الثقافة الجاوية قبل إنتشار الهندوكية.

ثم أخذ الهولنديون يعتمدون على نظرية براندس وجعلوها مصدراً مهما لدراساتهم، وفي عام ١٩٣٠م إستعمل دوس ديكر DOUWES DEKKER هذا الاصطلاح الخاص فجعله عاماً لعموم إندونيسيا الهولندية فأبرزوا جاوا وبالي مادةً أساسية لدراسة تاريخ إندونيسيا.

ذكروا أن الإسلام جاء من الهند كما جاءت الهندوكية والبوذية من قبل، فكأنهم يصورون عدم تطور تاريخ هذه الجزائر لوصول الإسلام بل بقيت على حالتها السابقة جامدة.

هذه نظرية مردودة وإن قبلها الكثير والتزموها كأنها هي حقيقة الواقع، لأنهم ما كانوا يدركون حقيقة الإسلام، فإن ما يعنونه هو ما يشاهدونه ظاهرياً.

MOQUETIE يشبه شواهد القبور في فاسَيْ بشواهد قوجرات ولكن ليس هذا بدليل على أن الإسلام جاء من قوجرات، وأن الذين حملوا الإسلام هم هنود قوجرات، فان وجود هذه الأحجار يمكن أن يجلب من أقرب موقع للصناع الذين ينحتون شواهد المقابر[١].

إذَنْ يجب أن يكون البحث في غير هذه الظواهر، ولكن في اللغة وآدابها مثلاً، فإذا عُدنا إلى دراسة الآداب الإسلامية في المصادر القديمة الإسلامية المتعلقة بهذه الجزائر لا نجد دليلاً واحداً لكاتب هندي أو من كتاب مصدره من الهند وأنشأه الهنود، وما ينسبه الغربيون إلى كتّاب وكتب قالوا إنها من الهند، إنما هم كتّاب عرب وكتب عربية أو فارسية، بل ان ما يقال أنها فارسية هي عربية، سواءً من ناحية القومية أو كتّاب باللغة العربية، والدعاة في هذه الأقطار في العصور القديمة هم عرب أو عرب وفرس، وهذا يبدو من الأسماء والألقاب.

نعم جاء بعضهم من الهند وبعضهم من بلاد العرب مباشرة، وقد يمرون بفارس أو الصين أو تركيا وغيرها. وبالإختصار أن الظواهر التي ظهر فيها الإسلام في هذه الجزائر هي ظاهرة الشرق الأوسط. والأسلوب الذي بنوا به العقيدة ومذاهب التصوف وتكوين الحروف الجاوية العربية وشكلها وأسماء أيام الأسبوع، وأسلوب النطق بقراءة القرآن وغير ذلك. كل ذلك يبيّن بأنها ظاهرة عربية وأن حامليها هم دعاة نشروا الإسلام في هذا الارخبيل.

وما كانت نظرات المسلمين تميّز جنس الدعاة سابقاً، وما كانوا يولون إهتماماً بذلك ما دام ما حملوه هو الإسلام، غير أن هذا الموضوع من ناحية البحث التاريخي له أهمية عند المؤرخين فيقدمون ما لديهم من مواد جعلوها أدلة. مثلاً إبن رشد، وابن عربي، هما من العرب لا من الإسبانيين، وكتاباتها تعبر عن آراء إسلامية عربية لا إسبانية، وكذلك الأمر في الدعاة الذين جاءوا إلى الشرق، جاءوا بآثار تصوّر عملاً لجنس من جهدهم، ثم أخذ الملايو يواصلون الدعوة بنشاط عظيم بين قومهم في جزائر الملايو، وليس معنى هذا جحوداً لما قام به مسلمو الهند في بث الإسلام ولكن البحث في البذور الأولى للإسلام لدى الغربيين تعظيم دور الهنود في هذه البلاد وغمط غيرهم.

---

(١) دخل الإسلان إلى قوجرات عام ١١٩٦م لأن العرب والفرس كانوا يمرون على كمباي (قوجرات) وإلى جزائر الشرق، في حين كان الإسلام وصل إلى الشرق قبل ذلك بكثير.

والثاني أسس سلطنة سولو. (في تاريخ سَراواق وسلسلة ملوكها أن

إن إختيار لغة الملايو لغة إسلامية لجموع هذه الجزائر أرى أنه كان عندما جاء الدعاة إلى هذه البلاد، ولم يكن مجرد صدفة أوجدتها الظروف، بل أرى أن قدماء العرب الذين جاءوا للدعوة إختاروا هذه اللغة لتكون أداة دعوة. هذا هو-الواقع ولم يكن مجرد إحتمال، فبين اللغتين العربية والملايوية تماثل في التاريخ فاستهوتهم هذه اللغة واتخذوها لغة إسلامية وواسطة للترجمة.

كان العرب قد وصلوا إلى هذه الجزائر قبل الإسلام، لكننا لم نجد دليلاً على أن لغة الملايو كانت عامة إذ ذاك، بل كانت لغة محصورة في نطاق معين، ولكن هذه اللغة انتشرت بعد الإسلام، وظهرت في ثوب قشيب ذات علم وأدب، وما كانت لها قبل الإسلام أيّ تفوق.

إستعمل المسلمون الحروف العربية للغة الملايو، أوجدوا حروفاً من العربية ليمكن النطق بها في لغة الملايو، مثلاً أخذوا من الجيم چ CHA ومن الغين ڠ NGA ومن الفاء ڤ P ومن الكاف ݢ .G ومن النون ڽ NYA.

وهذا ظاهر أنهم لم يأخذوا من الاصطلاح الهندي. ففي الهندية پ P وگ. .G وكذلك شكل الحروف باندونيسيا وكتابتها أشبه بما كان يستعملها العرب، وبهذه الحروف كتبت الكتب العلمية والأبحاث الإسلامية. وقد بلغت إلينا تلك التآليف والكتابات، ولا سيا من القرن السادس عشر الميلادي، وكتبت بها شواهد المقابر باللغة العربية وحروفها، أو بلغة الملايو والحروف العربية ما بقي منها منذ عهد مملكة ڤاسَيْ وسمُّوها «حروف جاوي» أو «حروف ملايو» وكان العرب يطلقون إسم جاوا على جميع أنحاء جزائر الشرق.

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي بدت خصوبة الأبحاث العلمية الفلسفية، وظهرت ترجمة القرآن الكريم إلى لغة الملايو كما ظهر التفسير والفلسفة والتصوف وعلم الكلام فهو عصر النهضة العلمية في شكل لم يسبق له مثيل.

أصبح التاريخ الذي يدرس في المدارس هو تاريخ التفكير الغربي الآن، فليس فيه شيء من السمو الخلقي والطموح المعنوي. وما قدموه أقاصيص وحوادث مستقاة من الخيالات، وصار رجالنا يعتمدون على ما كتبوه، وبذلك صاروا في سرهم يجحدون تاريخهم ويعجبون بثقافة الغرب، وأن ما جاء من الغرب هو الصحيح. ومعظم إهتمامهم هو تاريخ ما قبل التاريخ والعصر الهندوكي البوذي وتاريخ الاستعمار الغربي متجاوزين عن تاريخ الإسلام فكأنه لا أثر له، وصوروه بصورة باهتة.

الشريف علي واثنين من إخوته جاءوا من مكة، فعلي صار الأمير في

أساليب الدعوة

إتخذ الدعاة أساليب شتّى لاستمالة المشركين إلى الإسلام، وذلك موكول إلى حصافة الداعي وحسن تصرّفه في نفسه وتجاه غيره. وما كانت الدعوة تقوم بها جمعيات أو هيئات، ولكنها لأفراد أو جماعة نذروا نفوسهم وأوقاتهم لبث الدين بين أقوام لا يدينون به، وفي محيط لا يفهم بل لم يتطرق سمعه إسم هذا الدين، فماشوا الظروف وراعوا التقاليد والنفسيات فنجحوا في أعمالهم، ولاسيما ما كان يتخلق به الداعي من حسن الحديث واللطف والصبر وعدم المساس بالعادات التي نشأ عليها أولئك الأقوام، فالتقاليد المتوارثة لا يمكن محوها بالجدل المحض أو المناقشة المقاومة.

وقد حفلت صفحات التاريخ بأخبار إنتشار الإسلام في أرخبيل الملايو وأساليب الدعاة. كتب الكاتب «حسن إمام بودي» تحت عنوان «الفنون الجميلة من وسائل إنتشار الإسلام» تقتبس بعض ما في مقاله روماً للإختصار[1] قال:

«لقد إتخذ الأقدمون مختلف الوسائل مجاراةً للظروف والمواقع ومستوى الحياة الإجتماعية في مناطق يختلف بعضها عن بعض، فبدأوا في الجزائر ذات الديانة الهندوكية بتسمية ما يعبدون بأنه الله تَعالى حتى تتسرب إلى نفوسهم عقيدة التوحيد بصورة إجمالية. وعلى هذا الأساس يأتي تدريجياً حقيقة التوحيد والتصديق برسول الله ﷺ وتتبعها النتائج الأخرى. وأما المناطق غير الهندوكية فتتخذ الدعوة شكلاً خاصاً مع ملاحظة الفوارق بين سكان الشواطىء وبين سكان المناطق الداخلية. وقد جاء الدعاة العرب وغيرهم إلى السواحل، ومن هذه السواحل إنتشر الإسلام إلى الداخل».

«ومن الوسائل التي اتخذت والجهد الذي بذله الدعاة إتخاذ الفنون الجميلة التي يعشقها الأهالي للدعوة، فأدخلوا فيها عناصر إسلامية وتعديلات في بعض الكلمات والجُمل لتشتمل على تعاليم سهلة مقتبسة من الإسلام. وما زالت أغاني الرقص موجودة حتى الآن متوارثة من عهد الدعاة السابقين.

وبما أن الدعاة كانوا يعملون بدافع الإخلاص والحافز الصوفي فقد حوَّلوا أُغنيات الرقص إلى ما تشتمل على روح العقيدة والتقرب إلى الله بالعبادة له، هدفها بث العقيدة، منها ما يتناسب مع نفسيات الشيوخ، ومنها ما يتقبله الشاب بِنَهَم عجيب.

---

(١) صحيفة أبدي في ٢٠/٦/٩٣.

ميندناو، وأحد أخويه صار سلطاناً على ملوكس (أي جزائر الملوك)

ولما انتشر الدعاة إلى مناطق أخرى إتخذوا طريقة خاصة لنشر الإسلام بين القبائل البدائية الصعبة المراس، وأحدث بعضُهم فناً جديداً يماشي أذواق الأهالي، كما فعل الداعية الشهير «جاكا سعيد» الذي اتخذ لعبة الـ «وايانغ» - وهي تمثيل وحكايات تعرض للعموم - فجعلها وسيلة لبث الدين، إذ أدخل فيها عناصر إسلامية ما زالت معروفة اليوم.

وأغاني رقصة الـ «سِريمْفي» التي كانت تعرض في قصور الملوك أصبحت حكايات من كتاب «أمير حمزة» الذي يشمل على حكاية بطولات حمزة بن عبد المطلب وأناشيدها مستلهمة من هذه الحكاية.

ومن أساليب الدعوة التطبيب، فقد ذكروا أن السيد إسحاق بن إبراهيم بن الحسين كان يطوف الجزائر بسفينته ويتخذ التطبيب وعلاج المرضى وسيلة حتى وصل إلى أقاصي جزيرة جاوا الشرقية في حكاية معلومة في تاريخه الذي نشر به الإسلام.

ويتخذ البعض خدمة أرباب النفوذ بوضع أنظمة للدولة أو الإمارة مع الدعوة إلى الإسلام كما فعل السيد أبو بكر في فلبين.

وأمثال هذه الأساليب في الماضي كثيرة. وفي الوقت الحاضر لم يهمل المسلمون الدعوة إلى الله بين الطوائف غير المؤمنة، إمّا أفراداً وإما جمعيات تنشر الدين بتوزيع الرسائل بلغات القبائل المحلية، سواءً البدائية أو المسيحية، وتتخذ بعض الهيئات إستمالة شيوخ القرى، فإذا أسلم الشيخ جعلته نائباً عنها في الدعوة وترغيب الأهالي.

ووسيلة أخرى هي إقامة حفلات ترافقها أناشيد دينية وضرب الدفوف تحضرها الجماهير مسلمين وغير مسلمين، فتجذب أناشيدها ودفوفها أفئدة الحاضرين فتهفو نفوسهم إلى جماعة المسلمين فيسلمون. وإذا أسلمت طائفة أقيمت حفلات لتكريمهم فيزدادون حباً في المسلمين، ويشعرون بالإخوة الإسلامية تربطهم.

ومن الدعاة من يقضي حياته في إمتطاء الزوارق أو اختراق الغابات للدعوة، فإذا أسلمت طائفة فتحت لها مدرسة وأقيم مسجد ولُقِّن أفرادها العبادات.

وقد غزت المسيحية قبائل الداياك في «كاليمانتن» بأموالها ومدارسها ومستشفياتها ومطاراتها وطائراتها ورهبانها وقُسسها.

وهذا هو ما فهمه FREST OF CIT وقد غلط في إسم الذي ملك ميناناو، فان اسمه محمد كابونغسوان كما في الوثائق الميندناوية ».

ولكن المسلمين ما كانوا ليهملوا الدعوة حسب ما لديهم من إمكانيات، سواءً منهم الجمعيات أو الأفراد. وفي أواسط كاليانتن حيث قبائل الداياك شخص من السادة العلويين يتنقل من قرية إلى أخرى للدعوة، يأكل ما يجد وينام حيث يجد، عاش بين هذه القبائل زمناً طويلاً وأجاد لهجاتهم، أخبرني بهذا من رآه من الضباط الأندونيسيين، ولعلهم قالوا ان اسمه عبد القادر. ولكنه فرد واحد لا مال لديه ولا أي وسيلة في هذه الحياة يملكها غير الإيمان والرغبة في ثواب الله والإخلاص للإسلام ونشره. يعمل هذا في خضم القوى المسيحية التي تحيط به.

وهناك هيئات لها نشاط في إرسال الدعاة إلى بطون الأحراش في مواصلات بدائية قد تتعرض لأخطار.

ومجلة « قبلة » تنشر في كل عدد من أعدادها صور الدعاة المبتعثين إلى كاليانتن وأسماء المتبرعين لهذه الدعوة بأموالهم ومقادير تبرعاتهم ومجموعها.

الدعاة السابقون

أما الدعاة السابقون عندما إنتشر الإسلام وقامت دولته فلم يتخذوا غير الدعوة السلمية ومن الدعاة السابقين السيد علي رحمة الله بن إبراهيم بن الحسين، الذي أسلم على يده أمير ڤاليمبانغ «أريا دامَر» وتسمَّى عبد الله. وكانت «ڤاليمبانغ» مدينة تجارية عامرة بالتجار الطارئين، وفيهم علماء من العرب وغيرهم، وكان لدى أمير ڤاليمبانغ شاب يُدعى «جيمبون» فأسلم أيضاً وسمِيَ عبد الفتاح.

ولما وصل السيد علي إلى جاوا ومكث في أمڤيل بسورابابا، فلقب سونَنْ أمڤيل. بعث عبد الفتاح إلى «بينتارا» الواقعة في الساحل الشمالي من جاوا ليكون فيها مركزاً إسلامياً، وعرف هذا الموقع بـ «دِماك».

وكانت مملكة هندوكية تسمى «ماجاڤاهيت» قد تناوشتها أقوام وتداولتها أيدي الطامعين، وكان من المعتدين عليها فئة هندوكية من «كالينغا» واستولت عليها عام ١٤٧٨م وحاكمها «ڤريند را ايندرا وارْدانا» ثم استولى عليها آخر «ڤرابو أودارا» من «كديري» فاتصل هذا الذي نزا على «ماجاڤاهيت» بالبرتغاليين عام ١٥١٢م إذ بعث وفداً إلى الحاكم البرتغالي مصحوباً بهدايا.

وكان عبد الفتاح قبل ذلك عندما رأى هذا الفوضى أراد أن يرسل قوة لحرب ماجاڤاهيت ولكن أستاذه السيد علي رحمة الله منعه من ذلك ما دامت ماجاڤاهيت لا تعتدي على المسلمين، ولكن لما اتصلت بالبرتغال رأى عبد الفتاح أن لا بد من القوة فحررها عام ١٥١٧م من المستولي عليها. ولم يحدث من المسلمين أيُّ اعتداء أو إيذاء على السكان الهنادك.

هذا ما ظهر لي من الاستقراءات. وما كان المسلمون في تاريخهم ليعتدوا على أحد أو ليزيلوا ملكاً، ولكنهم كانوا حماةً ضد العدو الذي يحاول أن ينشب أظفاره.

وهكذا فعل السيد هداية الله حينما زحف بأمر سلطان دِماك على سونْدا كلاڤا التابعة لمملكة «ڤاجاجاران» لأن ملكها إتصل بالبرتغال ليقضي على المسلمين ويحتل البلاد.

هذه الحوادث وغيرها من أمثالها تدل على أن المسلمين لم يعتدوا على أيّ إمارة هندوكية أو غيرها إلاّ إذا اضطروا، إذا اعتدى الهنادك على قرى المسلمين أو اتصلوا بالبرتغاليين يدعونهم لاحتلال بلادهم.

أمه، كان سبب سفره من جهور من الفوائد التاريخية، ولم يعلم تاريخ

طابع التصوف

إن التصوف الذي عمّ العالم الإسلامي وتغلغل في المجتمع كان له أثره البعيد في عدة أمور لا سبيل لنا في الاغضاء عنه، وهنا نأخذ الموضوع من ناحية الجهاد ضد الغزو الاستعماري فقط، ونعني به التصوف السليم، فقد رأينا الشباب من معاهد العلم والزوايا يهبون كالعواصف لمواجهة المعتدين، وقد ينضمون إلى قيادات كفاحية إسلامية، لا فرق حين الجهاد بين بلد وآخر ولا بين طائفة صوفية وبين غيرها.

فمن هذه الناحية نرى في عصرنا الحاضر للصوفية أعمالاً باهرة في القتال، كما لهم أعمال في نشر الإسلام بصورة عامة في مختلف البقاع، سلاحهم الإخلاص. كانوا يندفعون عن أرواح مخلصة إلى الدعوة، فالدعوة إلى الله جهاد في سبيله، فقد بثوا الدين في الأرجاء إلى الأقاصي في صبر وتحمل حتى انتشر الدين وآمنت به أقوام، وأصبح الآذان تشق أصداؤه الأجواء في القرى المنعزلة، وعلى ضفاف الأنهر، وفي المدن الصاخبة في جزائر المحيط الهندي والشرق الأقصى.

للنهضة الصوفية المعتدلة صفة بارزة من شأنها مجافاة كل ما هو غير إسلامي، أو انعزال عن المخطط الإستعماري غالباً، فكان لها أثر على حفاظ السمات والفقه الإسلامي ولغة القرآن وكل ما يتعلق بذلك طيلة عهود الاستعمار أو الحماية الأجنبية، توارث هذه الروح والعاطفة الإسلامية الأبناء والحفدة، وظلت مدارس الشيوخ ومرابع الطلبة قائمة محافظة، والحوادث تبرهن على صحة هذا.

في الوقت الذي ضعفت الدول الإسلامية سياسياً وعسكرياً وصار لكل منها مواضع نفوذ انحصرت رقعتها بدأت قوات الغرب تهاجم وتسيطر ومراكز دعاياتها تنتشر وتجاراتها تتسع تساندها الرهبة حيناً والمواربة مرةً، وهذا مما يجعل حياة البشر خاضعة لتلك التفاعلات ضعيفة أمام القوى، المسلحة وغير المسلحة.

في تلك الفجوة من الزمن كان الدعاة ينتشرون في أوساط الشعب ويندمجون في نطاق ذوي المكانات حفاظاً لهم من التيارات الجديدة، وبجهدهم تمكنت في النفوس روح الكفاح وكراهة الدخيل وعدم الخضوع له ما استطاعوا، ولاقى الاستعمار ما لاقاه من ثورات وجهاد.

غير أن هذا الانعزال في عهود الاستعمار قد باعد الشعوب عن الاستفادة من ثقافات وعلوم جاء بها الاستعمار، ولو ملكوها ودرسوها لكانت لهم قوة فوق قوتهم المعنوية ولكن هكذا جرت الأمور.

سفره، ولكن المورو (المسلمين) في أيامهم الأولى لم يدوّنوا تاريخاً في

في حوادث الكفاح سجلات زاهية للمناضلين تحت قيادات ذات ميول صوفية كالمجاهد الأمير عبد الحميد ديڤانكارا الذي حارب هولندا خمس سنوات، والشيخ يوسف المكاسري الملقب محاسن هدية الله تاج الخلوتي في كفاحه بجانب سلطان بأنتن حتى وقع في أسر هولندا، ومثل ذلك ما جرى في أنحاء سومترا وكاليانتن وسولاوبسي وغيرها والشواهد كثيرة. هذا في الشرق الأقصى، وأما في غيرها فتاريخ الجهاد حافل كالسنوسية ضد إيطاليا في طرابلس الغرب، والسيد عبد القادر الجزائري ضد فرنسا.

قال الدكتور حمكا - بعد أن ذكر أقاصيص وحكايات إندونيسية - عن التصوف[١]: «والخلاصة أن جميع مفاخر التاريخ المكتوب في الإسلام هي في تعاليم الصوفية».

وقال[٢]: «إنه تبعاً للتعاليم أن من الضروري دراسة علوم التوحيد والفقه والتصوف، فمع الفقه كان التصوف منتشراً في إندونيسيا منذ دخول الإسلام إليها، ومعظم علماء الشافعية صوفية».

وقال[٣]: «إن ممالك آچيه وجهور (بعد ملاكا) وبانتن وڤاليمبانغ تتسابق في ابتعاث شبانها الراغبين في تعلم علوم الدين على المذهب الشافعي وعلم التصوف إلى مكة، من بينهم الشيخ يوسف المكاسري الذي تولّى الافتاء بعد عودته من مكة وجاهد وأُسِر ونُفي إلى سيلان ثم إلى جنوب أفريقيا وبهاتوفي».

وقال: «إن سلطنة ڤاليمبانغ إبتعثت الشاب عبد الصمد إلى الحجاز، فكان له مؤلفات، المطبوع منها «زهرة المريد في بيان كلمة التوحيد» عام ١٧٦٤ م وسير السالكين، وله من المخطوطات نصيحة المسلمين وتذكرة المؤمنين في فضل الجهاد في سبيل الله وكرامة المجاهدين في سبيل الله، ولم يعد إلى اندونيسيا بعد تسلط الاستعمار على ڤاليمبانغ[٤]».

وهناك عالم آخر نشر العلم في القرن التاسع عشر هو الشيخ نواوي من بانتن، له مؤلفات باللغة العربية، منها كتاب «الجهاد في سبيل الله» وكان يقاوم فكرة وحدة الوجود. وعزّ عليه أن يعود إلى وطنه بعد تسلط الكفار عليه فبقي في مكة المكرمة.

---

(١) صحيفة «أبدي» ١٢ يونيو ١٩٦٠ م من حلقات ABADI.

(٢) في كتابه «توانكوراو أنتارا فكتا دَنْ خيال» ص ٣٢١ TUANKU RAO.

(٣) ص ٣٢٣.

(٤) عاد هذا العالم إلى ڤاليمبانغ وتولّى الإفتاء، وله أخ هو الشيخ عبد القادر المفتي في قدح وهما إبنا الشيخ عبد الجليل المهداني اليمني الأصل (لعله المهدلي) واستشهد الشيخ عبد الصمد في حرب قدح وسيام.

حوادثهم وقوانينهم، قصصهم مختصرة ونيئـــــة، إذا أرخوا حوادثهم استعملوا دور ثماني سنين، وتدل على تلك السنوات الحروف الآتية:

وفي أفريقيا بعد أن توالت الهجرات العربية وتكونت الإمارات الإسلامية تدفق علماء الصوفية من كل مكان وساهموا في نشر تعاليم الإسلام والتعمق فيها، فانتشر التصوف فأصبح سكان أفريقيا وقد شملهم الإسلام وتمرسوا فيه يتخذون التصوف، وكذلك في الهند وجنوب شرقي آسيا، حتى تكونت إمارات إسلامية ذات ميول صوفية حاربت الاستعمار سنين طويلة اصطدمت بنيران المعارك في البر والبحر، وأطول حرب كان لدولة آچيه التي إزدهرت فيها العلوم الإسلامية والصبغة الصوفية، وقد حاربت هذه الدولة البرتغال والهولنديين.

وما زالت الدعوة الإسلامية التي نجحت في نشر الإسلام بين الوثنيين وأرباب الأديان الأخرى يتسم دعاتها بالصوفية، فليس في استطاعتنا أن نجحد فضل جهاد هؤلاء وكفاحهم وآثارهم، غير أنه مما يلفت النظر أن بعض الكتّاب يخلط بين تصوف وتصوف، وبين سليم وغالي، وبين أعمال تعبدية خالصة وبين فلسفات قد تشتط، فيمزج أحدهم في كتابته عقيدة وحدة الوجود بفكرة صوفية سليمة، فإخلاص العبادة هو تصوف. كما يخلط بعض المستشرقين بين التصوف بعمومه بالتشيع، أو بين رجال الدين المتزمتين وبين آراء ذوي الصدور الرحبة والأفكار الواسعة.

وأرنولد تويبي في كتابه عن الإسلام ISLAM, THE WEST AND THE PUTUR يذكر ما ملخصه:

إن الإسلام في مواجهته التحديات سلك طريقين، الأولى الأنعزال ضد آداب الغرب، وهذه الطائفة لا يهمها وجود هذه الآداب المستوردة بل نعتبرها خطراً على الدين، فيقعون في معزل عن الثقافة الغربية، والثاني هم الذين سلكوا طريق الإنفتاح تجاه تأثير آداب الغرب مع التنقية، فما كان حسناً أخذوا به وما كان سيئاً نبذوه».

ويقول الكاتب حسني عمر: ولمسلمي إندونيسيا نفس الموقفين، وإذا تتبعنا مسارات النهضة الإسلامية في إندونيسيا فإننا نجد أن أول نواةٍ لهذه النهضة في جاوا هي «جمعية خير» التي اقيمت رسمياً عام ١٩٠٥م فهي الحركة الحديثة للنهضة الإسلامية، فمن هذا المصدر أسس الحاج دحلان «الجمعية المحمدية» عام ١٩١٢م في جوكجا، ثم تتابعت الجمعيات والمدارس... الخ[1].

---

(١) بصحيفة «فليتا PELITA.».

أ - هـ - جـ - ز - د - ب - و - د، متى انتهت الدورة ابتدأوا في الدورة الأخرى بدون علاقة أو دلالة من التاريخ الهجري.

إذَن ليس من الحكمة أن لا نفرق في البحث بين معتدل ومتطرف. ففي كل طائفة وكل حزب يوجد فيه اليميني واليساري، أو ما نسميه المعتدل والغالي.

وفي مجلة «البعث الإسلامي» الهندية من مقال «العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري» جاء فيه ذكر إنتشار العلم والتصوف عاماً في أقطار العالم الإسلامي ومنها في اليمن وحضرموت، تعز وصنعاء والشحر وتريم وسيون وأن بها مراكز كبيرة للعلماء والصوفية، وأن الأسرة العلوية العيدروسية ذات شهرة وقبول في الناس معروفة بالفضل والعلم. وأن مدينة «تريم» مركز أشراف آل باعلوي، وأن الشيخ محيي الدين عبد القادر العيدروس (٩٧٨هـ - ١٠٣٧هـ) ذكر في كتابه الشهير «النور السافر في رجال القرن العاشر» الذي ألّفه في «أحمد أباد» عام ١٠١٢هـ من المشاهير الأولياء الشيخ سعد بن علي السويني بامدحج».

ويبدو أن الكاتب اكتفى بالنقل من هذا الكتاب بعضه، ولكنه ذكر بصورة أوسع عن العلماء والصوفية في الهند، ومن مصادره كتاب «نزهة الخواطر» الذي ذكر فيه الكثير عن مشائخ الطرق الصوفية في الهند، للعلامة السيد عبد الحي الحسني والد العلامة أبي الحسن الندوي.

كان العلماء يدرّسون في أوقات معلومة يومياً في المساجد أو المصليات، وما زالوا كذلك وهم غالباً صوفية، والأهالي يميلون إلى أمثال هؤلاء العلماء فلهم مقام محترم في المجتمع في ملايا وسومترا وجاوا وغيرها.

وعلماء كلانتن (ماليزيا) تلقوا علومهم في الحرمين الشريفين، ومن فطاني عدد أقاموا في البلاد المقدسة منهم أحمد بن محمد زين بن مصطفى، وقد ألّف كتاباً ذكر فيه حياته، كما ذكره المستشرق سنوك. ومن العلماء العالم المعروف باسم «سيدي أزهري» العربي الأصل، فكان ميل الأهالي إليه وحبهم له يفوق كل ميل وحب لغيره، لعلمه ولأنه من سلالة رسول الله ﷺ.

والشيخ محمد أرشد البنجري، تولّى الإفتاء في سلطنة «بنجرماسين» له كتاب «سبيل المهتدين» تكملة لكتاب «الصراط المستقيم» تأليف الشيخ نور الدين الرانيري. وقد ألّف السيد حيدر كتاباً في تاريخ حياة الشيخ أرشد هذا.

وآخر من أصدر فتواة بوجوب الجهاد العيني على المسلمين الشيخ العلامة هاشم أشعري من معهد «تبو إيرنغ» TEBU IRENG حاثاً على مقاومة الاحتلال الهولندي من جديد بعد الحرب العالمية الثانية. وهو علامة شهير عند الجميع تخرج على يديه علماء أفاضل لهم في مجال الدعوة كما لهم في الجهاد وفي السياسة أعمال عظيمة. هذا بعض العلماء المعاصرين ولسنا بصدد إحصائهم فهم كثير.

وقد ذكر في تاريخ فلبين من الدعاة «راجَ بكيندا» المهاجر من «مينا نْكابَوْ»[1] ومخدوم الاول المتوفى باحدى جزائر فلبين المسماة «تاقول» وله ذرية هناك. والسيد الشريف الهاشمي أبو بكر الذي كان بجهور واجتمع بمخدوم في سومترا، وألفّ الكتاب المسمى «الدر المنظوم» في تسعين مادة إسلامية دينية لتكون منهجاً ومثلا للسلطان إسكندر شاه. ويذكرون «شريف أولياء» والذي ترك ذرية في ماكيندانو، وتزوج محمد بونغسو بحفيدته التي ولدت له أولاداً صار فيهم الملك من بعده.

ألألقاب التي قررها الشريف بكيندا[2]

والالقاب التي قررها «بكيندا» في فلبين في زمنه هي:

١ - لقب داتؤ. وهؤلاء يكوّنون وزراء.

٢ - لقب شيخ ومشايخ (وهذه الكلمة مكتوبة بالحروف اللاتينية فتؤدي اللفظة نحو مشايكا لا يمكن ان تصور الكلمات الشرقية، ولا سيما العربية لنقصان حروفها واختلاف مخارجها)..

قال: وكلمة الشيخ العربية معناها الرئيس، وهؤلاء رؤساء «تاكيماها».

٣ - لقب «أورانكايا وهؤلاء ومن قبلهم رؤساء ثانويون.

وأما ذرية السادة الأشراف فيلقبون باللقب الكامل «السيد الشريف».

---

(١) راجَ بكيندا RAJA BAGINDA لقب. وميناكابو MINANGKABAU في سومترا الغربية.

(٢) تقدم ذكر هذا الموضوع في ص١٥٢ بالهامش.
واليوم تختلف الالقاب بين منطقة وأخرى، وبين ماليزيا واندونيسيا. كما توجد ألقاب متوارثة، وألقاب كانت حكومة الاستعمار الهولندي تمنحها لمن تختار.
وفي ماليزيا تعتبر الالقاب رسمية مرعية.

وفي السلاسل الوطنية، فقد أصدر السلطان محمد تاج الدين أمره الى الحاج خطيب عبد اللطيف أن يشرح هذه السلسلة حتى يطلع عليها الابناء والاحفاد المنتسبين إلى ملك «بروني» دار السلام، الذين يتناسلون ويتوارثون الملك على البلاد ويحتفظون بالشارة من جهور (كمال المقام) وشارة مِينانْكابَوْ في أندلاس[1].

إن أول ملك حمل الدين الإسلامي واتبع شريعة نبينا ﷺ هو السلطان محمد وأخوه، وقد رزق بنتاً من زوجته أخت ملك الصين[2] تزوجها الشريف علي الذي من الطائف، وسمي الشريف علي السلطان بركات، وهو الذي عزَّز شريعة رسول الله ﷺ».

فما ذكر في هذه السلسلة يخالف ما تقدم عن الكاتب في «جورنال» ويخالف قول القائلين بأن إسمه بركات من الأصل.

ثم أن السلطان الحالي لـ «بروني» هو السابع والعشرون من الملوك المحفوظين، واذا قدَّرنا لهم ما يقدَّر لسلسلة النسب، وهي قاعدة تقريبية غير مطَّردة كان ينبغي أن يكون قد مضى لأول ملك منهم نحو ثمانمائة سنة، فكيف يقال أن أولهم جاء سنة ١٤٧٥ م فلو اقتصرنا على ثلاثة أرباع المدة أي ستمائة سنة واضفناها إلى التاريخ المذكور لكان المجموع ٢٠٧٥ سنة وهذا محال، فهم جاؤا في زمن أبعد مما يقدره المستشرقون.

---

(١) أندلاس، من أسماء جزيرة سومترا. ومن أسمائها أيضا «ڤرچا».

(٢) الواقع انها من «جمڤا» في «كمبوجا» بالهند الصينية.

راجَ چرمين

ومن هؤلاء السلاطين السادة الاشراف «راجَ چرمين» ألذي جاء إلى جاوا داعياً لملك ماجا ڤاهيت الى الاسلام، وقد إقتصر مؤرخو الاسلام بجاوا في بيان البلاد المسماة «چرمين» على قولهم «دري سبرانغ» أي من الخارج، وأن الملك ابراهيم المقبور بليران قريباً من قرسيء الداعي الى الاسلام الشهير كان عم «راجَ چرمين»[1].

والمفهوم مما ذكروه من الاتصال النسبي بين ملك إبراهيم وبين «راجَ چرمين» أن راجَ چرمين من نسل زين العابدين (ينتسب إلى زين العابدين علي بن الحسين سبط رسول الله ﷺ إبن علي أمير المؤمنين وصي رسول الله.

وچرمين هذه جزيرة مقابلة لشمال بورنيو، وفيه كوچينغ وبروني وغيرهما. وفي بروني دار السلام. كوتاباتو. دار السلوى. دار الهناء. أسماء لقرى ومدن[2].

وأما كوتاباتو فهو إسم لموضعين أحدهما بجانب القصر القديم على نهر بروني الصغير تحت المقبرة القديمة للسلاطين القدماء، والآخر سد صناعي في النهر بين جزيرتي كاي أورانغ وڤولو چرمين.

---

(١) لقب «راجَ» يطلق على الملك، وقد يطلق على الامراء وحكام البلدان، ولكن أول ما يتبادر الى الذهن من معنى هذه الكلمة أنه «ملك» وفي العهد الاسلامي يطلق على رئيس الدولة «السلطان» رسميا كما يعرف ايضا بـ «الملك». واسم «چرمين» يوجد باندونيسيا في عدة مواقع.

(٢) في اندونيسيا وماليزيا وبروني أماكن تسمّى بأسماء عربية. وفي جهور يسمى بعض الشوارع باسم «وادي» بدلاً عن شارع.

وانظر: تأثير اللغة العربية في ص٣٠٩.

قال ڤنغيران كُسوما: إن أربعين قارباً مملوءاً بالأحجار أُغرقت وصارت سداً، والأول أقيم عليه ٥٦ مدفعاً من البرونز، و ٦ مدافع من الحديد في سنة ٩١٨ هـ (١٥٢١ م) ونُصب لوح على السد يُعزَي الى السلطان العربي بركة أو بركات، وهو السلطان الثالث من سلاطينهم، وقد سكن بعض سلاطينهم في «تانجونغ چيندانَوْ» ومدَّ قنطرة من قصره الى «ڤولو چرمين».

وكان للسلطان حسن من سلاطينهم قصر في «تانجونغ چيندااناو» ومرفأ في «ڤولو چرمين»، وقد قبر فيها السلطان محمد خان من سلاطينهم، والسلطان مراد الدين ألذي قاد جيشا فحمل على جزيرة چرمين التي إحتلَّها حينئذ الخارج على السلطان السابق بعد أن إغتاله ولقب نفسه السلطان عبد المعين.

وهؤلاء السلاطين كما يؤخذ من التواريخ الوطنية من أنسباء دعاة الاسلام في مقيندانَوْ وجزائر سولو، ولهم نسب من جهة الام بملوك جهور القديمة وملاكا، كما لهم نسب بملك «مينا نكابو» لذلك العهد، وهو الذي زوج إبنته حسن الدين فاتح بانتن وڤجاجاران بعد أن عقدت معاهدة حربية بينها وبين البرتغال.

وكان ملك «مينا نكابو» لذلك العهد والياً على «لامڤونغ» فوهبها لحسن الدين ابن هداية الله، كما أنه كان في «إيندرا ڤورا» عائلة ذات نسب ولعلها تتصل بهؤلاء، فقد جاء في تاريخ سومترا أنه بعد أن قُتل السلطان زين العابدين (جينال) في ٣ شعبان سنة ٩٨٧ هـ (٥ أكتوبر ١٥٧٩ م) وخلفه على العرش السلطان علاء الدين منصور شاه وهو إبن سلطان «ڤيراق»، وبعد موته إختار عدة من كبار الشعب شريفاً أو أميراً من أمراء ايندراڤورا السلطان ريايا شاه بن منوَّر.

مجيء راجَ چرمين

ننقله من تاريخ السير توماس ستمفورد رافلس[1]، وقد قال إنه إلتقط تاريخه من تواريخ الوطنيين من مسلمي جاوا. قال: مولانا إبراهيم رجل مشهور عالم من بلاد العرب من ذرية زين العابدين، وهو عم «راجَ چرمين» من خارج البلاد (من وراء البحر)، ولما وصل راجَ چرمين إلى جاوا، وكان من أبناء الملوك، وهذا الملك إبن الملك رأى سكان جاوا على غير دين الاسلام فحزن لذلك واغتمّ، وكان قصده الاول أن يحاول ويراود ملك ماجاڤاهيت «ڤرابو أنكا ويجايا» ليقبل الاسلام ديناً، وجاء بابنته من أجل هذا المطلب ليزوجها منه إذا أسلم،

---

(1) HISTORY OF JAVA, BY SIR THOMAS STAMFORD RAFFLES

فسافر مع إبنته وكل إخوانه وأتباعه حتى وصل «جنكالا» بالسلامة، فوصل تواً الى «ليران» قرية قريبة من قرسيء.

وفي نفس الوقت أقام مسجداً، ولم يطل الوقت حتى نجح في إدخال كثير منهم الى الاسلام. وبعد أن تشاور مع جماعته في أجتماعهم بليران

رافلس

في عام ١٨١٣ م بدأ رافلس يؤلف كتابه وهو في قرية «چي ساروا» وأكمل التأليف في لندن. وكتابه هذا يصوّر نظرته الخاصة فيمواضع من مواقفه في جاوا تجاه الهولنديين بوصفه الحاكم البريطاني عندما إحتلت بريطانيا جزيرة جاوا.

يقول فيه: إن الهولنديين يمتصون دماء الشعب الجاوي، وان الهولندي عندما يرحل تحرسة قوة من الجند خوفاً على نفسه، فكان من الخوف يغلق على نفسه باب منزله.

ونقل تقريراً جاءه من «جڤارا» عام ١٨١٣م بقلم الرسيدنت الهولندي «دورنيك DORNICK الذي يصف فيه الشعب بكل الصفات السيئة والاعمال القبيحة.

وأخذ عن الهولندي HOGENDORP هوخندورڤ قوله ان الحكومة تعيّن الـ «بوڤاتيه» وكل بوڤاتيه لا يفقه شيئاً، فهو يستعبد الشعب لاجل حياته وراحته، ولا يهتم بالاطيان والزراعة، فهو ظالم. وهذا خطأ في التولية.

كتب رافلس هذا ليقارن بين الانكليز أو بينه وبين الهولنديين، ولكن الاستعمار بصورة عامة في كل مكان هو الاستعمار.

وما اعتمده رافلس على المصادر الوطنية - كما يقول - يبدو أنه في حاجة إلى إعادة نظر.

وتداولوا الأمر أمر إبنه محمد الصديق ليذهب إلى ماجاڤاهيت ليخبر ملكها بوصوله ورغبته في زيارته ويستأذنه في ذلك. وبعد ذلك ذهب مع جماعته في أربعين من أتباعه الصالحين واخواته الذين جاؤا معه من الخارج، فتلقاهم «راجَ ماجاڤاهيت» خارج البلد وجلسوا تحت الفسطاط الذي اقيم من أجلهم إشعاراً لتكريمهم. وقام «انكاويجايا» بأعظم إحتفاء باحتفال راجَ چرمين، ثم أن راجَ چرمين قدم لملك ماجاڤاهيت هدية هي سلة مملوءة من فاكهة الرمان ليعلم إذا قبل أو ردَّما يرجوه من ملك ماجاڤاهيت من إمكان قبوله الإسلام أو امتناعه، فقبل منك ماجاڤاهيت الهدية ولكنه هجس في نفسه كيف أن ملكا يأتي من الخارج فيقدم هدية كهذا، كأن هذه الفاكهة لا توجد في جاوا. تحدث بهذا في نفسه ولم يبدها لهم، ولكن راج چرمين فهم ما هجس في نفس الملك، ولم يطل مقامه بل رجع مع أتباعه الى ليران، ولم يبق عند الملك إلاّ مولانا محضار بن مولانا ابراهيم، فهو وحده الذي بقي في المقام بصحبة الملك (ليختبر الامر ويستبطن الحال) وبعد أن ذهبوا أحسن ملك ماجاڤاهيت بدوار في رأسه فشق رمانة من ذلك الرمان المقدَّم هدية من راجَ چرمين، ونظر الى ما بداخلها فاذا هي محشوة بالجواهر بدلاً عن حبوب الرمان المعتادة، فتعجب لذلك واستعظم همة راج چرمين، وقال لوزيره إن راج چرمين من الناس أهل الرفعة والسمو، واستدعى مولانا محضار وارسله ليستقدم راج چرمين ثانيا، ولكن راج چرمين اعتذر ولم يقبل أن يعود، واستمر ذاهباً الى ليران، وبعد أن مكث بها أربعة أيام انتشر المرض بين أتباعه ومات منهم عدد كثير، منهم ثلاثة من أعمامه الذين جاؤوا معه، وهم السيد قاسم والسيد غارت فقبروا هناك، وقبورهم تعرف بالقبور الطويلة، ومرضت الاميرة فمرَّضها أبوها بنفسه، وجعل يدعو الله أن يشفيها ليزوجها من ملك ماجاڤاهيت إذا شاء الله. فصلى مع أتباعه ودعوا الله على نية الاستخارة إن كان «أنكاويجايا» لا

نقدر على ادخاله الاسلام فليعجل الله بوفاة البنت هذه، فلم تمض مدة قليلة حتى ماتت وقبرت مع أعمامها، وقد أجروا كالعادة عادات الدفن من القراءة وغيرها، وعينوا مولانا ابراهيم ليحافظ على تلك القبور.

ثم إن راجَ چرمين أبحر مع بقية أتباعه راجعين، وتوفي أثناء سفرهم السيد جعفر (كذا) فذهبوا به الى «مدورا» فدفنوه في قرية «ڤلاكرا»، والسيد رفيع الدين هو باقي اعمام راجَ چرمين توفي قرب جزيرة بوايان فدفن بها، وأحب «انكا ويجايا» أن يجتمع براجَ چرمين ثانياً فوصل في أتباعه إلى ليران بعد سفر راجَ چرمين بثلاثة أيام فسمع بوفاة البنت الاميرة، ففكر:

كيف أن ديانة راجَ چرمين لم يمكنها أن تمنع موتها وتزيل المرض المنتشر بجاوا، وذهب به الفكر إلى أن ديانة الإسلام ليست حسنة (فكانت هذه الحوادث فتنة له).

ولما تحدث بذلك أمام مولانا إبراهيم، أجابه بقوله: هذه الخيالات الباطلة تأتي بسبب عبادة الشياطين من دون الله. وكان عبارة مولانا إبراهيم «عبادة ديواديوا» فغضب «انكاويجايا» غضباً شديداً، وأخذ أتباعه يهدؤونه ويسكنونه حتى سكن غضبه، وعاد راجعاً إلى عاصمته ولم يبق بباله شيء. وقع هذا سنة ١٢١٣م جاوية (اي سنة ٨٠١ هـ) ثم تحوّل مولانا إبراهيم المحافظ على قبور الذين ذكروا آنفاً إلى قرسيء، ولما تتصل ليران وقرسيء فتكونا بلدة واحدة. وفي هذا الحال توفي الملك ابراهيم بعد ٢١ سنة من سفر راجَ چرمين، وقبر في «غفورا ويتان» وقبره معروف للقاصدين. توفي يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول ١٣٣٤ هـ جاوية.

قلتُ ان الذي قرأناه مكتوباً على شاهد القبر وهو حجر من المرمر أنه توفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٨٢٢ فالفرق بين

التاريخين الهجري والجاوي على هذا ٥١٢ سنة.

ثم أطال المؤرخ الحديث في أحوالٍ محلها قسم التاريخ الجاوي، ومنها وصول رحمة الله وابتداؤه في الدعوة إلى الاسلام وتزوجه حفيدة ملك ماجاڤاهيت المسماة كليوون، وذكر الداعيَ إسحاقَ المعروف بمخدوم وهو أب سونن قيري، ويعرف بمولانا إسحاق ويدعونه علو الاسلام.

قال: جاء من ڤَاسَيْ وملاكا العالم المشهور الذي وهب نفسه لله تعالى وانقطع إليه واستمر على طريق التقشف، وقد سمع أن في «أمڤيل» بجاوا رجلاً من أبناء الملوك مجتهد في الدعوة الى الاسلام ونشره بين السكان، ولكنه ذكر من الدعاة أيضاً مخذوم ابراهيم بن سونن رادين رحمة، وڤاكو بن علو الاسلام مولانا إسحاق. وذكر الشيخ الشريف حسين، ويقال له خليفة حسين، وذكر الداعي الى الله «سونن كونونغ جاتي» بشربون إبراهيم بن مولانا، وابنه حسن الدين.

السلسلة التي وجدت في ڤاليمبانغ

ولما أراد الذهاب السيد الالمعي الفاضل النسابة علي بن جعفر السقاف إلى ڤاليمبانغ قلت له أنه خطر ببالي أن هناك ما يوضح أنساب ناشري الاسلام في هذه الجزائر، فتقرب من المنتسبين إلى ملوك الاسلام هناك فلعل أن تطلع على أنسابهم التي يكتمونها خوفاً من أن توقع عليهم بعض القوانين، فأخذ كلامي بقوة ويسر الله له الاتصال بهم فمازجهم وساءلهم عن سلسلة أنسابهم فأنكروا أولا ثم أقروا بها. وقالوا أن «قوبي» ذلك الهولندي الذي كان مستشار الشؤون الدينية والأهلية كان يطالبنا بها فننكرها عندنا. فطلبها السيد علي المذكور فأطمأنوا إليه وسلموها إليه فجاء بها إلى جاكرتا، فأخذت منها عدة نسخ بالفوتغراف، ثم أعيد الاصل إلى أهله ودونك وصفها: كتب في آخرها ما لقطه: إبن

فصل شجرة تورونن توان فقيه جلال الدين يعبّر مقام دِتالَنغ سورا قدَ تاهون سِربيو سِراتُس إنَم ڤولو ساتو دَرِفَدَ هجره ١١٦١ دان فدا دوا ڤولو هاري يُولن جمادى الاولى هاري ثلاثا جم ڤوكل سِمبيلن، مك وقت حياة توان فقيه جلال الدين تينگل ددالم كوتَ إستانا كراجان توان سلطان محمود بدر الدين بن سِري ڤادُكَ سلطان منصور مغاجر علم أصول الدين دان قرآن دان بارانغ آڤَ جوگ، اين تيادَ دِبكين ڤنجنغ ينغَ ڤوت».

هكذا كان بالتاريخ الهجري والارقام العربية. وكتب في أعلاها ما لفظه: حديث نبي ﷺ بارغسياڤَ بنغسا إينِ يَنغدِيَ بوكن اينِ بنغسا لعنة الله، دل جيكلو ديَ بنغسا إينِ كمديَنْ تيدق أكون دِمكيَنْ جوگَ لعنة الله تعالى».

ثم ذكر سمبهن السيد جمال الدين اكونغ بن أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن علوي بن محمد صاحب مرباه (هكذا بالهاء والصواب مرباط) وهذا يدل على أن تلك السلسلة نقلت من نسخة قديمة فقرأوا مرباط (بالهاء) بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن سيدنا الحسين. ثم رفع النسب الى عدنان فابراهيم فآدم.

وكتب عبد الله بن أحمد بن عيسى ولم يكتب المهاجر، لأن كتابة هذا الوصف إنما كثر بعد التسعمائة للهجرة، وإن كان الإمام أحمد يوصف في ترجمته بالمهاجر.

وكتب عبد الله ولم يكتب عبيد الله، فان الاسم الاصلي عبد الله، وكذلك هو في «تحفة الازهار وزلال الانهار» للسيد النسابة ضامن الحسيني المدني، وفي غيره من الكتب القديمة. وهذان الامران يدلان على أن هذه الشجرة أخذت من أصل قديم قبل سنة التسعمائة الهجرية، ولو فتشت جميع شجرات الانساب العلوية في حضرموت وجزائر الهند الشرقية لوجدته بلفظ «عبيد الله» بالتصغير، وأحسب

أن الامام علي بن أبي بكر السكران العلوي الحسيني ذكر في كتابه « ألبرقة » أن أصل إسمه عبد الله ، ولكنه كان لتواضعه يصغر إسمه. هكذا قال.

والأرجح أنه إنما إنتشر التصغير فيما بعد ، لأنَّا وجدناه في كتب الانساب عبد الله كما ذكرنا عن تحفة الازهار وكما هو في « النفحة العنبرية » وفي سلسلة أنساب فلبين ، وفي سلسلة أهل ڤاليمبانغ.

وقد ذكر في هذه الشجرة للسيد جمال الدين أقونغ سبعة أبناء ولم يذكر لهم ذرية الاّ لزين الاكبر نسب اليه رجوات ڤاليمبانغ وڤنغيران ورادين ڤاليمبانغ ، ونسب اليه سوتن ڤيري وسونن أمڤيل. ومن محاسن الصدف أنه لما وصل السيد علي بن جعفر المتقدم ذكره بنسخة شجرة ملوك ڤاليمبانغ وصل إليَّ في تلك الايام كتاب مسجَّل أرسله السيد سالم بن أحمد بن جندان بن الشيخ ابي بكر بن سالم العلوي الحسيني يقول أنه اجتمع بفلان من آل الخطيب كأنه من عشيرة الشيخ جلال الدين المتقدم ذكره ، وعنده شجرة نسبه ، وقد استعرتها منه فاطلعوا عليها » فرأيتها فاذا هي مثل شجرة ڤاليمبانغ حرفاً بحرف فأرجعتها إليه شاكراً إجتهاده وانتباهه.

شجرة أخرى لسلاطين ڤاليمبانغ

أتى الي أحد الاخوان في مكة المكرمة بعدة كراسات مخطوطة بخط قديم تتعلق بشجرة سلالة سلاطين ڤاليمبانغ تأليف مس اكوس عبد العظيم بن محمد صالح بن زين الدين بن شمس الدين بن شوال بن أحمد بن السلطان عبد الرحمن ، المنتسب الى محمد عين اليقين بن إسحاق بن ابراهيم بن جمال الدين الحسين بن أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن علوي بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد المهاجر ... الخ يقول في مقدمة هذه الكراسات أنه نسخ هذه الشجرة من شجرات قديمة ، الآتية:

وكان لهذا السيد - أعني سالم بن أحمد بن جندان - عناية بتاريخ الاسلام بالجزائر الشرقية، فجاء اليه مستشار الشؤون الدينية « قوبي »

---

١ - شجرة مسن أكوس ويراكسوما محمد صالح.
٢ - شجرة مس أكوس الحاج صديق.
٣ - شجرة رادين عبد الله بن ڤنغيران كسوما.
٤ - شجرة ڤنغيران سوريا عالم.
٥ - شجرة رادين عيدروس، تنكابو نتونغ.
٦ - شجرة مس أكوس عبد العظيم.
٧ - شجرة مس أكوس طيب.
٨ - شجرة رادين حاج علي عضو المملكة وخطيب.
٩ - شجرة السيد محمد بن أمين في الحرم الشريف.
١٠ - نزهة المجالس للشيخ عبد الرحمن الصفوري.
١١ - بحر الانساب ملك السيد حمزة زين الدين بالمدينة المنورة عام ١٣٥٧ هـ.
١٢ - من معلومات الشيخ السيد حسن بن سعيد يماني من علماء مكة المكرمة والمدرس في الحرم الشريف عام ١٣٥٨ هـ فهي شبيهة بالشجرة السابق ذكرها أعلى لسلاطين ڤاليمبانغ، ثم انها من حيث أصل النسب مطابقة تماماً بالشجرة الموجودة لديَّ عن سلاطين چيربون وسلاطين بانتن. كما سيأتي:

الهولندي فنهاه وقال له: إن هذا التاريخ قد جمع وكتب فلا تذكر ما لم يذكر في المؤلفات الرسمية، أو نحو ذلك من القول.

شجرة سلالة ملوك چيربون (شربون)

مولانا المعظم محمد صاحب مرباط.
مولانا سيدي علوي دي نكري عرب (أي في بلاد العرب)
مولانا أمير عبد الملك.
مولانا أمير عبد الله شاه.
مولانا أمير أحمد خان.
مولانا جمال الدين الحسين (الملقب سونن كونونغ جاتي).
مولانا سيد نور العالم (علي نور الدين).

مولانا أمير عبد الله.

نور الله — مولانا الشريف هداية الله (سونن چيربون - شربون).

حسن الدين جد سلاطين بانتن — السلطان عطاء الله، ڤنغيران ڤساريهن. قبره في موندو.

عبد العلي — ناظر الدين — عبد اللطيف — ابو الخير

وجيه الدين محمد علي — أبو بكر — عبد الصبور — حسين الكبير — عبد الرشيد — زبيدة.

نكتفي بنسخ الشجرة إلى هنا لأن الغرض هو صلة نسب سلاطين چيربون (شربون) إلى آل عبد الملك بن علوي بن محمد صاحب مرباط بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد المهاجر.. الخ.

للشريف هداية الله المدفون في چيربون إبنان هما:

١ - حسن الدين تولى على بانتن وتولى عليها بعده سلالته وآخرهم محمد شفيع الدين، توفي عام ١٩٠٠م في سورابايا.

٢ - عطاء الله، الملقب ڤساريهن، المذكور أعلى، تولى على چيربون ثم تولى عليها من بعده سلالته.

روايات أعلام الأخبار عن آيات دعاة الإسلام الأخيار

هذا البحث ليس بعيداً عما نحن فيه من الكلام في النسب العلوي الشريف ومنتهى ظهوره وإنتشاره، ومساقط أشعته وأنواره، وما لأهله في نشر الإسلام في الجزائر والأقطار المنتزحة، مما يبعد عن بلادهم إلى خمسة آلاف ميل، وما نشروه من الدين وبيّنوه، ودعوا إليه الأمم المختلفة الكثيرة العدد، حتى دخل فيه عشرات الملايين، وأسسوا بينهم الممالك الإسلامية على أسس الأحكام الشرعية حتى وصلوا إلى جزائر «هلماهيرا» وما يقارب جزيرة ڤاڤوا (ايريان) وما كان يطلق عليه جزائر «واق واق» في قديم الدهر قبيل أن تطأ تلك الأقطار قدمُ غربي، فعلوا ذلك ولا جيوش إلاّ العزائم، ولاقوة إلا الثقة والايمان، ولا زاد إلاّ التوكل، ولا مراكب بخارية، ولا آلات حربية، ما هو إلاّ الايمان والقرآن، فبلغوا وهم أفراد ما لم تبلغه الألوف ذات الأعداد والأمداد.

ثم إن ذكري طرفاً من تاريخ أولئك الدعاة الأبرار الذين غامروا في ولوج اثباج البحار، وصارعوا هائلات الأخطار هو حق من حقوقهم اللازمة علينا، بل من حقوق دين الإسلام، وحق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمر بالتبليغ والدعوة.

كنتُ بحمد الله أول من بحث عن تاريخ دعاة الإسلام من إسلافنا في جزائر القمر وما والى جزيرة مدغسكر وموزانبيق الذين حاربهم البرتغال، وقد اتصلنا بحمد الله بجانب من أخبارهم وسلاسل أنسابهم بعد مرور فترة طويلة عليها بما سببته هجومات البرتغال وقطعهم طرق البحر وأخذهم للمسافرين فيه، من رأس الرجاء الصالح إلى ما خلف جزائر فلبين وتبعهم من بعدهم.

بل كنتُ أول من عرف أن السادة العلويين من بلغ إلى جزائر «تحت الريح» قبل أن يعرفها البرتغال وهي جزائر في بحار أمريكا، والحمد لله في ذلك والفضل ولا حول ولا قوة إلاّ به.

تلك جلائل المناقب التي تتوقد سبحات أكاليلها على تاج الفخر ولا فخر، وتسطع أنوار دلائلها ومكرمات فضائلها على هامات الدهر، خفقت أعلامها في ميادين الجهاد والنصر، ومثّلت شواهد آثارها في البحر والبر، آثار تدرس ولا تندرس، باقيات صالحات واضحات فلا تلتبس، تؤنس أنوارها من طور الهدى فيقتبس منها من يقتبس، ذلك عمل عظيم لم تعمل به في مثل عامليه أمة، ومطلب عسير لم ترق لتوقل شوامخه همة، ملأ مسمعي الدهر فالتفت إرتياعاً، وفاض على ثبج البحر فزمجر إلتياعا، سادة حضارم بل بحور خضارم على بحور خضارم، وأسد قشاعم من سلالة محمد وهاشم، فتحوا بالإسلام جزائر الشرق، ووجهوا أشعة نوره إلى قلوب عشرات الملايين منهم، مع قلة العَدد والعُدَد والمدد، وبُعد المدى، وضعف الحول وطول الأمد، فهم كما قال قريعهم عيسى بن موسى العباسي إذ ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة: إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهلهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة همتهم كبيرة أنفسهم شديدة قلوبهم.

أقول: ولا سواء فان أولئك الأربعة عشر خرجوا وقد كان أمامهم شيعة، وسبقت لهم الدعوة، ويعضدهم جند كثيف يفتح لهم البلاد، ويقهر الأعداء ويوطد أركان الملك، يقدمون على حماة أنصار، وأمة يمتون إليهم بنسب ولغة ودين وسلف وقدم صالح وشهرة سالفة. وأما هؤلاء فإنما أمرهم شبيه بمعجزة من المعجزات، ولذلك أترك الكلام لمؤرخهم العبقري المطلع الأمين الدكتور نجيب صليبي اللبناني في كتابه المسمى «عادات المسلمين (المورو) ودينهم».

فهؤلاء الذين نشروا الإسلام في جزائر فلبين من ذرية علوي بن محمد ابن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العُرَيضي. جاؤا من حضرموت من طريق الهند، وجدهم الجامع لهم هو علوي عم الفقيه المقدم العلوي الحسيني[1].

---

(١) وذكر هذا في «عقود الألماس» ص ١٣٩.

الذين نشروا الإسلام في چامفا وغيرها

أما الذين نشروا الإسلام في چامفا (أو الصنف) المعروف الآن باندوچينا (الهند الصينية) ثم في بلاد الملايو، ثم في سومترا وجاوا فهم أقدم من هؤلاء، ويعرفون في تاريخ الجاويين باسم «سونن أولياء» أو «شريف أولياء» وهم من ذرية احمد بن عبد الله بن عبد الملك بن علوي عم الفقيه المقدم. ذكرهم الدكتور نجيب كما ذكرهم الجاويون في تواريخهم والغربيون من الهولنديين.

قال الدكتور نجيب صليبي: أزهر الإسلام وتفتقت أكمامه، وبسقت أغصانه، وألقى بكلكله وجرانه، وأسمع مناديه، وأقيمت المساجد لعبادة الله، ونودي على منائرها بلا إلٓه إلاّ الله محمد رسول الله على شاطىء «مينداناو» والشمالي في البسيط الخصيب المعمور في جانب الموضع المعروف بـ «ڤولانقي»، كان ذلك قبل أن يطلع ليقسفي (قائد أسباني هاجم تلك الجزائر) على ساحة «سيبو» ثم نودي وأعلن بعد ذلك بالشريف محمد بن علي زين العابدين والياً على «ماكيندناو» عن اجماع من السكان ورضى به وإقرار ثابت منهم وطيبة نفس، حكومة إسلامية.

ذكر الدكتور نجيب في كتابه ترجمة سلسلة نسبه كما وجدها في سجلاتهم القديمة وذكر نصها من آدم إلى إبراهيم فاسماعيل فنابت. واستمر في ذكر النسب المعروف إلى عبد مناف فهاشم فعبد المطلب فعبد الله ومحمد رسول الله ﷺ فبنته فاطمة الزهراء فولدها الحسين له من الولد الشريف زين العابدين، ولدَ الشريف محمد الباقر، ولدَ الشريف جعفر الصادق، ولد الشريف علي، ولدَ الشريف محمد، ولد الشريف عيسى، ولد الشريف أحمد، ولد الشريف عبد الله، ولد الشريف علوي، ولد الشريف محمد، ولد الشريف علوي، ولد الشريف علي، ولد الشريف محمد، ولد الشريف علوي، ولد الشريف عبد الرحمن، ولد الشريف

أحمد، ولد الشريف عبد الله، ولد الشريف علي، ولد الشريف محمد، ولد الشريف عبد الله، ولد الشريف أحمد، ولد الشريف علي، ولد الشريف محمد، ولد الشريف حسين، ولد الشريف علي الباقر، ولد الشريف علي زين العابدين الذي جاء من جهور وتزوج بكريمة سلطانها، وولدت له الشريف (محمد) كـابونغسوان. والشريف ولد له في جهور إبن يلقب «سمبكن» وبنت تسمى «مزاونق» (أظنه مأخوذ من مزنه على عادة الملايو في تحريف الأسماء فيقولون مثلا في خديجة ختيجه وخليجه وهلم جرًّا) وجاء بولديه هذين إلى «ماكيناناو» وولد له بها أيضاً» أ هـ.

وأحسب أنه أدخل بعض الأبناء الذين تعددوا في صلب السلسلة فجعلهم آباء فطالت بهم سلسلة النسب، كما فعل ذلك في أبناء الحسين صلوات الله على جده وعليه وآله. وقوي ظني ما ذكره في سلسلة أخرى قبل هذه قال فيها[1].

«هذا الكتاب يتضمن سلسلة نسب متفرع عن رسول الله ﷺ جاء إلى «ميناناو» فاعلم أن رسول الله ﷺ أعقب فاطمة الزهراء فأعقبت الحسن والحسين، والثاني منهما أعقب الشريف زين العابدين - الشريف محمد الباقر - الشريف جعفر الصادق - الشريف علي - أعقب الشريف (محمد) - أعقب الشريف عيسى - أعقب الشريف أحمد - أعقب الشريف عبد الله - أعقب الشريف محمد - أعقب الشريف علوي - أعقب الشريف (محمد) - أعقب الشريف علي - أعقب الشريف علوي - أعقب الشريف عبد الله - أعقب الشريف علي -

(١) وجاء ذكر هذا أيضاً في عقود الألماس ٢/١٠٠.

أعقب الشريف محمد - أعقب الشريف عبد الله - أعقب الشريف أحمد - أعقب الشريف زين العابدين. والشريف زين العابدين هو الذي جاء إلى جهور وتزوج بها بكريمة السلطان وولدت له أولاداً منهم الشريف محمد وغيره».

وقد سقط من أعلى السلسلة إثنان من الآباء متفرقين، فأصلحت ذلك بين قوسين قياماً بأمانة النقل. وهذا السقط من النساخ مع عدم المقابلة. فيكون هؤلاء من ذرية عبد الله بن علوي بن محمد صاحب مرباط[1]، فله ذرية بهذه الجهات، كما لأخيه عبد الملك بن علوي ذرية بالهند ثم جاوا، فكانوا أول دعاة الإسلام بها. وإنما عرف ذرية عبد الملك السيد زين العابدين العيدروس حين خالط أهل تلك الجهات، ولكن ذرية عبد الله بن علوي حفظوا سلاسل أنسابهم كما شرحناه منقولاً عن خزائنهم.

وقال الدكتور نجيب في الباب الأول «تاريخ ماكيناناو» قصة ماكيناناو وسلاسل أنسابهم.

مقدمة أولى:

خبر ميناناو قبل دخول الإسلام إليها هي ان سلاسل نسب وحكـايـات لم يبـال أحـد بجمعها وحفظها للـذكرى، وبمجيء دين الإسلام جاء العلم والنشاط والقوة والمدنية وأقيمت قواعد الحكومة الجديدة وكتبت الأوراق الرسمية في السجلات والدفاتر والسلاسل النسبية كتبت عن الرؤساء الأقدمين وخزنت بحزم نسب كل سلطان أو رئيس حفظ على حدة هذه الأنساب هي التي تسمّى عندهم «ترسيلا»

---

(١) وعليه يكون نسب زين العابدين بن أحمد بن عبد الله إلى علوي (عم الفقيه).

أوسيلسيلـة ،فيها إختصار وإقتصار وقلّة إيضاح. هذا ما يعلم قبل أولية المسلمين (مورو) أثر كتابي وهو نفيس وثمين، وكانوا من قبل يضعون تلك السلاسل ويحفظونها بعيداً عن الأجانب غير المسلمين، ولكن حالهم تغيَّر بعد ذلك وخرج من أيديهم عدة سلاسل مختلفة. فالسلاسل الأصلية لم يمكن أخذها أو شراؤها، ولكن نقولها الصحيحة الحقيقية هي التي قدرنا عليها فترجمت وشهرت للمرأة الأولى.

مقدمة ثانية:

هذه الكتابة الخطية اليدوية هي المخزونة من القديم في خزانة الرئيس «مستورا ماگيندناناو» تلك الكتابة القديمة نظيفة مكتوبة بخط جميـل، متضمنـة نسب كـابونغسوان (الشريـف محمـد بن عـلي زين العابدين) وقصة خروجه من جهور ووصوله إلى «ميندناناو» ودخول أهلها في الإسلام، وآخرها متضمن سلاسل السلاطين الذين حكموا بلاد «بوايان» من السلطان «ڤولواك فقيه مولا» و «باقر الدين» أخوه (كلاهما من ذرية الشريف محمد، وهناك رؤساء ورجوات من ذريته حكموا سيبو، وسولو، وكوتـابهـارو، وتمبـا، وليمبونغن، وبـاقمبيـان، وبوانسا، وبـاسيـلان، وزامبوانكـا، وغـيرهما من الجزائر المتعـددة) والسلاسل استعملوا منها لغتهم القديمة، ولم يأخذوا شيئاً من لغة أخرى، لا من لغة الملايو ولا من العربية» أهـ.

ثم أطال الدكتور في إيراد السلاسل بنصها وفصها.

وقد كان المرحوم أمير البيان شكيب أرسلان قد اعتنى في التنقيب عن مثل هذا في «حاضر العالم الإسلامي» ولم يتيسر لنا إمداده بذلك قبل طبعة كتابه الثانية، ولكنا نشرنا سبع مقالات عن دعاة الإسلام بجزائر القمر وسواحل افريقيا الشرقية في جريدة «حضرموت» فوصلته منها خمس فقط نشرها في كتابه، ولم تصل اليه المقالة الثالثة التي نشرت

في العدد ٨٨ من السنة الثالثة، ولا المقالات الخامسة التي نشرت في العدد ٩٥ من تلك السنة، وكانت تلك المقالات هي السبب في اطلاعنا على كتاب الدكتور نجيب هذا.

وهو قد ألّف كتباً أخرى جليلة بعضها بالعربية في تاريخ الإسلام بجزائر فلبين لم يتيسَّر لنا الإطلاع على شيء منها إلى اليوم.

وكان الشيخ الفاضل الرحَّالة محمد بن سالم الكلالي[١]، وهو شيخ معمر له ولع بالتاريخ وحفظ وتنقيب، وقد شرح لنا بعض أحوال دعاة الإسلام من السادة العلويين الذين نشروه وتملكوا في سواحل موزانبيق وجزائر القمر وكيلوه وقاتلهم البرتغال وغيرهم[٢].

وقد صار إلينا بعد ذلك سلاسل أنسابهم ومعرفة بقائهم هناك، ثم كاتبني ودلَّني على تاريخ الدكتور نجيب فاستجلبتنه من مانيلا.

وكان الشيخ محمد من فضلاء، أهل العقل والاعتدال، مجانباً للخوارج والنواصب باعتقاده ورأيه مع أخذ بما يقتضيه الانصاف على كل ما يسمح له به حاله. رحمه الله تعالى.

وقد اعتمدت ذكره هنا تخليداً وترجمةً له. وكان قد تتبَّع قبور دعاة الإسلام وملوكه وأعيانه في آچيه، واستقرأ أخبارهم ودوَّنها، ونسخ ما على أحجار شواهد قبورهم المرمرية من ألقابهم وتواريخ وفياتهم. وقد ذهب الكثير منها بتطاول القرون وعدوان أعداء الإسلام والإيمان وخصوم القرآن، وسوف ينبؤهم الله بما كانوا يصنعون» أهـ[٣].

---

(١) هو من ذرية آل عبد كلال الذي يكتب إليه رسول الله ﷺ، وكان سلفه قد جاؤا إلى الشحر من اليمن في عهد الملوك آل رسول واستوطنوها ولهم بها إلى اليوم مال ومزارع ونخل (ع).

(٢) عقود الألماس ١٣٢/٢ - ١٣٣.

(٣) المصدر المذكور ١٣٣/٢ - ١٣٤.

حكومة ميناداو

حكومة ميناداو الإسلامية ليست هي رئاسة حربية بحرية، ولا رئاسة عسكرية، وليس وراءها قومية تقويها بكتائبها وتسندها بأحزابها وعصائبها، ولا خزائن حكومة تزخر بالذهب تعضد أعمالها وفتوحاتها، غزوة بل دعوة. هذه الغزوة ليست مسببة عن شجاعة محضة وجرأة مغامرة مجردة، ولم تكن عملاً جريئاً بباعث الطمع في الأرباح، ولا ارتياداً بهذا المسعى للبلاد الخصبة المعمورة. فما جاء هذا الشريف يبحث عن التوابل والأفاويه والأبازير، ولا عن معادن العقبان وعرق الذهب والإكسير (يشير بها إلى غزوات فاسكو دي جاما وكيرال ودي نوفا والميدا والبوكيرك من البرتغال الذين عموا بغزواتهم أفريقية إلى رأس الرجاء الصالح فناتال فموزانبيق فكيلوه فكمبايه فديو فكاليكوت وسواحل مليبار والمعبر فملاكا فجاوا يطلبون الأرباح في استجلاب التوابل والأبازير، والأفاوية إلى الغرب والحروب والغارات والسطو في تلك البحار من إبتداء سنة ٩٠٢ هجرية، وكانوا يحاربون العرب في جميع هذه البحار ومراكزهم التجارية فيها، ثم تلاهم الهولنديون في القرن العاشر الهجري، وجاء قبلهم الإسبان إلى فلبين من جهة أخرى وحاربوا أهلها واستعمروها برهة، ودحروا البرتغال. ثم الإنكليز وتلاهم الفرنسيون، وكان إبتداء أمرهم مبنياً على الشركات التجارية ثم ترقت الأمور إلى ما هو معلوم).

ذلك حين كان المكتشفون والرحالون إلى البلاد الأجنبية إنما يرتادون بلاداً جديدة ليحتلوها ويحكموها استجلاباً للأرباح الطائلة، وسعياً وراء الغنائم والنجاح بشجاعة وسواعد عسكرهم البحرية وقوة اساطيلهم القوية، وسحر السياسة والأقوال المعسولة.

وكان الشريف قد إختلط دمه العربي بالدم الملايوي، وظهرت

الكفاءة العربية والشهامة والعزم والإخلاص والمحبة، جاء فدعا إلى الله وحكم بحكم الله فوجد نفسه في الوقت متمكناً مستقراً في ميندناو وجهور ولم يعترضه تحزب قومي فيناوئه، بل إتحد خلقاً وامتزج مشرباً بالبلاد الجديدة، ولكنه مع ذلك مستقيم بدينه كاستقامة أسلافه الأولين، بعزم لا يكل ولا يدنو منه الهزيمة، وإخلاص بعزم غير مشوب، ما استلم في هذا شيئاً بغير مقابل، ولم يغرس غرس الصحبة والائتلاف على أساس منهار، ولا عن غير حقيقة راسخة، تزوج في البلاد التي حكمها فقوّى أسباب القرابة والرحم الجديد والإخوة الدينية. فلما جاءت الطبقة الثانية حتى صار الحاكم والمحكوم دماً واحداً وقرابة واحدة وسلالة متوحدة متآخية، لحمة نسجها الإخلاص والاتحاد، فانبعثتَ ذرية ملكية إسلامية أقيمت للإسلام وبالإسلام بنجاح وفلاح، وتمدن على أنقاض خرائب المتوحشين الذين لا دين لهم إلاَّ قسوة ووحشية، فالمسلمون كانوا خيراً من أولئك الكفار المحتلين للجبال البعيدة المحيطة ببسائط ميندناو. هم بالإتحاد والإخوة الإسلامية خير من أولئك بتفاوت بعيد، وهم بذلك إلى اليوم أعزّ منهم وأسمى، تدينوا بالإسلام فجاءت المعرفة والثقافة والعلم والكتابة».

ثم قال: «رجل واحد نجح بنشر دين الإسلام وعرَّفه إلى الناس وقوَّاه في قلوبهم وأعلنه بين ظهرانيهم، وشهرْ عندهم فاشتهر، وأظهره لديهم فظهر، رجل واحد فقط. هذا الرجل أقام حكومة «ماكيندناو» فرتَّب أمورها وأسس قواعدها بين الداخلين في الإسلام. أما إسمه الكامل فهو الشريف كابونغسوان يعرف به هناك، وهو من غير أن يعترض أدنى شك أشجع من وطئت قدمه أرض هذه الجزيرة، وإن كان كتَّاب تاريخ هذه الجزيرة المتعددون يذكرون في قالب حكايات لهم أنه قد تقدمه رجلان فتحا الطريق ومهَّدا السبيل، وهم يسمونهم الأشراف الأولياء (شريف ٢ أولياء)، أما أحدهما فتزوج وترك بنتاً فتزوجها

الشريف ما راجَ، فولدت له ولدين هما «تابوناوي» و «ممـالو» الذي كان رئيس «ماكيندااناو» زمن مجيء الشريف كـابونغسوان، وثانيهما أخ له يسمَّى الشريف حسن، شيَّعه أخوه المذكور أولاً إلى جزيرة باسيلان. ويؤخذ من سلسلة النسب الرابعة (أي سلالة ذرية الشريف محمد بن علي كابونغسوان) أنه مكث هناك وأقام حكومة سولو، لأن بيدين هو ابن الشريف حسن، مرخم عن زين العابدين».

قال: «وهذا القول ليس من السهل إثباته، وليس هناك بيان قوي، ولكن يعتقد الأكثرون أن السلطان الأول جاء من «باسيلان» وأن أجداد سلاطين «بروني» و «سولو» و «ماكيندااناو» أشقاء الشريف كابونغسوان، وهو إبن الشريف علي زين العابدين. من ذرية محمد رسول الله ﷺ، وهو - أي علي زين العابدين - سافر من حضرموت جنوبي بلاد العرب إلى جهور[١] من شبه جزيرة ملايا»[٢] سلطان جهور كان مسلماً في ذلك العصر يُدعى بذي القرنين.

ولفظة شريف كلمة عربية معناها النسبة إلى نسب شريف، وهي في الأغلب الأكثر لقب لذرية رسول الله ﷺ، واللقب التام هو السيد الشريف، فالعرب يلتزمون كلمة السيد فقط، ولكن مسلمو فلبين لا بد أن يستعملوا الكلمتين (السيد الشريف) لشدة إعزازهم لهم، فالجد الأعلى

---

(١) جهور بضم الجيم والهاء وسكون الواو. وأهلها يكتبونها جُوهُر، والمراد بها هنا جهور لامَ (أي القديمة) التي كانت عاصمة السلطان عبد الجليل شاه ومَن قبله ومَنْ بعده قبل خرابها. وأما جهور الجديدة فمؤسسها السلطان أبو بكر شاه والد السلطان الحالي الخليل إبراهيم (ع).

(٢) بلاد الملايو لسان مستطيل من البر مئات الأميال من الشمال إلى الجنوب، بين بحر الصين وبحر ملاكا، وهي متصلة من جهة الشمال ببلاد سيام وبورما (ع).

علي الباقر زين العابدين (أي إبن حسين بن محمد بن علي.. إلى آخر نسبه) زوَّجه السلطان إسكندر شاه ذو القرنين بابنته المسماة «جاسول آسيقين» كما تقدم.

ثم أن الدكتور نجيب أخذ تاريخ دخول الشريف من مقابلة حرب وقع بين أحفاده مع الجنرال «كوركورا» الإسباني سنة ١٠٤٦ هجرية ١٦٣٦م. ومما ذكره القبطان «فورسنه» الذي زار «ماكيند اناو» سنة ١١٨٩ هجرية ١٧٧٥م ان الشريف هاجر من جهور ووصل إلى «ميند اناو» على وجه التقريب آخر سنة ٩٠٦ هجرية ١٥٠٠م أو أول سنة ٩٠٧ هجرية ١٥٠١م، ولكن هذا لا ينسجم مع ما يأتي في تاريخ وانسا وسولو، فالصحيح أنهم وصلوا قبل هذا التاريخ.

حكاية هجرته

قال الدكتور نجيب ناقلاً عن عدة مصادر مختلفة قديمة وطنية بعضها مخطوط بخط منسوب في غاية الجودة، وقد التقطت منه، لأن مقصودنا مجرد التعريف باختصار.

إن الشريف أبحر من جهور مع جملة من الناس في مراكب شراعية فأصيبوا بطوفان فرَّقهم فذهبوا إلى جهات مراسي مختنفة، هي ڤاليمبانغ وبنجر وكورن وتمڤاسوك وبروني وسنداكن وسولو وبلابنغ ونوبوك وميند اناو، فالشريف وصل إلى خليج ميند اناو والذي سماه الإسبان فيما بعد باسم «مورو كولف» أي خليج المسلمين، شرقيه قسم من جزيرة ميند اناو، وغربيه مجموع جزائر سولو، فأرسى بموضع يسمَّى «ناتوباكن» في مخرج نهر «ريوكرند».

ويعتقد الأكثرون أنه جاء مع الشريف طائفة من الملايويين يعرفون باسم «سامل» والصحيح أنهم هاجروا إلى تلك الجزائر من قبل، والذين جاؤا معه سرعان ما تحولوا إلى جزائر سيبوكي وسارانغاني وبحيرة دابو.

والروايات القديمة عن وصول الشريف إلى «ميندااناو» تفيد أنه أدخل أهلها في الإسلام بغاية السهولة والراحة، دخلوا بأول دعوة، وقبلوا بشرى الإسلام من أول وهلة، وحكومته التي أسسها بنظام على القبائل المختلفة في «ميندااناو» تستنفد الإعجاب.

وكان هناك صيادون يصطادون السمك بأشباكهم لرئيسي تلك البلاد وهما «تابوناوي» و «مامالو» فالتقوا بالشريف، وعلم به الرئيسان وجمعا أهل البلاد واستقبلوه ضيفاً مكرماً والتمسوا منه النزول إلى البر ودعوه

إستخراج التاريخ من الأساطير والحكايات

في الأساطير الجاوية القديمة قبل الإسلام أقاصيص وحكايات فوق ما يتحملها مستوى الأخبار العادية، ولكن الذين كتبوا عن تاريخ جاوا قبل الإسلام استخرجوا من تلك الأساطير تاريخا جعلوه حقائق.

هذا عن عصور ما قبل الإسلام، وفي الكتب الملايوية حكايات عن الدعاة المسلمين وملوكهم في أساليب روائية، فاستخراج التاريخ بعد سلخ الأسلوب القصصي وبعد مقارنة مضمونها لأحداث يمكن للباحث أن يجد ما يصله إلى الواقع التاريخي الصحيح أو ما يقرب منه.

ومن الحكايات التي كتبت في العصر الإسلامي - فضلاً عما قبله - مثلاً أن امرأة أو ملكة قُتل زوجها فأعلنت للعموم استعدادها أن تتزوج بأي شخص كان يستطيع أن ينتقم من قاتل زوجها، فجاء صياد سمك وقتل المعتدي فتزوجته. وموضوع صياد سمك يتولّى الملك قد يتكرر. وإن كانت هذه الحكاية لم تبلغ حد الأساطير التي خلفها عصر ما قبل الإسلام.

إلى ذلك فأبى قبول دعوتهم إلاّ أن يسلموا فوعدوه وعاهدوه على ذلك، ولكنه تشدَّد أنه لا يمكن أن يطأ برَّ «ميندناو» إلاَّ إذا أسلم أهلها، وجاؤا واغتسلوا وشهدوا شهادة الحق بأن لا آله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله فاجتمعوا وأسلموا. ونزل الشريف مع الرئيسين المسلمين يقتصون القرى واحدة بعد أخرى، كلما جاؤا إلى قرية منها جمعوا أهلها فأسلموا. حتى دخل الإسلام جميع الناس من المواقع المسمَّى «تيتوندن» إلى «ماكيندناو» ودخلت في الإسلام ماتقى. سلانغن. سموي. كايتون. ثم إمتد الإسلام إلى جزائر سيبو، سولو، كوتَ بهارو، تمباو، بمنونغن، باقمباين، بوايان، وانسا، باسيلان، وغيرها. وبقي من بقي منهم على الوثنية فكانوا يؤدون الجزية.

ومنها حكاية داعية عربي بطريق البحر جاء على ظهر حوت، وذلك لإبراز شخصيته الفذة، بدلاً من القول بأنه جاء على ظهر سفينة.

فالباس التاريخ الحكايات أسلوب عادي كثيراً ما يتخذ في الماضي أو العصر الحاضر. وقد ظهرت كتب مثل ذلك ككتاب حروب البهنساء وروايات المؤرخ جرجي زيدان التي ضمنها التاريخ في أسلوب قد يستهوي القارىء. فلم يكن مثل ذلك خاصا بالماضي بل ماشى الأزمان إلى العصر الذي نحن فيه.

نشر الإسلام في سولو

كان أول مسجد أُسس على تقوى من أول يوم في سولو سنداكن. في زمن وصول السيد الشريف أبي بكر من سنة ٨٥٤هـ إلى سنة ٨٨٥ هجرية الموافق لسنة ١٤٥٠م إلى سنة ١٤٨٠م وعاش في سولو مع راجَ باكيندا[1] معلماً للشعب ومؤسساً للدين الإسلامي في سولو. وكان محترماً عظيم القدر عند الشعب، وصار سلطاناً فيما بعد.

الشريف أبو بكر هذا هو أحد أبناء زين العابدين، ولكنه جاء من مكة المكرمة وأقام مدة في جهور عند أبيه زين العابدين. وكانت ولادته في جهور من أم هي بنت السلطان، ثم سار إلى جزائر الشرق، فجاء أولاً إلى «ڤانغوتران» ثم «زامبوانقا» و «باسيلان» وكان له أخ صغير أصغر منه رافقه في أسفاره فمكث في «باسيلان» مدة، ثم واصل سفره إلى «ميندناو» وكانت طريقه أول ما قدم إلى «بوانسا» من «ڤاليمبانغ» عن طريق «بروني» عندما سمع سكان سولو بخبره أرسلوا إليه «أورانغ كايَ» (لقب أحد الأمراء الصغار) إلى «باسيلان» يدعونه إلى «بوانسا» لمباشرة الحكم عليهم، فقبل ما عرضوه عليه ونودي به سلطاناً بعد وصوله إليها.

وقد جاء في كتاب «أخبار ملاكا» أن أبا بكر هذا كان متمكناً من علم الأحكام الشرعية والنظامات الإسلامية، عارفاً بأسرار الدين والدعوة إليه، مشهوراً بالدعوة إلى الإسلام في جزائر الملايو، جدّ

---

(١) هو ملك «سولو» و «بوانسا» وهو الذي افتتحها بالإسلام، وهو أحد ابني زين العابدين بن علي الباقر، أخو الشريف كابونغسوان، واسمه علوي أو أحمد كما في الروايات التي ذكرها الدكتور نجيب صليبي (ع).

واجتهد بنشاط قوي ورغبة في نشر علوم أبي إسحاق التي ضمنها كتابه المسمى «دار المظلوم» ولعله «الدر المنظوم» ونشرها في ملاكا[1].

ونجح في ذلك نجاحاً عظيماً، فتوجّه - على ما يظهر - إلى الشرق فنزل ڤاليمباغ وبروني[2] ووصل إلى «سولو» حوالي سنة ٨٥٤ هجرية الموافق سنة ١٤٥٠م واستقبل ضيفاً في «باونسا» فكان ذلك من نتائج نجاح دعوته إلى الله ونشره للإسلام وحمل بشارة إلى العالم حتى عظمَ بين الناس مقامه، وعلا بينهم.

هذا الشريف العامل المجد، والداعي المجتهد كان الداعي الذي لا يمل والعامل الذي لا يكل، فأسس المساجد هناك ونشر علم الدين وقام بتعليمه وترك الشعب والرؤساء معبوداتهم وأوثانهم ووجهوا وجوههم للذي فطر السماوات والأرض في معرفة الوصايا الإيمانية والنصائح الدينية. سار ذلك ببطء ولكنه متقدم إلى الأمام.

---

(١) جاء في «عقود الألماس» ٢/١٠٥ أنه: بعد أن بلغ الشريف محمد كابونغسوان أشده تزوج في جهور وأولد استأذن أباه فأذن له، فأبحر مع جماعة كثيرة في مراكب عديدة (قيل ان معه أخواه علوي وأحمد، وأن أحدهما أرسى على بروني فدعا أهلها إلى الإسلام، وأرسى الآخر على سولو سنداكن، كوتابهارو) فلما وصلوا عرض البحر الكبير وأشرعوا أشرعتهم جاءتهم ريح طوفان قوي ففرق بينهم وأضاعوا جهة السير ولم يعد أحد منهم يعلم بحال الآخر، فالشريف وصل إلى «ميندناو» والباقون انتهى بهم السير إلى مراسي مختلفة، فأرسى الشريف بموضع يسمى «ناتوباكن» في مخرج نهر «ريوكرند».

(٢) قال لي بعض المطلعين على التاريخ من الغربيين ان العرب أول ما نزلوا بروني ثم جهور، وأنهم لهم بها قرابة، والمتوفى في هذه السنة ٣٦٩هـ من رجوات بروني هو السابع والعشرون منهم (ع).

لم يوجد في سيرة هذا الشريف بن الإمام الداعي إلى الله، حامل بشرى الإسلام لمن كتب الله له السعادة والهدى أنَّ له جيشاً، ولم يظهر له قوة عسكرية، ولكنما كان جيشه الأعظم الذي لا يهزم، وقوته العسكرية التي لا تضعف ولا تخذل، هو فضله العظيم، وعمله القويم، وعلمه الغزير، ذلك الذي خوله أن يظهر بمظهر القوة ويحكم البلاد بعد وفاة راج بكيندا، حتى لقد حاول أن يرد المسلمين إلى حال العصر الأول في المواساة فيما بينهم، وإقامة بيت المال وإعادة حقوقه وإخراج العطاء منه سنوياً لأهله، والقيام بنفقة الأرامل واليتامى، وتأدية حقوق المساكين والفقراء. ذلك ما تجده في قول الدكتور نجيب.

من المعقول جداً أن يعين أبو بكر خلفاً لراجَ بكيندا الذي لم يترك وارثاً ذكراً، لأنه زوج إبنته ورئيس القضاة وإمام وارث له. وكان السلطان قد سلمه جميع السلطات التي كانت بيده يجريها في جميع بوانسا وجزيرة سولو، وجعله أميراً عنه، ورضي رؤساء الشعب وأهل الحل والعقد بتوليته أميراً بالنيابة عن السلطان، مع أنه إمامهم وقدوتهم ديناً وعلماً، إنه من أسباط محمد ﷺ فكانت له سلطنة كأنها خلافة، وكأن خليفة لقب نفسه بلقب سلطان.

والسولويون يسمونه بالسلطان شاه الشريف الهاشمي، وصارت كلمتا محمد (الشريف محمد بن علي زين العابدين العلوي الحسيني) وأبو بكر عندهم حناناً تلهج بها ألسنتهم في الدعاء والصلاة والمحادثات العادية.

أنشأ المسجد (عنوان الإسلام) ولما اعتلى عرش سولو توجَّه إلى تدبير أمور الدولة، وتعهد بنفسه أن يشكل حكومة على غرار سلاطين العرب أهل العدل، بأن يكون له امتياز الخليفة فتكون جميع السلطات بيده (ليمحو عهد الإقطاع واستملاك الأراضي مع فلاحيها كما كان في بعض بلاد اليمن زمن الجاهلية، وكانت عليه أكثر الحكومات الأرضية، وعاد

شيء منه بعد الخلفاء الراشدين، وكان في بعض الحكومات الإسلامية أشد منه في غيرها) وتكون الأراضي من حقوقه (أي حقوق بيت المال) وأنه أب للشعب ورؤسائه، وأنه كافل الأرامل واليتامى (أسوة بقول جده صلوات الله عليه وعلى آلـه أما من ترك فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعليَّ واليَّ، أو كما قال. والمراد بالضياع من لا كافل له من يتيم وأرملة).

وكان الشعب قد تثاقل عن قبول ذلك والموافقة عليه، ثم عدَّل ذلك بأن يكون المصالح للجميع، ووافقوه على أن تكون الشواطىء والمناطق الداخلية التي يبلغ إليها صوت الجرس السلطاني ملكاً للسلطان، وما بقي من الأراضي الخارجة عن ذلك يكون مقسوماً بين الرؤساء والشعب، وقسم الجزيرة إلى خمس مناطق إدارية يكون على كل دائرة رئيس يزاول السلطة والمراقبة عليها من قبل السلطان، وكل منطقة تنقسم إلى دوائر صغيرة يديرها الأمراء الذين يسمون مهاراجَ، أو أورنغكايَ، أو لقسمان، أو فاروككا. والحكومة تدار على حسب العادات والقوانين على شرط أن لا يتعارض مع الأحكام الإسلامية، ولا يخرج عما سنَّه القرآن. لأجل هذا وضع السلطان الشريف أبو بكر قانوناً شرعياً بهذا. أسس ذلك ليكون دليلاً لجميع الأمراء الحكام في الأقاليم فينفذون الأحكام على حسبه. فكان السلطان الشريف أبو بكر يدير أمور السلطنة على هذه الطريقة وتبعه خلفاؤه من بعده. إنه رجل لا كالرجال، فحل عالم رحال، فاتح للبلاد لا يكاد يستقر في مكان، وقد سافر إلى آخر أنحاء مملكته، وربما خرج إلى جهات متعددة، ولكن لم يوجد نص يتعلق بمدى فتوحاته ومنتهى حدود مملكته. مات هذا الرجل العظيم حوالي سنة ٨٨٥ هجرية الموافق لسنة ١٤٨٠م بعد أن قضى ثلاثين سنة في سولو (تحديد سني التاريخ فيه اختلال كما سننقل ما يأتي من «نخبة الدهر»).

السلطنة في أيامها الأولى

خلفاء أبي بكر

العائلة التي أسسها السلطان الشريف أبو بكر حكمت بأيدٍ قوية وازدادت قوة وشهرة، وعزز التدبير والنظام الإسلامي وأحكامه وأوامره الشرعية والإدارية متانةً مركز البلاد ونشر نفوذها وبعث نشاطها، وقاومت قطاع (قرصان) طريق البحر من الطوائف الوثنية

فلبين

قال الدكتور قيصر أديب مخول: أن الاسلام وصل الى «سولو» بواسطة العرب في القرن الـ ١٣ والـ ١٤ في طريقهم إلى الصين، والدليل على ذلك وجود قبر في تمثات TAMPAT لعربي في سولو.

قدم الداعية أبو بكر في عهد السلطان منصور ومعه كتاب دار المظلوم (أو الدر المنظوم) ثم أرسل الكتاب إلى داعية آخر في «ڤاسَيْ» وكان سلطان ڤاسَيْ عالماً تتلمذ على السيد أبي بكر، وقد أشاد السيد أبو بكر هذا بتلميذه السلطان في علومه الدينية، الفقه وغيره[١].

وأبو بكر هذا ذكرته شجرة سولو وتاريخها، فهي تشير إلى أنه أول حاكم بها بلقب سلطان. وصل إليها ماراً على ڤاليمبانغ وبروني، وتزوج عند «راجَ بكيندا» ملك بوانسا فعيَّنه ولياً للعهد، وهو أحد الذين أسهموا في تأسيس سلطنة «سولو» في أواخر القرن الرابع عشر[٢].

وراجَ بكيندا هو إبن زين العابدين، أخو الملك الملقب «كابونغسوان» إبن الشريف الحضرمي زين العابدين الذي تزوج أميرة من ملاكا[٣].

قال نجيب صليبي أن زين العابدين الذي جاء من حضرموت تزوج بنت سلطان جهور فولدت ثلاثة أصغرهم «كبونغسوان». نزل أبو بكر في «مالابنك» في منطقة «أراتون» ولولاه لما كان التأثير فيهم، وعندما بلغ الاسبان - بقيادة ڤلالوبوس - منطقة بولنجي عام ١٥٣٢م حاربهم الشريف «ماكالانغ سربيادا» ابن محمد كبونغسوان[٤].

---

(١) سجرة ملايو ٥٣ - ٥٤ والاسلام في الشرق الاقصى ٦٣.

(٢) نجيب صليبي تاريخ سولو ص١٥٠.

(٣) دراسة في تاريخ المورو ص٢٤ و ٢٦ - ٢٧ و ٣٧ والاسلام في الشرق الاقصى ١٧٥.

(٤) المسلمون في الفلبين ص١٦.

وغيرها فقاتلتها وهزمتها، فأمن الناس حتى بلغ نفوذهم إلى الجزيرة الكبيرة سلدونغ (لوزون) وجزائر بيسايان وبحر السيلي (سليب - سولاويسي) وڤالاوان، وشمالي بورنيو، وبحر الصين. وامتدت تجارتهم

والدكتور نجيب صليبي أخذ تحوّل الشريف من جهور من مقابلة حرب وقعت بين أحد حفدته مع الجنرال «كوركورا» الاسباني سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦ م). ومما ذكره القبطان فورسته الذي زار مكيندناو على وجه التقريب آخر سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) أو أول سنة ٩٠٧ هـ (١٥٠١ م) ولكن هذا لا ينسجم مع ما يأتي في تاريخ وانسا وسولو، فالصحيح أنهم وصلوا قبل ذلك التاريخ.

ويذكر أيضا أن أول دخول الاسلام الى فلبين على يد الشريف حسن بن علي الذي ينتهي نسبه الى أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي فنشر الدعوة في بوايان وأسلم ملكها وتزوج إبنته وساعده على نشر الاسلام في ميندانَوْ، ومقيندانَوْ، وسيبو، سولو، كوتاباتو، تمبارو، ليمبونغن ڤاكمباين[١]. ويقال أن كل الذين تعاقبوا على حكم السلطنة بعده كانوا من سلالته. والواقع أنه لم يكن هناك مجال لاستلام السلطنة ما لم يثبت أنه من سلالته. ومن هنا كانت ضرورة الاحتفاظ بشجرة صحيحة للعائلة (سيلاسيلا) لأن الشجرة الصحيحة كانت أحسن إثبات لشرعية الحكم والحكام، ولما كان السلطان ممثلاً للسلطة الزمنية والسلطة الروحية معاً كإمام المسلمين كان من المرغوب فيه أن يكون من نسل أشراف قريش[٢] ».

وقال نجيب صليبي أنه وصل قبل وصول محمد كبونغسوان رجلان من الأشراف، فتزوج أحدهما ورزق بنتاً هي «ڤراميسولي» تزوجها الشريف «ماراجا» فرزق منها «تابوناوي» و «ممالو» الذي كان رئيساً في مقيندانَوْ، زمن مجيء كبونغسوان، والثاني الشريف حسن جاء من «باسيلان» وأقام حكومة «سولو» وقال: «إن الكثير يعتقدون أن السلطان الأول جاء من «باسيلان» وأن أجداد سلاطين بروني وسولو ومقيندانو اشقاء الشريف كبونغسوان إبن زين العابدين الذي هاجر من حضرموت الى جهور، ويعتقد أن الشريف هاجر من جهور الى ميندانَوْ آخر سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) أو أول سنة ٩٠٧ هـ (١٥٠١ م) وبعد أن توفي السيد أبو بكر بعد ثلاثين سنة تولّى الشريف محمد كبونغسوان ابن زين العابدين من سلالة عربية حضرمية وصل الى سولو عام ١٤٧٤ هـ ونشر الاسلام في ميندانَو وكوتاباتو ولاناو، وبعد وفاته حلَّ محلَّه الشريف علوي »[٣].

---

(١) صحيفة البلاغ المصرية، العدد ٣٦٨٠ في ٨/ ١٢ ١٩٣٤.

(٢) الاسلام في الشرق الاقصى ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) دراسة تاريخ الاسلام. الاستاذ عبد الله القاري بن الحاج صالح ص ٣٧٤ طبع كلانتن.

ومخرت مراكبهم في الانحاء المذكورة إلى بلاد الصين واليابان من الشمال، ومن الناحية الغربية إلى ملاكا وسومترا وإلى جاوا وما والاها، ومن

وفي محاضرة ألقاها الشاب الفلبيني المجاهد في قاعة مبنى رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٣ هـ قال: «إن الاسلام وصل بموكب نوره الى فلبين في القرن التاسع الميلادي على أيدي التجار العرب والفقهاء والصوفية. غيرأن تأسيس أول حكومة في جزر الفلبين يعود تاريخه الى عام ١٣٨٠ هـ على يد الشريف أبي بكر سبط سلطان جهور».

وذكر أنه في تاريخ الانساب السلطانية في سولو أن والده زين العابدين من العلويين نزوج بنت سلطان جهور وأن أبناؤه تولوا السلطنات في سولو وبروني وكوتاباتو (في جزيرة ميندانو).

كان في هذه الجزائر امارات، في ميندناو وباسيلان. وكوها التي كانت تحكمها إمرأة مسلمة. وقد ذكر ذلك الرحالة ابن بطوطة[١].

الزحف الاسباني

زحف الاسبان على هذه الجزائر، وهاجموا «سولو» عام ١٥٧٨م فخاب سعيهم، ثم هاجموا ميندناو عام ١٥٩٦م ففشلوا، فقد كان الكفاح مريراً، واستمرت المعارك بحراً وبراً وتوالت هجمات المسلمين على الاسبانيين في زحفهم على جزائر ڤاناي، ونيكروس، وسيبو، ووقع ٨٠٠ أسير أسباني بأيدي المسلمين.

وفي عام ١٦٠٢ هاجم الاسبان «جولو» فكان دفاع المسلمين صلباً حتى لقد مرَّ على ذلك ثلاثا ولم يتمكن الاسبانيون أن ينالوا منها منالاً. ثم هاجموا في عام ١٦١٠م «ميندناو» ولكن السلطان «قُدْرات» تمكن من صدّهم وتشتيت شملهم.

وتعددت زحوف الاسبان بين أعوام ١٦٢٧ و ١٦٣٠م بدون أن يظفروا بنتيجة. وفي سنة ١٦٣٥م تمكن الاسبانيون من إحتلال «زامبوانقا» ثم احتلوا «لانَوْ» عام ١٦٣٩م وحاربوا السلطان سليمان حاكم مانيلا[٢] فدافع عن وطنه دفاعاً حيرَّ الاعداء، حتى استشهد السلطان في المعركة واندحر الاسلام.

في هذه السنوات المتوالية وقف المورو (مسلمو فلبين) أمام الزحوف الاسبانية وقوفاً كالجبال الصخرية، لم يستطع الاسبانيون أن يحطموا تلك المقاومة إلاّ بعد زمن طويل جداً.

وأخيراً رأى الاسبانيون أن شعب المورو شعب مكافح صامد لا يُنال بقوة السلاح فمالوا الى المصالحة والمهادنة مع السلطان قُدرات.

---

(١) إبن بطوطة ٢/١٢٦.

(٢) يقال أن إسم «مانيلا» محرَّف من أمانِ الله، أو أمن الله.

الجنوب والشرق إلى جزائر الملوك وهلماهيرا وجزائر السيلي وقاقوا وأستراليا التي كانت تسمَّى اصطيفون. ثم هاجمتهم أسبانيا ودامت الحرب والمناوشات بين الفريقين ثلاثمئة سنة، حتى جاء الإنكليز ثم أمريكا فاستتب الأمان، وقد إنتشر الإسلام إلى أقصى تلك الجزائر، ثم

وصول الاسلام

حسب الاستنتاجات والاخبار أن وصول الاسلام الى جزائر الشرق الاقصى على العموم كان في وقت مبكر، غير أن التحقيق فيما يتعلق بجزائر مورو لم يصل بعد إلى قرار حاسم. ولكن قد تبيَّن أن الدعاة كانت لهم آثار واضحة، وتخبر الوثائق عن أعمالهم أنهم كانوا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي في «سولو» وأن الاسلام أخذ يمدُّ جناحه باستمرار نتيجة جهد متواصل من الدعاة حتى القرن الخامس عشر. ثم اتسعت حدود السلطة الاسلامية على مر السنين، وتكونت إمارات متعاونة تولاها حكام من أسرة واحدة.

ثم جاءت المسيحية

وكان الاسبان عندما كانوا يوالون زحوفهم على هذه الجزائر يصطحبون معهم دعاة التنصير كالبرتغاليين، ولولا دفاع المسلمين الصلب السنين المديدة لجرى التاريخ الى غير ما جرى، ولكن الطاقات التي تدعم المسيحية مكنتها من وطء أراضي هذه الجزائر ولم تعمها.

كان السلطان نصر الله حاكماً وقائداً، فوحَّد القوى الاسلامية من مختلف الجزائر، وحث حكام المناطق على التعاون ضد «الكافر» دفاعاً عن الوطن والدين والشرف.

وأنذره المتنصرون من الاهالي ليخضع لرغبات الحكم الاسباني والاّ فانهم سيهاجمون قرى المسلمين ويحرقونها ويحرقون مزارعهم، فأجابهم السلطان: إفعلوا ما شئتم.

واستمرت المعارك ثم انتهت بعقد اتفاقية.

وحلت أمريكا محل الاسبان عام ١٨٩٨م واتصلت ببعض المسلمين ووضعت إتفاقيات صداقة. هذا في جانب، وفي جانب آخر أتخذت القوة تجاه أمراء آخرين، واستطاعت أمريكا أن تحول دون إتصال المورو بمسلمي اندونيسيا، وقد كانوا في السابق يساهمون في معارك إخوانهم المورو ضد العدو.

المسلمون اليوم

يبلغ عدد المسلمين حوَالي خمسة ملايين ونصف مليون نسمة، فهم بالنسبة لمجموع سكان جزر فلبين أقلية، مراكزهم ومعظمهم في الجنوب، غير أن منهم في غير الجنوب، بل في مانيلا عاصمة فلبين أعداد منهم، ولهم بها مساجد ومدارس.

عملت إسبانيا فيها ما عملت كفعل البرتغال، في جزائر الملوك وغيرها وتنصيرهم رغماً وكرهاً فقلّت أعداد المسلمين وتضاعف المتنصرون ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وما زال أعداؤهم يهاجمونهم ويدمرون مساكنهم في الجنوب، حتى دمروا نحو ٥٠٠ مدرسة و ٤٠٠ مسجد و ٣٠ ألف منزل.

وبدأت حركة جبهة تحرير مورو الاسلامية عام ١٩٦٩م ولمقاومة الاعتداءات عليهم، وكان من العاملين في الجهاد الاستاذ سلامات هاشم خريج الازهر بالقاهرة. واسماعيل محمد جميل.

كوّنت حكومة فلبين منظمة اطلق عليها اسم منظمة ايلاجا للضغط على المسلمين وتشريدهم وأعلنت الاحكام العرفية، وصار المقاتلون ضد المسلمين هم جنود الحكومة وما زالوا كذلك حتى اشتدت أعمالهم على المسلمين عام ١٩٧١م.

انتشرت أخبار الحوادث إلى البلدان المجاورة، ثم في انحاء العالم الاسلامي، وطفق الكتاب المسلمون يشرحون الاوضاع، فتحركت عواطف المسلمين، وقدمت المراكز الاسلامية ما استطاعت تقديمه من اندونيسيا وبلدان العالم العربي والاسلامي. وتحصل المجاهدون على مساعدات مادية من العربية السعودية والكويت والبحرين. وبعثت رابطة العالم الاسلامي الوفود وقدمت مساعدات مالية.

ولكن ظهرت مشكلة، إذ تسرب الشيوعيون في حركات المسلمين، كدأب الشيوعيين في كل مكان، واندس القوميون في صفوف المسلمين، فلما علم بهم المسلمون أقصوهم عن القيادة، فانقلبوا إلى توجيه التهم والاشاعات لاضعاف صفوف المجاهدين واساءة سمعة العلماء والدعاة والزعماء.

صارت القسوة والاضطهادات والتدمير أموراً مشاهدة، ألتقطت لها صور، قرى دُمرت وأحرقت، ذهبت مواشي ومزارع وغيرها.

وبجانب ذلك تعلن الحكومة رغبتها في تحسين حالة الجنوب، وتعمير ما تخرب، وأوجدت البنك الاسلامي يعمل فيه مسلمون ويشرف على أعمالهم رجال من قبل الحكومة غير المسلمين.

وعين الأميرال رومولو أسفالدون مديراً للشؤون الاسلامية ورئيساً لجمعية رابطة المسلمين في الجنوب، بل سبق أن إبتعثه الرئيس مركوس أميراً للحج.

وجبهة التحرير بجانب أعمالها الجهادية تعمل أيضا للتوعية والتعليم فأقامت مدارس وبثت الدعاة حماية للمسلمين من الدعايات المعاكسة.

متى كان دخول الاسلام إلى جاوا وغيرها

قد ذكرنا الغلط الذي وقع في تاريخ دخول الاسلام الى سومترا وبلاد الملايو وجزائر «سولو» و «مينداناو» وأن الاسلام دخل اليها قبل التاريخ الذي ذكروه، وبَيَّنَّا الدلائل على ذلك، ومثل هذا وقع في تاريخ دخول الاسلام إلى جاوا والصين. وسِرُّ هذا الغلط - كما قيل - أنه لم يكن لجاوا تاريخ سنوي مضبوط قبل دخول الاسلام، وإنما أُحدث بعد ذلك بمدة طويلة وأُدخل في حوادث التاريخ، وللقائلين بهذا القول أدلة، منها أنهم ذكروا ولادة سونن محمد عين‌اليقين الشريف الحسيني إبن مولانا علو الاسلام مخدوم إسحاق سنة ١٣٥٥م جاوية، وأن والده دخل جاوا بعد دخول الشريف الحسيني ملك چرمين الذي دخل سنة ١٣١٣م جاوية، ودخل بعده رادين رحمة ناشر الاسلام بجاوا الشرقية سنة ١٣١٦م جاوية، وأن خالته بنت ملك چامقا التي صارت زوجة لملك ماجا ڤاهيت استقبلته استقبالاً حسناً، وذكروا بقاءها حيّة عمراً طويلا حتى سقطت عاصمة «ماجاڤاهيت» بيد المسلمين.

مع أن المكتشفين إكتشفوا قبرها ولا يزال مصوناً محفوظاً في مقابر «ماجاڤاهيت» على وَضع إسلامي وكتب عليها وفاتها سنة ١٣٢٠م جاوية. يضاف إلى ما ذكرته تواريخ «سولو» و «ميندناناو» وأن مخدوم جاء اليها داعياً الى الاسلام، وقد ردّوا دخوله سنة ١٣٨٠م أي سنة ٧٨٢هـ الموافق لسنة ١٣٠٨م جاوية، فبين دخول مخدوم الى جاوا وبين هذا التاريخ فارق لا يقل عن سبع وأربعين سنة.

وقالوا ان رادين فتّاح (عبد الفتاح) ولد تقريبا سنة ١٣١٣م جاوية وغلب أباه على ماجا ڤاهيت وطرده سنة ١٤٠٣م جاوية فيكون عمر فتّاح حينئذ تسعاً وثمانين سنة. فكم يكون عمر والده الملك؟.

كل هذا وغيره مما لم نذكره يحقق أن ذلك التاريخ مقتضب أو مدخول أو مزيد فيه. ومن إطلع على ما كتب عن تاريخ الهند قبل الاسلام وأنه لم يكن لهم تاريخ سنين مضبوطة عرف صحة ما قلنا. ولهذا اضطروا في تعيين سني حوادث الهند إلى عملية صناعية لا يوقف معها على يقين، وكذلك وقع في سني تاريخ الصين.

والطرق الصحيحة التي يوصل بها إلى حقيقة الامر هو اخذ تاريخ حوادث دخول الاسلام إلى جاوا بالمقابلة والنسبة الى تاريخ دخول

زوال مملكة ماجا ڤاهيت

الحديث المسهب عن مملكة ماجا ڤاهيت أعظم من الواقع. فلقد ألبستها الحكايات والاغاني ثوباً فضفاضاً أنيقاً. بدأ تاريخها بعد عام ١٢٩٣م، وبعد نحو ستة ملوك حدثت ثورات ومعارك وساءت الحالة وخربها الفوضى، ورخصت الأرواح، وأصبح القتل أمراً مألوفاً. وحدثت مجاعة، فتفرق عنها كثير من الناس.

ثم تولى عليها أمير من بلدة «كالينغا»، ثم أمير وينكر. فزوال هذه المملكة على يد ذلك الامير من أسرة «ڤريندرا» من كالينغا، وقيل ان الذي خربها إبن أمير من كديري. وتلقب ملك ماجا ڤاهيت.

تداولتها الايدي من مختلف المناطق، وقد إنفصل عنها كثير من الولايات، فأخذت تسير الى الانهيار بعد انكماشها. وصارت المدينة تموت موتاً بطيئاً. وقد تمر سنوات وليس عليها ملك ولا حكومة، فضاقت بها الحياة حتى تلاشت.

فالقول أن عبد الفتاح حارب أباه لا يصح، نعم جاء في التاريخ ما يشير إلى أن المتولي على ماجا ڤاهيت إتصل بالبرتغاليين وقائدهم «البوكرك» وبعث إليه الهدايا. والمتولي هذا هو الامير قوقور. ولكنه فشل فاضطر هو أيضاً الى الرحيل عنها.

وكان الاسلام ينتشر سلمياً، وأسلم عدد من أمراء الولايات. فلا مطمع في مدينة ماجا ڤاهيت السائرة الى التلاشي. ولم يبق الآن من هذه المدينة الاّ بعض الاثار. وقد تقدم هذا الموضوع قبل هذا في ص ٢٣٤ بالهامش.

الاسلام الى «سومترا» و «سولو» و «ميندناناو» و «بروني» و «چامڤا» و «چرمين» فان دعاة الاسلام نجحوا فيها قبل جاوا، وإن كان الاسلام تمكن بجاوا الشرقية والغربية اكثر أو نحو من تمكنه بغيرها حتى كادت تسامي سومترا في ذلك، وتاريخها مضبوط بما نقش من وفيات ملوك الاسلام بها على الاحجار بالتاريخ الهجري، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك. ومثل تلك القبور والكتابات على أحجار القبور المرمرية كانت في «بروني» أيضا، كما هي في سومترا وقرسيء بجاوا.

مما كتب على شواهد المدافن

مما كتب على شواهد المدافن، آيات قرآنية وأدعية وأشعار وغيرها مما يذكّر الاحياء بالحياة الاخرى، فمن الادعية، أللهم إني أسألك بمعاقد العزة من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم...

ومنها أللهم يا من السماء بقدرته مبنية، ويا من الارض بعزته مدحية، ويا مرسل السحب من خلاله....

ومنها يا من يرزق العباد بألطاف خفية، إرحم والطف بصاحب هذه الاحجار المبنية... وفي بعضها كتبت الشهادتان أربع مرات، ومحمد ١٦ مرة، وعلي ١٦ مرة. وفي شاهدة أخرى الشهادتان أربع مرات، واسم الله مرات كثيرة، ومحمد أربع مرات، في كل سطر من الاسطر الاربعة. ومحمد وعلي مرتين في كل سطر من السطرين.

متى دخل السادة العلويون إلى هذه الجزر وما والاها

أقوال المؤرخين في العصر الذي دخلوا فيه غير محققة، ولا سيما مؤرخي الاوروبيين فانهم يجعلون دخول الاسلام الى جاوا في سنة ٨٠٠ هـ (١٣٠٠ م) وفي سومترا وبلاد الملايو في القرن السابع.

والصواب خلاف ما يقولون، فان الاسلام قد صار له ملوك في سومترا في القرن السادس بل والخامس الهجري.

وجملة ما ذكروه من الدعاة الى الاسلام المشاهير الذين دخلوا الى جزائر سولو ومكيندااناو وغيرها ستة ولم تعد منهم «راجَ بكيندا» الذي استولى على سولو وسلدونغ (لوزون) فانه مذكور في عداد الاشراف ملوك «بروني» و «چرمين» و «سَراواق» وما يليها من بورنيو وسلدونغ. وكانت تؤدي إليه الجزية سنوياً كنتنغ من الذهب، والـ «كنتنغ» مكيال يكون تارة نحو خمسة أمداد وتارة ثمانية أمداد على اختلاف البلاد.

ولم تعد الشريفين «تابو ناوي» و «ممالو» ابني الشريف ماراجا (مهراج) الذي جاء بعد شريف أولياء. فأول الدعاة الستة «شريف أولياء» جاء إلى ماكيندااناو وغيرها. ودعى الى الاسلام وتزوج بها وأولد بنتاً لقبت «ڤراميسولي» وعاد من حيث جاء.

ولعل هذا الداعي هو الذي يقول فيه بعضهم أنه الشريف إبراهيم زين الدين الاكبر بن جمال الدين الحسين بن أحمد شاه بن عبد الله شاه بن عبد الملك بن علوي بن محمد صاحب مرباط... إلى آخر النسب المعلوم كما في شجرة ڤاليمبانغ.

والثاني هو الشريف ماراجا (مهراج) الذي جاء بعده وتزوج بنته «ڤراميسولي» وأولدها الابنين تابو ناوي وممالو اللذين أدركهما الشريف

محمد بن علي زين العابدين.

والثالث الشريف مخدوم اسحاق الذي انفد عمره في الدعوة إلى الله، واتخــذ لــه مركبــاً يــدور فيــه عــلى جزر الشرق يــدعو إلى الإسلام، وبعــدمــا يتخرجون عليــه في العــلم والــتربيــة يرتــب ارسالهم ويعين لهم الجهات التي يذهبون اليه للدعوة. وكان بمنزلة عظيمة من التقشف والزهد والاقتصار في المطعم والملبس، متسعا في العلم. وكان قد دخل الى جاوا في اوائل القرن الثامن الهجري، ومكث مدة عند الداعي الى الله الشريف رحمة الله. صاحب امفيل وناشر الاسلام الأعظم بجاوا، وساعده مساعدة عظيمة في مناقشات رؤساء الديانة البوذية والبرهمية وغلبهم غلباً بيناً وافحمهم، وكان مستجاب الدعوة اذا دعا لمريض شفاه الله في الحال، وكان ذلك مما ايده الله به لنشر الاسلام.

وله قصة غريبة مع ملك «بلامباغن» في جاوا الشرقية هي من اعجب العجائب، وهو والد الشريف الخليفة محمد عين اليقين الذي كان اليه تلقيب ملوك جاوا، فلا يتلقب احد باسم السلطان الا بمرسوم منه، وانتشر به العلم في جاوا وما حولها من الجزائر، لم تزل وفود المريدين والطالبين اليه تتري، وعمر بنوه من بعده قريتهم المسماة «قيري» ولهم ذكر في تاريخ جاوا حسن جليل.

ويقال ان «علو الاسلام المخدوم اسحاق» هو ابن شريف اولياء المذكور اولاً، والله اعلم بغيبه.

ذكر الدكتور نجيب انه كان له تأثيرات قوية غير عادية نحو الشعب في ملاكا، وهو الذي ادخل السلطان محمد شاه بن السلطان اسكندر شاه الى الاسلام، وهما من ملوك ملاكا وجهور.

كان دخول مخدوم الى جاوا في عهد رحمة الله صاحب امفيل، وكان

دخول صاحب امفيل الى جاوا وسنه نحو العشرين، سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) بعد دخول ملك چرمين السيد الشريف بثلاث سنين، دخل سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) ومعه ابنه واخوته، ومعهم عمه ملك ابراهيم المقبور في قرسيء، غفورا، مكث بلسيران موضع قريب من قرسيء ٢٠ سنة يدعو الى الله وينشر العلم حتى توفي سنة ٨٢٢ هجرية[1]، وكتب على شاهدة قبره من المرمر هكذا: «هذا قبر المرحوم المغفور الراجي إلى رحمة الله تعالى مفخر الامراء عمدة السلاطين والوزراء، وغيث المساكين والفقراء، السعيد الشهيد، طراز بهاء الدولة والدين، ملك إبراهيم المعروف بكاكيء بانتل، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه دار الجنان، توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٨٢٢ هـ».

وقد زعم الدكتور سنوك هرخرونية أن ملك إبراهيم «كاشاني» لأنه لم يستطع قراءة المكتوب على الصحة. وقد قرأناه ووافقنا عليه من اطلع عليه من أذكياء إخواننا كالسيد الشاعر أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف، فاذا المكتوب الذي تحرف عليه فظنه كاشاني هو «كاكيء بنتل» وهذه لفظة تدل على أن صاحب القبر قد بلغ عهد الشيخوخة حتى إنحنى ظهره. والظاهر أنه لقب أطلق عليه في حياته.

وقد ذكر بعض المؤرخين الموثوق بهم قيام دعوة إسلامية في أقاليم شرقي جاوا سنة ٦٤٨ هجرية، أخذ ذلك من عهد مؤكد في مدونات الجاويين التاريخية بين الحكومات الاسلامية المذكورة وأميرة من السُندا. وهذا المؤرخ موثوق به ومعروف بأنه جمع من أصول التواريخ الجاوية ما لم يجمعه أحد.

---

(١) أي سنة ١٤١٩ ميلادية، فاحفظ هذا لتعلم ما دخل على تاريخ الإسلام بجاوا من تحريف.

«كثير من الناس يعتقدون أن الاسلام دخل الى سومترا حوالي سنة ١٢٧٠/١٢٧٥م (أي سنة ٦٧٠/٦٧٤ هجرية) والحقيقة أن الإسلام قد انتشر هناك من سنة ١١٠٠م (أي سنة ٥٩٧ هـ) كما تدل على ذلك بعض الكتابات التي على الشواهد (نشرت نتيجة بحث ترجمها لي العالم المتفنن السيد محمد بن احمد بن سميط العلوي الحسيني، وهو منشور بتاريخ ٢٢ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ موافق لثان اكتوبر سنة ١٩٣٣م).

الرابع من دعاة الاسلام في أرخبيل سالا (سولو) هو الشريف زين العابدين فانه مِن أول مَن ملك سولو، ولم يوجد في سولو شجرة نسب أو تاريخ، ولكن هذا مما يتناقلون، ويدل على ذلك أن الشريف حسن بن بيدين، فبيدين مقتطع من زين العابدين على عادة أهل هذه الجهات في ترخيم الاسماء، ومنهم من يقول في زين العابدين (جينال) وفي جمال الدين الاكبر «جماد الكبرى».

الخامس الشريف محمد بن علي زين العابدين الملقب كابونغسوان.

السادس الشريف ابو بكر العالم الداعي إلى الله المتخرج بمكة والآخذ عن مخدوم، ومؤلف كتاب «الدر المنظوم» سلطان سولو بعد راجَ بكيندا. وقد تقدم ذكره.

القبور في آچيه

وفي قبور ملوك الاسلام بآچيه قبر الملك الكامل، وهو قبل الملك الصالح في قرية بلانغ مي، مع قبور كثيرة جداً تعد بالمئات. وعلى أغلبها كتابات منقوشة في أحجار بعضها من المرمر، وبعضها من الحجر الصلب المعروفة بالجرانيت وبعضها مركب منها.

وفيما كتب على أحجار قبر الملك الكامل أنه توفي يوم الاحد لسبع من جمادى الاولى عام ٦٠٧ هجري (١٢١٠م) وقبر ابن عمه القائد الذي

أسلم على يده أهل بلاد الكايو وغيرها من البلاد الغربية بسومترا، واسمه يعقوب توفي يوم الجمعة لخمس عشر ليلة من شهر محرم سنة ٦٣٠ هجرية (١٢٣٢ م) على قبره بيت من الشعر.

لو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حياً وباقيا

وتكرر في عدد من الشواهد هذه الجملة: لا فتى الاّ علي ولا سيف الا ذوالفقار ولا موت الاّ بالاجل.

وهذه الجملة قد تكتب على المدفع أو السيف.

ومن الاشعار التي وجدتها على الشواهد:

القبر باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
هما محلان ما للناس غيرهما فاختر لنفسك أي الدار تختار
الدار جنة عدنٍ إن عملتَ بما يرضى الالّه وإن خالفت فالنار

* * *

مضى الدهر والايام والذنب حاصل وجال رسول الموت والقلب غافل
تزوّد من الدنيا فانك راحل فالموت لا ريب نازل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة وعيشك في الدنيا محال وباطل
الا انما الدنيا كمنزل راكب أراح عشياً وهو في الصبح راحل

* * *

الّهي عبدك العاصي أتاكا مقرٌّ بالذنوب وقد دعاكا
فإن تغفر فأنت لذاك أهل وإن تطرد فمن يرحم سواكا

* * *

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلاّ محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم

* * *

الا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف يدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل

* * *

ولم نر من ذكرها من مؤرخي الغربيين. وهناك قبور أخرى لم يقرأها أحد ولم يبلغنا علمها، ولا نعلم أهل هذه الأسرة التي ملكت في ذلك العهد، وقد اعقبتها عائلة أخرى شريفة، أولها فيما يظهر الملك

إليك أنت أهل المغفرة

أغفر بفضلك ما مضى من ذنبه … وارحم عليه سعيه في الاخرة

أيا فرقة الاحباب لا بد لي منك … ويا دار.. راحل عنك

ويا قصر الايام مالي وللمنى … ويا سكرات الموت مالي وللضحك

ومالي لا ابكي لنفسي بعبرةٍ … إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن يبكي

ألا أي حيّ ليس بالموت موقناً … وأي يقين منه يسير بالشك

* * *

لا تأمن الدنيا وان سالمتك … فانها خوّانة غدّارة

فبادر العمر وخف فوته … فالكيس الحازم من بادرة

وقل لمن أمسى على غرة … ما أقرب الدنيا إلى الاخرة

* * *

لا تأمن الدنيا فانك لا تدري … إذا الليل جنّ هل تصير إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير عِلّة … وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

* * *

أرى طالب الدنيا وان طال عمره … ونال من الدنيا سروراً وأنعما

كبانٍ بنى بنيانه فأقامه … فلما استوى ما قد بناه تهدما

* * *

أتيت إليك رب العالمينا … وخلقت الخلائق أجمعينا

وجئت إليك فضلاً يا إلهي … فأنت المولى والملجأ الحصينا

* * *

يا من بدنياه اشتغل … قد غرّه طولُ الأمل

ألموت يأتي بغتة … والقبر صندوق العمل

* * *

الصالح توفي لثمان رمضان سنة ٦٩٦ هجرية (١٢٩٦ م) ومن جملة ما كتب على قبره هذه الجمل: « هذا قبر المرحوم المغفور له التقي الناصح الحسيب النسيب الكريم العابد الفاتح السلطان الملقب بالملك الصالح » وهذه الابيات:

ومن مقابر غير السلاطين	الوفاة في
العالم الفاضل عماد الدين بن السيد اسحاق الحسيني	١ محرم ٨٥٧ هـ
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر ابن جعفر العباسي	١٣ رجب ٨٢٠ هـ
العالم الصوفي عبد الله شاه محمد بن الشيخ طاهر الدين	٦ ذي الحجة ٧٨٧ هـ
مولانا قاضي شريف ابراهيم	٤ صفر ٩١٤ هـ
الشريفة نجاح	٤ ربيع الأول ٩١٦ هـ
الشريف حسن مير بن علي استرابادي	١٢ ربيع الأول ٨٣٣ هـ
سكينة الشريفة العباسية بوهرندي بنت السيد الكبير العباسي المطلبي	٢٤ ربيع الثاني ٨٨٥ هـ

وغيرهم.

إنمـــا الـــدنيـــا فنـــاء | ليس للــــدنيـــا ثبوت
إنمـــا الـــدنيـــا كبيـــت | نسجتـــــــه العنكبوت
ولقـــد يكفيـــك منهـــا | أيهـــا الطـــالـــب قوت
ليس إلاّ عن قليـــــــل | كـــل من فيهـــا يموت

أما ملوك آجيه فقد جاء ذكرهم في كتاب «تاريخ آجيه دَنْ نوسانتارا» تأليف الحاج زين الدين بن الحاج ابي بكر، إذ ذكر الذين تولوا الحكم وعددهم ٤٠ ملكاً، أولهم جوهن شاه وآخرهم محمد داود. غير اني قارنت بما هو مأخوذ من شواهد المقابر فرأيت فيها ما يخالفه في بعض الاسماء والتواريخ، وفي عدم ذكر بعض الاسماء الموجودة في الشواهد.

وأما كتاب «آجيه سڤانجانغ أبد» للمؤرخ محمد سعيد فقد بحث بدقة وإسهاب، فوجد أن فيما ذكره البروفسور حسين جايا دينيغرات ما لا يتفق والكتابات على الشواهد، وكأنه اكتفى بما جاء في كتاب «حكاية آجيه». وكذلك ما ذكره الشيخ محمد بن حسن من آل بن حميد المعروف بالرانيري في كتابه «بستان السلاطين» ففيه نقص، إبتدأ بذكر السلاطين من علي معايت شاه وأنه حكم من ٩١٣ الى ١٩٢٨ (١٥٠٧ - ١٥٢٣م) ألفه حسب طلب السلطان إسكندر الثاني، والنسخ الخطية قد تحدث فيها أخطاء من الناسخين والرانيري هذا وصل الى آجيه في ٦ محرم ١٠٤٧هـ (١٦٣٧م).

ثم تولّى بعده ابنه السلطان محمد الظاهر، وكتب على قبره « هذا قبر السعيد الشهيد المرحوم السلطان بن السلطان، الملك الظاهر شمس الدنيا والدين بن الملك الصالح، توفي ليلة الأحد وثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة السادسة والعشرين وسبعمائة من الهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله (١٣٢٥ م).

وتولى بعده ابنه السلطان أحمد بن السلطان محمد الظاهر، وقبره في المحل المسمى « مناسه مجت » في قرية بلغ مي، كتب عليه: « هذا قبر المرحوم السعيد الكريم السلطان أحمد الملقب بأبي زين العابدين، كانت الوفاة إلى رحمة الله ومغفرته تعالى يوم الجمعة الرابع من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وثمانمئة من الهجرة النبوية (١٤٠٧ م).

وتولى بعده علي زين العابدين، ثم صلاح الدين شقيقه، ثم عبد الله ابن صلاح الدين وزوجته هي الملكة بهية بنت زين العابدين المتوفية سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) وأختها بوهن فرابو المتوفية سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ م) وغيرهم.

والقبور في آچيه في محلات كثيرة وفي قرى متعددة كانت مدناً في الماضي مثل بلغ فيوريا ومناسة في قرية ينبوغ، على حدود بلدي « كيدوغ » و « بايو ». ومناسة مانجغ وقبوران تنكودي ايبوه، وكيدي بلغ مي، ومناسة كوتاكارويغ، وقبوران تنكو سيدي، وجت استانة، ومناسه مجت. وعلى شاطىء نهر « فَاسَيْ » الأيمن يبعد نصف ميل قبور عدة من الملوك، وقبوران تنكو سمودرا، ومناسه بيريغين. وفي بلاد مايو، وبلغ ماغث، ومناسه سيمقاغ امقت من بلدة ڤولو تيغوه (جوندا) وهي قبوران ڤدوكا ومناسه فايا لفاس، وفي قلاني أوجي دي جت بلاغ بوبوي، وفي مناسه علوي، وفي مناسه فوله من بلد جوندا

هذا بعض ما في بلاد آچيه، وفي مجاهل جاوا وبروني توجد بقية قبور، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وهي قبور

كبيرة فخمة قد تراكمت عليها الأشجار والحشائش، ومنها ما دمّر وبيعت أحجاره، ومنها ما أزيل بالكلية وجعل طريقاً أو أدخل في بيت أو زيادة في بستان مع ما عليها من الكتابة الجميلة التي لو قرئ ما عليها ورتب لخرج منها للإسلام تاريخ مفيد.

ومن هذه الأسرة - على ما نرى - أجداد ملوك بروني وچرمين القديمة وسَراواق وما تقدم ذكره من ملحقاتها، وملوك سولو، وسيبو، وميندناو، وكاناوي، ولعلها المسماة بالعلوية قديماً كما يشعر بذلك قول الدكتور نجيب في الفصل الذي ذكر فيه مجاميع الجزائر التي تبلغ نحو ألف وسبعمائة جزيرة، وذكر خطط البلدان. وقال في ضمن ذلك: «أكبر مستعمرة هي جزيرة كاناوي الذي يسكنها الشريف العلوي الأقوى في الجزيرة» اهـ بلفظه مترجماً. وهذا الإسم (العلوية) للجزيرة ذكره مؤلف نخبة الدهر.

أسماء البلدان والمواقع التجارية

أما في سولو ما يليها وبروني وسراواق فقد تقدم ذكرها. وأما چامڤا فهي موضع سيكون الآن، وقد أسلمت الطبقات العليا فيها على يد «شريف أولياء» و «رادين رحمة» السابق ذكره.

ثم قامت حروب بينها وبين مملكة بوذية - على ما يقال - وغلبت على أمرها، وقد دخل المستعمرون ولا يزال بها مسلمون فذكروا عنهم ذلك. وقالوا إن مراكب العرب كانت تمخر أنهارها في القرن الخامس عشر، يعنون القرن التاسع الهجري.

وجاء في التاريخ الصيني الذي ألّف في عهد الملك «يانغ هي» أنهم كانوا يسمونها «چم سيا» اهـ.

والألفاظ متقاربة، والصينيون يحرفون الأسماء أشد من تحريف

الغربيين، وكتابتهم لا تساعدهم على ضبط الأسماء، فإذا حكوا إسم مملكة أو عاصمة أو ملك جاؤا به محرَّفاً لا يكاد يفهم إلاّ بتأمل. وفي بروني من بلدان الإسلام «دار السلام» و «كوتاباتو» أي العاصمة المبنية بالحجر، ومثلها في «مينداناو» و «كمال المقام» مذكورة في تاريخ سومترا، ونسب مثلها إلى جهور.

وكانت هذه الممالك كأنها شيء واحد في التعاون والتأييد، وكان التأثير العظيم في نشر الإسلام بجاوا الشرقية، ومنها إلى غيرها لداعي الإسلام الأعظم «رادين رحمة» الذي أُرسل داعياً إلى الدين من «چامڤا» التي أطلق عليها فيما بعد «كوچين چينا».

ولله درّ السيد البليغ الشاعر الناثر المنظم الأول للمدارس الإسلامية بجاوا وأستاذها الأكبر أحمد بن عبد الله السقاف الحسيني في قصيدة ودّع السيد الصدر المفضال ذي السيادة والسراوة والإجلال علوي بن الحبيب محمد بن الحبيب أحمد المحضار العلوي. حين عاد إلى البلاد الحضرمية من الأقطار الجاوية، بعد أبيات في مدحه وتوديعه قال:

سفر إلى الوطن العزيز ومشرق الـ   أنوار كل فيه منا يرغب
وادٍ بآثار الأكابر من بني الـ   بطل المهاجر منذ ألف مخصب
كم من رجال العلم أنجبهم لنشر   الدين وادي حضرموت المنجب
وادٍ شبيه بالمجرة كله   نور يشع وكل جزء كوكب
لعب الزمان به وغيرت الحوا   دث ما عهدنا، والليالي قلب
فلنطو كشحاً عن أمورٍ لا تليـ   ق بذا المقام لأنها لا تعجب
وأراك لا تنسى لجاوة حقها   فتعيد من تذكارها ما يعذب
إن العلائق بيننا وذه البلاد   تأكدت ومضت عليها أحقب
سل عن جمال الدين واذكر عهد كو   شنصين يطربك الحديث المطرب
سل عن بنيه من الدعاة وعن موا   قفهم وكيف على الزمان تغلبوا

حتى تشرف أرخبيل الهند بالإسلا م وانتظمت ممالك ترهب
زمن مضى أخفت معالمه الطلا سمُ والحقائق بالرقى لا تحجب
لا شيء في ذا العصر عصر العلم والتحقيق أقبح من كتاب يكذب

وكانت لهم مراكز تجارية بغانة وسفالة المسماة سفالة الذهب، وتمبكتو في أواسط أفريقية، وبثَّه على الساحل الشرقي وبنادر مدغسكر وجزائر القمر وممباسه ولامو وزنجبار وبمبا وكيلوه والشحر وعدن وكنباية والديو وصحار ودبا وهُرمز وسيراف وجزيرة كبش في الخليج الفارسي (العربي) وكاليكوت وسواحل ملابر إلى ما يلي مدارس وسيلان وبورما وملاكا من بعد، وبنادر سومترا وفي جاوا چيربون وبانتن وقرسيء وجفارا ومواضع أخرى في الجزائر الداخلية إندرست أسماؤها، ومنها قاسَيْ. وفي القديم «سري ويجايا» بسومترا، وفي بلاد الملايو «كله» ولها ذكر في كتب العرب وكانت مركزاً تجارياً مهماً حلَّت محلها فيما بعد ملاكا، ويسمون بلاد الملايو كله. ويذكر أن بها معادن القصدير والرصاص الأبيض والذهب، وبها الأطياب كالقرنفل والهيل وجوز الطيب، والعرب يقولون جوزُ بُوا أخذاً من لغة الملايو إذ يسمون الأثمار بُوا. وهذا الإسم في كتب العرب القديمة، وكان يجلب منها العود، وقد وصفوها في بعض الكتب بنحو وصف سومترا، ولكن المحققين يجعلونها في شمال خط الاستواء.

وقد ذكرها شاعر سيف الدولة الحمداني أبو العباس الصفري فقال:

لها أرج يقصر عن مداه فتيت المسك والعود الكلاهي

وهذا كما يتغزل شعراء حضرموت في شعرهم العامي كابن زامل وغيره. حتى في الأشعار التي تذكرها النساء في احتفالهن بالأغاني في الأعراس فيذكرون في أشعارهم كنباية وبونه من مراكز التجارة في الهند.

وتقول كتب العرب في «كله» أنها منتصف الطريق بين عمان

والصين وموقعها في طرف خط الاستواء.

وقال الشيخ العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» ص ٩١٤: أن خط الاستواء يمر بجزيرة الرانج (أي النارجيل) والأقرب أن مراده بذلك جزيرة بورنيو (كاليمانتن) ثم جزيرة سَرَبزه (سري ويجايا) وهذه في سومترا. وقال: وجزيرة كله بينهما.

وهذا تحقيق، فان من تأمل الأعراض وجد بلاد الملايو متوسطة بين سومترا وشمالي كاليمانتن اللتين يمر بهما خط الاستواء.

ثم ذكر استمرار خط الاستواء شرقاً جنوب سرنديب إلى جنوب أرض الصين، وينتهي إلى أقصى المشرق حيث جزائر سيلا وأرض اصطيفون الفاصلة بين المعمور والمغمور بالمحيط الزفتي.

ومن تأمل كلامه هذا تحقق أنه يريد بها جزيرة ايريان وأستراليا، ولكن أستراليا جنوب خط الاستواء.

وقال في موضع آخر: وإلى أقصى ساحل البحر المحيط الزفتي المشرقي الواغلة فيه جزائر السيلا والسلا والياقوت وصبح والعلوية في مشرق صين الصين. فيظهر أن مراده بصين الصين كوريا واليابان، ويريد بجزائر سيلا سولاوسي وما يليها، والسلا هي جزائر «سولوسنداكن»، وصبح محرفة عن «سيبو» والعلوية هي جزيرة كناوي[1].

---

(١) وقد تقدم هذا في ص ٢٨٧.

جاء في «تاريخ الإسلام بفلبين» ج ٢ ص ١٢٤ ما ترجمته: «أكبر مستعمرة هي جزيرة كناوي التي يسكنها الشريف العلوي الرئيس الأقوى في الجزيرة وجزائر بوهانغين، وهارفو، وثانقانغ، وثاكتقات، تقع على الشاطىء الجنوبي شرقي كناوي. والمستعمرات التي على الشاطىء الغربي إبتداءً من الجنوب هي: سوياڤوكل، وكاويمقانغ، وتيكس، وبينتنغ، كوتاباتو، وباكوس. والتي على الشاطىء الشمالي هي: كاويمقانغ، وثننندان. والتي على الشاطىء الشرقي هي: سمڤوناي، وتولاكن.

ذكر الدمشقي وغيره «فنصور»[١] في سومترا، وسموا نوعاً من الكافور باسمها فقالوا «الكافور الفنصوري». وذكروا هلابر، ولاوزي وغيرهما في سومترا.

قال: يلي هذه القطعة قطعة رابعة تسمى بحر «صندابولات» أوائل بحر الصين، وهذا البحر لا يدرك قعره. وهذا يدل على أنه أراد الجزائر الممتدة إلى جزائر اليابان.

وذكر في بحر الهند جزائر الديبا، قال: وهي جملة جزائر متقاربات وأهلها قبائل من العرب بها، والكبيرة منها تسمى جزيرة «الديبي والدياب» أيضاً، وهي التي تسمّى ديبامهل أو مال.

وقال: ثم يلي ذلك من الشمال بلاد الصنف (إيندوچينا) ومدينتهم الكبرى مدينة الصنف (چمڤا) وأهلها مسلمون ونصارى وعباد أصنام، ووصلت دعوة المسلمين اليها في زمن عثمان رضي الله عنه.

---

(١) فنصور محرف عن ڤنچور، تقع في باروس. ولذلك يسمى الكافور الذي يصدر منه كافور باروس.

وذكر الدمشقي جزيرة أخرى تسمى بالعلوية، فإنه ذكر جبال تيري وقال على خط الإستواء ولعله يريد بها «كاليمانتن»، ومن وراء هذه الجزيرة بنحو مئة ميل جزيرة صبح المعروفة بالعلوية، وفيه معدن للياقوت ليس مثله. ومن ورائها بنحو عشرين ميلاً جزائر اصطيفون».

إلى أن قال: قال أهل العلم بذلك وفي جزائر السيلي ثلاث جزائر تسمّى جزائر سلا يعني من دخلها سلا وطنه وكانت له السكنى وسلا ما عداها من البلاد».

وأهل فلبين يقولون من دخل جزيرة «بلاوان» لم يقدر على الخروج منها، ولعل البعد بالأميال الذي ذكره البعد في المسامتة، أي مسامته الجزائر للأخرى، وليس المراد البعد فيما بينها.

أما جزيرة سيبو فهي أغنى جزائر الفلبين حيواناً ونباتاً، وبها صناعة وتجارة متقدمتان، وعاصمتها «سيبو» وقد أُسست هذه المدينة سنة ١٥٦٥م/٩٧٣هـ ولبثت عاصمة جزائر الفلبين إلى سنة ١٥٧١م (٩٧٩هـ). وقد اكتشفها ماجلان الأسباني سنة ١٥٢١م (٩٢٨هـ) ولم يتحارب الأسبانيون مع أمراء المسلمين بجزائر الفلبين إلاّ في سنة ١٥٧٧م (٩٨٥هـ) ودامت الفتنة قائمة بينهم ولا سيما القراصنة، والغزوات البحرية مدة ثلاثة قرون بلا انقطاع، وكانت حروباً دينية، حتى لقد كان المسلم يتعهد لدائنه بقتل أسباني عوضاً عن وفاء الدين فيرضي الدائن. وكانت لهم أحزاب فدائية.

ومن المراكز التجارية جزيرة «مانتو»[1] والعرب يقولون «مانطا» وينسبون إليه نوعاً من العود، كما ينسبون نوعاً آخر منه إلى «قمار» وإلى «سندابور» والى «لوقين» من مراسي الصين.

---

(١) لعله «منتئو» عاصمة جزيرة «بانكا» التابعة إدارياً لمديرية فاليمبانغ.

قال بدر الدين حي الصيني في كتابه «العلاقات بين العرب والصين»: يظهر من الكتب التاريخية والرحلات القديمة للكتّاب المعتبرين في الثقة والصحة مثل إبن خرداذبه وسليمان السيرافي وإبن بطوطة وغيرهم من العلماء أن التجارة بين الصين والعرب قد أصبحت منظمة في القرن الثامن من الميلاد (القرن الثاني للهجرة) ثم إزدهرت في التاسع إلى القرن الرابع عشر، أي بعد إنقراض حكومة المغول في الصين. وكان ذلك سنة ١٣٦٧ م (٧٦٩ هـ) ودليلنا على ما قلناه أن كتَّاب العرب الذين قد كتبوا عن الصين عاش أكثرهم في غضون هذه القرون، وأولهم إبن حرداذبه ثم سليمان التاجر ومعاصروه كأبي زيد الحسن السيرافي، والمسعودي. وبفضل وجود هذه التجارة واستمرارها بين موانىء الصين وموانىء بلاد العرب زاد علم العرب عن الصين من ناحية، وزاد علم الصينيين عن بلاد العرب من الناحية الأخرى».

«أما طريق التجارة بين هذين البلدين في زمن الإسلام فهو مثل ما كان فيما قبله، وكان ذلك بالبر والبحر معاً، إلاَّ عن طريق البحر في عصور الإسلام صار أكثر إستعمالاً».

وبعد أن أطال في الموضوع عدَّد مراسي التجارة ومراكزها، ذكر عمان ومسقط وجزيرة البحرين، وأبله، وهرمز بخليج فارس. وكانت عدن من أهم المراكز التجارية بجنوب بلاد العرب لأنها قد وقعت موقع مركز التجارة في البحر الأحمر بين مصر وسواحل خليج فارس».

قلت: بل بين الهند وسواحل ملابر، وكرومندل، وسيلان، والشرق الأقصى بأجمعه، كما ذكر ذلك الأصفهاني[1].

---

(١) الأصفهاني المرزوقي. كتاب الأزمنة والأمكنة.

قال: وابن خرداذبه لم يترك ذكر «عدن» أيضاً فإنه قال إنها من المرافىء العظام لا زرع فيه ولا ضرع، وبها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين[١]».

ويؤيد هذا القول الإدريسي إذ قال: إن عدن مدينة صغيرة لكنها مشهورة بأنها مرسى لسفن التجارة التي تبحر إلى السند والهند والصين. وتأتي من الصين أنواع من البضائع مثل الحديد والمسك والكاغد والفخار والكافور والدارصيني وغيرها من الأشياء الأخرى، فالمراسي التي كانت المراكب التجارية تقف بها في طريقها إلى الصين هي ملابر، وسيلان، ومابد، ومعبر، وسومترا، وجاوا، وثونكين».

«وأما المدن الصينية الّتي كانت مفتوحة لتجارة العرب وغيرهم من الإيرانيين والروم (كذا[٢] فهي كانتون، وجوان چو، ويانچو، وهانغ چو».

«ومما لا شك فيه أن جزيرة سيلان قد وقعت موقعاً مركزياً للتجارة بين الصين وخليج فارس في زمن الإسلام كما كان في زمن قبله».

قلت: وذكر الباحث المؤرخ عيسى إسكندر المعلوف في مقاله عن تجارة «قيدار» أبناء إسماعيل أهل الحجاز ونجد وتجار عدن وغيرهم من العرب، كما ذكر ذلك في سفر حزقيال من التوراة، وهذا قبل الإسلام، وكانت قوافلهم تحمل تجارة الشرق إلى مصر والشام، كما شاعت من قبل تجار الفينيقيين والبابليين وهم من أمم العرب. وكان عرب سبأ[٣] قبل الإسلام يحتكرون تجارة الشاطىء الإفريقي الشرقي.

---

(١) CHAO JU-KUA. P. P. 34

(٢) لعل المقصود من «الروم» الأتراك، كما هو الشائع قديما.

(٣) تقدم الكلام عن «سبأ» ص ٣٠.

وذكر بطليموس الجغرافي الشهير ثغر أفريقية وما كان معلوماً فيه لعهده، واكتشف أثر نفيس اسمه «المرشد للمحيط الهندي» ولعل مؤلفه يوناني عاش على ضفاف البحر الأحمر. ويقال انه كتب سنة ٦٠ للميلاد وفيه وصف لتجارة العرب في أفريقية، ولا سيا مع الزنجباريين، وامتدت تجارة العرب في عهد «بطرا» عاصمة الأنباط وملوكها إلى جهات الهند والصين لقربهم منها، كما اتجروا مع البعيدين عنهم. وفي زمن الخلفاء الراشدين سافر إبن عبد الوهاب وكثيرون غيره من البصرة إلى الصين، وكان الذين يتجرون معهم. قبل الإسلام من أغنى الممالك المتحضرة يومئـذ، فمصر وسوريـا وبـابـل وأشور والفرس واليونـان والرومـان كـانـت أسواق ملوك سبـأ وبـلاد العرب ومختلـف قوافـل «قيدار» وكانوا يشغلون بضائعهم في مراكبهم الراسية بمدينة سيراف إلى العجم وغيرها.

قال بدر الدين حي الصيني: ومن رحلة سليمان التاجر السيرافي يعلم أن السفر البحري من خليج فارس إلى الهند والصين إذا كان في الحالة العادية كان يضم عدداً كبيراً من التجار الذين يترددون بين الهند والعراق أو بين الصين والعراق، ومن أقواله (أي سليمان التاجر) المتعلقة بالموانىء التي تقف بها السفن وتشحن (منها) البضائع أو تفرغها بها. إن أكثر السفن الصينية تحمل المتاع من سيراف، وان المتاع قد يحمل من البصرة وعمان وغيرها إليها فيعبأ بها في السفن الصينية وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه. والمسافة بين البصرة وسيراف في الماء ١٢٠ فرسخاً، فاذا عبىء المتاع في المراكب يقلعون إلى مسقط، والمسافة إليها نحو ١٢٠ فرسخاً، وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق، وجزيرة إبن كاوان وفيه جبال عمان، وفيها المواضع المسماة بالدردور، وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية

الكبيرة لكبرها وضخامتها، ثم إلى صحار (وهو مركز تجاري) وإلى بلاد الهند، وتقصد المراكب إلى كولم وإلى كولم ملي تجيء السفن الصينية. ثم إلى هركند وكلاه بر (ببلاد الملايو) ثم يتومه ثم كندرنج ثم صنف (چامڤا) ثم صندرفولات (أو صندافولات) ثم إلى أبواب الصين، وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة تمر فيه المراكب، فإذا سلم الله من صندرفولات خطفت المراكب إلى الصين في شهر. إلاّ أن الجبال التي تمرّ بها المراكب مسيرة سبعة أيام، فإذا جاوزت السفينة الأبواب ودخلت الخور صارت إلى ماء عذب وإلى الموضع الذي ترسو إليه السفن في خانقو.

قال: إنما القوة التي كانت تنافس العرب في البحر بالشرق في الفترة التي بين القرن التاسع (الثالث الهجري) والقرن الرابع عشر (القرن الثامن الهجري) هي قوة الصين تحت أبناء السماء. نعلم حقاً أن نفوذ العرب البحري في الشرق كان قوياً جداً لا يكاد يساويهم فيه أمة من الأمم، لكن الصين ما كانوا متأخرين عن العرب في الملاحة البحرية ونفوذهم البحري لم يكن أقل من نفوذ العرب »اهـ.

وذكر أن المراكب العربية والصينية كانت تجتمع في كله أو كلاه (ببلاد ڤيراق من بلاد الملايو) ثم أشار إلى ما ذكره السيد سليمان الندوي أحد مشاهير الهند في كتابه «هند وعرب كي تعليقات» وما ذكره عبد الرزاق السمرقندي الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع الهجري) عن هُرمز، وأنه كان مرفأ عظيماً بخليج فارس ليس له نظير على وجه الأرض حيث يجيء التجار من الأقاليم السبعة من مصر والشام ومن العراقين وبلاد الفرس ومن خراسان، وما وراء النهر من تركستان وبلاد قفجاك وقلموك وجميع الممالك الشرقية مثل الصين ومامين (ماچين) وخانبالق. وهناك أناس يقطنون على شاطىء البحر ويأنون بالمتاجر من الصين وجاوا والبنغال وسيلان ومن بلاد زرباد

وديبامهل (جزائر مالديف) وملابر والحبشة وزنجبار وبيجانغر وجلبرك وكوجرات وكانباي وعدن وجدة وينبع. والجوَّالون يأتون من أقطار العالم ويفرغون بدون صعوبة ما جاؤا به من البضائع إستبدالاً بما هو نظير لها ثمناً أو متاعاً ».

ثم ذكر أن سواحل ملابر وسرنديب كانت من أهم المراكز التجارية بين الصين والعرب ومجتمعاً للتجار الصينيين واليمنيين والأحباش والإيرانيين ».

قال:«وأما التفاصيل فتجدها في كتاب السيد سليمان الندوي في باب « التجارة بين الهند والعرب »، وهذا الكتاب يضم خمسة أبواب في أكثر من ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير، وخليق بمن يهتم بهذه المسائل من علماء الإسلام أن ينقل هذا الكتاب - وهو بلسان الأوردو - إلى اللغة العربية، فقد حوى من الفوائد ما لا يُحْصى.

ومن المراكز التجارية العربية «الرامني »يذكرها العرب في كتبهم من القرن الثالث الهجري إلى القرن التاسع، وهي المشهورة باسم بالم بانغ أو ڤاليمبانغ. ويظهر من كلامهم أهمية هذه الجزيرة في التجارة البحرية والمواصلات التجارية، وكما ذكرها العرب في كتبهم وكرروا ذكرها فقد ذكرها الصينيون كما في «چوفانكي » ومعناه التذكرة عن البلاد الأجنبية. وفي هذا الكتاب ذكرٌ للتجارة العربية مستطيل، ومؤلفه صيني إسمه « جويوكوا » فكان يوجد من المتاجر في ڤاليمبانغ عدا حاصلاتها الخاصة الصدف والكافور والعود والقرنفل والصندل والقاقلة (أي الهيل الكبير) والمر والصبر والحلتيت واصطرك (وهو صمغ الزيتون) والعاج والمرجان وعين الهر (نوع من الفصوص) والعنبر ومنسوجات القطن الأجنبية، وكل هذا من واردات البلاد التي تحت سيطرة العرب.

أما الأجانب الذين يجتمعون ويتاجرون بهذه الجزيرة فيستبدلون ويتقايضون هذه البضائع بالذهب والفضة والفخار والغضار وثياب الكمخاب والسندس والإستبرق والسكر والحديد والأرز والراوند والكافور وغيرها من الأشياء.

قال بدر الدين: فجاؤا أيضاً من المراسي الذي ترسي بها مراكب التجارة الصينية وهي معروفة عند علماء العرب والإسلام منذ زمن قديم، وكان لها إتصال بالصين في الشرق والعرب في الغرب من ناحية التجارة والسياسة».

وللقزويني كلام في هذا الصدد إذ قال: إن الجاوه وهي بلاد على ساحل بحر الصين مما يلي بلاد الهند، ففي زماننا لا يصل التجار من أرض الصين إلاّ إلى هذه البلاد، والوصول إلى ما سواها من بلاد الصين متعذر لبعد المسافة».

قال بدر الدين الصيني: وقول القزويني هذا غير صحيح لأن مراكب الصين تصل إلى البصرة في القرن التاسع المسيحي (أي القرن الثالث الهجري).

قال القزويني: فالتجار يجلبون من هذه البلاد (جاوه) الهرد الجاوي والكافور والسنبل (سنبل الطيب ولعله المسمى سريه) والقرنفل والبسباسه (قشر الجعفل - فالا) والغضائر الصينية منها يجلب إلى سائر البلاد» اهـ من آثار البلاد للقزويني.

قال بدر الدين: ولمؤلف التذكرة عن البلاد الأجنبية ملاحظة خاصة عن هذه الجزيرة غفل عنها جميع الكتاب العرب، وهي أن أهل جاوا كانوا يضربون النقود من سبيكات النحاس والفضة والتنبيكار، وكان الستون من هذه النقود تساوي مثقالاً من ذهب، و ٢٢ منها تساوي نصف مثقال منه».

وقد تكلم الأستاذ هيرت مترجم التذكرة عن البلاد الأجنبية في هذه المسألة إستناداً إلى تاريخ كراوفود[1] ص ٢٨١ من الجزء الأول، وقال: من بين الآثار القديمة العجيبة التي اكتشفت بكثرة في جاوا أنواع مختلفة من النقود المعمولة من النحاس والتنبيكار، ولكن نقود الذهب للعصور القديمة لم تكشف حتى الآن ولو مرة واحدة، وأما نقود الفضة فوجدت مرة أو مرتين. ومن رأي الأستاذ هيرث أن المسلمين الأولين الذين سيطروا على زمام هذه البلاد قد علّموا أهاليها إستعمال الذهب نقداً، والدليل على هذا أن جميع الأنواع من النقود الذهبية التي قد اكتشفت في جاوا إلى الآن توجد عليها نقوش عربية وأسماء السلاطين المسلمين الذين عملت من أجلهم، ولقد اكتشفت في جاوا سكة نحاسية عليها عدة صور خيالية وعليها حروف عجيبة متعذرة القراءة والفهم الآن».

قال بدر الدين الصيني: فعندنا أدلة كثيرة وافرة فيما يتعلق بها (التجارة) من المصدرين العربي والصيني، فمن المصدر العربي نعرف أن من أهم مدن التجارة للعرب في الصين «لوقين» و «خانفو» و «حمدان» و «سوسه» وصينية الصين، وسيلا.

وقد ذكر إبن خرداذبه عن «لوقين» وهي «تونكين» الآن، أنها أول مرافىء الصين فيها الحجر الصيني والحرير الصيني والغضار الصيني الجديد وبها أرز».

ثم تكلم عن «خانفو» وهي كانتون الآن قائلاً أنها المرفأ الأكبر فيها الفواكه على اختلاف أنواعها والبقول والحنطة والشعير وقصب السكر. ولسليمان السيرافي كلام عنها أيضاً فإنه قال: إنها مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب».

---

(1) J. CRAWFURD, HISTORY OF THE INDIAN ARCHIPELAGO

قال أبودلف الينبعي:« مدينة التجار والأموال « خانفو » طولها أربعون فرسخاً ».

وجاء الإدريسي فأكد ما قاله السابقون بقوله: إنها من أعظم مرافىء الصين وبها ملك مهاب، له ملكة حميدة الخصال وقبيلة كثيرة وأجناد وأسلحة. وأهلها يأكلون الأرز والنارجيل والألبان وقصب السكر والفول ».

وذكر إبن بطوطة مدينة الزيتون، لأن الإسم الأصلي هو TCHE TUNG وهي مدينة « جون شوان » الآن.

ومدينة « سوسه » المذكورة في « نزهة المشتاق » للإدريسي يظهر أن المراد بها: « سوچو SU - CHOW».

قال الإدريسي: إنها مدينة مشهورة معلومة مذكورة كثيرة التجارات متصلة العمارات جامعة الخيرات، وأموالها كثيرة، وتجارتها مباركة موفورة وقراضها (أي الفضة والتبر المقروض بمنزلة النقد) معترف به في الآفاق، ومتصل بكل الأمصار، ويصنع بها الغضار الصيني الذي لا يعدله شيء من فخار الصين جودةً، وبها طور (كذا) كثيرة مشهورة، ومعمل الحرير الصيني الرفيع التقسيم المحكم الصنعة الذي لا يقرن به غيره ».

وأما صينية الصين فبحث بدر الدين انها « فوكين » الحاضرة، لقد زارها إبن بطوطة وذكر أنها من أكبر المدن وأحسنها، ومن أعظم أسواقها سوق الفخار، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الصين وإلى الهند واليمن.

وقال إبن خرداذبه: والذي يجيء في هذا البحر الشرقي من الصين الحرير والفرند والكمخاب والسمك والعود والسروج والسمور والفخار والصليج والصندل والكافور والماء كافور، والجوزبوا والقرنفل والقاقلة

والكبابة والنارجيل والثياب المتخذة من الحشيش والثياب القطنية المخملة، والفيلة.

ومن سرنديب الياقوت على إختلاف ألوانه وأشباهه والماس والدر والبلور والسنباذج الذي يعالج به الجوهر، ومن كولم ملى الفلفل، ومن كله الرصاص القلعي. ومن ناحية الجنوب البقم والدازي، ومن السند القط (الحوت) والقنا والخيزران، والذي يجيء من اليمن الوشي وسائر ثيابهم والورس والبغال والحمير.

قال بدر الدين: وأما المصدر الصيني الذي يتعلق بتجارة العرب في الصين فيرجع تاريخه إلى القرن الثامن للميلاد (القرن الثاني للهجرة) أي قبل زمن سليمان السيرافي بقرن على التقريب».

ثم ذكر: أن المراكب التي كانت تشتغل في نقل المتاجر وتختلف إلى خانفو من البلاد الأجنبية كانت عظيمة تعلو الماء بكثير حتى يحتاج إلى السلالم في الصعود إلى سطح المركب».

قال: وقبيل القرن التاسع من الميلاد (القرن الثالث الهجري) إنتقل قسم كبير من التجارة البحرية إلى مدينة «جوان شو» في ولاية «فوكين» بقرب أموي الحاضرة، وكانت لهذه المدينة من قبل علاقة مع اليابان وكوريا وجاوا وغيرها من جزائر الملايو، فالعرب الذين وصلوا هناك في أواخر القرن التاسع من الميلاد وجدوا بها البضائع لبقاع الصين النائية التي لم يكن من السهل الحصول عليها بخانفو. وبعد زمن قليل نهضت «جوان شو» إلى الدرجة الأولى بين المرافىء البحرية، فكثر الرواد من العرب والإيرانيين إليها بوجود هؤلاء التجار بهذه المدينة، واشتهر بعد ذلك في العالم الإسلامي، إلى نفوذ البرتغاليين في الشرق بالإسم الذي وصفها به إبن بطوطة في رحلته وهو «الزيتون» المحرف عن اسمها الأصلي TCHE TUNG.

قال بدر الدين: وأما المراكب التي كانت تنتقل بالبضائع بين الصين وخليج فارس فمنها ما هي صينية ومنها ما هي عربية، لأن سليمان والمسعودي وإبن بطوطة قد ذكروا مراكب الصين بخليج فارس بالبصرة وسواحل الهند، ومراكب العرب إنما ذكرت في بعض الكتب الصينية، خصوصاً في «جوفانكي» أو التذكرة عن البلاد الأجنبية تأليف «جويوكوا» الذي عاش في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد، وأنه قد دوّن ما رأى وما سمع في تذكرته عن الأجانب، إذْ كان مشتغلاً في منصب المراقب العام للتجارة الأجنبية بولاية «فوكين». فكلامه في هذا الصدد حجة لا تردّ. فلم يكن حديثه مقصورا على المراكب بل تعداه إلى نفوذ تجارة العرب في الصين أيضاً» اهـ.

وقال: ونحن نقرأ في تاريخ الصين لهذا العهد أنهم كانوا يتعاملون مع العرب في القرن التاسع من الميلاد، كما يتعاملون مع أهل جزائر الملايو وسيام والجاوا وسومترا وجزيرة نيكوبر والهند، فيأتون ببضائع البلاد التي مروا بها في طريقهم إلى الصين، كما أنهم قد حملوا المنتجات من بلادهم، فالواردات الرئيسية من بلاد العرب - كما ورد في سلسلة التواريخ - كانت العاج والكندر والنحاس و (منتجات) الصنف (ممالك جمقا) والكافور وقرون الكركدن» ا هـ.

ومعنى هذا أن هناك مراكب عربية تأخذ حاصلات الجزائر الهندية وتعود بها إلى مركز التجارة ببلاد العرب، مثل سيراف، وهرمز، وصحار، والشحر المهرية وعدن. فتشتريها المراكب العربيّة الذاهبة إلى الصين فيكون بضائع رئيسية مجلوبة من بلاد العرب[1].

---

(١) كتاب «مركوبولو»: يبيع تجار هُرمز وديوفار (ظفار) ويتشر (شحر) وأدم (عدن) الخيل إلى مابر (معبر).

أما الصدف واللؤلؤ فمن مغاصات الخليج الفارسي (العربي) ومغاص شحر المهرة وكان معموراً في تلك القرون، ومغاصات سُقطرا. وأما العاج والسندروس فمن الحبشة، والكندر من بلاد المهرة وجنوبي بلاد العرب كالمر والصمغ والعقيق والخرز والصبر، وأما الاصطرك والمنسوجات فمن بلاد الشام ومصر واليمن، والبلور من الشام، والأبنوس فيأتون به من شرقي أفريقية، وربما أن مراكب العرب تأخذ بضائع غيرها من سواحل الهند.

قال بدر الدين: فتاريخ سونغ SUNG قد ذكر أسماء الواردات والصادرات التي حصلت بواسطة العرب والإيرانيين في أواخر القرن العاشر من الميلاد (القرن الثالث الهجري) وهي الذهب والفضة والفلس الصيني والمسكوكات والرصاص والمنسوجات على إختلاف ألوانها وأشكالها، والفخار والغضار والأعواد والعطور وقماش القطن والصدف وقرون الكركدن والعقيق والبلور والعاج والمرجان والعنبر وقلائد اللؤلؤ والأبنوس».

قال: «وبناءً على ما ذكر في «جوفانكي» من أن العرب كانوا يستوردون الكندر من مربد (مرباط) وصحار وحضرموت، والمرة (المر) من جنوب (بلاد) العرب وعدن وبلاد السوماليين والقاطر (وهو دم الاخوين من سُقطرا) من جنوب (بلاد العرب) وسُقطرا. والبخور من اليمن. والأشياء الآتية من الممالك التي تحت حكم العرب، والسترك السائل (لعله الأصطرك) وبخور إيران والأعواد والقرنفل وجوز العفص والحلتيت والصبر والمرجان والزجاج والبلور واللؤلؤ والعاج».

بانْتن والقواعد التجارية

كان بجاوا في القرنين الثامن والتاسع وما بعدهما مركز تجاري له أهمية وصيت وهو « بانتن » ولا يوجد بندر أَسْيَر ذكراً منه بعد « قرسيء » بل لقد كاد في عصره الأخير أن ينسى الناس ذكر قرسيء.

وقد أطال السيد الشريف الشاعر الناثر المؤرخ أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف العلوي في تاريخ بانتن من النقل عن بعض التواريخ الحديثة، فسننقل مما جاء في كتابه ما تيسَّر، قال في أثناء كلام « إن ملاكا قد تضعضعت باستيلاء حكومة البرتغال عليها، تلك الحكومة التي كانت تجري على غير نظام، فأخذ التجار الذين يأتون من خارج هنديا (إستانبول - مصر - الحبشة) يفدون إلى بانتن ويأخذون في تعاطي الأسباب، وهناك ينشئون السفن وأخيراً يستوطنون تلك البلاد بصفة دائمة.

ومن جميع البلدان يأتي التجار بالبضائع إلى بانتن، فالمعادن يؤتى بها من الهند وفارس، والجوهرات والذهب من كاليمانتن، ويؤتى بالذهب والفضة من سومترا، والرصاص من ملاكا، والحديد من جهات أخرى. ومحصول بنكا وبليتون الرصاص والدامر، والأرز يؤتى به من جاوا الشرقية، والخيل من سومبا، والخشب من جميع الأجناس الجميلة من أماكن متعددة. والتوابل من جزائر الملوك، والصينيون يجلبون ما يسمى تمبريغ والحرير الستين (الأطلس من الحرير) والسكلت والقرطاس والتكوين. واليابان يجلبون الزئبق والنحاس والصفر والأسلحة المثمنة. وبلاد السيام تصدر الفيلة ويؤتى من البلاد الأخرى بالعاج والفنيو والسكر والشمع والعسل والنيل والقطن والمخمل وقماش التالوكي والقطائف والمنسوجات والغزل والأقمشة بأنواعها، ومن حاصلات بانتن

نفسها الفلفل والأرز والسكر وزيت النارجيل والطيور البيض والفواكه وغير ذلك ».

وكان ميناء بانتن دائماً مزدحماً بالمراكب، وأشرافها أهل ثروة عظيمة ولهم نفوذ واسع، يلبسون الملابس الجميلة ويحملون الأسلحة العجيبة يحفهم الأتباع والحشم إظهاراً لما هم عليه من عز ومقام ».

إلى أن قال: وقد تقدمت صناعة السفن في بانتن تقدماً باهراً، وبلغت حركة التجارة فيها غاية التقدم » اهـ.

وقد نقل ما تقدم أو أكثره عن « ديوس ديكر » و « سنوسي ثاني »، ولكنا أنكرنا ذكر الترك وليس الترك بأمة تجارية، فلعل من ذكر ذلك أراد به المصريين والشاميين العرب. ونقل السيد أحمد في كتابه عن « سنوسي فاني » فقال:

« قال في ص ١٣٥ ج ٢ أن حاصل الشركة (الهندية الهولندية) عام ١٧٢٤ م (١١٣٧ هـ) ١٩,٠٠٠ بهار، وعام ١٧٢٥ م (١١٣٨ هـ) ١١,٠٠٠ بهار، وعام ١٧٨٢ م (١١٩٧ هـ) ٤٥٠٠ بهار، وعام ١٧٩٦ م (١٢١١ هـ) ٢٤٥٦ بهار، وكتب بهار بالحروف اللاتينية واضحة هكذا BAHAR وفسَّر ذلك بأنه ما يساوي بيكول.

بهار

قال السيد أحمد السقاف: ومما يستدلّ به المؤرخون على وجود شعب أو جنس من أجناس البشر في محل منذ عهد قديم الكلمات التي تستعمل في ذلك المحل وذلك العصر من لغة ذلك الشعب، ويكون الدليل أوضح إذا كانت الكلمة لا تستعمل إلاّ عند قبيلة خاصة أو محل خاص من مواطن ذلك الشعب. والبهار عند العرب ثلاثة قناطير أي ثلاثمئة رطل كما ذكر في القاموس ولسان العرب، ولكن استعمال هذه اللفظة والجري

على استعمالها في الأوزان قد انمحى من الأقطار العربية من قرون بعيدة، ولكن بقي ثابتاً في لسان أهل قطر حضرموت وأطراف اليمن، وهي كلمة تدور على ألسنة التجار والخاصة والعامة، وتعرف بها مقادير الأسعار، وتجري على ألسنة البوادي وأجرة حمال الأقمشة بالبهار وزناً، ويقدرون ما يقدر أحد جمالهم على حمله بالبهار، فالجمل الفحل يحملونه بهارين وبهاراً ونصف، والانثى نصف بهار أو بهار إلاّ ربع، ثم عندهم ما يسمونه «الفصل» وهو مقدار أجرة البهار من الحبوب، أو البهار من البضائع الأخرى، والفصل يختلف باختلاف المواسم صيفاً وشتاءً وبوقت وجود المراعي ووقت عدمها بسبب القحط وبسبب شدة الطلب من داخلية البلاد للبضائع، ويسمون رئيس القافلة الذي يماكس التجار في البندر على أجرة حمل البهار «الفِصّيل» بكسر الفاء وتشديد الصاد. فالبهار هناك هي أكثر الكلمات إستعمالاً في محيط الأسواق والبنادر بحضرموت، فخضوع تجارة بانتن لاستعمال القنطار الحضرمي واستعمالها إسمه ومقداره لا يدلّ على وجود العرب فقط، بل على كثرة العنصر العربي الحضرمي الذي فرض استعمال موازينه على سائر الأجناس والمتاجر في المركز التجاري العظيم «بانتن» وهذا في زمن أخير فكيف الحال في القرون السابقة.

كلمة بهار في بانتن وآچيه وبلاد الملايو

هي كلمة شائعة قبل الاستعمار. جاء في كتاب «ڤلاَيَران محمد إبراهيم منشي» المتوفى عام ١٩٠٤م أنها كانت تستعمل في ملايا في عهده».

وكانت تستعمل هذه الكلمة أيضاً في آچية، كما ذكر في تاريخ آچيه لمحمد سعيد أن هولنديا لما رأى عرش السلطانة صفية الدين دهش من لمعان العرش الآخذ بالأبصار فإنه مكسو بالذهب بما قدره تخميناً ٤٠ بهاراً من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة. والبهار في آچية يعادل ٣٦٠ ڤوند انكليزي ACHEH SEPANJANG ABAD 124/1.

شواهد أخرى غير كلمة بهار

قال فندن بيرخ في كتابه عن «حضرموت والمستوطنات العربية في الأرخبيل الهندي» في الفصل الأول من القسم الثاني ص ١٢٢ ما تعريبه: إن العرب كانوا يسافرون بمراكبهم من جزائر تيمور إلى غينيا الجديدة وجزائر الفلبين.

قال المؤرخ السيد أحمد السقاف السابق ذكره: وأن من الأدلة التي لا تقبل الشك على ما كان للعرب من السياحات والاكتشافات في جزائر الهند الشرقية ما لا يزال إلى اليوم ناطقاً وشاهداً بذلك من الأسماء العربية لبعض البلدان والمراسي والجزائر والجبال. فالقارىء إذا وضع أمامه الخريطة العامة لجزائر الشرق الأقصى يجد مثلاً الكلمات التالية:

مولانا: إسم جزيرة صغيرة بالقرب من جزيرة «سڤاروا» قريباً من «أمبون».

جزر سليمان: في جزيرة سيرام (ويقال لها سيرانغ) قريب أمبون. وسيرام جزيرة أكبر من جزيرة أمبون بأكثر من ٥٠ مرة.

جزائر المرجان: بين الدرجة ١٤٠ و ١٥٠ من درجات الطول والدرجة ٣٠ من درجات العرض الشمالي وقد حُرفت إلى جزائر الماريان.

خور صالح: في جزيرة سومباوا.
جبل الفخ: في مقاطعة بنكولن بسومترا.
بندر خليفة: بشاطىء سومترا الشرقي قريب ميدان.
هذه الأماكن مذكورة في الخريطة المتداولة الآن، هكذا بأسمائها

العربية. ومن تتبع ما في الخرائط المفصلة يجد كثيراً من هذه الأمثلة[1] ».

---

(١) وإضافة إلى ما ذكر أعلى وجود أسماء عربية لمدن مثل دار الكمال ودار الإسلام في آچيه ودار الدنيا، ودار اندرون، ودار الهناء، واسكندرية، وكوتاقرآن. في كمقركيري على نهر تيسو ودار السلام، وكمال المقام، وماكوتا عالم، ودار العلوي. في بروني.
ومدينة، وسرنديب، وقلوبي، وكتيب. في سِياك.
وقُدس بجاوا الوسطى.
كنتُ ترابًا في كمقركيري. وكنتُ دار السلام في روكن كيري.
بصرة، وكوفة. في تلوك كوانتن.
إمبانغ ندوة. في تاقونغ كيري، بشاطىء چرمين.

. . . .

وادي، في سلطنة جهور (ماليزيا) تسمى الشوارع وادي. فيقال مثلاً وادي حسن.

وفي إيريان بدواخلها توجد «أسبقين» وهي كلمة عربية، نبهني إلى ذلك الكاتب المعروف عمر أمين حسين.

وأضاف أنه وُجد في ذلك المكان في جذع شجرة كتابة اسم شخص الله بخش » ولعل هذا إسم إيراني أو هندي.

وكانت النقود المتداولة في آچيه تسمى الريالات[١].

وكلمة فرنجي يطلقها الملايو على كل شخص أوروبي كما يطلقها العرب.

ويسمون تركيا «بلاد الروم» كما كان يقولها العرب عادة إلى وقت قريب.

تأثير اللغة العربية

إن تأثير اللغة العربية في الأقطار الإسلامية معلوم، فالإسلام إنتشر ومعه لغة القرآن ممتزجة به، لذلك نجد في لغات الشرق الإسلامي كلمات كثيرة جداً أصولها عربية بنسب متفاوتة بين قطر وقطر، نجد ذلك في اللغة الفارسية والتركية والأوردو والملايو وغيرها وقد تحرف بعضها لفظاً ومعنىً أو بقي بعضها كأصلها ولا سيما ما كان له علاقة بالعقيدة والدين وما يتصل بها.

وكان علماء المسلمين من الملايو يؤلفون كتبهم باللغة العربية، أو على الأقل يستهلونها بديباجة باللغة العربية ثم يترجونها إلى اللغة المحلية. وكذلك الكتب التي تدرس للطلاب عربية. وكانت الرسائل المتبادلة تستهل بكلمات عربية وتختم بها. وألقاب السلاطين باللغة العربية. وكانوا يلقبون القاضي (الحاكم) بالقاضي الملك العادل.

ولمتانة الشعور الإسلامي لدى الملايو كانوا يعتبرون كل مسلم مهما إختلفت جنسيته مواطناً، ويطلقون كلمة «أجنبي» على غير المسلم.

---

(1) ACHEH SEPANDJANG ABAD 66/1

. . . .

عندما جاء وفد بريطاني إلى سلطنة آچية واجتمع مع مندوب السلطان والقاضي الملك العادل، والعالم شمس الدين ڤاسيْ كانت المحادثات باللغة العربية، وكان المترجم يهودياً من إنكلترا[1].

الكتابات كلها بالحروف العربية ويسمونها «حروف الملايو» أو «حروف جاوي» في ملايا. وتسمى في سومترا «حروف ملايو»، وتسمَّى في جاوا حروف ڤيكون.

قال فن‌دن بيرخ: إن تأثير العرب في القرن الخامس عشر أشد من تأثير الهنادك. وهو تأثير يكاد يكون خياليا ولكنه واقع، لأن أكثر العرب ذوي النفوذ هم من «السادة»، في حين أن عرب حضرموت الآخرين لم يستطيعوا السيطرة على إعتقادات الهنادك».

وذكر الدكتور حمكا مثل هذا في كتابه «سجره أمة إسلام»[2]. وقال في محاضرة ألقاها بمناسبة تكوين أكاديمية اللغة العربية في شهر نوفمبر ١٩٧٦م: «لم تكن [illegible]ة العربية ملكاً للعرب وحدهم، ولكنها ملك المسلمين في العالم أجمع».

ودعا الطلبة إلى دراسة اللغة العربية والتعمق فيها كمسلمين لتفهم لفر[illegible] الكريم، فان لهذه اللغة تأثيرها العظيم في اللغة الاندونيسية، ثم هي لغة الدين كما [illegible]ي لغة العلم.

وقد إنضم إلى هذه الأكاديمية حوالي ٢٧٠ جامعياً وكبار موظفي الحكومة وعسكريين.

الحروف العربية بقيت شائعة في ماليزيا الآن، وقد بدأت الحروف اللاتينية تزاحمها، كما وقع هذا في عدد من الأقطار الإسلامية، ولكنها مستمسك الطلبة في المعاهد والمدارس الإسلامية وخريجيها. وفي إندونيسيا وماليزيا خطاطون يجيدون الخطوط العربية بأنواعها.

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٦/١.
(٢) وفي كتاب «الندوة التاريخية» عن دخول الإسلام ص ٨١.

الصلات السياسية والدبلوماسية بين العرب والصين

قال بدر الدين: قد تكلمت في السابق على ضوء الوثائق التاريخية عن اتصال العرب بالصين من عهد قديم إلى زمن النبي ﷺ، وكان ظهوره قد قلَّب ورقاً جديداً في تاريخ العالم، فالتغيرات التي ظهرت على أثر مناداته بالنبوة في الشرق والغرب، وخصوصا في محيط البحر الأبيض ظاهرة بالغة يشعر بها كل صغير وكبير من جميع الأجناس والألوان، فهي غير محتاجة إلى شرح في هذا المقام».

«وأما الصين فلا شك أنها بعيدة عن مهبط الوحي ومهد الإسلام غير أن بعدها لم يغن عنها شيئاً فوقعت أيضاً تحت تأثير هذا الانقلاب المدني والديني الذي ظهر أولاً في جزيرة العرب في أوائل القرن السابع الميلادي، ثم أخذ يفيض على البلاد المجاورة حتى عمَّ أكثر ربوع العالم.

وقد أطال بدر الدين بما لا محل لنقله إلاَّ أنه ذكر اصطدام الجيش الإسلامي الذي يقوده زياد بن صالح الذي بعثه أبو مسلم الخراساني في موضع يسمَّى «تالاس» فكانت معركة فاصلة للعرب على الصينيين في سنة ٧٥١ م (١٣٤ هـ) وكان قائد القوات الصينية «كاوشيان چي KAO CHIAN CHI» وبناء على رواية الأستاذ «برتولد» أن العرب قد قتلوا في هذه المعركة الفاصلة ٥٠,٠٠٠ من جيش الصين عدى ما أسروه من عدد هائل من الأسرى يبلغ ٢٠,٠٠٠ رجل.

ثم ذكر مساعدة المسلمين لملك الصين «سو چونغ SU TSUNG» » بعد فرار أبيه «يونغ چونغ» وكانت تلك الحروب من سنة ٧٥٥ - ٧٥٧م (١٣٨ - ١٤٠ هـ) شنَّها ثائر إسمه «اللوشان» فكسرت جيوشُ الإسلام جنود الثائر ومزَّقتها وردُّوا سلطة الحكم إلى الأمبراطور «سو چونغ».

وذكر بدر الدين إشارة الوزير ليمي على امبراطور الصين بقوله: لىس من مصلحة الدولة ان تبقى منقطعة عن الأواغرة بعد استخدامهم

في دعم أركانها، فان الصلح مع الأواغرة شمالا، والاتصال ببلاد «يونان» جنوباً وايجاد الرابطة مع الهند والعرب غرباً من الأمور التي يجب أن لا تؤجل على أي حال من الأحوال، فقال الأمبراطور: لماذا؟ قال: إن الصلح مع الأواغر قوة تمنع هجوم التتار على الحدود، والاتصال ببلاد يونان خطوة في ضمها إلى الأمبراطورية، وأما العرب فأقوى الشعوب في هذه الأيام، وأما الهند فقد أظهرت ودَّها للصين من قديم الزمان».

قال: وفي تاريخ «ممالك چين» لمؤلـفه كاركون ما يأتي «مما هو جدير بالذكر في آخر عهد «سو چونغ» الذي حكم الصين سبع سنوات من ٧٥٦ - ٧٦٢م (١٣٩ - ١٤٥هـ) أن سفيراً ورد من بغداد يحمل التُحف والهدايا فودَّعه بالتعظيم الوافر والإكرام الفائق».

قال: وكان ملك الختن وأمراء تركستان أوفدوا سفراءهم إليه، وقد بعث إليه هدية نفيسة المطيع لله أبو القاسم من خلفاء بغداد في سنة ٣٦٢هـ مرفقة برسالة المودة والإخلاص».

وقد بدأ الإتصال في زمن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين، لأن تاريخ الصين يشهد بوصول وفد من العرب إلى عاصمة الصين في السنة الثانية من عهد يونخوي، وهي توافق سنة ٦٥١م (٣٠ - ٣١هـ) فأخبر الوفد الإسلامي امبراطور الصين بأن الله بعث محمداً ﷺ من بين العرب داعياً إلى التوحيد وفهم معاني الحياة والعقل، واقتفى أثر هذا الوفد وفود آخرون. وقد ذكرت أخبار الوفود في تاريخ الصين لعهد «تانغ» لقد سجل مع كتب الصين القديمة وصول أربعة وثلاثين سفارة من بلاد تاشي (العرب) في قرن ونصف قرن (من ٦٥١ - ٨٠٠م و٣٠- ١٨٤هـ).

أقول: يا ليت شعري من أين نجد تاريخاً لأندونيسيا قديماً يدلنا على

وفود الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين إلى جزائر اندونيسيا وملوكها وشعوبها. وما السبب في حفظ الصين لهذه الأخبار القيمة وضياعها في اندونيسيا؟.

«ومن تاريخ تانغ نعرف أن سبع عشرة سفارة قد وردت من العرب إلى عاصمة الصين في زمن الأمويين، وخمس عشرة في زمن العباسيين، فالسفارات السياسية ابتدأت من سنة ٧٥٢م (١٣٥هـ) وما قبلها من الأمويين».

يقول جنويو انكوي: في الشهر السابع من السنة الرابعة لعهد «كاتي يوانغ» وهي توافق سنة ٧١٦م (٩٨هـ) وردت سفارة مبعوثة من أمير المؤمنين سليمان (أي سليمان بن عبد الملك) لتقديم هدايا إلى امبراطور الصين، وكانت مشتملة على عباءات منسوجة من خيوط الذهب والعقيق ورشاشات العطور وأشياء نفيسة خاصة ببلاد العرب... الخ».

وأهم السفارات بعد قيام الخلافة العباسية في سنة ٧٥٠م (١٣٣هـ) وابتدأت بذلك العلاقات بين خلفاء بغداد وأباطرة الصين، ومن السفارات أو من أهمها كان من قبل أبي العباس وأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد، والعباسيون في تواريخ الصين يعرفون باسم «خشي تاشي» أي العرب ذوي الملابس السود، تميزوا بها عن الأمويين الذين عرفوا باسم «شي تاشي» أي العرب ذوي الملابس البيضاء.

وبناءً على ما ورد في «جنويوانكوي» أن هذه السفارات وقعت متتابعة في سنة ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٨ و ٧٦٠ و ٧٦٢ و ٧٦٩ و ٧٧٢ و ٧٨١ و ٧٩٨م يقابلها من السنين الهجرية على التوالي ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٥ - ١٥٢ - ١٥٦ - ١٦٥ - ١٨٢ هجرية.

ثبت أن أول وفد رسمي وصل إلى الصين في زمن الخليفة عثمان بن

عفان رضي الله عنه، ويظهر أنه أوفد أيضاً إلى جاوا وما حولها لأنه مكث في سيره بحراً نحو أربع سنين.

وذكر صاحب نخبة الدهر ان الإسلام دخل اليها سنة ثلاثين في زمن خلافة عثمان.

قال بدر الدين الصيني في كنابه «العلاقات بين العرب والصين»: يقول «جيو تاغشو» وكتاب تاع القديم ان وفداً من العرب وصلوا إلى عاصمة الصين في السنة الثانية لعهد يونخوي، اي في سنة ٦٥١ م فمثلوا بين يدي الامبراطور يقولون ان ملكهم يلقب بأمير المؤمنين وحكومتهم اسست من ٢٤ سنة، وقد مضى منهم ثلاثة ملوك حتى الآن[١] وهذا المصدر يذكر وصول وفد آخر من العرب بعد أربع سنوات في سنة ٦٥٥ م، ويوجد حديث عن هذا الوفد في كتاب تاغ الجديد فيؤكد هذا القول ما ورد في «تهوغ ديان» ببيان عن العرب قائلاً: إن وفداً من العرب قد ورد عاصمة الصين ايام يونخوي فوصف بلادهم بما يلي:

«إن بلادنا بغرب إيران وغلبنا عليها وعلى بلاد الشام، وعندنا نحو ٢٠٠٠,٠٠٠ و ٤ مقاتل. لا شيء يستطيع أن يسد طريقنا اينما نتوجه، ولنا حكومة قد مضى عليها ٣٥ عاماً بعد التأسيس، وعلى العرش الملك الثالث[٢]».

والسفارات التي بعثت إلى عاصمة الصين في عصر بني أمية وجدناها في «جفويوانكوي» كانت في السنين الآتية: ٦٥٥ - ٦٨١ - ٧٠٣ - ٧١١ - ٧١٦ - ٧١٩ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٣ - ٧٤١ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٧م.

---

(1) THE OLD TANG SHU P. 198.

(2) ANCIET CHINAS RELATION WITH THE ARABS, P. 53.

الموافق للسنين الهجرية: ٣٥ - ٦٢ - ٨٤ - ٩٣ - ٩٨ - ١٠١ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١١ - ١١٥ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٠هـ.

وقد وقفت على مؤلفَيْن لبعض المعاصرين من مسلمي الصين، أحدهما بدر الدين وقد ألف كتابه وهو ببلاد فارس بعيداً عن مصادر التاريخ الصيني وكتبه، ومع ذلك ففد ذكر جملة كافية، ووعد بجمع كتاب أكبر وبيان أطول، مع أن كتابه هذا اشتمل ٣١٧ صفحة في تسعة أبواب، وأنا أذكر أسماء الكتب الصينية ليعرف الفرق بين تاريخ الصين الذي بقي محفوظاً وتاريخ جزائر الهند الذي لعب به وشتته المستعمرون والمستشرقون.

١ - أصل المسلمين في الصين (هوي هوي يوان لاي).
٢ - الهيات الصين.
٣ - تاريخ شيا جاغ.
٤ - تاريخ تاغ القديم والجديد.
٥ - تاريخ ميغ.
٦ - قهوغ جياغ.
٧ - جوفانكي.
٨ - الدراسات عن تاريخ الإسلام في الصين.
٩ - ديوان لغات الصين.
١٠ - مجلة توه جوه م ٢ ج ٥.
١١ - مجلة سين باو ١٥ /١١ /١٢٣٤م.
١٢ - مختصر حضارة الصين.
١٣ - علاقة الصين القديمة بالعرب.
١٤ - علاقة الصين القديمة بالتركستان.
١٥ - النسل من العرب (شي لاي تشوغ بو).

والمنتظر من الاندونيسيين بعد التحرر ان يبحثوا عن التاريخ الصحيح، فقد صار التاريخ المحرف الملفق ستاراً كثيفاً دون إستجلاء الحقائق، والله المستعان.

وثانيها كتاب الصين والإسلام تأليف محمد تواضع (رئيس البعثة الصينية في مصر) وهو في ١٨٢ صفحة.

المسلمون في الصين

في أواخر القرن الثالث عشر أسلم المغول فاطمأن المسلمون، ولكنهم فقدوا مميزاتهم الجنسية، وتقلدوا المناصب، وكان في كل مدينة - كما يقول إبن بطوطة عام ١٣٣٣م - أحياء للمسلمين، ولهم فيها مساجد. وكذلك في عهد أسرة يانغ، ولما تولّت أسرة تشانغ عام ١٦٤٤م إضطهدت المسلمين فثاروا.

ولما أعلنت الجمهورية عام ١٩١١م أيَّدها المسلمون. وقامت الحرب بين الصين واليابان وانضم المسلمون إلى القتال بناءً على إعلان «ماوسي تونغ» بأن الحرية قادمة وأن للمسلمين أن يحافظوا على دينهم وتقاليدهم.

في خلال القرن التاسع عشر ثار المسلمون في يونان - وكان ماوسي تونغ فيها - بقيادة المسلم «تي وي هيو» المعروف باسم سليمان. ثم أخمدت الثورة بعد ١٣ عاماً.

وإذا ثبت ذلك الإتصال العظيم بين العرب والصين، وهي أبعد، والجزائر الشرقية إنما هي على نحو من منتصف المسافة فالصلات السياسية والتجارية والعلمية والدينية كانت بين العرب وهذه الجزائر أكثر وأكبر وأمتن وأوثق، ولكن تواريخ البلاد أخذها الأقوياء فأتلفوها أو كتموها.

وفي عام ١٨٦٤م ثارت «سينكيانغ» بزعامة يعقوب، وانتشرت الثورة في شمال الصين الغربية، وهدف الثوار المسلمين تكوين دولة إسلامية. ثم أخمدت الثورة عام ١٨٧٨م.

وأغلب المسلمين اليوم في «سينكيانغ» وفي بعض المقاطعات، يونان وهونان وغيرها، ولهم نواب في المجالس ويشغل بعضهم المناصب السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

أما عددهم فلم يجر إحصاء دقيق، والأقوال مختلفة. وقد ذكر لي رئيس الوفد الصيني الإسلامي عام ١٩٥٥م عندما وصل إلى إندونيسيا أن عدد من المسلمين عشرون مليونا، وقال أن هذا هو الصحيح.

وفي إبان الثورة الثقافية تعرضوا للضغط فتوقف نشاط جمعياتهم زمناً وأغلقت المساجد. ولم يمر زمن طويل حتى عادت الأمور إلى ما كانت عليه.

ويوجد منهم الآن عدد في الجامعة الأزهرية منحة من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكان عدد منهم في الماضي قد تخرجوا في الأزهر.

متاجر العرب في الشرق الاقصى

وتعني بمتاجر العرب البضائع التي يوردونها الى الشرق الاقصى، والتي يأخذونها من الشرق الأقصى إلى بلاد العرب.

وقد ذكر المؤرخون ان تلك البضائع لها طريقان، أحداهما من الخليج الفارسي إلى العراق ثم يذهب إلى الشام فبلاد الروم فأوروبا. وثانيتها تذهب إلى عدن ومراسي اليمن ثم يحمل في البحر الاحمر إلى القصير، ومنها ما كان ينزل إلى سواكن، وتحمله قوافل «البجا» الى مصر، وفي ذلك أخبار واوصاف، ومن مصر تورد إلى الاسكندرية ثم يحملها التجار في السفن الى أوروبا.

وتلك المتاجر منها الارز والنارجيل والاعشاب والمعادنَ ونحو ذلك من البضائع الثقيلة، ومنها ما خف وزنه وثقل ثمنه كالمجوهرات والذهب والفضة وأنواع الأطياب والعقاقير والادوية المختلفة.

وهذه التي أطال العرب في كتبهم في وصفها، فمثل العود، عود البخور ذكروا منه نحو عشرين نوعاً، وكذلك المسك والكافور والعنبر. ونحن نذكر هنا بعض ما جاء في كتبهم لاكله، وكان المجلوب منها إلى البلاد العربية يفوق حد التصور، وكان المخزون من ذلك في خزائن خلفاء العباسيين والفاطميين بمصر يدل على غنى عظيم وتجارات كبيرة.

ذكر العرب من المجلوبات من الشرق المسك، وذكروا أن أفضله التبتي الذي يؤتى به من موضع يقال له «ذوسمت - ذوجمت» بينه وبين التبت مسيرة شهرين، ومنه ما يؤتى به من بلاد الصين.

وقد أطال في ذكر مواضعه وحيواناته وكيفية جمعه والحصول عليه المؤرخ أحمد اليعقوبي، ومحمد بن أبي العباس المسكي. بل ذكروا ما يرعاه غزال المسك.

قال الشاعر العكلي:

تكسو المفـارق واللبـات ذا أرج   من قصب معتلف الكافور درَّاج

سمي حشيشته الكهمسة التي هي من مراعي غزال المسك.

ومن أطال في ذلك الحسين بن زيد السيرافي وهو من أهل الخبرة ببر الصين، وقال: إن الارض التي بها ظباء المسك الصيني والتيبتي أرض واحدة لا فرق بينها، وأهل الصين يجمعون ما قرب منهم، وكذلك أهل التبت.

وكذلك محمد بن أحمد بن الخليل بن سعد التميمي المقدسي في كتابه المسمى بحبيب العروس وريحان النفوس.

وفي كلامهم من معرفة جغرافية البلاد ولطيف خصَائصها ما يدل على معرفة جيدة لهذا الشرق بحراً وبراً.

قالوا: أجوده ما حمل من التبت إلى بلاد الصغد، ثم حمل على الظهر الى خراسان ثم الى الافاق، ثم الهندي الذي حمل من ارض التبت براً الى الديبل (كراشي)، ثم حمل في البحر الى سيراف وعدن وعمان وغيرها من النواحي. ثم المسك الصيني وهو دونه لطول مكثه في البحر وما يلحقه من عفونة هوائية ولعلة اخرى وهي اختلاف المرعى، وكانت المقادير التي يتاجر فيها هائلة.

الكافور:

ومن متاجرهم الكافور، وقد ذكر في القرآن. على ان اليونان والرومان لم يعرفوه، وهو عندهم انواع، منه الفنصوري نسبة الى جزيرة فنصور. قالوا: وهي جزيرة محيطها سبعمائة فرسخ، وفنصور من سومترا، والكافور المنسوب اليها افضل مما عداه، ومن مضانه موضع

يعرف بارسير والزابج، والمنسوب إليها (أي إلى جزيرة الزابج) أدنى أصنافه. ومن أصنافه الرباحي نسبة لملك اسمه رباح (أورباه) وأجود الرباحي الفنصوري، ومن الرباحي نوع يسمى «المهنشان» وبعده صنف يعرف بالسرحان، وصنف يسمى «موطيان» وصنف يعرف بالرقوق، وصنف يعرف بالاسفرام، وهو غثاء الكافور، وبعده صنف يسمى الكندج يشبه لونه نشارة الساج.

وقد ذكروا وصف كل صنف منه فتركت ذكر ذلك للاختصار. ان كل هذه الاصناف لا تدخل في الادوية الاّ الرباحي المجلوب من ارض فنصور فانه لا ينبغي ان يستعمل في الطيب غيره.

العنبر:

وافضله الشحري ثم الزنجي وهو الذي يؤتي به من بلاد الزنج الى عدن، وبعده العنبر الشلاهطي، وشلاهط بحر عظيم بعد بحر هركندا مشرقاً، وهذا البحر فيه جزيرة سيلان. هكذا ذكره المسعودي في كتابه «التنبيه والاشراف».

وقال كونراد ميللر في تعليقاته على خرائط الادريسي ان شلاهط هذه هي المعروفة الآن بجزيرة بلاوان وهي احدى جزر الفلبين. ثم العنبر القاقلي، ويظهر من وصفهم انهم يريدون بقاقلة جانباً من جزيرة بورنيو كالرابح او الزنج. قالوا وهو دون الشلاهطي، ويؤتى بهذا العنبر من بحر قاقلة الى عدن. وبعد القاقلي العنبر الهندي يحمل الى البصرة وغيرها. وعنبر الكرك بالوس منسوب الى قوم يجلبونه فيشتريه منهم اصحاب المراكب واصحابه يأتون به الى قرب عمان.

العود:

ذكروا ان معدنه ارض الهند، وهذا اطلاق عام دخلت فيه جزائر

الشرق، وذكروا منه انواعاً تختلف صفاتها ومواضعها او البنادر التي تصدر منها، واختلفوا في الافضل من انواعه، فقال بعضهم ان افضله واجله المندلي نسبة الى مندل، وهي وسط بلاد الهند، فربما انه كان ينبت هناك او يجلب ويجمع ببنادر المندل ثم يأخذه التجار.

قالوا وهو يجلب من ثلاثة مواضع من أرض الهند، فافضل ذلك القامروني وهو ما جلب من القامرون، والقامرون مكان مرتفع من الهند. ومن هذا نفهم انهم يطلقون اسم الهند حتى ما كان غربي الصنف وشمالها، اي بلاد ايندوچينا.

قال ابو الفداء: ان جبال قامرون هي حجاز بين الهند والصين، ثم نقل عن المهلبي ان مدن كامرون منها «كوكرا» و «اكشميون» و «مراس» وهي كورة في آخر بلاد قامرون واول بلاد الصين. وقامرون تكتب في الخرائط العصرية كامرون بالكاف. قالوا وهو اغلى العود ثمناً وارفعه قدراً.

قلت: وهذا الذي يسمى على ألسنة اهل حضرموت بالماوردي، وقامرون ومندل مواضع العود لها شهرة عند العرب، وقد جاء ذكرها في شعر العرب.

قال ابن هرمة وهو من شعراء المدينة في القرن الاول للهجرة النبوية شعراً:

احـــب الليـــل ان خيـــال سلما   اذا غنـــــا الّم بنـــــا فزارا
كـأن الركـب اذ طرقتـك بـاتوا   بمنـــدل أو بقـــارعـــتي قمارا

يعني ان ريح طيفها وخيالها فاح على الركب برائحة بخور العود،

حتى كان الركب بات اصحابه بمندل او بطريقي قمار البحري والبري حيث معدن العود الطيب.

ولما أبطأ أمير المدينة فأخَّر الصلاة على إحدى الجنائز ذهب أهل الجنازة فاشتروا عوداً للبخور بستمائة دينار. فتأمل وجود المقادير الكبيرة في ذلك العصر أول الاسلام في المدينة البعيدة من ساحل البحر تعرف أن نقل متاجر الشرق جرى بسرعة وكثرة من أول الاسلام وقبله.

والصنف الثاني من العود السمندوري يجلب من بلد سمندور وهي بلاد سفالة الهند، قال ابن سيناء المراد بسفالة الهند بلد من بلاد الصين آخر بلاد الهند، ولكن ورد في كتابه «المادة الطبية» سمندور التي هي بلد في أقصى الهند. وقال بعض الغربيين كانوا يطلقون ذلك على بلاد الملايو. واذا صح هذا فحقيقته أنه وجد في بعض العصور عاصمة تسمى سمندور ببلاد الملايو، كما كانت الشهرة لمدينة «كله»، ثم تحوَّلت التجارة والشهرة لمدينة ملاكا.

وقد جعل بعضُهم العود السمندوري أرفع وأفضل من العود القماري، وكان يجلب نوع من العود ذو خمرة وعبق من ولاية «قاهانغ» ودام نقله إلى أوائل هذا القرن، ثم اشتغل أهل بلاد الملايو بغرس المطاط وقلعوا ما كان في مزارعهم من أشجار القرنفل والاصباغ.

ثم العود الصنفي وهو ما يجلب من عاصمة صنفا، وكانت صنفا أو چامڤا قريب من بند. -يكون كما حرره الاستاذ المؤرخ السيد أحمد بن عبد الله السقاف، ونقله عن خرائط قيمة.

قال ابن أبي يعقوب: بعد العود القاقلي العود الصنفي، ويجلب من بلاد يقال له الصنف بناحية الصين وبين الصنف والصين جبل لا يُسلك، وهو أجل الأعواد وأبقاها في الثياب» اهـ.

ثم قالوا: إن شجرة العود الصنفي أعظم من شجر الهندي والقماري ثم العود الصيني وهو عود حسن وأفضل أنواعه القطعي.

قال أحمد بن أبي يعقوب: ومن العود أيضاً صنف يسمىَّ القشور، ومن الصيني أصناف أخرى، منها المنطائي (نسبة إلى منتأ أو منتؤ) وصِنف يعرف باللوقيني بلد في أول الصين، ومنه العود الكلاهي (كله في ڤيراق).

وبعده العود الفولاتي من جزيرة تسمىَّ الفولات (أو أولات) بناحية قمار من أرض الهند، وبعد اللوقيني المنطائي وهو من شجر بجزيرة تسمىَّ منطأ.

وبعده الريطائي من جزيرة تسمىَّ «ريطا» ثم العود السمولي، والعود الرانجي، ومن أنواعه الجلابي واللواقي والريطائي واليوناحي والافليق.

وكان له بعدن صيت عظيم لأنها صارت كذلك مركزاً لخزن المتاجر حتى تحملها المراكب إلى الجهات المختلفة، وكان من منتوجاتها القرطاس والطيب المعمول بها لا يعرف سره غيره يتنافس فيه التجار فكان يحمل إلى جميع الأقطار ويتهادى به الملوك ويحمل إلى الصين، كما كانت مراسي الهند وسيلان مراكز تجارية.

وفي القرن التاسع عمرت «كاليكوت» وكانت مركزاً تجارياً للعرب ومخزنا للبضائع، وكان في سومترا عدة مراكز منها فاليمبانغ.

وكان الصندل المقاصري (المكاسري نسبة الى مكاسر) هو أعلى أنواع الصندل.

ومن صادرات البلاد العربية الخيل يطلبها أهل الصين والهند، بل كانوا يطلبون جنوداً من بلاد العرب.

وكانت الصين مختصة بالمنسوجات الحريرية، ثم أخذت ذلك

خراسان، وكان لبلاد الاشمونين المصرية تفوق عظيم في النسيج فكان من جملة المتاجر التي تصدر إلى الآفاق.

وفي التاريخ أن الشريف بركات الذي كان والياً على مكة من سنة ٩٠٣ هـ وتوفي سنة ٩٣١ هـ بعث بهدايا مكونة من الخيل والابل والصوف والمرجان والأحجار الكريمة وسكاكين مصنوعة من عظام الاسماك.

وأمر إمبراطور الصين بجلب الخيول العربية في سنة ١٥٠٦ م (٩١٢ هـ) وكانت العلاقات بالصين في القرن الخامس عشر للميلاد (أي القرن التاسع الهجري) متصلة بأمارة ظفار والأحساء وعدن.

ولما سافر الحاج جهان من الصين إلى عدن واليمن ومقدشوه ومكة لتأكيد الصلات التجارية أمر الحاكم - وهو يومئذ من بني رسول - رعاياه أن يخرجوا إليه ما لديهم من المتاجر النفيسة ونوادر البضائع فيبادلوا بها ما معه.

قال بدر الدين، ولقد سافر أمير من أمراء الصين وهو من عائلة « تشو » إلى عدن في سنة ١٤٢١ م (٨١٥ هـ) فحصل في سوقها عين الهرة بلغ وزنها مثقالين، ومرجاناً وبلغ علوه ذراعين فرجع، وبها الاشياء الأخرى النادرة كاللآلي واليواقيت مختلفة الألوان، والزرافات والأسود والفهود المنجمة الأجسام والنعام والكراكي، وكانت هذه الأشياء لا تبلغ ما في عدن من نفاسة وبداعة، يوجد في أرضها فواكه مختلفة الانواع، وأنعام مختلفة الأجناس الاّ الارز والخنزير، ومصانع للأواني الفضية والذهبية.

وكان يصدر من ظفار إلى الصين الكندرو القاطر (وهو دم الاخوين ومن أسمائه العندم، ثمر أحمر يصبغ به فيدخل في الادوية) والكافور وغيرها من البضائع، ونوع من النعام شكلها شكل الطاووس رجلها تبلغ

وكانوا يهادون به اباطرة الصين، وكانت الصين تستورد أنواعا من السمك المجفف من ظفار وسواحل حضرموت يرسله أهل سيلان. وبقي ذلك إلى عصر قريب. ومما يرد إلى الصين ويصدر عنها نوع من الثياب الحريرية يسمى «البرنيان» منه الأحمر ومنه الملوَّن. ومما يرد اليها سرر كلاب البحر وأذنابها وزعانفها والتمر والتوابل والمنسوجات الصوفية، كما ترد هذه الاشياء الى الصين ترد إلى ما تنفق فيها من الجزائر الهندية، هذا عدى المعادن المعروفة من الذهب والفضة والحديد والرصاص وأنواع الأحجار الكريمة. وأما الادوية والعقاقير كاللبان - وهو الكندر بالفارسية - فقد قال الأصمعي ثلاثة أشياء لا تكون الاّ باليمن وقد ملأت الارض الورس واللبان والعصب، يعني برود اليمن، وصمغ المقل وهو من جبال اليمن والشحر، ويدخل في الأدوية، وأصابع فرعون وهي أحجار تمتّد كالقصب فارغة ولكنها أعرض ولها صوت كصوت الحجر تتولد بأطراف اليمن مما يلي الشحر وعمان تستعمل لقطع نزيف الدم والحام الجراح وتحليل الأورام.. الخ. وأظفار الطيب والأقاقيا وهو من جنوب البلاد العربية، وغير ذلك كالاكتمت وحجر الولادة والماسكة، والبنك قشر يمني خفيف عطري، والبن اليمني وهو أغلى أنواعه وأرفعه، وحبيرة ثمر شجر كالنارجيل ولكن لا ليف له للاسهال المزمن ونزيف الدم.. الخ، والرند والصبر والمر والصمغ العربي والعقيق والموميا.

ومما كان يجلب من بلاد الصين وجزائر الهند الشرقية من العقاقير الراوند والدارصبني، وملح البارود (الى أن وجده العرب في جبالهم وهو كثير بجبال حضرموت) وبربخ وتوتيا ودند وماميران وشاه صيني وسرطان حجري، وسنبادج وصندل من بلاد صندابور كله أو كلاه، وكافور وماء السمك الصيني والشاي وغير ذلك.

قال سيديو - وقد تقدم ذكره - وكان الذهب والعطور مما يصدر من موانيء جزيرة العرب، ولكن العرب يستخرجون من الجزر الهندية معظم المعادن الثمينة والأفاويه التي يرسلونها الى الخارج من خلجان بلادهم الى فارس.

وقال غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: لم يعرف القدماء (يعني قدماء الغربيين) من بلاد العرب سوى الشيء القليل، ولم يتحدث «هيرودوتس» عنها في اكثر من بضع كلمات. ولا يؤبه للأخبار الناقصة التي أتى بها إسترابون، وديودورس الصقلي وهما اللذان أسندا الى بلاد العرب من المنتجات ما كانت تصدره إليها بلاد الهند فتصدرها الى الخارج».

وذكر بطليموس، ويظهر أنه عرف بلاد العرب أحسن مما عرفه أولئك: أنه كان في بلاد اليمن مئة وسبعون مدينة، وعدّ من هذه المدن خمس عواصم.

ومعرفة الرومان ببلاد العرب ضعيف إلى الغاية، وحاول الرومان تدويخ بلاد العرب التي كانوا يعتقدون انها تنتج من التوابل والابازير والعطور والنسائج (المنسوجات) والاحجار الكريمة ما كانت تستورده بالحقيقة من بلاد الهند والصين، ولكنهم (أي الرومان) الذين كانوا سادة العالم لم يستطيعوا أن يقهروا قبائل البدو العربية التي إحتمت بكثبان الرمال وجوّ البلاد».

وقال في موضع آخر: وكانت عدن فيما مضى زاهرة كثيرة السكان، فمما قاله العالم الجغرافي الادريسي عنها منذ ستمائة عام أنه يجلب إليها من السند والهند والصين ثمين الادوات كنصال السيوف المرصعة والجلود المحببة والمسك وسروج الخيل والفلفل والبهار (انواع الزهور والاطياب) والنارجيل والابازير والهال والقرفة وقشر العفص والاهليلج والأبنوس

وقشر السلحفاة والكافور وجوز الطيب والقرنفل ومختلف المنسوجات النباتية والثمينة والمخملية (كمخا) والعاج والقصدير ونخل الهند (النارجيل) والقصب والند والمر الصالح للتجارة ».

ولع الخلفاء وملوك الاسلام وأهل اليسار بمحاصيل جزائر الهند من الأطياب

ذكر صاحب نهاية الارب قصة لحسين بن برمك مع المنصور العباسي خلاصتها أنه رأى المنصور يتبخر بالعود القماري، وكان الحسين بن برمك قد اختبر العود الهندي وما به من خمرة وعبق ومرارة وبقاءه فوصفه للمنصور، فأمر بجلبه وفضله على غيره.

وهذا وصف العود الذي كان يجلب من «ثاهانغ» وغيرها من بلاد الملايو، ومن قرأ ما ذكر في التواريخ عما كان لدى الخلفاء والملوك من مدخرات العود والمسك والعنبر وجد أمراً عظيماً، حتى أن منهم من يدخر منه أدقالاً، وهذا يكون من العود الصنفي لعظم شجره، ومنهم من وجد لديه منه شجرة باكملها، فكأنهم كانوا يقترحون على التجار أن يأتوهم بتلك المطالب التي لا يتأتى التمكن منها الاّ بما ذكرنا أن تجار العرب (وإذا قلنا تجار العرب دخل تجار الاسلام) قد عرفوا مسالك جزائر الهند القصوى واختبروها ومازجوا أهلها وساحوا في اكنافها واخترقوا غاباتها، لان العود والكافور والمسك انما كان يجلب في تلك العصور من هذه الجزائر، والمسك يجلب من التبت والصين، وقد يجلب الآن من الحبشة.

قال المقريزي وهو يعدد الأسواق المختلفة التي كانت بالقاهرة «سوق العنبر»: وكان للعنبر بديار مصر نفاق، وللناس فيه رغبة زائدة لا

يكاد يوجد بأرض مصر امرأة إلاّ ولها قلادة من عنبر، وكان يتخذ منه المخادّ والكلل (جمع كلة وهي ستر الأريكة = الناموسية) والستور وغيرها، وتجار العنبر يعدون من بياض الناس (يعني أهل المروآت والحشمة) ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء واجلّة».

وقال عن خزائن الجواهر والطبب والطرائف: للحكومة الفاطمية التقط منه هناك ما كان محلوبا من جزائر الهند الشرقية (اندونيسيا) والصين. «منها عدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملؤة كافورا فنصوريا (سومترا)، وعدة من جماجم العنبر الشحري، ونوافج المسك التبتي وقوايره وشجر العود وقطعه، ومئة قاطرمين مملؤة كافورا فنصوريا».

فتأمل وجود أشجار كاملة، هل يحصل عليها إلاّ بتوصيات ومواصفات وبتيسير الاتصال بجاليبها من سكان الغابات وعمار البساتين وبوادي جبال الصنف، وغابات كاليمانتن وجبالها. وبانتشار التجارة وانسياح التجار في البلاد وحلولهم بكل مكان من جهات هذه الجزائر وما والاها من الهند الشرقية وجبال القامرون وصحاري التبت ومدن الصين وموانيها، وبتمكن من الوفاء بالحصول على مقترحات التجار على سكان الجزائر المتاجرين، وهذا يدل على امتزاج بين الفريقين، وبهذا السبب انتشر الاسلام وجاء الدعاة فوجدوا أمراً مهيأً.

قال: ووجدت في القصر خزائن مملوأة من سائر أنواع الصيني، منها اجاجين صيني (جمع إجانة) كبار محلاّة (أي محلاة بالذهب)، كل اجانة منها على ثلاثة أرجل على صور الوحوش والسباع[1]، قيمة كل قطعة

(١) ذكرني هذا بالآثار التي تحصلت عليها عندما حفرتُ في بعض الاماكن بحضرموت، فقد وجدت ما هو على ثلاثة قوائم، وأواني عليها تماثيل اسود أو غزلان أو بقر من قطعة واحدة من المرمر الاصفر غالباً.

منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب، ووجدت عدة أقفاص مملوأة ببيض صيني معمولة على هيئة البيض في خلقته وبياضه يجعل فيه ماء البيض النيمرشت، ووجدت عدة صناديق مملوأة مرايا حديد ومن صيني ومن زجاج الميناء ما لا يحصى ما فيها كثرة، وأخرج من الخزانة من تماثيل العنبر إثنان وعشرون ألف قطعة، أقل تمثال وزنه إثنا عشر منّاً، وأكبره يجاوز ذلك. ومن تماثيل الخليفة مالا يحدّ من جملتها ثمانمئة بطيخة كافور، وخمسة صواري (أدقال) عود هندى، كل واحد من تسعة أذرع إلى عشرة أذرع، وكافور (فنصوري) سمطري زنة كل حبّة من خمسة مثاقيل إلى ما دونها، وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال، ومثارد صيني محمولة على ثلاثة أرجل ملء كل واحدة منها مائتا رطل من الطعام، وبطيخة من الكافور في شباك من ذهب مرصعة، وزنها خالصة سبعون مثقالاً من كافور، وقطعة عنبر تسمىَّ الخروف وزنها ثمانون منّاً، وبطيخة عنبر أخرى وزنها ستة عشر ألف مثقال».

ومما يستنفد العجب أن المؤرخ المقريزي ذكر فيما وجد من ذخائر أخت الحاكم بأمر الله الملقبة بست الملك أنه كان في جملة موجودها نيف وثلاثون زيراً صينياً مملوءة جميعها مسكا مسحوقاً.

خارطة منسوجة بالذهب

بساط من الحرير الازرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ٣٥٣هـ (٩٩٤م) فيه صورة أقاليم الارض وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه جغرافيا، وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق أسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير (وكتب) في آخره «أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً إلى حرم الله وإشتهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة... والنفقة

عليه إثنان وعشرون ألف دينار ».

وبهذه المناسبة نذكر ما جاء في دائرة المعارف الوجدية تحت عنوان « جغرافية العرب » قالت دائرة معارف لاروس إذا أراد القارىء أن يجد في القرن الحادي عشر (القرن الرابع الهجري) عجيبة من العجائب الجغرافية، فلا يبحثن عنها في اوروبا التي كانت وصارت اذ ذاك بربرية، ولكن يبحث عنها عند العرب، كان الخلفاء كلما امعنوا في الفتوح أمروا برسم الاراضي التي يقهرونها، حتى ان الخليفة المأمون أمر بقياس درجة من درجات العرض سنة ٨٣٣م (٢٠٨م) وهي الدرجة الواقعة بين الرقة وبالمير ».

وفي الكتب الجغرافية العربية ذكر للجغرافية الارضية المصورة مع الارتفاع والانخفاض التي عملت لهارون الرشيد.

وفي أخبار الحجاج أمره بتصوير المدن الخصبة التي تعذّر فتحها، فصورت له فأمر بالهجوم عليها من ناحية عينها له ففتحها.

معارك بين البرتغاليين وعرب حضرموت

وكانت مصادمات في البحر والبر بين البرتغاليين وعرب حضرموت في أفريقيا الشرقية. في موزانبيق، وبتّة (بطي) وكيلوه، وفي سواحل المهرة والشحر، وأسروا منهم سبعين رجلاً بالشحر.

هُرمُز

تكتب عند الغربيين: كورموز، أورموز، أورميز، وتقع في مدخل خليج عمان، أسسها الملك الفارسي أردشيربن بابك (٢٢٤ - ٢٤١ م) وكانت مركزاً تجارياً.

وبعد انتشار الإسلام بأرض فارس هاجر كثير من العرب، ولا سيما من الطالبيين إليها من عمان واليمن وغيرها، واستوطنوها فكانت لهم بها تجارات إلى بلدان الشرق حتى الصين، وإلى أفريقيا.

في عام ٧٠١ هـ (١٣٠١ م) دمَّر المغول هذه الجزيرة وفتكوا بأهلها، وكان عليها الملك بهاء الدين السيفي، فهجرها أهلها إلى جزيرة قيس وجرون، فسميت جرون هُرمزاً، ثم استعادت قوتها وتجارتها وامتد ملكها إلى سواحل الجزيرة العربية وسواحل إيران الجنوبية وإلى البصره والبحرين وجزر الخليج.

ثم إستولى عليها البرتغاليون عام ٩١٣ هـ (١٥٠٦ م) فيما استولوا عليه من أقطار الشرق الاسلامي وعلى البحرين سنة ١٥١٥ م.

ذكرها الشريف الادريسي فوصفها بالنشاط التجاري والعمراني والزراعي، وزارها «مركوبولو» سنة ١٢٩٢ م فذكر أنها مدينة عظيمة ذات تجارة واسعة واتصالات بين الشرق والغرب، وزارها ابن بطوطة، والغربيون قبل استيلاء البرتغال منهم لودويك. وأرثمان. ودورث، فوصفوا تجارتها وأشادوا. وذكروا أن سكانها عرب وايرانيون، ووصفوا أهلها وصفاً حسناً في مآكلهم وأسواقهم ومنازلهم ومراكبهم وما لديهم من أثاث وترف واتحاد في ظل الاسلام.

وقد قال البرتغاليون أنهم ما زالوا يقاتلون مراكز العرب في سواحل أفريقيا والهند الى ملاكا، وبعض تلك الوقائع ذكرها الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد باسخلة الشحري، والطيب محمد بامخرمة، والحافظ الديبعي وغيرهم.

وكان إستيلاء البرتغاليين بقيادة البوكيرك على عدة مدن في الجنوب العربي والخليج ومسقط وغيرها، وحاربهم الشيخ عطار بجيوش المجاهدين من إيران والعرب والبلوش في مئات من السفن الضخمة، وانتصر البرتغاليون بعد قتال مرير، واستسلم الملك سيف الدين على أن يدفع غرامة حربية وجزية سنوية، وأن للعدو حرية التجارة فيها، ولا تنتقل سفينة هرمزية الاّ بأذن البرتغال، وبنى العدو فيها قلعة عام ١٥٠٧م وصاروا يضغطون على المسلمين، وينشرون دينهم ويرتكبون المظالم.

ثم تمكنت إيران من طرد البرتغاليين منها ومن البحرين، وصارت «بندر عباس» المركز التجاري.

وكان بين أمراء الخليج خلافات، ولعل هذه الخلافات من أسباب إنتصارات البرتغال في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي.

وكان هدف البرتغاليين عرقلة أعمال التجارات الاسلامية إلى الشرق والغرب، رغبةً في إحتكار تجارة التوابل من الشرق الأقصى، ولكن لم ينجح هدفهم هذا تماماً، فالسفن العربية والتجارات مستمرة في المحيط الهندي، مع أنهم قد اتخذوا كلَّ وسيلة للحيلولة دون تجارات العرب مع أفريقيا والقضاء على الوساطات العربية بين أوروبا والمناطق الاسيوية، وأهم شيء لديهم إغلاق البحر الأحمر في وجه الملاحة العربية والغارات على الموانىء العربية».

(من فقرات بمجلة المناهل العدد ٢٦ السنة العاشرة. في جمادى الاولى ١٤٠٣هـ/ مارس ١٩٨٣م).

من علم البرتغال جغرافية البحار

إن أوروبا كانت هاجعة في بلادها لا تعلم عن العالم الشرقي الاّ ما قلّ، لكنا فتحنا جانباً في أوروبا ومدَّنا البرابرة الذين دمَّروا مملكة الرومان - كما يقول غوستاف لوبون - فهل كتب علماؤنا السابقون مفتخرين على اوروبا، يقولون لها ولأطفالها في المدارس إننا أول من اكتشف الموضع الفلاني، وفلان منا هو أول مكتشف لمحل كذا، واستمررنا على ذلك القرون بعد القرون؟. كلا، ولكنهم الآن يعلمون أبناءنا أبناء الشرق ممتنين عليهم أن أول من اكتشف تمبكتو فلان، مع أن تجار عرب حضرموت واناس من السادة العلويين كانوا بتلك البلاد في القرن الثاني عشر الهجري.

نعم، ان بعضهم مثل غوستاف لوبون يقولون أن المتكشفين الاوروبيين إنما جاءوا يتبعون آثار العرب أينما ذهبوا، وقد اكتشف أسلافنا بحيرات النيل من قرون قبل نهضة أوروبا.

كلنا يعلم - نحن وهم - أن أول من خرج إلى الشرق هم البرتغال، فمن الذي علمهم؟ رجل منا خدع في نفسه، أو خان قومه فعلَّم البرتغال، وتعلمت سائر دول أوروبا من البرتغال، فهم تلاميذ تلاميذ أحد خونتنا، ذلك هو أحمد بن ماجد السعدي ويقال المهري.

جاء في معجم المطبوعات العربية والمعربة تأليف يوسف إلياس سركيس في صفحة ٢٣٠.

إبن ماجد

شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن معلق السعدي[1] المتوفى بعد سنة ٩٠٠ هـ كان ملاَّحاً يلقب بأسد البحر، وله التصانيف في علم البحر نثراً ونظماً، وهو الربان العربي الذي سيَّر الاسطول البرتغالي بقيادة «فاسكودي غاما» من ماليندي على ساحل أفريقية الشرقية إلى كاليكوت في الهند.

جاء في كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين النهروالي (مخطوط في الخزانة التيمورية): وقع في اول القرن العاشر الحوادث النوادر دخول البرتغان(البرتغال) اللعين من طائفة الافرنج الملاعين إلى ديار الهند، وكانت طائفة منهم يركبون البحر من زقاق سبتة (بالاندلس) في البحر ويلججون في الظلمات ويمرون خلف جبال القمر ويصلون إلى الشرق ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق احد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات في مكان كثير الامواج لا تستقر به سفائنهم وتنكسر ولا ينجو منهم احد، واستمروا على ذلك وهم يهلكون في ذلك المكان، ولا يخلص من طائفتهم احد، الى ان خلص منهم غراب الى الهند، فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى ان دلهم شخص ماهر من اهل البحر يقال له احمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج، وكان يقال له الملنيدي وعاشره في السكر، وقال: لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلاتنالكم

---

(١) وينسب إلى جلفار JULFAR وهو اسم ورد في خريطة الإدريسي. وتسمى الآن «رأس الخيمة» (عن تحفة الأعيان المجلد ٢ ص ١١ ابن ماجد. مجموع في علم البحرين نشره وترجمه جبريل فيراند).

الامواج، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم، فكثروا في بحر الهند وبنوا في كُوَه (بضم الكاف العجمية وتشديد الواو وبعدها هاء) اسم لموضع من داخل الدكن هو تحت الافرنج الآن من بلاد الدكن قلعة يسمونها كوتا، ثم اخذوا هرمز وتقدموا هناك وصارت الامداد تترادف اليهم من البرتغان» اهـ.

قال: ولابن ماجد كتاب «الفوائد في اصول علم البحر والقواعد» باشر الاستاذ غبريال فران بنشره في باريس سنة ١٩١٢م (١٣٣١هـ) بالتصوير الفوتغرافي، وقد طبع قسم منه واضيف اليه بعض رسائل في فن البحر للمعلم سليمان بن احمد المهري المحمدي.

واليك فهرست المصنفات:

١ - رسالة قلادة الشموس واستخراج قواعد الاسوس للمعلم سليمان المهري.
٢ - تحفة الفحول في تمهيد الاصول. له ايضاً.
٣ - العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية.
٤ - المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر.
٥ - ألارجوزة المساة بالسبعية للمعلم شهاب الدين أحمد بن ماجد.
٦ - القصيدة لابن ماجد.
٧ - القصيدة المساة بالهدية.
٨ - شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول لسليمان المهري.

نقول معتمدة عن العرب وتجارتهم ومهاجمة البرتغال لهم

قال في كتاب «تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها» طبع مصر سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) بمطبعة المعارف بشارع الفجالة وقررته وزارة المعارف العمومية لمدارسها الثانوية ومدرسة دار العلوم، وقد ذكر في

أوله أنه مأخوذ عن التاريخ الحديث مجموعة كمبريج، المجلدات ١ - ٨ والتاريخ الاوروبي مجموعة متون المجلدات ٢ - ٦ واتساع نطاق أوروبا، تأليف المستر أدجر المفتش بوزارة المعارف العمومية في ثلاثة مجلدات، وتاريخ أوروبا الوسيط والحديث تأليف ماير، وأوروبا الحديثة للطلبة تأليف لدج، ولويس الرابع عشر وعصره تأليف جابور، وتاريخ أوروبا للاستاذ جرانت، وتاريخ الامة الانكليزية تأليف جرين (النسخة المختصرة) قال في صفحة ٢٤ وما بعدها: لما كان العرب أثناء معظم رقدة أوروبا يمرحون في بحبوحة المدنية ونور العلم لم يألوا جهداً في كشف ما يحيط ببلادهم شرقاً وغرباً طلباً للتجارة التي كانت من أعظم موارد ثروتهم، فكانت تجارتهم في بحر القلزم وعلى شواطىء أفريقية الشرقية إلى جزيرة مدغسكر جنوباً ليس لهم فيها منافس، وساروا شرقاً في طلب التجارة حتى وصلوا إلى شواطىء الشرق الاقصى وجزائره واحتلوا الكثير منها، وأما في الغرب فلم تأل دولهم في الغرب جهداً في كشف الجزائر الخالدات (كناري) وشواطىء أفريقية الغربية.

قال: إن سيطرتهم على شمال أفريقية سهلت عليهم التجول في الصحراء الكبرى والوصول بها إلى البحر حيث بلاد غانة التي اشتهرت بوفرة ثروتها (قال هذا ردّاً لزعم بعض الغربيين أنه لم يقم دليل على أن الغرب وصلوا إلى غانة بحراً) وقد عرفوا هذه البلاد قبل عصر النهضة الاوروبية بمدة طويلة، يدلنا على ذلك ظهورها في مصوّر جغرافي رسمه الادريسي أحد كبار جغرافيي العرب لملك صقلية عام ١١٥٠ م (٥٤٥ هـ).

وقال: «أما أوروبا فكانت في القرون الوسطى لا تعلم عن البحار النائية الاّ ما صوَّره لهم الوهم والخوف من الاخطار والمخاوف التي لا حقيقة لها، فكان القوم يزعمون ان تلك الانحاء مقر الجن والوحوش الجهنمية، أرضها ظلمات بعضها فوق بعض، وبحارها غاصة بالدوامات

والتيارات الغادرة، وفي المحيط الاطلنطي باب جهنم تضيء منه النار فتكسو الشمس حمرة قبل الغروب، وإذا أبحر الانسان جنوباً وجد نطاقاً من نار (خط الاستواء) ليس إلى إجتيازه من سبيل».

إبتداء الاكتشاف الحديث

أول من فتح للاوروبيين باب الاكتشاف المطرد الامير هنري البرتغالي ١٤٦٠ - ١٤٦٤م (٨٦٥ - ٩٠٠هـ) أحد أبناء الملك يوحنَّا الأول الذي أجلى العرب من البرتغال واكمل استقلال تلك المملكة، وقد سمي هذا الامير «هنري الملاح».

وتدل الانباء الصحيحة عنه أن غرضه كان دينياً وأنه يرمي الى العمل على إضعاف المسلمين بكل الوسائل التي في استطاعته خصوصاً أنه كان رئيساً لطائفة دينية تدعى «فرسان يسوع المسيح» فرأى أنَّ من أسهل الوسائل المؤدية إلى ذلك الاستيلاء على بلاد غانه فيضيّق بذلك الخناق على المسلمين وينفسح المجال للاوروبيين للمتاجرة مع شواطىء البحر الاحمر والهند والصين، ويرتبط بهذا المأرب مآرب أخرى لا تخرج كثيراً عن دائرته وهو انتزاع تجارة بلاد غانة من يد العرب ونقل الثروة الطائلة التي يجبونها من ذهبها ورقيقها إلى أيدي البرتغال.

وكان هنري في صباه قد لعب الدور الأعظم في نزع «سبته» من يد العرب عام ١٤٥١م (٨١٨هـ) وهي مدينة على الشاطىء الافريقي أمام جبل طارق، وفيها سمع من تجارب العرب عن بلاد غانة (غينيا الافريقية) ولم يكن الأوروبيون يعرفون شيئا من شواطىء أفريقيا جنوبي رأس «تن» بعد ترددات لمكتشفي البرتغال وبعوثات متعددة رحلوا إلى غانة، وصارت من أكبر موارد حكومتهم، وأمضوا ٢٤ سنة حتى اكتشفوا «رأس الرجاء الصالح» (أي الرجاء أن يجدوا طريقاً إلى الهند).

فاسكودي جاما

واستمر نشاطهم وعظم حتى خرج ملاّحهم العظيم « فاسكودي جاما » من لشبونة يوم ٨ جولي ١٤٩٧ م (ذو القعدة ٩٠٢ هـ) ولم يزل حتى وصل الى « موزانبيق » وكان العرب قد نزلوا هذه الجهات منذ أزمان بعيدة، واحتكروا في أيديهم تجارتها وتجارة الهند حتى تجارة الهند الاقصى، وكانوا ينقلون تلك المتاجر الشرقية النفيسة إما إلى البحر الاحمر ومنه إلى القاهرة والاسكندرية، وإما إلى الخليج الفارسي، ومنه الى إسكندرونة وحلب وبيروت. ومن هذه الثغور جميعاً يتناولها تجار البندقية وجنوه فيوزعونها في أوروبا، وخشي تجار العرب أن يهتدي الاوروبيون الى طريق الهند فيتمكنوا من نقل تجارتها منها إلى أوروبا، لذلك حنق العرب على « فاسكودي جاما » عند وصوله إلى موزانبيق ».

هكذا علل المؤلف الذي ننقل عنه، ولعله أخذ هذا التعليل من كتب الاوروبيين، والأصوب ان العرب علموا بغارته على « غانة » ومحاولته الهجوم على مراكز المسلمين وتجارتهم في الشرق، وتجار الاندلس المسلمون والحجاج منهم والمسلمون من بلاد غانة وغيرها سينقلون أخبار تلك المحاولات العدوانية، على أن ملك « موزانبيق » إستقبل البرتغاليين بمنزلة ضيوف، ولكنهم غدروا به وتملكوا البلد وأمعنوا في أعمال القرصنة والنهب والقتل في البحر، بحر الزنج وبحر العرب والبحر الاحمر (ونعود الى سياق الاصل).

فخرج من موزامبيق شمالاً ازاء شاطىء أفريقية الشرقي فكان كلما حلّ بثغر وجده مسكوناً بالعرب وهم يمتنعون عن إرشاده، وبعد أن أخفق في سعيه في موزانبيق وكلوه ومُنْبَسَه فاز في مليندي، واصطحب أحد الهنود العالمين حق العلم بالطريق الى قاليقوط » (نقول: كلا انما اصطحب أحمد بن ماجد المهري).

«وكان سلطانها السامري، وهم يسمونه «زامرين» وزاد في تنفيره منه تجار العرب في تلك الجهات إذ أفهموه أن البرتغاليين ليسوا إلاّ لصوص بحر لا عمل لهم سوى النهب والسلب فيه (نقول: هذا هو الذي وقع منهم، وهم يسمونه الغنى بسرعة) فاعتقل جاما واكثر سفنه وبعض رجاله وكاد يفتك بهم، ولكنه جاء واستعمل الملق والثبات، وعقد معه معاهدة تجارية كانت بعد ذلك سبباً في زوال ملكه، ولم يمض على رحلة جاما هذه أكثر من ١٥ عاما حتى إنتزع البرتغال تجارة الشرق من يد العرب واحتكروها لانفسهم وأسسوا لهم معاقل ومراكز تجارية في معظم أنحاء تلك البحار الشرقية».

وكان لتجار العرب بالشرق وقت وصول جاما إليه مركزان عظيمان، أولهما قاليقوط مقر التجارة الصادرة إلى أوروبا، وثانيهما «ملقا» مقر تجارتهم مع الصين واليابان.

وكان جاما في أثناء رحلته قد تجسس أحوال العرب وعرف موضع ضعفهم وقلة حيلتهم في الدفاع إذا عمل البرتغال على قهرهم خصوصاً أن سفنهم الصغيرة لم تكن شيئاً بجانب السفن البرتغالية العظيمة المسلحة بالمدافع والرجال المدرّبين على الحرب. فلما عاد البرتغال هوّن على الملك أمر العرب أعداء دينه فأغراه باستئصال شأفتهم من الشرق وتكوين دولة برتغالية عظيمة فيها. وأعظم المؤسسين لهذه الدولة بعده أربعة: كبرال ودي نوفا، والميد والبوكيرك. وقد وضعوا نصب أعينهم جميعاً القضاء على العرب والحلف مع بعض أمراء الهند للإستعانة بهم، وقد كان كبرال أول من خرج إلى الهند بعد فاسكو دي جاما، خرج إليها عام ١٥٠٠م (٩٠٦هـ) في أسطول كبير مزود بالمدافع والمعدات الحربية، فلم يكد يبلغ قاليقوط حتى بدأ بمناوأة العرب وإرهابهم، فقبض على إحدى سفنهم الكبيرة وأهداها إلى الزامرين (السامري) فأخذ العرب

بثأرهم بتهديم المعقل الذي أنشأه البرتغال على شاطىء الملابار وذبحوا حاميته، فجاوبهم كبرال بتدمير عشر من سفنهم الكبيرة في مياه قاليقوط، ثم رأى أن الزامرين ما زال في جانب العرب فسار إلى كوتشين (هكذا كتبها المؤلف المصري تبعاً للرسم الروماني إذ يجعلون لحرف چ حرفين هما التاء والشين، والمذكورة هنا هي «كوچين الهند»، وفي بورنيو «كوچين» وفي الهند الصينية «كوچين» ثالثة) وكان أميرها في حرب مع الزامرين، فوعده كبرال بأن يساعده في ضم قاليقوط إلى أملاكه، والحقيقة أنه كان ينبغي الإستعانة به في إستيلاء البرتغال عليها ولكنه لم يفطن لذلك، وانضم إلى جانب البرتغال، واستمال كبرال إليه ايضاً امير كتافور، ثم همَّ بالعودة إلى لشبونة وسفنه مثقلة بنفائس المتاجر الشرقية.

وفي هذه الأثناء خرج من لشبونة قائد آخر يدعى دي نوڤا يقصد الهند، فلما علم بمالأة أمير قاليقوط للعرب واتخاذه خطة العداء للبرتغال لم يرس على بلاده وقصد كنافور فعلم فيها بتأهب الزامرين لمهاجمته بأربعين سفينة، فترك متاجره بها وخف لمنازلة العدو في مياهه فهزم الزامرين، ولكنه أخذ يتأهب جديداً فدب الخوف في قلوب البرتغال وخشوا أن يكون إقدامهم وعزمهم على بسط السيادة على تلك الأرجاء واحتكار تجارتها قد ألقى بهم إلى مناوأة أمراء أشداء لا طاقة لهم به، وكادوا يعدلون عن عزمهم راحلين، ولكن العزيمة التي حملتهم إلى تلك البحار ألجأتهم إلى أن يثبتوا فعقدوا الخناصر على أن يحملوا على أعدائهم حملةً صادقة حتى يفوزوا بمأربهم، وخرج فاسكودي جاما ثانية إلى الهند في أسطول مكوَّن من عشرين سفينة وتبعه قواد آخرون وعوَّلوا على استئصال شأفة العرب من قاليقوط (كاليكوت) وتضييق الخناق على أميرها حتى يخضع للبرتغال، فما زالوا به يغلبونه حتى التحموا به في موقعة منظمة، ويغلبهم متى سنحت له فرصة لأخذهم على غرة. إلى أن

إشتبكوا معه في موقعة فاصلة قُتل فيها الزامرين مدافعاً عن وطنه وانهرمت جيوشه. واتبع خلفه خطة العداء للبرتغال واستصرخ سلطان مصر لإخراجهم من بلاده فكتب السلطان الغوري للبابا يتوعَّده أنه إذا لم يخرج البرتغال من الهند خرَّب هو الأماكن المقدسة (يعني الكنائس) ببيت المقدس، فلم يعبأ البرتغال بهذا التهديد ولم يزدهم إلاَّ عناداً وعقدوا النيَّة على استئصال شأفة العرب والمسلمين كافة من جميع البحار».

«فخرج القائد البرتغالي فرانسيسكو الميدا لهذا الغرض وكانت الخطة التي وضعها البرتغال لذلك أن ينزعوا أولاً «ملقا» (ملاكا) من يد العرب الذين جعلوها مقر تجارتهم بعد أن اضطروا إلى الإرتحال عن قاليقوط وشاطىء الملابار، ثم ينزعوا شاطىء افريقية الشرقية من أيديهم ثانيةً، ثم يستولوا على هُرْمز وعدن مفتاحي الخليج الفارسي والبحر الأحمر ثالثاً».

«بدأ الميدا بغزو شرقي أفريقية فهجم على «كلوة» وكانت مدينة زاهرة آمنة مطمئنة، فاستولى عليها بعد قتال عنيف في الشوارع والطرقات وداخل المنازل وفوق سطوحها، وبعد أن شبع البرتغال سلباً ونهباً وذبحاً وتقتيلاً نقلوا إلى الشاطىء كل نفيس في المدينة من ذهب وفضة وعاج وحرير وفازوا وأشعلوا النار في المدينة وتركوها حفرة من الجحيم».

(أقول: إنهم خربوا مساجدها ثم عادوا إليها وبنوا بها كنيستين، ولكن عاد العرب فهاجموهم وأخرجوهم منها) «ثم سار الميدا إلى «موزانبيق» وهي مدينة عربية أيضاً ففعل فيها ما فعل بكاليكوت وبذلك تمت للبرتغال السيادة والشرف على شرق أفريقية».

معركة ديو[1]

وفي هذه الأثناء كان المصريون قد شنوا الغارة على البرتغال بعد إتحادهم سراً مع البنادقة والزامرين، فكانت الغلبة لهم في أول الأمر ولكن ما لبثوا ان هزمهم البرتغال بقيادة الميدا في موقعة بحرية عظيمة بالقرب من جزيرة «ديو» امام «بومباي» عام ١٥٠٩م (٩١٥هـ) فكان في ذلك الفصل في امر التجارة الهندية ووقوعها جميعا في يد البرتغال».

ثم استدعى الميدا إلى البرتغال فمات في الطريق وهو يقابل بعض قبائل الهونتوت في جنوبي افريقية.

ثم عهد بالقيادة إلى البوكيرك شيخ مستعمري البرتغال وأكبر متعصبيهم على العرب والمسلمين، فبقي والياً على المستعمرات الشرقية ست سنين (من سنة ١٥٠٩ - ١٥١٥م) من سنة (٩١١ - ٩٢١هـ) فاستولى على «كوا» التي جعلها مقر دولتهم وتجارتهم بالشرق، وارتحل إليها كثيرون من جالية البرتغال حتى صارت اكبر مستعمرة برتغالية».

وفي سنة ١٥١٥م (٩٢١هـ) سار بنفسه إلى «ملقا» فانتزعها من يد سلطانها محمد، فصارت من ذلك الحين مركز حركات السفن، وما زالت تطارد سفن العرب حتى اجلتها عن المحيط الهندي».

أقول: إن عساكر الغوريين المصريين وأساطيلهم التي خرجت إلى البحر الأحمر وطوقت سواحل اليمن فالهند كانوا اشد على العرب من البرتغال في الغدر ونهب المدن وقتل اهلها وأعمال القرصنة في البحر وعمل الفاحشة في النساء في كل بلد طرقوه وكملوها بأعمال غدر في

---

(١) قد تقدم الحديث عن معركة ديو في ص ١٨٠ بالهامش من هذا الكتاب.

عدن وسواحل اليمن، بعد أن غدروا بملك «كنبايه» و «قجرات» وقتلوه ونهبوا بلاده، ثم ان بعض القواد منهم يغدر بالآخر مكالبة على الحطام، وتسلَّم بعضهم رشوة من البرتغال فولاهم دبره في ساحة القتال وانهزم بالعسكر مذؤماً مدحوراً، ولا غرو ان كانت عاقبة امرهم خسرا.

أما حركات البرتغاليين في الجزر الجاوية ومقاتلتهم للعرب والمسلمين براً وبحراً، وللحكومات الوطنية وقرصنتهم في بحارها فقد تضمنته تواريخ الأهالي التي مضت هولندا سنيناً طويلة في اعدامها. وقد هاجم البرتغاليون بندر بانتن المركز التجاري الشهير ولكنهم هزموا وكسر اسطولهم في شواطىء بانتن، ونجحوا في الاستيلاء على جزائر سيلاواتي وترناتيه وامبون وغيرها. وفي جاوا استولوا على شرقها إلى بنقر.

والبرتغاليون اول من سنّ القوانين بأنه لا يجوز لنسل العرب ان يملكوا اطياناً فذهبت اموالهم، ومنهم من اخفى نسبه، ثم جاءت هولندا وأيدت هذا القانون وشددت فيه.

المستشرقون والإسلام

لما كانت كتب المستشرقين وبعض مؤلفي كتب المدارس التاريخية منا ومن غيرنا قد بيتوا مكرهم على طمس معالم دعوة الإسلام ودعاته الحماة الكماة المغاوير وتركوا حقائق التاريخ الصحيحة وأتوا بالمحال والمكذوب والآراء الفجة حتى أتوا في الاستدلال على ان العرب ليس لهم اثر في دخول الإسلام بالشرق الأقصى بأدلة سخيفة مزرية بهم انفسهم، واستدلوا بما ليس بدليل، حتى لقد قرأت في كتاب مدرسي من جملة السخائف والزائف الذي يأتي به قوله: وليس العرب برجال فن فلم يتركوا آثاراً بنائية تدل على الحضارة.

ومضى حتى اخذ ينتقد بناء الكعبة التي هي قبلة امر الله نبيه وخليله إبراهيم صلوات الله عليه وعلى آله ببنائها لتكون رمزاً للتوحيد وموضع طهر وتقديس للطائفين والراكعين والساجدين مخلصين وجهتهم لله، ولتكون رداً على الهياكل الوثنية التي ملأت العالم، وملئت بالصور والأصنام، ولم يأمره ببنائها رمزاً للزخرفة والزينة والتهاويل والوثنية والنقوش المخزية التي تشير إلى ما نستحي عن ذكره.

تقدم العرب نتيجة الإسلام

وقد ألف جوستاف لوبون الفرنسي كتابه LE BON JUSTAVE: LA CIVILASATION DES ARAB بترجمة الكاتب العبقري عادل زعيتر، بناءً على رحلته إلى الأندلس فمصر فالهند والشام تتبع منها آثار حضارة العرب الباقية.

قال: وقد أظهر العرب في دراسة العالم الجديد في اعينهم من الحماسة كالاستعداد الذي ابدوه لفتحه، ولم يتقيد العرب في دراسة تلك الحضارة التي واجهتهم فجأة بمثل التقاليد التي أثقلت كاهل البيزنطيين منذ زمن طويل فكانت الحرية من اسباب تقدمهم السريع».

فلم يلبث ان تجلى استقلال العرب الروحي والطبيعي وخيالهم وقوة ابداعهم في مبتكراتهم الحديثة، فقد رأينا انه لم يمض سوى وقت قصير حتى طبعوا على فن العمارة وسائر الفنون ثم على مباحثهم العلمية طابعهم الخاص الذي يبدو أول وهلة في آثارهم».

قال: «كان شأن العرب بالنسبة إلى المهندسين الأجانب الذين استخدموهم في دور الفتح شأن الرجل الغني الذي يقيم لنفسه بيتاً، فكما ان المهندس الذي يرسم بيت ذلك الغني يراعي فيه لا ريب ذوقه، نرى مهندسي الروم قد راعوا ذوق العرب فيما أقاموه من المباني الأولى، فتجلت عبقرية العرب فيها، ولم يلبث العرب بعد ان تحرروا

من المؤثرات الأجنبية ان اصبح لنقوشهم وعمارتهم طابع عربي خاص فصار من المتعذر خلطها بغيرها ».

وقال: يكفي الإنسان ان ينظر إلى احدى البنايات التي اقيمت في دور راق من ادوار الحضارة العربية مسجداً كان ذلك البناء أو قصراً، أو أن ينظر إلى ما صنع فيه من دواة أو خنجر أو جلد قرآن ليرى لهذه الآثار طوابع خاصة لا يتطرق الوهم إليه في أصلها ».

« فالباحث في مصنوعات العرب، كبيرة كانت أو صغيرة لا يرى فيها أية صلة ظاهرة بمصنوعات اية امة اخرى، فالإبداع في مصنوعات العرب تام واضح... وتتجلى قوة الإبداع الفني في الأمم في سرعة تحويل ما ظفرت به من عناصر الفن وجعله ملائماً لاحتياجاتها وابتكارها بذلك فناً جديداً، فاذا تحقق لدينا ذلك علمنا ان العرب لم تسبقهم امة ».

« وما على المرء إلاّ ان ينظر إلى آثار العرب الأدبية والفنية ليعلم انهم حاولوا تزيين الطبيعة، ولذلك لما اتصف به الفن العربي من الخيال والنضارة والبهاء وفيض الزخارف والتفنن في ادق الجزئيات ».

« فالأمة العربية قد رغبت بعد ان اغتنت (والأمة العربية امة شعراء) في تحقيق خيالاتها فأبدعت تلك القصور الساحرة التي يخيل إلى الناظر انها مؤلفة من تخاريم رخامية مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة، ولم يكن لأمة مثل تلك العجائب ولن يكون، فهي وليدة جيل فتي مضى، وخيال خصب ذوى، ولا يطمعن أحد في قيام مثلها في الدور الحاضر، المادي الفاتر، الذي دخل البشرية فيه ».

وقال على جامع الصخرة ببيت المقدس ومسجد عمر: والمرء قد يفكر في تلك القصور السحرية التي يبصرها بخيال احياناً، ولكن الخيال دون الحقيقة في امر جامع عمر ».

هكذا يقول لوبون في جامع عمر فكيف لو رأى زخارف مسجد دمشق قبل أن ينالها الحريق وقد بني في القرن الأول للهجرة.

إقرار المستشرقين بشخصيات الدعاة

وقد بحث المستشرقون عن اسباب النجاح الذي أدركه محمد ﷺ وخلفاؤه، فأتوا بالعلل السخيفة والأسباب البعيدة وحاولوا كل المحاولات ليطمسوا ذلك النور والرحمة، فكان تعبهم ذاهباً أدراج الرياح، وكل تعليل وتحليل لتاريخ الإسلام جاء منهم في غاية التفاهة، ولكن تلك التوافه تفيض علينا في المجلات والمؤلفات الآتية من الشرق الأوسط يكتبها ماجورون.

وأما الشرق الأقصى فقد نسبوا انتشار الإسلام فيه إلى الكوجراتيين وغيرهم، وكذلك كتبوا في الكتب المدرسية، وهي خطة مبيتة، ومتفق عليها بين المستشرقين وحكوماتهم على ما يظهر، حتى لقد نشرت جريدة يافا بوده الهولندية أربع مقالات في اعدادها ١٩ ماي سنة ١٩٣٣م و ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ فما جسر ان يذكر اسم العرب، واخفاهم تحت اسم «سراسين» SARACEIN وذكر فيها شيئاً عن تفتيشه لمقابر الملوك وغيرها في سومترا، وقد اكثروا في كتبهم من الطعن والازدراء بالعرب من اجل الإسلام، ونحن نعلم لو كان العرب وثنيين لأثنوا على تاريخهم، ولكن حملوا عليهم تلك الحملات من اجل الدين واستمروا على نشر البغض لهم بما ينشرونه عنهم في الكتب المدرسية تبغيضا للإسلام، لأنه اذا دخلت الكراهة في قلب امة للعرب الذين منهم نبي الإسلام وعلى يدهم انتشر الإسلام حلت الكراهة لا محالة للإسلام نفسه، فالعرب ذهب اسمهم ومحي تاريخهم من اجل الدين الإسلامي، ومتى كرهت من اتاك بشيء كرهت لا محالة ذلك الشيء الذي اتاك به.

كل هذا فعلوه تنفيراً عن الإسلام بالتنفير عن العرب وتفريقاً بين المسلمين، وتصغيراً للمسلمين جميعاً عند الأمم الأخرى من أمم الغرب والشرق، وتلك الكتب المشتملة على ما ذكرنا من التنقيص للإسلام ومن جاء به قد طبعت في أدمغة ملايين من أبناء المسلمين منذ قرون مضت ولا تزال إلى اليوم.

الإستشراق

الإستشراق دراسة شؤون الشرق والشرقيين فيدرس المستشرق اللغات والعادات وغيرها لشعب من شعوب الشرق، ولا سيا المسلمين، وغالباً ما يجعل دراسته لمصلحة دولته المستعمِرة أو لتشويه قِيَم، أو لإبراز الأعمال الإنسانية لدولته وحضارتها، أو عداء للإسلام.

كتبوا ما عنَّ لهم من أبحاث قد تشوبها أغراض، فقلبوا حقائق، وأخفوا ما أرادوا إخفاءه فيا يتعلق بتاريخ المسلمين، وأبرزوا تاريخهم في أوروبا وجزائر البحر المتوسط والشرق الأقصى وغيرها.

لهم كتابات في موضوعات متعددة، وقد تكون في جزئيات موضوع، وقد يتخصص بعضهم لدراسة طائفة من الناس، أو في حياة البادية وأصول البدو، أو تواريخ مدنيات قديمة يستخرجونها من الآثار التي عثروا عليها، أو استنتاجات من مقارنات، وتخصص بعضهم في تمثال أثري، وتاريخه وما يتعلق به، إلى غير ذلك. وقد تعرضت كتب المستشرقين للنقد اللاذع من الناقدين، كما نال بعضهم التقدير والإكبار.

كتب بعضهم أبحاثاً تجاه الإسلام وما أفاد من علوم وحضارة، أمثال غوستاف لوبون، وديورانت، روجربيكوت، روم لاندو، سيديو، كاچوري، سارتون، هونكه المستشرقة، كراشكوفسكي السوفيتي وغيرهم. أما أن يخطىء أحدهم أو يصيب فمرده إلى رأيه وتصوراته.

ترجموا عدداً من الكتب العربية إلى اللغات الاوروبية، فأبرزوا التراث الإسلامي وطبعوا المخطوطات ونشروها، منها مخطوطات تكاد لا توجد في مكاتب الشرق ووضعوا لها الهوامش والتعليقات، وحققوا بعض الكتب العربية، وهذه خدمة للتراث الإسلامي، وهي معلومة.

والمستشرقون في مؤلفاتهم التي لا تعد كثرة قد اسقطوا اسم العرب من كتبهم في التاريخ العام منذ قاموا بنهضتهم إلى اليوم، ولكنهم ذكروا أمما قد خلت ونسيت وذكروا الأمم الحاضرة.

للمستشرقين نشاط وعناية ودأب في البحث والدرس والاستنتاج، وتآليف كثيرة في اللغات والأديان والعادات وأصول الشعوب.

أول انكليزي عالم بالعربية هو أديلارد. ADELARD معلم هنري الثاني ترجم عدداً من النصوص العربية إلى اللاتينية.

وأول كتاب طبع في انكلترا هو «حِكَم الفلاسفة وأقوالهم» ترجمة لكتاب عربي.

ومؤسس أول كرسي للعربية في كمبردج عام ١٦٣٢ م هو سير توماس آدم، وهو علماني.

ومؤسس الكرسي في اكسفورد عام ١٦٣٦م هو رئيس الاساقفة لود.

وأول ترجمة انكليزية للقرآن كان بإصدار وليم بدويل WILLIAM BEDWEL وأشهر ترجمة للقرآن هو للمحامي جورج سيل GEORGE SALE. هذه أمثلة أثبتها هنا. وغيرها كثير جداً.

وفي سبيل الاستشراق تمكن السير ريشارد بيرتون RICHARD BURTON بعد رحلته إلى الهند والقارة من الوصول إلى الحرمين الشريفين، وليس هو الوحيد الذي استطاع أن يصل بل هناك أفراد آخرون.

ولنقدم هنا موضوعاً هو نتيجة بحث استشراقي يتعلق بالتاريخ الإسلامي، يقول المستشرق الألماني «فن فلوتن» في كتابه «السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات» والمستشرق «ولهاوزن» في كتابه «الدول العربية وسقوطها» وغيرهما «إن الدعوة العباسية صراع بين العرب والفرس» فأصبغوا تاريخ الإسلام بصبغة القوميات، وألبسوا عصور الإسلام الماضية بلباس عصرهم الذي يعيشون فيه الآن، فهم في الواقع يعربون في كتاباتهم عن تأثرهم بالافكار والمبادىء العنصرية في أوروبا في عصرهم الحالي.

هذه الآراء التي ذكرها المستشرقون أو ابتكروها تقبَّلها كتاب هذا العصر من الشرقيين، ذلك لأن فكرة القومية قد طغت على معظم العالم، وعلى العالم الإسلامي والعربي، بل صارت القومية إقليمية، وللإستعمار يد في هذا، فالقومية العربية مثلاً صارت عناصر اقليمية ضيقة. وتكاد تمحي عملياً ما كان فيها من روح عام ديني شامل موحَّد.

وإذا تأمل ذو العقل والفهم لم يجد سبباً لذلك إلاّ دين الإسلام، فهذه العداوة العميقة والبغض الشديد والحقد الناري على العرب كله بسبب الدين الإسلامي.

وقد قال رئيس وزراء لبنان الأسبق صائب سلام: إن بعض المسيحيين إعتقد أنه لو صرخ وامسيحياه لتنادى العالم له، كما ظن بعض المسلمين أنه لو صرخ واإسلاماه لتنادِى العرب له، وكلاهما أخطأ.

فالتيارات القومية عاتية من قبل اليوم، هبَّت من أوروبا واكتسحت بلدان الشرق، وتلقت هبوب هذه التيارات أول مرة البلدان المصاقبة للغرب، ثم البلدة المستعمَرة.

كان السلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني يحلم بإحياء الجامعة الإسلامية فأسقطته جيعة الإتحاد والترقي بفكرة العنصرية الطورانية والدسيسة الصهيونية.

فالظن بأن الثورة العباسية كانت قومية لا نرى ذلك منسجماً مع الواقع، بل يتبين فيه خطأ هذا التفكير، فان أساطين دعاة العباسية في خراسان عرب، بل في معظم المدن دعاة وقبائل عربية استقرت في إيران وغيرها من بلدان الإسلام، والحامية المحافظة على الأمن مكونة من مسلمين، عرب وايرانيون وغيرهم، اذ لا فارق بين عربي وغيره.

الواقع إن التذمر من الحكم الأموي كان حافزاً للثورة، ذلك لما تتخذه هذه الدولة من إجراءات لا ترضي العرب وغير العرب في تلك البقاع، فوجدوا في دعوة الثورة أملاً في حياة أفضل مما هم فيه، بل لقد سرى هذا التذمر إلى عرب الشام تحت الحكم الأموي المباشر، إذ كان الكثير منهم يرون السلطة اذ ذاك غير شرعية.

لم تكن الثورة من الفرس وحدهم، فمن الفرس من كان يقاتل في صف الأمويين كما حدث في «جرجان» ولما وصل الجيش الثائر إلى العراق نصرته القبائل العربية في الكوفة والبصرة وغيرهما.

هذه هي الأفكار الاستشراقية التي كتبت وتقبلها كتّاب من المتأخرين، مع أن الظروف الغاربة لا يمكن أن توصف كظروفنا الحاضرة.

كان الرحالون والسائحون المسلمون عندما يتنقلون من بلد إلى آخر لا يجدون في نفوسهم أي شعور بالقوميات، وكذلك شعور الذين يستقبلونهم في أوطانهم، لأن الإسلام حينذاك هو قوميتهم.

وقد ردّ العلامة لوبون على الزعم القائل ان الإسلام انتشر بالقوة، فمما قاله: «انه لو كانت القوة عاملاً في انتشار القرآن ما ترك العربُ المغلوبين احراراً في دينهم، فإذا حدث ان اعتنــق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغةً لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يرو مثله من سادتهم السابقين ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل».

قال الدكتور زكي مبارك في كتابه «عبقرية الشريف الرضي»: «... فالأمم الإسلامية في هذا العصر يستقل بعضهم عن بعض، بحيث يظن الجاهل أنها كانت كذلك في الأيام الخالية، وإنما ينتقل المؤمن من أرض إلى أرض فلا يفهم أنه إنتقل من وطن إلى وطن، وإنما كان يشعر بأنه يسير تحت راية الإسلام. ولم تكن ياء النسبة إلاّ علامة تميز لا علامة تفريق».

يقول فرومبيرغ **FROMBERG** في كتابه **VERSPREIDE GSECHRIFTEN** «لم يكن الإسلام عقيدة دينية فحسب لدى الجاويين ولكنه قومية أيضاً».

وقال أدرياني **ADRIANI** «ان الإسلام هو القومية الجاوية».

بل نرى اليوم أن الملايو يعتبرون كلمة «ملايو» ترادف كلمة «إسلام» فيقول لمن أسلم حديثاً أنه دخل الملايو.

أما التحريف في التاريخ فيكاد يعم في عصرنا هذا، سواء عن قصد وغرض أو لم يكن كذلك، ولكنه أمر واقع لدى المستشرقين والمستعمرين ولدى أتباعهم أو غير أتباعهم.

لقد كتب الكثير التاريخ لأغراض، ليشبع عواطفه، أو ليضفي على من يريد إعلاء شأنه برودامن الأوصاف فلا يكتب فيه إلاّ الحسن، وآخر لا يكتب إلاّ السيء، إما لغرض طائفي أو ديني أو مذهبي أو عنصري، أو بدافع حب الشهرة، أو لرغبة في كسب ماديّ، أو لدعم رأي، وتحطيم رأي آخر.

وقد يكتب أحدهم التاريخ فيدمج فيه الأساطير بدون تحقيق، إما سماعاً من أحاديث عابرة أو انسياقاً مع الأقاصيص.

هذه سجايا كثير من البشر في كل زمن ومكان، وطبيعة أهل الأهواء وهم كثير. وفي الهولنديين مستشرقون أشهرهم «خرسيتيان سنوك هرخرونيه».

«ولم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، بالدعوة وحدها اعتنقت الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول الإسلام».

البروفسور الدكتور سنوك هرخرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦م)

هو ابن قسيس بروتستانتي، درس في جامعة ليدن اللغات اللاتينية واليونانية والإلّهيات على أستاذ التوراة كونن، والأدب العربي والإسلامي في جامعة ستراسبورغ، ثم عيّن مدرساً في الجامعة لتدريس الفقه الإسلامي.

وعندما كانت حكومة هولندا توالي إرسال جيوشها لحرب سلطنة آچية (آشي) أخذ هو يتعمق في دراسة الإسلام واللغات والشعوب وعاداتها في إندونيسيا ومدى تأثيرها في نفوس الأندونيسيين.

وبعد أن درس شؤون البلاد المقدسة أخذ يدرس تأثير الدين والجهاد في النفوس، وازداد دراسة في ألمانيا على المستشرق نولدكه NOLDEKE وكتب عن الفقه الإسلامي في مجلة هولندية، فنال تقديراً عظيماً، ولا سيما أنه إنتقد آراء من سبقه فيما يتعلق بالإسلام، ومنهم «فن دن بيرخ» مستشار حكومة هولندا في جاكرتا في اللغات الشرقية، وانتشر صيته، وارتفع الجدل والردود بينهما، فكان تأثيره شاملاً في غيره من المستشرقين إلى اليوم.

كانت حكومة هولندا قد أقامت عام ١٨٨٢م هيئة لرقابة المعاهد الإسلامية (فسانترين) في إندونيسيا، كما تواجه مشقات عظيمة من جراء حروبها في آچيه، فاستدعت الدكتور سنوك هرخرونيه ليقوم بدراسة عن مسلمي إندونيسيا وعلمائهم.

ومن أجل مواصلة الدراسة الفعلية في موضوع تأثير الإسلام لدى أهالي آچيه سافر إلى جدة في ١٨٨٤/٨/٨م ليدرس الموضوع عن كثب، ولكن لا وجود لأحد من الآشيين في جدة، فهم في مكة. وكيف يصل إلى مكة ولم يكن مسلماً؟ فأعلن إسلامه ليتمكن من الدخول إلى مكة، وسمّى نفسه عبد الغفار، ودخل مكة عام ١٨٨٥م ولم يشك في إسلامه أحد، فكان يؤدي الواجبات الدينية كسائر المسلمين. وصدّقه العلماء، واتصل بهم واطلع على كثير من مواقف حجاج إندونيسيا تجاه الاستعمار الهولندي، كما إطلع على دور مكة في العلوم الإسلامية، وكونها مركزاً للنشاط السياسي الإسلامي العالمي.

«أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة ان النظم والأديان ليست مما يفرض قسراً، فعاملوا كل أهل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في

وقد ذكر في كتابه DE ATJEHERS كيف كان يعيش ويعمل في مكة ومكث بها نحو أكثر من خمسة أشهر، وقيل أنه طرد من مكة.

لقد خدم الدكتور حكومته خدمات كثيرة[1]، وكل المستشرقين الهولنديين الذين تعاقبوا على إدارة الشؤون الأهلية تلاميذ له. وقد زالت هذه الإدارة بزوال الحكم الهولندي.

قال الأمير شكيب أرسلان في «حاضر العالم الإسلامي» أنه من الأفذاذ الذين وقفوا على أحوال الإسلام عموماً وبلاد الجاوا خصوصاً، وأقام بتلك الديار ١٧ سنة قتل فيها أمورها علماً[2].

وقال إن له آراء صبّها في محاضراته التي ألقاها ونشرها في مجلة «العالم الإسلامي» في الفرنسية سنة ١٩١١م وهي أربع محاضرات. ونقل الأمير شكيب من بعض المحاضرات نتفاً بعد ذلك في قضية الحضارم.

عينته حكومة هولندا مستشاراً لها في إدارة الشؤون الأهلية فقدّم لها آراءه كما يلي:

١ - على حكومة هولندا أن تقرب إليها الحجاج والعلماء وتعينهم أساتذة ليكونوا أصدقاء لها فلا تخشى نفوذهم.

٢ - لا تخش الحكومة من حركة «الجامعة الإسلامية» فالإسلام لا يعرف البابوية كالفاتيكان، ثم ان الخلافة التركية لم تعد مركزاً لقيادة «الجامعة الإسلامية» فقد جمدت برامج الجامعة في متحف السياسة القديمة[3].

---

(١) ATJEH SEPANJANG ABAD, 560 - 561. 568.

(٢) حاضر العالم الإسلامي ١/٣٣٨ ط ٤.

(٣) عن فليكه A HISTORY OF INDONESIA.

الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه فيما مضى في مقابل حفظ الامن فيما بينهم، فالحق إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحا مثل دينهم».

---

٣ - على الحكومة أن تحذر من الإسلام سياسياً لا دينياً، والذين يميلون إلى الحركة الإسلامية أقلّية متعصبة من العلماء الذين يصبون إلى تحقيق فكرة «الجامعة الإسلامية» فهؤلاء هم الخطرون إذا انتشر نفوذهم في الأوساط الزراعية في القرى، فعلى الحكومة أن تلتزم الحياد تجاه الإسلام دينياً وأن تكون صريحة تجاهه سياسياً.

٤ - على الحكومة أن تحول العلماء دون الإشتراك في الهيئات التنفيذية، والاّ فلا تستطيع السلطة المسيحية (الحكومة) أن تسيطر على الشعب الاندونيسي وهم أكثرية مسلمة..

٥ - عليها أن تضيّق الخناق على الحركات الإسلامية ونفوذها، وذلك بإيجاد تعاون بين الثقافات الاندونيسية والهولندية، وتبدأ هذا باتخاذ طائفة القرياي PERYAYI (الارستقراطية) الذين هم دائماً من الحكومة أداةً لها، فان معظمهم موظفون، ولتسهيل العمل يجب تمرين هؤلاء على الأساليب الغربية»[١].

٦ - عليها أن تساعد طائفة «العادات» فهؤلاء سوف يقاومون الإسلام، لأن مصادر «العادات» مكوَّنة من تقاليد محلية، في حين أن الإسلام ذو صفة عامة، وهذا مما يسهل للحكومة التضييق على الحركات والنفوذ الإسلامي بتعاونها مع هذه الطائفة.

٧ - وأشار الدكتور «سنوك» تجاه حرب آچيه إلى وجوب إتخاذ القوة العسكرية في المناطق الداخلية، والضرب على العلماء في القرى، فلا تتيح لهم أي فرصة لتقوية صفوفهم واستعادة قواهم بتأليف جيش من طلبتهم المتطوعين.

وأما تجاه علوم المسلمين فعلى الحكومة ان تفهمهم بأن الحكومة حاميةلـلإسلام، يطبق هذا مع التعاون مع طائفة العادات.

٨ - على الحكومة أن تفرق بين الإسلام ديناً وبين الإسلام سياسياً، وكلما ازداد التباعد بينهما تزداد سرعة تحطيم الإسلام.

---

(١) أنظر H. J. BERANDS, THE GRESCENT AND THE RISINGSON.

« وما جهله المؤرخون من الأسباب السريعة في رحمة العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحاتهم واعتناق كثير من

ومن آراء الدكتور سنوك قوله: ان الآشيين لا تعزيهم الأموال ولا الرشوات فهم لا يخضعون إلاّ للقوة. وقال: نحن لم نفهم الإسلام من القرآن والحديث، ولكنا نفهمه من كتب الفقه والالّهيـات التي ألفت منذ القرن الثالث الهجري.

وجاء في محاضرته التي ألقاها في ١٩٠٧/١/١٣م في جامعة ليدن ونشر هذه المحاضرة في عام ١٩٢٩ م REVUE DE LA HISTOIRE RELIGIONS . تحت عنوان LA ARABIC ET LES . INDES NEERLANDAISES

قوله: لقد دلّت مساعينا لترسيخ سيطرتنا في آچيه في خلال عشر سنوات على وجود غرائب، منها أن الآشيين مولعون بالعلوم الإسلامية، من ذلك أننا عثرنا في «كومالا » على مجموعة من الكتب باللغة العربية والملايوية كانت ملكاً للعلماء الذين ماتوا أو هاجروا، وهي في الفقه والإلّهيـات وعلوم الآلة كالنحو والتفسير وغير ذلك، وتدل التعليقات التي كتبت بالهوامش على أنها قرئت عدة مرات.

وقد أسر جنودنا ولداً لأحد العلماء يبلغ من العمر ١٤ عاماً فوجدناه يحفظ ألفية إبن مالك. وهناك كثير من الذين نجوا بأنفسهم من مطاردة جنودنا تركوا مضطرين كتبهم. وهذا يوضح لنا أنهم كانوا يتنقلون من مستنقع إلى مستنقع، ومن جهة إلى أخرى، ولكنهم لم يتركوا تعاليمهم ».

ولسياسة سنوك وتحريضه حكومته على إبادة العلماء فان بعض الهولنديين يوجهون إنتقادات حادة على هذه السياسة الإستعمارية ويصمونه بالتجسس والخداع.

وقد طبقت آراء سنوك في الحركات العسكرية في عهد الوالي العام «فن درويك » عام ١٨٩٤ م. وساعد أهالي جزيرة بالي الهنادك الحركات العسكرية الهولندية تجاه المسلمين في جزيرة «لومبوك » وفي الحرب ضد علماء المسلمين في آچيه، حيث عُيّن اللّيوتنانت كولونيل فن هوتز JOHANNES B. VAN HEUTSZ والكولونيل «فن دالِن »، وبدأت الحركات العسكرية من سومترا الشمالية متجهة إلى آچيه.

وعن مكة المكرمة قال سنوك: إن للبلاد العربية وفيها مكة مكانة خاصة في قلوب المسلمين الانـدونيسيين، فمنها يستمدون معنوية الكفاح ضد الاستعمار الغربي، ومصدر هذه المعنوية هو التعـالـيم الإسلامية.

الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة حتى بعد تواري سلطان العرب عن مسرح العالم » اهـ كلام لوبون.

إن مكة مكان إجتماع مسلمي اندونيسيا بمسلمي العالم، بل هي ملجأ المجاهدين المسلمين الذين تطاردهم حكومة الاستعمار.

وحديث الدكتور سنوك نجده في المجلد الرابع من كتابه VERSPREIDE GESCHRIFTEN تحت عنوان DE HADJI POLITIK DER INDISCHE REGERING.

والإستشراق بدأ منذ زمن، ذلك لأن العالم الغربي المسيحي كان فيما مضى متخلفاً في حين كانت العواصم الإسلامية تزخر بالعلماء والمكتبات، فشعر الغرب أنه في حاجة إلى علوم المسلمين والإقتباس من حضارتهم. وكانت الجامعات العربية مفتوحة الأبواب لمن يرغب في الإستفادة مما لديها من المعارف، فبرزت الهمم في البلدان المسيحية للإستفادة. وأخيراً ظهر الإستشراق وصار له أفراد متخصصون وتقرر في مجلس الكنيسة في فينيا عام ١٣١٢م التخصص في الموضوع، وكثر الدارسون. وكان أعظم هدف للدراسة هو الإسلام والعربية والشرق الإسلامي وما يتعلق بالشرق من اقتصاد وجغرافية وديانة وسياسة.. الخ.

إن أولئك المستشرقين المهاجمين للعرب إنما هاجموهم كراهةً في دين الإسلام، ولو كانوا وثنيين كما كانوا قبل الإسلام لما عادوهم هذه

المخطوطات

لدى علماء المسلمين وفي المكاتب الإسلامية مخطوطات، ولدى السلاطين تواريخ سلطناتهم وأنسابهم لا يعرف الكثير من الناس مصيرها، غير أن الأيام أبرزت بعضها من الخبايا، فظهر منها الفينة بعد الفينة ما كان خافياً.

لدى بعض الهولنديين حين كانت حكومتهم مسيطرة على جزائر الشرق مخطوطات، من بينها ما يتعلق بسلطنة «آچيه» عثروا عليها في المنازل التي تركها أهلها ناجين بأنفسهم وعائلاتهم أيام حروب الاستعمار، فوقعت بأيدي الرجال الرسميين، منهم المستشرق وليم مرسدن WILLIAM MARESDEN فلديه مخطوطات ملايوية هي الآن في مكتبة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة ليدن.

ولدى «دى خروت» A.D. CORNETS DE GROOT نسخة مخطوطة. ولدى أحد رجال الشركة التجارية الهولندية V.O.C. في جاكرتا المدعو ISAAK DE ST MARTIN المتوفى عام ١٦٩٦ م نسخة عن آچيه.

هكذا ذكر البروفسور حسين جاياد ينغيرات في مقدمة كتابه CRITISH ONERTICHT وذكر أن لديه نسخة أخرى تتعلق بملوك آچيه وأنسابهم وتواريخهم بالتفصيل. ولدى الدكتور سنوك نسخة أصلية من كتاب «آچيه».

وفي كتاب MALEISCHE SPRAAK KOMST لمؤلف خبير بلغة الملايو كتب عام ١٧٣٦ م قائمة بأسماء الكتب التي يملكها، من بينها كتاب «بستان السلاطين» و «حكاية آچيه».

وقد تسربت مخطوطات نفيسة عام ١٨٨٣ م وبيعت إلى جامعة برنستون بأمريكا وليدن بهولندا وغيرها.

ووقعت مجموعة من الكتب بأيدي الهولنديين، منها مجموعة الحاج أحمد بن عبد الرحمن وغيره، منهم فن درتوك VAN DER TUUK وميروالد MIRWALD ودامرڤور DAMERPUR وأوفهوزن OPHUIZEN وڤورتمان PURTMAN وريدر دي ستور REDER DE STUR وإيلوت ILOT و ويتفين WETVEN والراهب بيلگران BELGRAN وغيرهم.

العداوة المرة، ولو عادوهم وهم مشركون لما دافعنا عنهم، فإن ديننا الإسلام نهى عن العصبية الجنسية ودعا إلى الإخوة الإيمانية وإلى

ومعظم هذه المجموعات في ليدن بهولندا، من بينها وثائق ورسائل متبادلة بين العلماء ومعاهدات وغيرها. وذكر فن دن بيرخ في كتابه المطبوع عام ١٨٨٦م أنه يوجد في بيوت العرب في «ڤاليمبانغ» وثائق رسمية ومخطوطات، وأن في منازل السادة العلويين الأثرياء لدى كل واحد منهم مكتبة تحوي كتباً من مصر وسوريا والقسطنطينية، وأن أثرياء سنقافورا يشتركون في الجرائد العربية والمجلات في إندونيسيا[١].

كان لدى سلطان ملاكا عبد الله بن السلطان قاسم مكتبة ضخمة ضمت أنواعاً من الكتب، أتت عليها النار والتهمتها في حريق شبَّ في القصر فلم يبق منها أثر.

وفي مطلع القرن التاسع عشر جمع الجنرال رافلس المستعمر الأول لجزيرة سنقافورا كثيراً من المخطوطات والآثار التاريخية والفنية وجعلها في صناديق لإرسالها إلى بلاده، بعضها محفوظ بوزارة الهند والجمعية الآسيوية. ذكر الكاتب عبد الله بن عبد القادر منشي الذي كان متصلاً بالجنرال رافلس في كتابه «حكاية عبد الله» أن رافلس أراه ثلاث خزانات مملوأة مخطوطات ملايوية، وطلب منه أن يجعلها في حقائب جلدية فعبأها في أربع حقائب. وهذا غير الجاوية، وكانت الكتب المجلدة نحو ثلاثمائة كتاب، فوضع كل ذلك في حقائب مستطيلة، طول كل حقيبة بطول قامة الإنسان. وهذه من كتب اللايو فقط. ثم وضع في صندوقين وثائق ورسائل وكتباً جاوية وباليَّة (أي من جزيرة بالي) وبوقيسية، وجمع كثيراً من التماثيل والرسوم وأدواتها، والحكايات المكتوبة على أوراق الـ «لونتّار» في ثلاثة أو أربعة صناديق، وما يتعلق بالموسيقى الجاوية الكاملة في صندوق كبير، وهناك ألوف من الحيوانات المصبّرة التي أُخرجت أحشاؤها وحشيت بالقطن، وملء صندوقين أو ثلاثة أنواع الطيور من ألوف الأصناف مصبَّرة أيضاً، ومئات من القوارير الكبيرة والصغيرة فيها ديدان وعقارب وثعابين وأشباهها، وصندوقين مملوئين بالمحارات وما يشبهها.

هذه خلاصة ما ذكره عبد الله بن عبد القادر منشى في كتابه «حكاية عبد الله»[٢].

---

(١) ص ١٧٠.
(٢) ص ٢٤٨ - ٢٤٩ طبع عام ١٩٥٣.

الاجتماع من عباد الله من أي جنس على الإيمان بالله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه والتآخي على ذلك، والناس من آدم وآدم من تراب، ونحن

وعبد الله هذا ولد في ملاكا عام ١٧٩٦م من أصل عربي يمني وأم هندية من أسرة استوطنت ملاكا من زمن بعيد، وتوفي بمكة المكرمة عام ١٨٥٤م في الحج، له عدة مؤلفات منها «حكاية عبد الله» و «سجره ملايو» عام ١٨٣٥م وقصة رحلته إلى كلانتن، ورحلته إلى جدة، وترجم كتاب «كليلة ودمنة».

وقال عبد الله عند ذكره لتاريخ حياة أبيه ما ملخصه أنه صدر أمر من بتافيا (جاكرتا الآن) إلى سكرتير الحكومة الهولندية في «ملاكا» يأمره بالذهاب إلى «رياو» و «لينگا» و «ڤاهانغ» و «ترنگانو» وكلانتن، للبحث عن الكتب الملايوية موفداً إلى رجوات الملايو. وهناك إشترى كتباً، وأهدى له بعض الرجوات عدداً من الكتب، واستعان والده ببعض النساخ لاستنساخ بعضها، فتجمعت لديه نحو ستين أو سبعين كتاباً. وذكر أنه أحضر أربعة من النساخ لنسخ الكتب والاشعار وغيرها.

«وأتى الناس له بالكتب ولا أذكر أعدادها ولكنها مئات، فكان جميع كتب الملايو قد نفدت وكلها من مخلفات القدماء بيعت بأثمان مغرية، ولم ينتبهوا لحفدتهم الذين سيكونون في غفلة عن تراث اسلافهم المكتوب بلغتهم، وهي مخطوطات فقدوها ولم يبق لكل ذلك أثر اليوم، وهي في نحو ٣٦٠ كتاباً غير دواوين الشعر وما يشبهها. وأما ما تحصل عليها بالإعارة فينسخها النساخ».

وقال في موضع آخر: «إن الرسائل التي يبعثها إلى الأمراء قد تأتي أجوبتها الرقيقة مرفقة بهدايا من الكتب الخطية والحكايات».

هذا في ملايا، ولما عاد الهولنديون إلى اندونيسيا بعد الحرب العالمية الثانية أخذوا يتتبعون الكاتب والكتب والوثائق لدراستها، وأخذوا منها ما يريدون، وبادروا بتآليف الكتب وطبعها.

كان الهولنديون من قبل قد ألّفوا كثيراً من الكتب عن إندونيسيا وتاريخها، والواقع ان معظمها تاريخ الاستعمار الهولندي في إندونيسيا، وبحثوا في الأقاصيص والأساطير فاستخرجوا منها تاريخ ما قبل الإسلام بكثير من التفاصيل ونشروا ما كتبوه حتى في الكتب المدرسية، ولكن لم يولوا اهتماماً بالعهود الإسلامية.

ترى في إدارة التراث القديم التابعة لوزارة المعارف أقساماً متعددة يعمل فيها موظفون وفنانون لدراسة فنون وتاريخ العصر الهندوكي، ولم يحظ القسم الإسلامي بمثلها.

لا ندافع عن العرب الخارجين على آداب الإسلام وأحكامه، ولكن ندافع عنهم لأن المهاجمين إنما هاجموهم من أجل دين الإسلام، فنحن ندافع عن دين الإسلام.

أخذ الكتاب الهولنديون يكتبون تاريخ وحوادث الشرق فيما لا يتعارض وسياسة حكومتهم.

في منتصف القرن الثامن عشر وضعوا سلسلة نسب ملوك بانتن وجاوا تحتوي على أسماء أشخاص لا وجود لهم في الواقع، جاء فيها مثلاً أن للحسين السبط ابن هو زين الكبرى، وإبنه زين الصغرى، وحفيده حوت، وابن حفيده بني إسرائيل. وأمثال هذه الأسماء.

قال الدكتور حمكا في كتابه «تنكوراو أنتارا فكتا دَن خيال» أنه كان في صباه إطلع على مخطوطات ملك أحد علماء قريته، وهي الآن بعد خمسين سنة تلفت أو فقدت، لأن الأحفاد لا يعرفون اللغة العربية أو كانوا أميين» وكم ترك العلماء مؤلفات عصروا فيها جهدهم في دراسات ذهبت ضياعاً، فقد ألف أحد الكتاب دراسة قضى سنوات في إكمالها فلما توفي صار كتابه للنار، وألف آخر كتاب عن دراسة واسعة فجاء سيل غمر البلاد فذهب ما صنعه.

أخبرني الشيخ العالم الحاج شمعون الشهير بـ «چي تانكيل» في بانتن أن جنود الهولنديين إقتحموا منزله عندما حدثت ثورة ضد حكومة هولندا عام ١٩١٨ م ونهبوا جميع كتبه.

لم يكن هذا خاصاً بالشرق الأقصى فقد جرى مثله في كل مكان، فإن أبا بكر الرازي الطبيب الشهير له من المؤلفات نحو ٢٣٠ مؤلفاً في الطب، لم يبق منها إلاّ قليل جداً. ولكن هذا القليل مفيدٌ.

وتعرضت مكتبات قديمة للأحداث في مسار الزمن، ولم يعد مجهولاً ما فعل التتار عام ٦٥٦ هـ عندما إحتلوا بغداد أغرقوا نفائس الكتب في دجلة وأحرقوا بيت الحكمة. وما فعل الصليبيون في الحروب الصليبية فقد أحرقوا في طرابلس الشام داراً فيها أكثر من ثلاثة ملايين مخطوط، وما فعل الإسبان بإحراق المكاتب في الأندلس، ولم يسلم من الكتب إلاّ قليل.

وذكر الحموي أن في مدينة الشاهجان عشر خزائن كتب للوقف عام ٦١٦ هـ في إحداها ١٢ ألف مجلد، فأين تلك الخزائن؟.

أخبرني الأستاذ الألمعي الشاعر الناثر السيد محمد بن هاشم بن طاهر العلوي الذي مكث بجاوا سنين طويلة وأسس مدارس ونشر بها التعليم وصار له تلاميذ مشاهير، انه نشر في بعض الجرائد، وأظن اسمها «الاقبال» كانت تصدر في سورابايا، نشر فيها مقالات تاريخية فتأذى

قيل ان لابن حزم علي بن أحمد بن سعد أكثر من ٤٠٠ كتاب، أحرق الكثير منها، كما ذهبت مؤلفات أحمد بن محمد بن أحمد الغافقي الأندلسي الصيدلي النباتي.

وهل علمتَ ما جرى على كتب الامير المصري الفيلسوف الطبيب المؤرخ محمود الدولة إبن فاتك المتوفى حوالي عام ٤٤٧هـ (١٠٩٤م) كانت له مكتبة عظيمة يقضي فيها معظم أوقاته في المطالعة، فلما توفي أخذت زوجته كتبه ورمتها في بركة ماء في الدار، إنتقاماً من هذه الكتب التي شغلت زوجها عنها.

ويقال أن تقي الدين أحمد بن علي بن علاء الدين بن محيى الدين الحسيني المقريزي المصري الّف نحو مائتي كتاب ذهب أكثره. وكتابه الذي سلم من الاعدام «المواعظ و الاعتبار في الخطط والآثار».

بلغت فهارس مكتبة الصاحب إبن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ عشر مجلدات، فإذا كانت الفهارس وحدها عشر مجلدات فكم يا ترى تكون الكتب؟

ومكتبة الحكم المستنصر في قرطبة (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) بلغ عدد فهارسها ٤٤ فهرساً كل فهرس عشرون ورقة.

عندما كنت أبحث عن مخطوطات تاريخية في جاوا الشرقية وصلت إلى مدينة (بسوكي) أخبرني أحد المعارف أنه يوجد مخطوط في تاريخ الكفاح الإسلامي ضد الإستعمار، فقصدت صاحب الكتاب فأخبرني بصحة الخبر ولكن صديقاً له إستعاره منه في قرية «جنكار» فذهبت إليه باحثاً عن هذا الرجل فقال لي أن قاضي مدينة «سيتوبوندو» إستعاره منه، فتوجهت إلى «سيتوبوندو» فقال القاضي أن الـ «بوقاتيه» استعاره منه وقد سلمه إلى الحاكم الهولندي (رسيدنت) ولا أمل في استعادته، فعدت إلى بسوكي واجتمعت بإخوان الـ «بوقاتيه» فقالوا إن أخاهم من عملاء هولندا، بل يُرتاب في حسن إسلامه، وأخبروني أن لديهم كتاب في تاريخ جاوا مطبوع طبعته السلطة الهولندية.

واليوم نجد في أنحاء العالم مكتبات تعنى بالمخطوطات حافلة بكتب الشرق والوثائق تحصلت عليها بوسائل مختلفة، وفي الولايات المتحدة في المتاحف والجامعات ما يقرب من ١٨

منها المستر قوبي اليهودي الأصل الهولندي التبعية فسافر من جاكرتا إلى سورابايا واجتمع بالأستاذ محمد بن هاشم فنهاه نهياً صريحاً بغضب واستياء، وقال له: لا تنشر شيئاً بعد هذا، فامتثل الأمر، وكيف لا ووراءه قوات هولندا بأجمعها.

ألف مخطوطة عربية، وفي أقطار أوروبا، وحسب إحصائية اليونيسكو أنه يقدر ما بقي نحو ثلاثة ملايين مخطوط. وما زال في الشرق مجموعات.

والمكتبات الآن تتيح للراغب في الإطلاع على ما فيها، سواءً في الغرب أو في الشرق والعلم مشاع.

عثر على مصحف قديم كتبته فتاة اسمها فضل سنة ٢٥٠ هـ اكتشفه الفنان محمد بن إبراهيم أستاذ تاريخ الكتابة العربية في كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية وشيخ الخطاطين، اكتشف هذا المصحف في مكتبة عقبة بن نافع في القيروان بتونس[١].

وعثر في إندونيسيا أخيراً على مخطوطات كتب ومصاحف، وكتب مترجمة إلى لغة الملايو ولغة الساساك بالحروف العربية، في قرية ككوتو رمبيكا GEGUTU REMBIKA في جزيرة «لومبوك» منها نحو ١٤ مخطوطاً وكتابات على أوراق الـ «لونتار»، ويحتمل أنه قد مضى عليها نحو ستمائة سنة[٢].

الشيخ العالم راجَ علي الحاج بن إنكو أحمد الحاج رياو له تآليف منها كتاب «سلسلة ملايودَنْ بوقيس دَنْ سِكلِيَنْ راجا - راجان» جاء في مقدمته ما يلي:

أما بعد فلما كان في عام إثنين وثمانين ومائتين وألف ١٢٨٢ من الهجرة النبوية في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول قذف في قلبي أن أصنع هذه السلسلة، إذ وجدت كتاباً من يد أخينا الصالح الوثيق وهو السيد الشريف عبد الرحمن بن السيد الشريف قاسم سلطان ڤونتياٰنَقْ إبن السيد الشريف عبد الرحمن القدري، وفيه ذكر بعض سلسلة الملوك وأبناء الملوك الذين يتغربون في جهات البوقيس ويبتغون من فضل الله ويدورون في البلدان القريبة والبعيدة، فبادرت إلى رقمه ليبقى ذلك إلى الأولاد والأحفاد بحول الله وكرمه».

---

(١) مجلة دعوة الحق - الرباط المغرب، العدد ١٠ السنة السادسة.
(٢) صحيفة «ڤليتا» ١٧ /١١ /١٩٧٧م PELITA.

ينبغي للنشء الجديد أن يعرف أن أجداده بالشرق الأقصى قد تركوا له من التواريخ ما يعدّ ثروة علمية تاريخية عظيمة، ولكن أخذتها أيد طويلة قوية فخلت منها البلاد، وبقيت قصص وحكايات، ولكن

وهذا الكتاب فضلاً عن اشتماله لذكر أنساب الملوك يشتمل أيضاً على ذكر حوادث عام ١١٣٣هـ وما بعده. طبع في سنقافورا عام ١٣٢٩ هـ وهو ملك السيد عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحداد بسنقافورا.

ومؤلف هذا الكتاب (السلسلة) هو مؤلف كتاب «تحفة النفيس في أحوال بين ملوك الملايو مع البوقيس» عام ١٢٨٢ في ٣ شعبان بلغة الملايو والحروف العربية.

فهذان الكتابان هما ذخيرتان، أما الكتاب الأول وهو «السلسلة» فقد أطلعت عليه لدى إحدى قريباتنا، ولما توفيت فُقد الكتاب، وأما الكتاب الآخر (التحفة) فموجود.

ولنعد إلى ذكر المكتبات.

في مكتبات إستانبول مثل مكتبة السليمانية والمكتبات التابعة لها مخطوطات عربية وفارسية وتركية وغيرها ومطبوعات. فالعربية سنها أكثر من أربعة وستين ألف كتاب مخطوط ومطبوع، والمخطوطات العربية منها ما يقرب من ٤٨٨٩٠ وقد بلغ المجموع كله ربع مليون.

وفي مكتبة القاضي خسرو بك ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط، ما عدا المطبوع. وهي تعتبر المكتبة الرابعة في أوروبا من حيث المخطوطات الإسلامية القديمة.

وهناك مكاتب أخرى خمسة، فيها أكثر من ١٣,٥٥٥ مخطوطة عربية، غير المطبوعة.

وفي معهد المخطوطات الشرقية في «لينين غراد» يوجد ٨٠ ألف مخطوطة عربية. وفي شمال أفريقيا نحو ٢٠٠ ألف مخطوطة.

وفي مصر نحو ٨٠ ألف مخطوط وفي مكتبة برلين أكثر من ١٥ ألف مخطوط عربي وتركي.

بقي الشاهد العظيم الذي لم يمح، ونرجو أن يثبته الله فلا يمحى أبد الدهر، ألا وهو دين الإسلام.

تحقيقات المستشرقين للمخطوطات العربية

إهتم عدد من المستشرقين إهتماماً كبيراً بكتب التاريخ والآثار وفروعها والعقائد والتقاليد وغيرها من الكتب الإسلامية القديمة وعلقوا عليها وجعلوا لها فهارس ترجموا بعضها إلى أللغات الاوروبية ونشروها. منها مثلاً:

الطبقات. لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ - ٢٣٠هـ) وهو في ثمانية أجزاء. صححه وطبعه «أدوارد سخو» في برلين. ساعدته على عمله الجمعية العلمية الكبرى بها، وعدد من علماء الاستشراق ساهموا في هذا العمل.

فتوح البلدان. لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت ٣٧٩هـ) حققه «د. خوي الهولندي» وفيات الأعيان. لابن خلكان. وطبقات الحفاظ للذهبي. عجائب المخلوقات للقزويني وكتاب البلدان لليعقوبي. والبيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب. للمقريزي. وتاريخ مكة للازرقي. وسيرة الرسول لابن هشام. ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي. ومسالك الممالك للاصطخري. وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي والمسالك والممالك لعبيد الله ابن خرداذبة. وكتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة. ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي. وغيرها مما لا مطمع في تعدادها.

أما الذين كتبوا أبحاثهم في التاريخ والأدب وغيرها واشتهروا فمنهم: بروكلمان. يوسف فُنْ هامر. أريثنون. كريمر. نيكلسون. كريمسكي. متز. جب. أرنست كونل. رينان. انطوان جالان. فُنْ همبولت. بالمر. دوزي. ماسينيون. بلاشير. بيلا. لاووست. نولدكه. واربري. مرجليوث. رينيه.

الإتصال القديم بين البلاد العربية وهذه الجزائر

الإتصال والامتزاج بين البلاد العربية وهذه الجزائر الشرقية إلى فلبين التي كانوا يسمونها جزائر واق واق وجزائر السلا والسلاهي كان قديماً من العصر المسمى بالعصر الثيودوري أو الخرافي، فأنا وجدنا في الكتب العربية حكايات ثيودورية (خرافية) عنها، ووجدناها نفسها أو قريباً منها أو بتحريف قليل أو كثير في الكتب الملايوية كتاريخي سومترا وفلبين. وأنا أذكر هنا ما في تواريخ فلبين وسومترا، ثم أقابله بما في الكتب العربية.

قال صاحب كتاب «أمة ملايو» في ذكر فلبين «والعواصف شديدة ومخيفة بهذه الأصقاع بحيث تثير أمواج البحر وتتلف البلاد وتقتل العباد، وقد اكتسحت موجة عظيمة ميناء «هنغ كنغ» في ٢٣ سبتمبر ١٨٨٤م فابتلعت جملة آلاف من الناس وغرقت ١٤ سفينة».

قال سراج الدين عمر بن الوردي في كتابه خريدة العجائب وفريدة الغرائب حين ذكر بحر الصين: ويسمَّى هذا البحر بأسماء عديدة، بحر الصين وبحر الهند وبحر صنجى (أو صنجي) ولعله محرف من لفظي صين وجي، وهو متصل بالمحيط من المشرق، وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلاّ المحيط. وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر فيه المدن والجزر كبحر فارس».

ثم قال: فمن جزائره جزيرة زابج وتشتمل على جزائر كثيرة في آخر حدود الصين وأقصى بلاد الهند، عامرة خصبة ليس فيها خراب يسافرون فيها بلا ماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة، وهي نحو مئة فرسخ.

قال محمد بن زكريا: وملك هذه الجزيرة يسمى «المهراج» ثم ذكر ما فيها من العجائب، وذكر دابة الزباد، وقارة المسك والحيات العظام

والقردة البيض وأنواع طيور الببغاء وما تسمى الدرة، وأنها ما بين بيض وحمر وصفر وخضر. وذكر جزيرة «لامي» وذكر ما فيها من العجائب.

ذكر جزيرة الرخ قال: وهذا الرخ الذي تعرف به هذه الجزيرة طير عظيم غريب مهول الهيئة حتى أن طول جناحه الواحد عشرة آلاف ذراع. ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بكتاب الحيوان. وكان قد وصل إليه رجل من الغرب ممن سافر إلى الصين وأقام به بجزائره مدة طويلة وحضر بأموال عظيمة وأحضر معه قصبة من ريش ذلك الرخ تسع قربة ماء. وكان الناس يتعجبون من ذلك، وكان هذا الرجل يعرف بالصيني لكثرة إقامته هناك واسمه عبد الرحمن المغربي.

ثم ذكر قصة ذكرها هذا المغربي عن بيضة الرخ التي هي كالقبة العظيمة، فمن أراد ذلك فليراجعها في «خريدة العجائب».

والذي نراه أن هذا مأخوذ من أهل فلبين، ثم تزيَّد فيه الرواة. وهنا نذكر ما في تاريخ فلبين.

قال فيه:

قصة ميندناو

قبل كابونغسوان (السيد محمد بن علي زين العابدين الذي أسلم على يده أهل ميندناو) كانت ماكيندناو مغمورة بالمياه، وكان البحر يطغى على جميع الأراضي فلا يظهر للعين سوى الجبال، وكان الناس قد لجأوا إلى الأماكن المرتفعة، كان عددهم كثيراً، عاشوا في هناء في عدة قرى، متفرقين في كل مكان، ولكن هذا الهناء وذاك الأمن لم يدم طويلا كما يظهر، فقد حدثت مُصيبة من حيوانات هائلة تبلغ كل إنسان تجده،

وأحد هذه الحيوانات يسمَّى كوريتا (سرطان) مخيفاً جداً يعيش في البحر وفي البر يقصد جبال «كابالي» ويقضي على جميع الحيوانات الموجودة، والثاني يدعى «تارابونسو» وهو شبيه الإنسان ولكنه كبير جداً يهوى قتل كل من يجده في جبال «ماتوتون» وغيرها.

فهذا الكلام يصف نوعين من السمك تطول حياته بعد خروجه من البحر وهو كثير في بحر فلبين، ومنه كبير قد يغرق بعض المراكب الشراعية، ويصف القردة المسماة بالغوريلا.

والثالث طائر عظيم يدعى «فاءه» ومن عظمه إذا طار يحجب الشمس فيظلم الجو (أسفل البيض مثل البيت).

فهذا هو عين ما تقدم عن الرخ المذكور في «خريدة العجائب» لابن الوردي[1]، وفي «حياة الحيوان» للدميري.

وفي عجائب المخلوقات للعالم المؤرخ زكريا بن محمد القزويني قال: وجزائر السلاهي، وهي جزائر كثيرة من دخلها لا يخرج منها لكثرة حيرها وفيها ذهب كثير».

قال: ومنها جزائر الواقواق تتصل بجزائر الرابح (أو الزابح وهي بوزنيو (كاليمانتن) والسير إليها بالنجوم، قالوا انها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة.

قال موسى بن المبارك السيرافي: دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصيفة ابكارا».

وذكر المقريزي دابة تستوطن شيئاً من الجزائر هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب وقعقعة ولها جناحان تأكل دواب البحر».

---

(١) زين الدين عمر بن المظفر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

قال في تاريخ الفلبين في تمام الكلام على طير الرخ (فاءه): هذا (فاءه) يقيم في جبل بيستا وشرقي منطقة «رانو» يلتهم الناس ويخرب البلاد، وسكانها في خوف عظيم، ومن هرب اختفى في كهف، أو في بلد قريب».

الرابع طائر عظيم أيضاً له سبعة رؤوس، يقيم في جبل «كورين» والبلدة القريبة منه تخربت بصورة مدهشة جداً، وقد وصل هذا الخبر المحزن إلى البلدان البعيدة، وحزن الناس لهذه الحوادث التي جرت في «ميندانو».

وأذكر هنا الطائر المسمى «العنقاء» في كتب العرب، ثم أذكر بقية كلام تاريخ فلبين. قال القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» :عنقاء اعظم الطيور جثةً وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأةُ الفأرَ. كان في قديم الزمان يخطف من بيوت الناس فتأذوا من جناياته إلى أن سلب يوماً عروساً مجلية فدعا عليها حَنظله (بن صفوان) فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء، وهي جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوانات كثيرة كالفيل والكركدن والجاموس والنمر والسباع وجوارح الطير، والعنقاء لا تصيد منهم لأنهم تحت طاعتها. وإذا أتى شيء من الصيد تأكل منه، والباقي يأكل الحيوان منه، ولا تصيد إلاّ فيلا أو سمكا عظيما أو تنيناً، فإذا فرغ منه يخلي البقيةله ويصعدإلى موضعه.ويتفرج علىأكلها. وعندطيرانه يسمعمن ريشه كهجوم السيل أو صوت الأشجار عند هبوب الريح (وحكي) عن بعض التجار قال ضللنا الطريق في البحر المحيط وتحيّرنا فإذا نحن بسواد عظيم كغيم مظلم، فذكر الملاحون انه العنقاء فتتبعناه حتى دخلنا تحت السواد، ثم فتحنا اللسان بالدعاء، فما زال يمشي حتى وجدنا الطريق ثم غاب عنا... إلى آخر ما أطال به.

وليس مقصودنا ذكر تلك الأساطير بطولها، فمن أحب الإطلاع عليها فليطالعها في تلك الكتب، وإنما مرادنا أن الأساطير التي في تواريخ فلبين ذكرها العرب في كتبهم، ذكروها واقعة في هذه الجزائر فسواء كانت حقيقة أو أسطورة أو ثيودور أو خرافي فنقل العرب يدل على اتصالهم بهذه الجزائر ومعرفتهم بلغة أهلها حتى اخذوها عنهم وسيّروا أخبارها في البلاد العربية. والعنقاء ذكرها الدميري في حياة الحيوان وذكر عنها روايات كثيرة، وذكر أن سبب هلاكها دعوة حنظلة ابن صفوان. وفي رواية أخرى بدعوة خالد بن سنان، وقد تطورت القصة على ألسنة البحارين العرب وأهل فلبين، فأهل فلبين يقولون أن سبب هلاك ذلك الطائر راج سليمان. ودونك ما جاء في تاريخ فلبين: «فلما بلغ الملك» «راج اندرا فترا راج» شعر بمزيد الحزن والأسف ودعا «راج اندرا» فوراً أخاه الأكبر «راج سليمان» وطلب أن يذهب إلى «ميندانو» لإنقاذ هذه البلدة من تلك الحيوانات العاتية، وحزن «راج سليمان» مع شعوره بالحماس والطاعة لأخيه ودعا له «راج إندرا فورا» بالسلامة وناوله خنجراً يُدعَى «جدرو فاكل» قبل أن يرحل، فأخذ «راج إندرا فوراً» غصناً من شجرة وغرزه وأقامه، لاعتقاده أنه سوف يخبره بكل ما يحدث، فراح سليمان بعد رحيله، فقال لراج سليمان إذا انتعش هذا الغصن فإنك تنتعش، وإذا ذوى فهو دليل موتك.

وغادر راج سليمان «سانتا فولي» وتوجه إلى ميندانو بطريق الجو، فلم يسر على قدميه، ولم يركب البحر، وأول مكان وصل إليه هو «كبالن» فوقف هناك على قمة جبل وتأمل ما حوله إلى السهول والقرى، ولكنه لم يشاهد إنساناً واحداً، فأينما وجه نظره أحسّ بالأسف، فقال: مساكين، إن هذا التخريب عظيم، فلما قال كلمته هذه تحركت الجبال جميعها واهتزت وخرج من الأرض حيوان عظيم يهاجمه، ونشب فيه أظفاره. فلما رأى سليمان ذلك السرطان علم أن هذا حيوان

مخيف فسلَّ سيفه وقطع السرطان إرباً إرباً. ثم توجه إلى «كماتوتون» فرأى هناك التخريب العظيم عندما كان على قمة جبل فسمع صوتا ينبعث من الاجام ورأى الأشجار تتحرك، ثم ظهر «تــاربونسو» الذي اقترب منه وله صوت عظيم، وحاول ان يهجم على سليمان ويقتلعه، فأراد سليمان قتله، فقال الحيوان إذا أردت قتلي فإني اموت شهيداً. وفي ذلك الوقت كسر الأغصان الكبيرة وهجم على سليمان، والتحم في معركة طويلة حتى تعب الحيوان وسقط إلى الأرض، فضربه سليمان بسيفه وقتله، وقبل موته اثنى على سليمان، فأجاب سليمان بقوله: إن عملك السابق هو الذي سبب موتك. ثم توجه سليمان إلى جبل بسيتا فكان الخراب أعظم، ومر على بعض المنازل فرآها خالية لا يوجد بها إنسان حي، ما عدى خراب وفناء عام، فقال: لنمش. ولكن فجأة أظلم الكون، فاستغرب سليمان ذلك، فمد طرفه إلى الجو فرأى طائراً غريباً كبيراً ينزل عليه من السماء، فعرف حالا هذا الطائر وقصده، فأسرع إلى سل سيفه وأطلقه على الطائر فقص جناحه فخر إلى الأرض ميتاً، ولكن الجناح سقط على سليمان فمات».

فهذه القصص فيها مشابهة كثيرة لما حكى بحارو العرب ومسافروهم إلى هذه الجزيرة عن الرخ وغيره من الحيوانات، وتارابوسو وكوريتا توجد في ذلك البحر، وبحارو العرب تلفقوا هذه القصص عن أهل هذه الجزائر على قدر التفاهم فيما بينهم وصارت في كتب العرب، وهذا يدل على امتزاج تام.

النساء اللواتي يخرجن من أصول البامبو

إذا قرأنا في حكايات ألف ليلة وليلة نرى شبيها بما نراه في التاريخ الثيودوري هذه الجزائر، فقد ذكر في الكتاب الملايوي المخطوط المسمى بكتاب «سجره ملايو» المكتوب سنة ١٠١٢ هـ الموافق ١٦١٢ م

أن السلطان محمد حكى الناس عنه أنه تبع كلبه ذات مرة في الصيد إلى غابة قصب (بامبو) وهناك وجد جذع قصبة كبيرة جداً فأخذ عدة مفاصل منها إلى قصره، فألبس أحد المفاصل ثوب امرأة تكريماً له، فلم يلبث أن إنفلق ذلك المفصل من القصبة عن بنت فسماها «ملكة القصب».

هكذا يتناقل الأهالي هذه القصة، وفي تاريخ فلبين أمثالها، وقد سمعها البحارة العرب والتجار والرحالون منهم وصارت كما سنرويها فيما بعد.

وشبيه بما ذكر عن «سجرة ملايو» ما ذكر في تاريخ فلبين بعد ما ذكر وصول محمد زين العابدين (كابو غسوان) وإدخاله الإسلام سلماً إلى مكيندانو قال: لم يمر زمن على وصوله إلى مكيندانو تزوج شريف كابوغسوان بالأميرة «تونيناغ ماماليو» الذي جاءت من غصن الغاب، حدث هذا في عهد تابوناوي. وماماليو عندما قطع الغصن ليصنع منه مصيدة للسمك، فلما عاد «ماماليو» سأله «تابوناوي»: هل قطعت جميع الأغصان؟ فقال ماماليو: قطعت الجميع إلاّ واحداً فقط لأنه ما زال غضاً. فقال «تابوناوي»: أقطعها جميعاً، فإن ذلك علامة نحس لمصيدة السمك إذا تركت غصناً واحداً. فقطع «ماماليو» الغصن فظهرت منه فتاة دعيت «فوتري يونينا» وكان قد جرح خنصرها من ضربة الفأس.

ومن أهل فلبين من لا يزال يفتخر بأن جدتهم الأولى ليست من نساء بني آدم وإنما خرجت من باطن شجرة الغاب.

وقد نقلها رحالوا العرب وبحاروهم على قدر ما تقبله عقولهم، فقد قال ابن الوردي في «خريدة العجائب» في روايته عن عيسى بن المبارك السيرافي: وبهذه الجزيرة شجر يحمل ثمراً كالنساء بصور وأجسام وعيون وأيد وأرجل وشعور وأبدان وفروج كفروج النساء حسن الوجوه يخرجن

معلقات بشعورهن، يخرجن من خلف كالأجربة الكبار. فإذا أحسسن بالهواء والشمس يصحن «واق واق» حتى تنقطع شعورهن، فإذا انقطعت ماتت.

وأهل هذه الجزيرة يفهمون هذا الصوت ويتطيرون منه في كتاب الحواله أنه من تجاوز هؤلاء وقع على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قـدوداً وأطول منهن شعوراً وأكمـل محـاسن وأحسن أعجـازاً وفروجاً، ولهن رائحة عطرة طيبة، فإذا إنقطعت شعورها ووقعت من الشجرة عاشت يوماً أو بعض يوم، وربما جامعها من يقطعها أو يحضر قطعها فيجد لها لذة عظيمة لا توجد في النساء».

فهذه الأسطورة التي كانت منتشرة في هذه الجزائر أخذها الملاحون العرب والتجار والرحالون عن أهل هذه الجزائر ورووها على ما يفهمون، إذ لم يدخل في عقولهم أن في الدنيا بشر يتناسلون أمهاتهم يخرّجن من ثمر الأشجار، ولكن هذه الأسطورة لا يذكرونها إلاّ لزوجات ملوكهم فيما وقعت عليه، فلعلها رمز عن الاحترام، لهم عقلاؤهم وكتابهم ويفهمه عوامهم حقيقة واقعة. والدليل على ذلك أن تاريخ فلبين أو جزائر السلا والسلاهي يذكر في موضع آخر أن «مامالو» من ذرية «أشراف أولياء» السابقين، ويشير في موضع آخر أن «فوتري يونينا» هي بنت «مامالو»، وبذلك نعلم أن كل ما رواه العرب بأنه من غرائب وعجائب في هذا البحر الذي يسمونه بحر الصين له أصل. وقد دخل في كتاب «ألف ليلة وليلة» ولا سيما حكاية السندباد البحري اشياء موجودة في هذه الجزائر. وقد اقرَّ بذلك ونوَّه به بعض المستشرقين مع تعصبهم الذي لا نظير له على العرب من اجل دين الإسلام.

ومما ذكره القزويني من العجائب بهذه الجزائر أن بها نوعين من النسانيس له اجنحة كأجنحة الخفافيش، وهذا نوع من الخفاش وهو

موجود كما ذكره. ومنها سمكة تسمى «سيلاه» قال صاحب تحفة الغرائب: هذه السمكة تبقى على اليبس يومين حتى تموت فإذا جعلت على القدر وغطى رأسه تنضج، وان ترك رأس القدر مكشوفاً فإذا اثرت فيها النار طفرت وهربت.

فهذه السمكة يذكرها أهل شمال كاليمانتن، وأما السرطان الذي يخرج من البحر فإذا بان عنه صار حجراً فقد تطابقت على ذكره كتب الطب والعقاقير وكتب الغرائب. وذكر الأطباء انه يدخل في الأكحال (أدوية العيون).

كان في دار الآثار بجاكرتا حجر مربع منقوش عليه أحرف بخط المسند الحميري وجد على ساحل البحر مما يلي «جوكجا»، مما يدل على أنه من بناء حجري أقامه العرب هنا ليكون مركزاً تجارياً. وقد رأيت هذا الحجر وسألت عنه الموظف في دار الآثار فقرأه على أنه وجد ذلك الحجر قريباً من شاطىء البحر من جانب «جوكجا». قرأ على هذا من كتاب مخصص بذلك. ومثل ذلك الحجر الضخم إنما يضع للبناء كما هي عادة الحميريين وارم من قبلهم، وأقرب الاحتمالات أن يكون ذلك البناء كان مركزاً تجارياً، وكيفما كان فوجود هذا الحجر يدل على أن الاتصال التجاري بين العرب والشرق الأقصى قد وجد من زمن واغل في القدم.

تواريخ جزائر إندونيسيا وما نزل بها من مصائب

قال الكاتب عبد الله منشى بن عبد القادر في حكايته عن ملاكا في القرن الثالث عشر الهجري بما يتضمن ما يأتي:

«كان يوجد في بلاد الملايو لذلك العصر مجتمع مؤلف من الملايو والكليغ والعرب ولفيف مختلف من التجار من الصين وغيرهم، وفي ذلك العصر جمعت هولندا من رياو ولينغا وڤاهانغ وترنقانو وكلانتن كتبا

ملايوية وحكايات نحو سبعين مجلداً ». إذَنْ فأين هذه المجلدات؟ وإذا كان قد اجتمع من هذه البلدان سبعون مجلداً فكم اجتمع لها من جاوا وسومترا وجزائر سيلا وجزائر الملوك؟ إنه لا محالة يبلغ إلى المئات أو الألوف من المجلدات. فأين هي.

ولما وردت إلى جاوا سنة ١٣٤١ هجرية أخذت أبحث عن التواريخ الجاوية فقيل لي ينبغي أن لا تفتح فمك بهذا، فإن هنا قانونا قد شرعته الحكومة أنه يلزم من كان بيده تاريخ خطي أن يسلمه إلى لجنة أقامتها لإستلام التواريخ الإسلامية الجاوية. وبعد سنتين زادت في ذلك القانون مادة بأن من وجد عنده تاريخ لم يسلمه للجنة يحكم عليه بالسجن أو حتى بالقتل.

وقرأت مرة في مجلة تصدر من «بالي ڤوستاكا» مقالة ذكر فيها دخول أربعة من دعاة الإسلام «كباوَه أغين» أحدهم السيد عبد الله القدسي، والثاني السيد عثمان بن شهاب، والثالث السيد محمد بن أحمد العيدروس، والرابع السيد حسين القدري. وان السيد حسين القدري رجل من تريم بحضرموت وعمره ١٨ سنة فدخل ملابر وطلب العلم، ثم إستأذن هؤلاء الأربعة أستاذهم بالسفر «كباوَه أغين» وسرد حكاياتهم، فأحدهم صار جد ملوك «سياك» التي ازدهرت تجارتها فيما بعد. والقدري تولى بجهة في بورنيو وافتتح إبنه عبد الرحمن «فونتيانق».. إلى آخر ما ذكر. فأخذت بعض الأصحاب معي وقابلت محرر المجلة فإذا هو يهودي، فسألته عن المصدر الذي اخذ عنه المعلومات التي ذكرها في مجلته فقال لي أخذتها من تاريخ عندنا. قلت له: أمكتوب باللغة العربية أم باللغة الملايوية، فأجابني أنه مكتوب باللغة العربية.

فاذا نظرنا إلى ما جمعته هولندا من التواريخ وذهب ضياعاً عرفنا السر الذي نبحث عنه وهو أن التواريخ الصينية كلها تتحدث عن

العرب وبلادهم وتجارتهم ومراكبهم والكبار ممن ورد الصين منهم ، ووفود خلفاء الاسلام ، ولا نرى لجزائر الشرق الاقصى تاريخا يذكر ما كان ، كأنها ليست على طريق النهضة التجارية او مسكونة خاملة ، ولكن مما ذكرنا ومما لم نذكره نعرف أن تواريخ علمائها ومثقفيها ذهبت إلى حيث لا رجعة وأخذت من أيديهم على سياسة مبيتة ، وهو إحداث تاريخ لهم ملفق يصغر لهم دين الاسلام وحكومته وتجاره ومن جاء به ويقطع بينهم وبين أول أمة نشرته وهم العرب.

وذكر عبد الله بن القادر منشي في حكايته أن المستر رافلس جمع نحو ثلاثمئة مجلد. أما ما وجده البرتغال والاسبان فأول ما يتبادر إلى الفهم أنه أحرق لوقته ، لأن عند هؤلاء قاعدة معلومة أسسها لهم الكردينال خمسنيس.

وملخص ما وقع أنه لما تضاءلت عظمة الاسلام في أسبانيا (ألأندلس) وانحصرت دولته في « غرناطة » لبثت زهاء قرنين وهي مركز التأليف والعلم الاسلامي وحشر إليها مؤلفات العلماء ونتائج بحوثهم في مختلف العلوم ، وقد كان في مكتبة « قرطبة » ستمائة ألف مجلد ، هذا خلا ما هو من أملاك الافراد ، فقد كان أهل الغنى كل منهم يجمع لنفسه مكتبة خاصة حتى ولو كان أمياً ، فلما سقطت « غرناطة » معقل الاسلام الأخير سنة ١٤٩٢ م (٨١٨ هـ) لم تمض أعوام حتى ارتكبت أسبانيا جريمتها البربرية الشائنة باحراق تلك الكتب ، ففي سنة ١٤٩٩ م (٩٠٥ هـ) أمر الكردينال خمنيس مطران « طليطلة » بجمع جميع الكتب والآثار العربية في « غرناطة » وتنظيمها اكداساً في ساحات المدينة أحتفل باحراقها لما يسمونه « عمل من أعمال الايمان » AUTO DA FE وقد قدَّرها بعضهم بمليون ، وأحسبها أكثر من ذلك.

ويكفي في معرفة نفسية هذا الشعب أن يقرأ من أراد ذلك ما جاء

في كتاب نجيب صليبي المسمى THE HISTORY OF SULU المطبوع في مانيلاسنة ١٩٠٨م صفحة ١٦٤ - ١٦٧ و ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١، وقد علم أن هولندا كانت ربيبة أسبانيا.

تاريخ إندونيسيا

إن إندونيسيا أولى أن يكون لها تاريخ قديم عن العلاقات التجارية بالبلاد العربية والعلاقات السياسية في الاسلام، والعلاقات العلمية ومعلومات الاندونيسيين عن العرب وبالعكس، والعلاقات الاجتماعية والدينية واللغوية والدبلوماسية، وتاريخ انتشار الاسلام ورجال الدعوة اليه، وعلاقات اندونيسيا بسلاطين المسلمين في البلاد الاسلامية، وتبادل الفنون وامتزاج الدماء والعائلات، وما دخل إلى اللغة الاندونيسية من لغة القرآن، وما دخل اللغة العربية من ألفاظ اندونيسية.

وقد قرر المؤلفان الصينيان أن يذكرا أعداداً من علماء المسلمين الصينيين وما لهم من أعمال وتآليف وتلاميذ. أفعجزت إندونيسيا في مدة هذه الستمائة سنة من إيجاد علماء ومؤلفين؟ فأين تراجمهم؟، ثم إننا نعلم أنه كان لها ملوك في الاسلام وقائمون بالحق، ثائرون على الظلم، منهم عدد قد نفوا عن بلادهم الى سيلان أو الى إفريقيا، فأين تراجمهم؟.

إن تحرير وجمع تاريخ اندونيسيا يحتاج الى توحيد الجهود، وتجديد العزم من اليوم، ونبذ التاريخ المكذوب المحرّف،ومحو الأدمغة من داء التعصب العنصري، والتفريق بين المسلمين فعسى أن يقوم بذلك من يجتبيه الله لهذه المهمة.

إن للمؤرخين الوطنيين مؤلفات فيها حقائق أجمعت على ذكرها كلها حتى أصبحت في معنى المتواتر، بل ان كثيراً من المستشرقين لم يستطع إغفالها، وانما قصارى جهدهم أن يدخلوا في أثناء الكلام ما اعتادوه من

التمحل والتمحك وكلمات التشكيك، فتراهم يكررون الأمر كذا، واشباه ذلك.

وقد صنعوا هذا في تاريخ الاسلام العام، ولكن تاريخهم الذي لم يكن مأخوذاً الاّ من روايات الشوارع وحكايات العجائز جعلوه أمراً مقرراً يلحقون بكل عبارة منه كلمات التأكيد والتقوية.

وقد وقفنا على تواريخ المسلمين من الاندونيسيين منها المنثور ومنها المنظوم ومنها السجع، فبأيّ ذنب ترمى خلف الظهر ويترك ما فيها من الحقائق؟

لقد ألفت في العهد الذي كانت أوروبا هاجعة في بلادها فكتبوا - وهم المسلمون الصادقون - ما كتبوه عما شاهدوه أو سمعوه من الثقات. ثم إن تطابق تلك المؤلفات على أكثر ما ترويه علامة ظاهرة من علامات الصحة والثقة.

محاولة محو تاريخ العرب من أجل الاسلام

إن مؤرخي أوروبا إتفقوا إتفاقاً صارماً على محو تاريخ العرب وكتمه والهزء به والسخرية منه وإبعاده عن مدارسهم وكلياتهم بكل وسيلة، لا مِنْ أجل العرب، ولكن كراهية لدين الاسلام وللمسلمين الذين يدينون به، ثم رأوا أن ذلك لا يكفي فأخذوا يؤلفون مؤلفات تاريخية تبلغ نسخها مئات الملايين، ألفوها بزعمهم في تاريخ الاسلام فملؤها كذباً وبهتاناً وزوراً وسخرية وتحريفاً، ودخلوا الى الطعن في كل جيل من تاريخ الاسلام من كل باب بالتقبيح، بالتعريض وبالتصريح، حتى لا يكاد متعلم يقرأ كتاباً منها فيبقى مسلماً صحيح الاسلام، واجتهدوا فملؤا المدارس بمؤلفات صغيرة فيها خلاصة ما في مؤلفاتهم الكبيرة من الافتراء والسخرية، وعمت هذه المؤلفات المشار اليها ما بعد

باب المندب الى آخر جزيرة بالشرق الاقصى، بل كل الشرق الاوسط والادنى والاقصى.

وهذا رجل واحد منهم أظهر ما تقاسموا عليه وتكاتموه فيما بينهم وهو «سيديو» الفرنسي فقال في مقدمة تأليفه «تاريخ العرب العام»: «يظهر انه قصد نسيان العرب وانكار ما لهم من تأثير في الحضارة الحديثة، فلقد حل الوقت الذي توجه فيه الانظار الى تاريخ تلك الامة التي كانت مجهولة الامر في زاوية من آسيا فارتفعت الى اعلى مقام فطبق اسمها افاق الدنيا مدة سبعة قرون» (تلخيص المترجم العبقري عادل زعيتر).

ومن كلامه نفهم ان المؤلفات التاريخية الاوروبية قصدوا فيها نسيان العرب ولفت الانظار عنهم، كل ذلك من اجل دين الاسلام.

وقد علق صديق سيديو وهو غوستاف دونها احد المستشرقين على «تاريخ العرب العام» لسيديو بقوله: بل أراد رسم صورة حية ساطعة لحركة الاسلام العجيبة في جميع نواحي التاريخ والادب والفلسفة والعلم على الخصوص وحفزته دراساته الخاصة الى اعتنائه العظيم بكل ما هو خاص بالعرب في الحقل العلمي، فوفق لبعث حضارة غابرة مؤثرة في حضارتنا، فأعاد الى الامة العربية مكانها، وهي التي ملأت بما انتجه الفراغ الذي كان في تقاويم الروح البشرية بين مدرسة الاسكندرية والمدرسة الحديثة.

ودونك ما قاله «سيديو» بجملته لترى كيف اخفوا اسم العرب في الشرق الاقصى تحت اسم «الجزراتيين» و «الايرانيين» و «الهنود»، بل نفوا وجود العرب في ميدان الدعوة الى الاسلام ونشره في الشرق الاقصى.

قال المسيو سيديو في اول كتابه. الى القاريء. يظهر وقد قلت ذلك

في مواضع أخرى أنه قصد نسيان العرب وانكار ما كان لهم من تأثير في الحضارة الحديثة دام دوام القرون الوسطى.

« فانظر إلى بوسويه تجده في أحاديثه عن التاريخ العام قد بحث في عظمة الدول القديمة وانحطاطها، ثم وقف تجاه دولة العرب التي بدأ أمرها قبل «شرلمان» بمئتي سنة مؤجلا إلى حين اكتشاف أسباب ما اصابه محمد وخلفاؤه من النجاح العجيب. وما سكت عنه «بوسويه» ساعد على اسدال ستار صفيق من الظلام والغموض، زاده التعصب والجهل كثافة مع الزمن».

« واليوم نرى اسم العرب يمحى حتى تحت اسم الشرقيين والمحمديين والمسلمين والهاجريين والمغاربة والترك حتى تحت اسم الهنود، وهو اذا ذكر فللأهانة والازدراء، وما علمنا ان مغازي العرب واقامتهم بين القرنين الثامن والحادي عشر بجنوب فرانسا اسفرت لا ريب عن آثار لا تزول من لغتنا، وان نفوذ العرب كان بادياً في مختلف ادوار تاريخنا، لا فرق في ذلك بين زمن الغزوات الاولى وزمن الحروب الصليبية، ولا حينما ادى طرد العرب من اسبانيا الى استقرار قبائل منهم بافرن وليموزن الدنيا. وان اسماء الاعلام فيها تبدي شكلا عربياً في كل خطوة كما تبديه اصطلاحاتنا العلمية ايضا، وما يأتيه علماء اللغة المعاصرون عندنا ومنهم العالم «ليتريه» العزيزة صداقته علينا من اشتقاقات يقف لها شعر الرأس، كما قال بسكال[1] ».

---

(١) يعني ان ليترية يحاول إرجاع الكلمات العربية الموجودة في اللغة الفرنسية إلى اللاتينية فيأتي باشتقاقات غريبة تذهل من سمعها من غرابتها ومحالها.

« ومن المؤسف أن جهل أفضل علمائنا في اللغة لهجات الشرق فظلت اللغة العربية التي حافظت على صفاتها بفضل القرآن وهي ادعى اللغات العجب حرفاً ناقصا عندهم حتى انه لم يدر في خلدهم أن الكلمات التي يفترضونها ايطالية أو اسبانية أو برتغالية فلا تنم على أصل لاتيني قد أقتبست من العرب، وهم الذين لا يستطيعون مع ذلك أن يذكروا أن شبه جزيرة إيبرية ظلت كلها خاضعة لسلطان الاسلام من القرن الثامن الى القرن الخامس عشر، وأن جزر البحر المتوسط الكبرى وصقلية على الخصوص والشواطيء الافريقية كانت في قبضة العرب في تلك المدة وأن البابا يوحنا الثامن كان يدفع اليهم جزية سنوية ليقي ايطاليا الجنوبية من غارتهم وأن المدن بلرم والقاهرة وفاس.. الخ كانت زاهرة في الاداب ازدهار بغداد وقرطبة، وأن الادريسي كتب في سنة ١١٥٠م (٥٤٦هـ) رسالته العربية في الجغرافية إلى الملك النصراني روجر الثاني وان الامبراطور فريدريك الثاني استقبل في بلاطه حفدة إبن رشد بعد قرن، وانه يجب في الحقيقة ان لا يبالي بمؤلفات السادة ناردوتشي ودوزي وسوزا ومستشرقي فرانسا، حتى لا تجد الاوهام العريقة في الوهم لها مجالاً[١]. ولا ينكر فضلا عن ذلك أن الخلفاء كانوا في القرن التاسع من الميلاد سادة امبراطورية واسعة رائعة تقضي بالعجب، وأن خلفاء بغداد كانوا يرسلون وفوداً وهدايا الى الامبراطور « شرلمان » والى عاهل الصين، وأنهم كانوا مثال العظمة الحقيقية بنظمهم الصالحة وعنايتهم بالآداب والعلوم، وأن ما شيد من المدارس في أرجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة فيما بين الشرق الادنى والاقصى ».

---

(١) يعني أنها مملؤة بالتحريف والاوهام والاغراض.

« وعمد هركول بجبل طارق ناشراً آثار الفن العربي الرائعة في كل مكان عاملاً على تجديد الدم في عروق العالم الهرم ».

جاء في كتاب سجره تانه جاوا W. FRUIN MEES: SEDJARAH TANAH DJAWA في الجزء الثاني: ان الذين جاؤا بالاسلام الى ڤرلاق هم الهنود، بناء على ما ذكره ماركوبولو، مع أن ماركوبولو يصرح بأن الذين جاؤا بالاسلام الى جزيرة ڤرچا هم العرب.

ومن العجب أن يؤرخوا دخول الاسلام الى جزيرة ڤرچا سنة دخول ماركوبولو اليها، وهذا أمر مستحيل في العادة، إذ لا بد أن تسبق الاسلام دعوة في سنين متطاولة حتى يتكاثر المسلمون. واذا قلنا أن الاسلام دخل اليها سلماً كما دخل الى بورنيو وماكينداناو وسائر الجزائر حولها وجزائر السيلي وجزائر الملوك وغيرها فلا بد له من مقدمات، ولا يمكن تحديد وقوع ذلك بمجيء مركوبولو اليها، بل الذي لا يحتمل غيره ان ذلك قد وقع قبل مجيئه بقرون، ولذلك بلغ من القوة أن كانت له حكومة وملوك وجنود ونظام.

سراسين SARACENAN أو هاجرين ومورو MORO

إن كـــل مـــا هو منسوب الى «سراسين» المراد بـــه العرب الاسماعيليين، وقد يطلقونه على العرب مطلقاً.

وكان الرومان أول من سمّى العرب «سراسني» كما ذكر ذلك المؤرخ المسعودي في كتابه «التنبيه والاشراف»، وكان مرادهم من ذلك تعيير العرب بأن أمهم هاجر المصرية. وذكر المسعودي أن أحد رهبانهم لامَهُم على هذا التهجين ولكنهم لم يتركوه، بل ورثته عنهم شعوب أوروبا والمستشرقون خاصة. لذلك فان كل ما يذكر في التاريخ مما يتعلق بالسراسين يراد به الاهانة. هكذا يقول سيديو L. B. SEDILLOT[١].

أما اسم «مورو» MORO فأول من استعمله الاسبان في أسبانيا ثم في جزائر فلبين، بعضهم لا يزالون جازمين بأن الاسلام دخل الى جنوب آچيه بواسطة العرب خصوصا قوم سراسين. قال مركوبولو: إن ڤاسي هي نفسها «بسما» وقريبة منها ڤرلاق، أو ڤرلاك، وبلغه آچيه ڤيريلا سكنها فيما بعد المسلمون وقد إعتنقت هذه الامة الاسلام بواسطة السراسين.

---

(١) ذكر مركوبولو ان السراسين كانوا ينشرون الاسلام في «ڤرلاق» وأن الأهالي الاخرين في غيرها ما زالوا وثنيين.

وكلمة سراسين محرفة من شراقة، أي شرقيين، وتطلق على العرب ثم عمَّ إطلاقها على المسلمين. وفي اللاتينية «سراكنو» يقصد به العرب الرُحَّل.

قال جرجي زيدان في كتابه «العرب قبل الاسلام» ص٩٤: «ومن ذلك ما وصل إلينا عن قبيلة «السراسين» وهي من القبائل التي عرفها اليونان في جزيرة سينا وورائها شرقاً، وأصل هذا الاسم مجهول، ويظن بعضهم أنه تحريف الشرقيين في العربية. وقال آخرون أنه تصحيف الصحراويين أو الشراقين أو الشركاء أو غيرهم.

وقد اشتهر هذا الاسم عند اليونان حتى أطلقوه على سكان جزيرة العرب» حتى ان ابن بطوطة لما دخل القسطنطينية كان أهلها لما رأوه يقولون «سراكنو».

الدعاة ومناقشة ذلك

جاء في التواريخ الأهلية الاسلامية أن الدعاة المشاهير الذين أدخلوا الاسلام إلى سومترا منهم الشريف إبراهيم والشريف إسحاق والشريف علي رحمة الله والشريف محمد إبن زين العابدين فذكرت أنهم من نسل علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وممن ذكر هذا صريحاً DONALD MAKLAINE و SIR STAMFORD RAFLES في كتابه .HISTORY OF JAVA وقد أرسلت حكومة هولندا بعثات لارتياد المقابر الاسلامية القديمة لاخذ معلومات عنها قبل دمارها أو تدميرها، وقد نشر احد مرافقي البعثة أربع مقالات في جريدة «يافابوده» الهولندية في الاعداد الصادرة في ١٩ و ٢٢ و ٢٣، و٢٥ مايو ١٩٣٣م (٢٥و ٢٧و ٢٨و ٣٠ محرم ١٣٥٢هـ) وقد عرته دهشة من كثرة المقابر وما دلّت عليه من حضارة قامت في شمال سومترا، فاذا كانت هذه قبور أهل تلكم الحضارة فكيف كانت قصورها. ورأى الكتابات المختلفة من كوفي إلى نسخي جميل مفصل أو موضوع على مداخله الكلمات والحروف بعضها في بعض فتكون كتابة ونقوشاً وشجراً مزهراً في آنٍ واحد، وكتابة بالخط الريحاني وغيره من الخطوط التي توجد نضائرها في مساجد العالم العربي ومقابره.

قال الكاتب: في القرن الثامن أتى الصينيون المسافرون بتعاليم بوذا، ثم أتى بعدهم تجار الهنود الكجراتيون وهم الذين أدخلوا الاسلام سلمياً، فقد قال البروفسور الدكتور سنوك هرخرنجه في خطبته العلمية التي ألقاها في ٢٣ جنواري سنة ١٩٠٧م (ذي القعدة ١٣٣٤هـ) معبراً عن رأيه: أن الاسلام جاء الى الجزائر الشرقية الجاوية من طريق الهند لا من طريق بلاد العرب.

ذكر مؤلف «سجره عالم ملايو» أن الاسلام جاءنا من ملابر، والدليل على ذلك مذهبنا شافعي مثل أهل ملابر».

وأظن لو كان الكاتب بملابر لقال أن الاسلام أتانا من بلاد الملايو، لأن مذهبنا في ملابر شافعي مثل الملايو، وسيقول أهل بلاد السومال وشرق أفريقية أن الاسلام أتى به اهل ملابر ايضا عبر المحيط الهندي. فما اسخف هذا الدليل.

ثم قال الكاتب: والحقيقة ان سكان كمبي (كنباية) في كجرات في سنة ١٣٠٠ هـ تقريبا كان مركز حركة المسلمين.

ثم نقل قول خ. ي. قريني: «بان سمودرا ظهرت في سنة ١٢٧٠ م (سنة ٦٦٩ هـ) وان الاسلام دخل اليها بين سنة ١٢٧٠ و ١٢٧٥ م».

وهذا قول لا دليل عليه، والمنقوش على شواهد القبور يدل على خلاف ما قاله، فالملك الكامل توفي سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) وربما كان قبله ملوك.

ذكر مكتشفو البرتغال انهم لم يزالوا يقاتلون مراكز العرب التجارية ومراكبهم من غانه فرأس الرجاء الصالح الى ملاكا، واخذوا غانة من يد العرب ومكثوا اربعا وعشرين سنة بعد ذلك حتى اكتشفوا رأس الرجاء الصالح، فوصل ملاحهم العظيم «فاسكو دي جاما» من لشبونة يوم ٨ جولي ١٤٩٧ م (٨ ذو القعدة ٩٠٢ هـ) حتى انتزعوا ملاكا من يد سلاطنها عام ١٥١٥م (٩٢١ هـ) اي مدة ١٨ سنة وهم يقاتلون العرب ومراكزهم التجارية.

جاء في كتاب DE ISLAM EN ZIJN BETEEKENIS NEDERLAND INDIE تأليف الأستاذ س. سفات C. SPAT : «اما من هو اول داع إلى الاسلام واول مؤسس لمركزه بجاوا فهو لا يزال مجهولاً، وقد جاء في التاريخ الماليزي اسماء كثيرين مثل مولانا ملك ابراهيم ورادين رحمة او

سونن اسفيل، ورادين فاكو، وممن اشتهر ايضا سونن قيري، ورادين فتاح وغيرهم».

«اما ملك ابراهيم فهو أحد ذرية الحسين سبط النبي محمد ﷺ، ولعله قدم من ملابر، ومحل اقامته في كرسيك، وهي بلدة كانت معدودة من البلدان التجارية المهمة، وقبره لا يزال معظماً الى الآن».

«اما رادين رحمة فقد جاء من «چامفا بكمبوجا»، وهو من اقارب ملك ماجا ڤاهيت الذي جعل له السلطة على بضعة الاف من العائلات بامفيل، وهو موضع بالقرب من المحل الذي به مدينة سورابايا الموجودة الآن».

وقال في ص ٤: «كان اول ظهور الاسلام في بلدة ملاكا قبل غيرها». وفالنتين هو اسم احد ملوك ترناتينة، وهو الذي اتى بالديانة الاسلامية الى بلاده حوالي عام ١٥١٠ م (٩١٦ هـ) وقال في ص ٩:«ان الناس كانوا يعتبرون تلك الاماكن الملايوية في سومترا هي المغذية والمنمية للمدارس القرآنية التي تسمى «سوراو» واسم المصلّي في آچيه «ميناسه» والتعليم المقدم على غيره خصوصاً عند سكان آچيه هو تدريب الصغار على الكتابة العربية، واذا لم يتعلم الصغير القرآن من اوله الى آخر سورة منه، وهي السورة الرابعة عشر بعد المئة يعتبر تعليمه ناقصاً».

وقال في ص ١٥: «ان اصحاب الاولوية في نشر الاسلام باماكن معلومة مثل ملك ابراهيم وغيره يعتبرون في الدرجة الاولى من المشهود لهم بالسلطة والنفوذ العام والخاص».

---

(١) اصدرته عام ١٩١٧ م (١٣٣٦ هـ) مطبعة الجامعة الملكية العسكرية في بريدا بهولندا.

وقال في ص٩٢: «في اماكن متعددة من سومترا سيما في الجهة الغربية منها تقام مأتم كل عام لذكرى قتل الحسين بن علي سبط النبي ﷺ الذي قتل بكربلاء عام ٦٨٠ م (٦٠ هـ) وهي عادة اخذت من المسلمين المتعصبين، وهم فرقة الشيعة المبتدعة المذمومة »أهـ.

وقوله ان اول ظهور الاسلام في «ملاكا» من الخطأ الواضح، فقد ذكر مركوبولو ان ظهور الاسلام في سومترا قبل ذلك العهد في عام ١٢٩٢م (٦٩٢ هـ). وقد توفي الملك الكامل عام ١٢١٠م (٦٠٧ هـ) فالتفاوت في ظهور الاسلام بآچيه وظهوره في «ملاكا» يبلغ نحو قرنين.

آچيه ACHEH

قال الكاتب تحت عنوان «حكاية عن آچيه» نقلاً عن كتاب صيني قديم عن ورثة اسرة يانغ أن في سومترا الشمالية مملكة تسمى «فولي» تنقسم الى ١٣٦ قرية، ومسافتها من الشمال الى الجنوب مسافة خمسين يوماً بسير الاقدام، ومن الغرب الى الشرق مسافة عشرين يوما. وزراعة الرز فيها مرتين في السنة، وكان الناس يصنعون ملابسهم من القطن المزروع عندهم غير ان ملكهم يلبس الحرير، ويتوج رأسه بتاج من ذهب مرصع بالجواهر، ويركب عربة يجرها الفيل، هذا الملك دينه البوذية، وفي سنة ٥١٨م ارسل رسولا الى ملك الصين.

وقال: ان مملكة فولي حوالي سنة ٦٧٥م كان سكانها متمسكين بديانة بوذا، وذلك ما بين سنة ٦٥٠ و ٧٠٠م (٨١ هـ) كريبوجا او ملايو في سومترا الجنوبية والوسطى كانت مملكة بوذية، وعلى شواطئها الشمالية والشرقية كان السكان من المهايانا ذوي ديانة بوذية، وانتشرت هذه الديانة الى جاوا سنة ٧٧٨م (١٦٢ هـ) وبتمامها جاء حالاً العرب عن طريق ملابر ينشرون الاسلام، ومن اجل هذه المهمة صار شمالي آچيه

مثابة العرب والاسلام. وفيما بين سنة ٨٤٦ - ٨٥٠م (٢٣٢ - ٢٣٦ هـ) كما جاء في كتاب الفه بعض العرب انه لا يزال هناك من المتوحشين من يأكل لحوم الآدميين. ذكر هذا السيد الادريسي العالم الجغرافي الشهير.

وفي سنة ١٢٩٢م (٦٩٢ هـ) قدم الى آچيه مركوبولو في طريقه من بكين الى فارس، وذكر ان تجار العرب هناك يجدّون في دعـوة السكان الى الاسلام وفي تعليمهم، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الاسلام في فاسَيْ وسمودرا. والواقع ان هناك حكومة، للملك الصالح، فيدلنا اسمه على انه لا بد ان يكون هناك مسلمون، وهو الذي تزوج بنت سلطان فيوريلا المسلم المسماة «فوتري كغكغ» كما جاء ذلك في نقش على حجر قـبره، واصلـه من اهـل جـامـي. توفي هـذا السلطـان سنـة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) وخلفه ابنه السلطان محمد، ثم حفيده الملك الطاهر.

قال رشيد الدين الفارسي في كتابه: ان سكان ذلك البلد كانوا يشمون (اي بـالوشم) اجسامهم، وكـانـت مـدينتـا فيوريـلا وسمودرا عامرتين.

توفي السلطان محمد سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٥ م) ثم تولى بعده ابنه احمد الذي في عهده يحتمل مجيء الرحالة ابن بطوطة الى الصين سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م) فضلَّ الطريق ورسى الى ميناء سرحي الذي يبعد اربعة اميال، المحاط بحصار من خشب، ويوجد هناك نقود ذهبية صينية. وكان ملكها يركب الفيل ويركب عربة ملوكية، وكل ذلك يدلنا على ان هناك اتصال بين العرب والهنود والصينيين. وكان ذلك السلطان يحارب مملكة الهنود بقرب ملجاوا (ولعل المراد بذلك مييننكابو) مع بندر كاكولا (انكولا او سيبولكا)، ثم عاد ابن بطوطة الى سمودرا في قارب بحري على الطراز الصيني وهو من سفن السلطان. ثم تزوج ابن الملك

وتولى عرش المملكة، وهذا الملك ليس سوى زين العابدين، وكانت سمطرا خاضعة لمملكة ماجا ڤاهيت بجاوا حوالي سنة ١٣٥٠ م تقريباً (٧٥١ هـ)، وفي سنة ١٣٦٥ م تقريباً ذكر في كتاب الاغاني الجاوية « نكـارا كرتـا كـامـا » ان ارو، تميـاغ، فيوريـلا، سمودرا، لاموري بارت، باروس بلدان تابعة لامبراطورية ماچا ڤاهيت[1].

وفي سنة ١٤١٦ و ١٤٠٦ و ١٣٤١ م (٨١٩ و ٨٠٩ و ٧٤٢ هـ) قدم الى سومترا قاصداً من ملك الصين « چانغ جوا » ومع القاصد كاتبان له من مسلمي الصين، إسم أحدهما « ماخوان » وإسم الآخر « فاشين ». وقد كتب « ماخوان » رحلتها في سنة ١٤١٦ م (٨١٩ هـ) وقال إن أهل آرو وسمودرا وناكوليتاي ولمقولي قد أسلموا، وكذا البلدة الجديدة « ملاكا ».

وفي الكتب الباقية من أسرة منغاداله وجد بيان ينص على أن الجالس على عرش آرو عام ١٤١١ م (٨١٤ هـ) يسمّى السلطان حسين.

وكان إنتهاء الاتصال بين الصين وسومترا سنة ١٤٣٣ م (٨٣٧ هـ) وكان « نيكودي كونتي » يسمّي سومترا سنة ١٤٣٢ م (٨٣٦ هـ) تاڤوبراني وشمطرا بلغة أهل البلاد، وسامودرا هي الموضع المزدحم بالسكان، وكانت في تقدم مستمر من حين لآخر، ثم عادت تجارة الشرق تسقط شيئاً فشيئاً إلى أيدي البرتغال الذين إحتكروا تجارة الفلفل.

---

(١) هذا الاخير مطعون فيه كما سيأتي، والاغاني التي استندوا اليها اغاني مبالغات واقاصيص والتابعية في ذلك العهد ليست كما هي على عهد الاستعمار، ولكنها مصانعة وتظاهر بالموالاة للحكومة القوية مع ارسال بعض الهدايا في بعض السنين كما يستدل على ذلك ببعض الوقائع مما تضمنه تاريخ الشرق الاقصى (ع).

لم يعرف الملوك الذين إستولوا على آچيه قديماً إلاّ في زمن متأخر، وذلك حين ذهب الدكتور حسين جايا دينينغرات، و «ي. ف. موقوتيني» وكشفا عن بعض الاثار.

ففي آخر القرن الخامس عشر كان الجالس على عرش «آچية» هو السلطان عناية شاه بن الملك عبد الملك المبين، يسمّى قصره «دار الكمال»[1]، وكان لهذا السلطان إبنان: السلطان علاء الدين رعاية شاه ملك دايا، والسلطان مختار شاه تولّى بعد ذلك عرش أبيَه، ثمْ طرده ملك ڤيدي وتوفي سنة ١٤٩٧م (٩٠٣هـ) ودفن في مدينة «بيلوي» في «مقيم سمبيلان».

وحينئذٍ كان أوّل قدوم البرتغاليين إلى آچية، وكانت خاضعة لـ «ڤيدي» التي عليها شمس شاه بن منوّر شاه، وكانت إقامته في «مهكوتَ عالم» توفي سنة ١٥١٣م (٩١٩هـ)، وقبل موته فوّض أمر المملكة إلى إبنه السلطان علي معايت شاه من سنة ١٥٢٠م (٩٢٧هـ) الى سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) وقد ساعده في تدبير المملكة أخوه السلطان إبراهيم الذي ابتلي في معركة القتال في ٢٣ نوفمبر ١٥٣٢م (٢٢ جمادى الاولى ٩٤٠هـ) وقد استطاع أن يستولي على مدينتي ڤيدي وڤاسَيْ، ولعله إستولى على آرو، تداولتها أيديهم وأيدي البرتغاليين مراراً. وهو أول سلطان إستولى على آچيه العظمى، وقد إستطاع ردّ البرتغاليين وردَّ هجمات أساطيلهم التي يرأسها قائدهم بريتو سنة ١٥٢١م (٩٢٨هـ) واستولى على منافعهم الكثيرة وأسلحتهم التي حاربوا بها مدينة ڤيدي، واستطاع كذلك أن يطرد أساطيل البرتغال سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) عن ڤاسَيْ، وكانوا قد حصّنوها من سنة ١٥٢١م (٩٢٨هـ).

---

(١) لجهور في شبه جزيرة الملايو قصر يسمى «كمال المقام» وكان لبروني من المدن «دار السلام» و «دار الهناء» و «دار السلوى» ثم ذهبت بوجود الاستعمار(ع).

وفي سنة ١٥٢٩م (٩٣٦هـ) ضلّ أسطول من أساطيل البرتغال كان يرأسه القائد «سوسا» الوالي العام لجزائر الملوك بسبب عواصف شديدة، ووصل إلى آچيه وقد مات منهم جملة، وحارب البقية منهم أهـل آچيـه، وبقي منهم بقيـة وقعوا أسرى بيـدهم، وتعـدد مجيء البرتغاليين في تردّداتهم بمراكبهم تحمل البضائع الثمينة فيعترضهم أهل آچيه وينهبونها.

ثم بعد وفاة السلطان علي معايت شاه تولّى إبنه شاه صلاح الدين، وطرده بعد ذلك أخوه سنة ١٥٣٩م (٩٤٦هـ) أو قبلها، وأخوه هذا هو السلطان علاء الدين رعاية شاه القهار (لعله عبد القهار) وتولى مملكة آچيه الكبرى.

وفي سنة ١٥٣٦م (٩٤٣هـ) أغار أهل آچيه على ملاكا ولكنهم رجعوا خائبين، ثم حاربوا أهل باتاك وكانوا لا يزالون على الكفر والعيث والفساد، وكذلك آرو فقتل ملك آرو، قتله جيش آچيه، ثم أعـاد أهل آچيه الكرة على جهور سنة ١٥٤٠م (٩٤٧هـ) ورجعوا خائبين، وكذلك ذهبت هجماتهم المتوالية على ملاكا بدون جدوى.

وفي سنة ١٥٦٤م (٩٧٢هـ) حولوا جيوشهم إلى ناحية «ڤانَيْ» ثم هجموا على جهور بغتة فسقطت بأيديهم، لأن أهلها لم يكونوا مستعدين للقتال، فأسروا ملكها وعائلته وأنفذوهم إلى آچيه، إلى آرو التابعة لسلطانها.

ثم أن ملك آچيه ولّى إبنه «آرو» ولكنه توفي سنة ١٥٦٤م (٩٧٢هـ) ووالده يحارب ملاكا.

وفي سنة ١٥٦٩م (٩٧٧هـ) أو سنة ١٥٧٠م (٩٧٨هـ) كان الأمر غير ملائم لاهل آچيه فان جيشهم اندحر في حرب البحر بينهم وبين البرتغال، وكان أقوى منهم في البحر واكثر معدات حربية.

وفي سنة ١٥٧١ م (٩٧٩ هـ) إتصل سلطان آچيه بسلطان تركيا وجرت بينهما مراسلات وطلبوا مساعدات واسلحة حربية فارسل اليهم سلطان تركيا اسلحة من جميع الانواع، من السيوف والحراب والبنادق والمدافع، بل أرسل اليهم اناسا من صناع البنادق والمدافع (ولكن لم يحصل من وجودهم فائدة لفقدان الحديد وعدم وجود المعدنيين، (المؤلف). وفي سنة ١٥٧٣ م (٩٨١ هـ) الى ١٧٧٥ م (٩٨٣ هـ) حاصروا ملاكا، وكان المتولي في مملكة اچيه حينئذ ابن السلطان الشيخ وهو السلطان حسين علي رعاية شاه، وتوفي السلطان حسين المذكور في ٨ جوني ١٥٧٩ م (٢٥ ربيع الثاني ٩٨٨ هـ) وتولى المملكة بعده ابنه الطفل الذي لقب بالسلطان الشاب، والذي لم يطل عهده.

ثم تولى بعده السلطان سري عالم الذي لقب سابقاً «راجَ فريامن» وهو الأخ الأصغر للسلطان حسين، ثم أن هذا السلطان قتل غيلة.

ثم تولى بعده زين العابدين، او بعبارة اخرى السلطان زين الدين بن السلطان الذي استشهد في معركة القتال سنة ١٥٦٥ م (٩٧٣ هـ) في ملاكا، ويقال له السلطان جينال (تحريف كلمة زين العابدين وترخيم) وكان غليظ الطبع فض، قتل في تسع شعبان ٩٨٧ هـ (٥ اكتوبر ١٥٧٩ م).

وتولى بعده السلطان علاء الدين منصور شاه ابن سلطان فيرق، وبهذا صار الملك الى عائلة اخرى، وكان من خبره انه لما هاجم جيش آچيه مدينة فيرق أُسِر هو وعائلته، وجيء بهم الى آچيه، وسلطان فيرق يسمى السلطان احمد، ثم تزوج ابنه باحدى مخلفات السلطان (اي سلطان آچيه) وبهذه المصاهرة ترشح - وان كان أصله من فيرق - للملك، واستطاع ان يجلس على عرش آچية، وكان متمسكا بأوامر الدين الاسلامي.

وفي سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) ارسلت عدة اساطيل لمحاربة جهور فبادروا بالهجوم اولاً على ملاكا ولكن جيشهم عاد خائبا، ولم يعقد عزماً جديداً لمحاربة البرتغال لانه قتل سنة ١٦٨٦ م تقريبا (١٠٠٥ هـ) وقد ترك سبطا هو راج هاشم بن سلطان جهور السلطان عبد الجليل شاه الذي تزوج بنت الملك المنصور، وكان رجال من كبار المملكة وأعيانها لم يوافقوا على تولية هذا الملك، واختاروا اميراً من امراء «اندرافورا» سلطانا، وهو السلطان «ريا‌ي بن منور» الذي قتل فيما بعد في ١٤ شعبان ٩٦٧ هـ (جوني ١٥٨٩ م) ودفن في مقبرة ڤندي.

حول آچيه

في عام ١٥٩٩ م وصل الهولنديون الى آچيه، ثم حدث خلاف انتهى بقتل «كورنيلس دهوتمان» وبعض أعوانه، وأسر أخيه «فريدريك» وثمانية من أتباعه، وبقوا في الاسر نحو سنتين.

ذكر الربان الانكليزي «جون دافيس» أنه رأى في ميناء آچيه سفناً عربية وتجاراً من العرب والهنود، وأن حكومة آچيه استقبلت الوفد الهولندي أحسن استقبال وبادلته الهدايا، وذكر أن لهذه الدولة نحو مائة سفينة حربية تحمل كل سفينة ٤٠٠ مقاتل وأن بين القواد إمرأة لديها مدافع كثيرة وفرقة من الفيلة وأن التجارة رائجة والصناعات كثيرة متنوّعة.

أطلق الاسرى الهولنديون بخطاب رجاء من حكومة هولندا.

في عام ١٦٠٦ م زحفت قوة برتغالية هائلة بقيادة «الفونسو دكاسترو» ALFONSO DE CASTRO ونزلت إلى البر واستولت على القلعة، فتولّى الدفاع إسكندر مودا ابن منصور بن عبد الجليل بن السلطان القهار، وعمره ١٦ سنة، فاستعاد القلعة وقاد جيش الفيلة المدربة فقضى على الاعداء، وبلغ عدد قتلى البرتغاليين نحو ثلاثمائة. فلما رأى جنود البرتغال الذين في السفن ذلك الانكسار الساحق لاذوا بالفرار متجهين إلى ملاكا، وفي البحر لقيهم أسطول هولندي فكان ذلك القضاء التام عليهم.

«ثم تولى على آچيه السلطان علاء الدين رعاية شاه، وهو سبط السلطان مظفر شاه الذي توفي سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) (انظر ما تقدم).

«وقد قتل ابن السلطان منور الذي سلم اليه ليكون وليه وتحت كفالته، وهذا القتل لعله لتقوية نفوذ السلطان مظفر شاه واضعاف نفوذ السلطان رعاية شاه. وهذا القتل تسبب عنه نشوب الحرب بين مملكتي آچيه وجهور، وقد أتهم الناس السلطان مظفر شاه بانه هو القاتل للسلطان منصور شاه ايضاً».

واسكندر مودا هذا ولد عام ١٥٩٠ م وكان مولعاً بتدريب الفيلة على طاعة أوامره.

ولما توفي السلطان علي رعاية شاه فجأة عام ١٦٠٧ م تولى على السلطنة إسكندر مودا ورضي بولايته رجال الدولة. وفي عهده إتسعت رقعة هذه الدولة، واشتهر بالعدل والحزم، وحب العلم والعلماء. بنى مسجد بيت الرحمن، ومسجد القصر بيت الرحيم، وسمى قصره «دار الدنيا» وعمرت الموانيء وكثرت الصادرات والواردات.

ومع عظمة هذه الدولة وبعد صيتها فان عظمة العلماء ومكانتهم فوق الجميع، فقد كان عصره عصر العلم والعلماء، اشتهر منهم في عهده:

الشيخ عبد الرؤف السنكيلي (بالقرب من باروس) الفقيه الصوفي مترجم تفسير البيضاوي وكان له كاتب، توفي عام ١٦٩٠ م.

الشيخ نور الدين محمد بن حسن بن محمد حميد الحضرمي الاصل، ويعرف بالرانيري، له مؤلفات، منها «الصراط المستقيم» عام ١٦٢٨ م و «بستان السلاطين» عام ١٦٣٨ م ونظام تقاليد آچيه.

حمزة فنصوري (من باروس) المؤلف الشاعر الصوفي، من تآليفه «شراب العاشقين» و «أسرار العارفين» وكان في طليعة الادباء في الادب الملايوي.

شمس الدين بن عبد الله السُمترائي، له مؤلفات منها «مرآة المؤمنين» و «مرآة القلوب» و «مرتبة توجوه» و «صفة دوا ڤولوه» توفي عام ١٦٣٠ م (١٠٣٩ هـ).

بخاري الجوهري اشتهر بكتابه «تاج السلاطين» عام ١٦٠٣ م.

«وفي هذه الحرب دخلت مملكة ارو مع جهور، وفي هذه الحرب التي وقعت بين الاصهار وبين العم وابنه واخيه، بين ابن صهر السلطان منصور شاه الذي هو ابن اخي السلطان حسين والسلطان سري عالم. والسلطان منصور الذي مات في تلك المعركة له ابن هو الذي تولى المملكة بعد ذلك ولقب بالسلطان اسكندر الاصغر».

الشيخ أبو الخير بن حجر المكي، مؤلف «السيف القاطع في الاعيان الثابتة».

الشيخ محمد اليمني العالم الاصولي.

الشيخ إبراهيم الشامي الشافعي توفي عام ١٠٤٠ هـ.

الشيخ إبراهيم الاصفهاني الشامي.

وغيرهم. فكان بينهم أبحاث علمية، ومحاورات ومناظرات في مختلف العلوم. وانتشر العلم في أوساط الشعب وقلَّ عدد الاميين.

في عام ١٦٢١م وصل مندوب فرنسي يحمل هدايا حكومته فاستقبله السلطان، وكتب هذا الفرنسي يقول: أن أهالي آچيه يجيدون القراءة والكتابة والحساب، وأنهم من خيرة مقاتلي هذه الجزائر، وأن لآچيه سفناً كثيرةً وفرقاً من المشاة وفرقة الفيلة، وفي الموانيء ترسو السفن الحربية وهي أضخم من السفن الاوروبية... إلى آخر الوصف. ويخمن أن عدد الفيلة لا يقل عن ٩٠٠ كلها مدربة على القتال.

أوجد السلطان علاقات مع الامارات والدول الاسلامية في اندونيسيا والهند وغيرها. وبعث وفداً الى تركيا في ثلاث سفن تحمل هدايا للدولة العثمانية، وأصحبه بثلاثة من العرب مترجمين، وعادوا ومعهم ١٢ من الخبراء. وصارت آچيه تصنع الاسلحة من المدافع وغيرها، وترسل الفائض إلى الممالك الاسلامية مثل بانتن وغيرها.

وقد رأيت مدفعاً في بانتن عليه كتابات بالعربية، منها لا فتىً إلاّ علي ولا سيف الاّ ذوالفقار. ولمن صبر وغفر فان ذلك من عزم الامور - وعاقبة الخير سلامة الايمان.

والواقع أن العلاقات مع الدولة العثمانية كان من عهد السلطان القهار، إذ بعث وفداً إلى الخليفة سليم خان، وعادت السفن بالاسلحة والصناع وأربعين ضابطاً ومدفعية. وكذلك في عهد رعاية شاه أوسيد المكمل حيث أرسل الخليفة مصطفى وسام شرف لسلطان آچيه.

وفي عهد هذا السلطان ساح الهولنديون والفرنسيون والانكليز بين جزائر الهند الشرقية (اندونيسيا) ولكن لم تتوفر لديهم يومئذ الحظوظ لان بين البرتغال وآچيه صلح ومسالة سنة ١٥٩٧ م (٩٩٦ - ٩٩٥ هـ) حتى تغلب نفوذ البرتغال في التجارة على نفوذ الجميع.

توفي السلطان إسكندر مودا عام ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦ م)، وتولّى إسكندر الثاني بن أحمد بن عبد القادر بن زين العابدين، وهو ختن إسكندر مودا، فسار مسيرته من تقريب العلماء وغيره.

ثم تولت بعده السلطانة صفية الدين بنت إسكندر مودا، فكانت أشبه بأبيها في النظام والعدل والاصلاح، نظمت مجلس الشوري واكثرت فيه من نواب المناطق من بينهم ١٨ إمرأة من المختارات.

وتولت بعدها سلطانات، تقية الدين، ثم عناية زكية الدين، ثم كمالات. ثم تولى السلطنة الشريف إبراهيم جمل الليل الملقب بدر العالم عام ١١١٠ هـ (١٦٩٩ م) ثم الشريف هاشم الملقب ڤركاسَ عالم شريف لمتوي الى عام ١٧٠٣ م، ثم الشريف جمال الدين بن الشريف هاشم. ثم تولى بعده جوهر العالم عماد الدين من أصدقاء وأعوان الشريف جمال الدين.

وتتابع السلاطين كما تتابعت الحوادث من أعداء غرباء لهم أغراض ومن خلافات داخلية، وثورات ضد الاستعمار. وبدأ الضعف يسري فى كيان الدولة طول السنوات اللاحقة، على الرغم من ثبات معظم الشعب وتمسك الاهالي بسلاطينهم ووطنهم.

وظهر فيمن له شيء من النفوذ أو القيادة الجنوح إلى العدو الذي كان يوالي غاراته على أطراف البلاد ويرسل جواسيسه. وبرز الانتهازيون والنفعيون والعملاء، واستسلم كثير من الزعماء، ومال بعضهم إلى الجانب الهولندي وحارب قومه بسلاح العدو، ومما زاد الطين بلة ضعف القيادة العليا فصار السلطان يميل ميلاً قويا إلى من يخدعه، والمخادع يعمل لنفسه وينفق مال الدولة باسراف لاغراضه، وقد ظهر اخيرا الرجل الهندوكي الاصل الذي أسلم وسمي محمداً ووثق به السلطان صار أخيراً يقود القوات ضد المسلمين لمصلحة الهولنديين. واضطر بعض رجال الجهاد الى التخلي عن جهاده، وقد رأى من حوله قد خارت قواهم واستسلموا للعدو، بل أخذ بعضهم يكيد لبعضهم، وساءت الحالة العامة. ولكن الشعب ما زال في جهاده بقيادة العلماء، وتألفت عصابات مكافحة، والنهاية إما الشهادة وإما الاستسلام.

ملاحظات:

هذه التفاصيل التاريخية لم تـؤخذ كلها من نقوش شواهد المقابر، ولكن الكاتب لاءم بين ما ورد في بعض التواريخ الاهلية مع ما اخذه من الاثار الكتابية على الاحجار، والتاريخ في هذا البيان بالتاريخ

تنكوچيء دي تيرو

ومعنى هذه الجملة «علامة تيرو». عندما عاد الحبيب عبد الرحمن الزاهر من تجواله في سبيل دعم الجهاد سياسياً وقوة سلاح جمع العلماء ورجال الدولة لمواصلة القتال، وقد نجح في توفير الاسلحة، فاختار الحاضرون الشيخ محمد سمان بن عبد الله بن عبيد الله للقيادة الجهادية.

كان محمد سمان من العلماء تلقى من مشاهير علماء وطنه والحرمين الشريفين، وتولى التدريس في معهد خاله محمد أمين بن الشيخ عبد السلام بن موسى في «تيرو» فلقب «تنكوچيء دي تيرو» وهو لقب لا يطلق الاّ لشخص واحد.

ولما اختير للقيادة أمره العالم الجليل «تنكوچيء تانه أبوى» TENGKU CE TANOH ABEUE أن يقسم اليمين والمصحف على رأسه، فينطق اولاً بالشهادتين ويحلف بالله تعالى بانه باع نفسه لله عزوجلّ، ثم يقبّل أيدي جميع العلماء الحاضرين وأولهم الشيخ دي تانه أبوي، ثم وُدّع بقراءة الفاتحة وزار ضريح والده في «موناسة» وغامر في الجهاد من عام ١٨٨١ الى ١٨٩١ م.

الحبيب عبد الرحمن بن محمد الزاهر

بعد عودته قاد الجيوش لحرب الهولنديين، بعد أن طاف القرى والنواحي حاثاً على الجهاد، ودخل في معارك شرسة، كان المسلمون يقاتلون الهولنديين بحماس قلَّ نظيره واندفاع عظيم، ولا سيما ان الحبيب عبد الرحمن بعد أن طاف الاقطار ووصل الى استانبول للاستنجاد، وقد وصلت الاسلحة للجنة في «ڤينانغ» واستعر القتال، وكانت الاسلحة المشتراة بأموال اللجنة، في حين يجد تيڤانغ محمد الأموال بدون حساب من السلطان الشاب ثقة به، ولا يدري أنه ذو ميول للعدو، يعمل لمصلحة الهولنديين، مما جعل بعض رجال آچيه يؤثر السكون أو الاستسلام أو التشتت في الغابات، واشتدت هجمات الهولنديين، وانساح الأمل حتى استسلم هو ومن معه في الكفاح في عام ١٨٧٨ م. وتوفي بمكة المكرمة عام ١٨٨٥ م.

المسيحي فجعلنا معه ما يقابله من التاريخ الهجري، والتاريخ المسيحي غير موجود لا في النقوش والاثار ولا في التواريخ والحكايات الاهلية، لان سومترا وجهور وفيرق لذلك العهد كانوا احراراً مسلمين مثقفين

نتف من خطاب كان قد بعثه سيادة العلامة علوي بن طاهر الحداد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين. حضرات الاساتذة العاملين هاشم الكاف ومن معه من الاخوان عبد الله بن نوح وضياء شهاب وعمر أمين حسين وغيرهم ممن لا نعلم اسماءهم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حملني على تحرير هذا الكتاب واجب الشكر لكم على ما نشرته الاذاعة العربية بجاكرتا ليلة الثلاثاء على القاعدة الاسلامية. واليوم هذا يوم الثلاثاء ١٢ شعبان ١٣٧٤ هـ بالحساب التقويمي = ٥ ابريل ١٩٥٥ م من دخول الاسلام الى الشرق الاقصى، فتلك المقالة التي حررها ضياء شهاب مقالة فريدة هي الموافقة للواقع التي تؤيده التواريخ وكتب الرحالين، وقوله في محاضرته: «ان القول بأن القزراتيين أو الكجراتيين هم الذين جاؤوا بالاسلام لم نقف على ادلته وهذه جملة واضحة صحيحة كل الصحة»

ثم قال رداً على من يقول أن الكجراتيين هم الذين كانوا دعاة الاسلام في الشرق بحجة ان «كمبَيَ» كانت مركز حركة المسلمين: نقول ان في ذلك العصر كانت عدن مركز حركة تجارية وكذلك جدة ومصر ومداغسكر وسيلان وكله، وكلها كان فيها مئات الالوف من المسلمين ومن العرب خاصة، فما الذي جعلك تخص من بينهم القجراتيين فتجزم انهم هم الذين أدخلوا الاسلام في سومترا وليس هم أصحاب التجارة العظيمة لذلك العهد ولا المراكب الضخمة التي لا ترتقي الا بالسلام؟ وقد كادت ثروة العالم تتكدس في مصر لعهد خلفاء الفاطميين بسبب ورود التجارات اليها، وانما ترد اليهم من اليمن وعدن (وهي من اليمن) وأفريقية الشرقية. وقد نص المؤرخون على ان المسلمين افتتحوها لعهد المنصور العباسي، وانما بها سلالات العرب، واللغة العامة السواحلية ممزوجة بالعربية مزجاً، كما ان في جزيرة القمر الكبرى سلالات عربية وملايوية وجاوية وسُنداوية، فهل القجراتيون هم الذين نشروا الاسلام هناك ونشروه على سواحل البحر الاحمر الغربية وهلم جراً الى موزانبيق، ثم في الجزائر الواقعة جنوب الهند مع سواحلها الجنوبية. وبالجملة على طريق المواصلات من حدود مصر الى فلبين على سواحل الهند وما يقابلها من سواحل افريقية ما بينهما من الجزائر، فهذه أمم

بالثقافة الاسلامية يؤرخون بالتاريخ الاسلامي، ولما يستبدلوا بها التاريخ المسيحي، وكانوا يكتبون بحروف القرآن لا بحروف الرومان.

كلها في لغاتها من الالفاظ العربية الاسلامية مالا يحصى الاّ بتعب، فهل القجراتيون هم الذين علموهم اللغة العربية ونشروا بينهم الاسلام وآدابه وثقافته،؟ وكم هم هؤلاء القجراتيون وأين فضلاؤهم وعلماؤهم ورحالوهم؟ إناّ لم نر ذكراً الاّ للعرب ومن بجملتهم ممن تبعهم، وكيف لم يلقهم إبن بطوطة ويرى مراكبهم وتجارتهم؟

إن المسلمين القجراتيين إخواننا ولا نحسدهم على ما خصهم الله به لو كان، ولكنا نكره الكذب والتزوير سواءً كان لنا أو علينا. ألم يكن بكاليكوت جالية عربية عظيمة ولهم أتباع من الهنود، وكذلك في سيلان وهم أقرب من أهل كمَبيْ واكثر تردداً الى الجزائر الهندية.

ثم عدد الاطياب والعقاقير التي ذكرها العرب في كتبهم ومصادرها، وقال: حينئذ نقول لـ «هير خرونيه» أين كتب القجراتيين التي فيها مثل هذه البيانات واين كتبهم بذكر النباتات الطيبة؟.

ثم تحدث عن الدعاة فجعلها أربع طبقات، الاولى هم الذين أدخلوا الاسلام في هذه الجزائر سنة ثلاثين من الهجرة، والطبقة الثانية هم الذين ذكرهم العرب في كتبهم وهم من أهل القرن الثالث الهجري الاشراف الذين قيل انهم هربوا من الحجاج بن يوسف وبني أمية وملكوا بجزائر السيلا وماتوا ودفنوا بها. والثالثة وهم الذين يعرفون في التواريخ الاهلية باسم شريف أولياء، وهم عدد منهم من كان في جمقا وكلانتن وسواحل سومترا الشمالية وبروني وجزائر فلبين، ومنهم الذين دخلوا جاوا ومنهم من أقام مملكة في المعبر، وفيهم علماء مثقفون وصوفية، ومن قرأ القاعدة التي جروا عليها في الدعوة في إندونيسيا يرى أنهم أخذوها عن الاوامر التي ألقاها الشيخ عمر السهروردي الصوفي لبعض مريديه في سبيل نشر الاسلام، وكانت وما يزال كتاب «عوارف المعارف» له موضع درس واعتبار...

ثم قال: «وفي تاريخ بروني ان الذي جاء بالاسلام الى بروني هو السلطان محمد وتولى بعده أخوه أحمد، وفي الوثائق الميندانويّة (نسبة الى مينداناو) أن الثالث من الاخوة صار اميراً على جزائر الملوك. ومن هؤلاء راج چرمين ابن اخي ملك ابراهيم».

فهـــرسُ الأعـــلام

ح

خ

د

ش

ص

غ

ف

ن

هـ

و

ي

فهرس أسماء الكتب والرسائل العربية

ف

ق

ك

م

ي

فهرس الصحف والدوريات العربية

فهرس أسماء الكتب والصحف غير العربية

R. O. WINSTEDT

EARLY RULERS OF PERAK, PAHANG
AND ACHEH 157

C. H. BAMPEYLDY

A HISTORY OF SARAWAK UNDER ITS
TWO WHITE RAJAS BARING COULD 200

NAGEEB SALEEBY

SURVEY PUBLICATION STUDIES IN MORO
HISTORY LAW RELAGION

J. CKAWFURD

HISTORY OF INDIAN ARCHIPELAGO 299
THE OLD TANG SHU 314

FROMBERG

VERSPREIDE GSECHRIFTEN 350

L. VAN RIJCK VORSEL

RIWAYAT KEPULAVAN HINDIA TIMUR 199
A HISTORY OF INDONESIA 352

H. J. BERANDS

THE CRESCENT AND THE RISINGSON 353

H. DJAYA DININGRAT

CRITISCH ONERTICHT 356

NAGEEB SALEEBY

THE HISTORY OF SULU 375

W. FRUIN MEES

SEDJARAH TANAH DJAWA 122 380

THOMA STAMFORD RAFFLES

HISTORY OF JAVA 116 243 382
THE MEN ASECRET JOUNEY
HANZ HELFRITZ 125

J.C. VAN LEUR

INDONESIAN TRADE AND SOCIETY 57

W. P. GROENEVELD

NOTES ON THE MALAY ARCHIPELAGO AND MALACCA

THOMAS ARNOLD

PREACHING OF ISLAM 81 129 224

PAUL R.

INSECRIPTION CONFIQUE LERAN A JAVA 129

S. HER GROENJE

DE ATJEHERS 35

LE BON JUSTAVE

LA CIVILASATION DES ARABES 344

MICHAIL CRITCHON

EATERS OF THE DEAD 73

SIR ELLIOT

HISTORY OF INDIA 45 62

WILSON

THE PERSIAN GULF 45

GORDON GILD

WHAT HAPPENED IN HISTORY 54

H. HOWORTH

HISTORY OF THE MONGOL 40

HIRTH

CHINA AND ROMAN ORIENT 43

DONAL MACLAIN CAMPBEL

JAVA PAST AND PRESENT 130

NIEMANN

INLEIDING TOT DE RENNIS VAN DEN ISLAM 149

Dr. F. DE HAAN

OUDE BATAVIA 164

J. A. B. WISELIUS
DE FRANSCHEN IN INDOCHINA 182
PAUL WHEATLEY
THE GOLDEN KHERSONESE 218
ISLAM, THE WEST AND THE PUTUR 237
SEJARAH ALAM MELAYU 66 156
M. SAID
ACEH SEPANJANG ABAD 135 147 205 206 285 306 309
S. HARAHAP
SEJARAH PENYIARAN ISLAM DI ASIA TENGGARA 210 213
SEJARAH TANAH MELAYU 214
NAGARA KARTAGAMA 387
ISLAM DI MALAYSIA 112 115
H. ZAINUDDIN
TARIKH ACEH DAN NUSANTARA 84 213 285
PERIPLUS MARI ERYTHRAEI 67
HAMKA
TUANKU RAO ANTARA FAKTA DAN KHAYAL 9 149 152 153 208 236 359
HAMKA
SEJARAH UMMAT ISLAM 82 96 129 207 208 215 310
ABDULLAH GARI
PENGAJIAN SEJARAH ISLAM 214 271

المحتويات

